عبير الزمان

في فضائل وآداب وأحكام رمضان

تأليف
أحمد سيد أبو العمايم

قدم له
فضيلة الشيخ/ أبو بكر بن محمد بن الحنبلي
وفضيلة الشيخ/ عبده هيتمي

دار الحكمة
المنصورة

عبير الزمان

في فضائل وآداب وأحكام رمضان

تأليف

أحمد سيد أبو العمايم

قدم له

فضيلة الشيخ
أبو بكر بن محمد الحنبلي

فضيلة الشيخ
عبده هتيمي

دار الحكمة

المنصورة - شارع الهادي - عزبة عقل


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م

رقم الإيداع: ١٥٩٨٥ / ٢٠٠٨م

دار الحكمة

طبع . نشر . توزيع

المنصورة - شارع الهادي - عزبة عقل

ت: ٠١٢٠٥٢٣١٦٤ - ٠١٦٨١٨٢٩٩٢

جوال: ٠١٠١٢٤٣٦٢٨

إهـداء

إلى الحبيب الغالي

الذي حباني من حنانه ما نعمت به وأنا وليد، إلىٰ الذي حبب إليَّ طلب العلم الشرعي وألحقني بالأزهر الشريف، وكان غاية ما يتمنىٰ أن أسلك طريق الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ:

إلىٰ أبي الحاج: سيد المرسي أبو العمايم منجد.

أهدي أول مؤلفاتي العلمية راجيًا من الله تعالىٰ أن يبارك لي في حياته، وأن يجعل ذلك في ميزان حسناته، وأن يتقبل منه صالح الأعمال هو وأمي الحبيبة الغالية.

﴿رَبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

وإلى شيخي وأستاذي الحبيب

فضيلة الأستاذ الدكتور: أحمد عبد العزيز أبو العمايم.

الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة رحمه الله.

أسأل الله تعالىٰ أن يسكنه الفردوس الأعلىٰ وأن يبارك في أسرته وأهله.

❊ ❊ ❊

تقديم
فضيلة الشيخ:
أبي بكر بن محمد بن الحنبلي

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، القائل في كتابه الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ الآية[1].

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله القائل - كما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: - «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[2].

فصلوات ربي وسلامه عليه وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

ثم أما بعد:

فلقد دفع إليَّ فضيلة الشيخ أحمد أبو العمايم كتابه الموسوم به «عبير الزمان في فضائل وآداب وأحكام رمضان».

فوجدت مقتضىٰ الكتاب مطابقًا لاسمه، وقد طفت به طواف الرَّمل فألفيته - ولله الحمد والمنَّة - نافعًا وقد توخَّىٰ فيه الصحة في الأحاديث النبوية والاستشهاد بالنصوص في موطنها، فأسأل الله بأسمائه الحسنىٰ وصفاته العلىٰ أن

---

(١) البقرة: (١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (١٧٥).

ينفع به قارئه وجامعه، وأن ينفع به المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، هذا وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

وكتبه الراجي عفو مولاه

أبو بكر بن محمد بن الحنبلي

في ليلة التاسع من جمادى الأولى للعام التاسع والعشرين

بعد المائة الرابعة والألف من هجرة الرسول ﷺ

* * *

تقديم الشيخ عبده هتيمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرف الوجود بأشرف مولود حوىٰ شرفًا وفضلًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند له ولا شبيه له ولا صاحبة له، ولا ولد له ولا والد له ولا مثيل له: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، صاحب الفضل علينا بعد الله عز وجل، حيث أنه لم يترك بابًا واحدًا من أبواب الخير إلا ودلنا عليه، ولا بابًا من أبواب الشر إلا وحذرنا منه، وتركنا علىٰ المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، فاللهم اجزه عنا وعن الإسلام والمسلمين خير ما جازيت به نبيًّا عن أمته، ورسولًا عن دعوته، وأدِم اللهم الصلاة والتسليم علىٰ هذا النبي الأمين، بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين.

وبعد:

فلقد طلب مني أخي في الله فضيلة الشيخ أحمد أبو العمايم أن أكتب له كلمة تكون في مقدمة كتابه الذي نوىٰ طبعه ونشره، وهو كتاب مبارك أتوقع له - إن شاء الله تعالىٰ - القبول والإقبال عليه من العامة والخاصة - خاصة طلبة العلم -؛ وذلك لأن موضوع الكتاب من الموضوعات المحببة إلىٰ قلب كل مؤمن ومؤمنة.

---

(١) الشورىٰ: (١١).

ولقد فاحت رائحة الكتاب الزكية العطرية المسكية؛ ولذلك كان من حق الشيخ أن يسميه: «عبير الزمان في فضائل وآداب وأحكام رمضان» والحق أقول: إنني من خلال تصفحي لهذا الكتاب وجدته رسالة جادة وجيدة وجديدة، فيها جهد مبذول، وفيها أمانة علمية واضحة، وفيها الصحيح أو الحسن من أحاديث الرسول ﷺ، وفيها بغية من يريد أن يعرف أي شيءٍ عن رمضان سواء الاستعداد القلبي والنفسي والروحي، أو كيف نستقبل هذا الشهر المعظم، حتىٰ آيات الصيام بتفسيرها السهل الميسر المفهوم الواضح، ولم يحرم الشيخ المسلم من أن يجعل له جدول أعمال يومي في رمضان منذ أن يستيقظ إلىٰ أن ينام، ولم يحرمنا الشيخ من الحديث عن زكاة الفطر وعرضها بحياد تام، وكما استقبل الشهر راح يودعه، ثم التهنئة بالعيد وغيرها من الموضوعات الهامة والمهمة في حياة المسلم.

ألم أقل لكم أنها رسالة مباركة نافعة مفيدة جامعة، أسأل الله أن يجزي جامعها وكاتبها وطابعها وناشرها وقارئها والدال عليها خير الجزاء والمثوبة.

كما أسأل الله تعالىٰ أن يجعل لهذه الرسالة قبولًا واستحسانًا وأن يجعلها في موازين حسنات جامعها.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الشيخ عبده هتيمي

المطرية – دقهلية

* * *

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾(٢).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾(٣).

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار(٤).



---

(١) سورة آل عمران: (١٠٢).

(٢) النساء آية: (١).

(٣) الأحزاب آية: (٧٠- ٧١).

(٤) هذه خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يستفتح بها جُل خطبه ودروسه ومواعظه، وقد وردت عن ستة من الصحابة وهم: عبد الله بن مسعود، وأبو موسىٰ الأشعري، وعبد الله بن عباس، جابر بن عبد الله، ونبيط بن شريط، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.

انظر رسالة العلامة محمد ناصر الدين الألباني - عليه رحمة الله تعالىٰ - في [خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه] ط مكتبة المعارف للنشر والتوزيع - الرياض.

منهج الكتاب

لابد لكل باحث من منهج يسلكه، ويحدد معالمه قبل الكتابة، وتتكامل صورته بعد انتهاء الموضوع، وإن من أبرز ملامح منهجي في هذا الكتاب ما يلي:

١- استعنت بالله تعالىٰ وتوكلت عليه في جمع وترتيب كل ما يحتاج إليه المسلم الصائم في رمضان من دروس وآداب وفضائل وفقهيات وأحكام منذ أن يستيقظ إلىٰ أن ينام، وبفضل الله تعالىٰ وتوفيقه جمعت قطوفًا دانية من المواعظ والمعارف واللطائف والفوائد والزهد والرقائق ورياحين الحكم من الآداب والأشعار التي تُشعر القارئ وكأنه يعيش في بستان فواح وارف الظلال ينتقل بين ثماره وأزهاره، ويشم عاطر شذاه كأنه طائر مغرد في ساعة فجر صادق يستنشق العبير ويداعب النسيم ويرتشف الرحيق، ويحلق بجناحيه إلىٰ السماء فيسمو ويعلو ويزكو، ويتحصل علىٰ المنهج الصحيح الذي يعبد به ربه تعالىٰ في رمضان وسائر الأزمان عبادة عمودها الإخلاص، ولحمتها الاقتداء بسيد الناس ﷺ.

يقول ابن القيم - عليه رحمة الله تعالىٰ -: «مثل القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الآفات وكلما نزل استوحشته الآفات»(١).

٢- ولعل من المناسب أن يكون اسم الكتاب:

«عبير الزمان في فضائل وآداب وأحكام رمضان»

٣- جمعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع، ورددت بعضها إلىٰ بعض، وذكرت أقوال السلف الصالح والعلماء فيها، وقمت بتخريج

---

(١) انظر: الداء والدواء للإمام ابن قيم الجوزية صـ٨١، تحقيق لجنة التحقيق بمؤسسة الهدىٰ، ط دار التقوىٰ، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٠هـ.

جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

وكنت حريصًا غاية الحرص علىٰ ألا أستشهد إلا بالحديث الصحيح أو الحسن، وذلك لأن في الحديث الصحيح غنًىٰ عن ذكر الضعيف.

٤- التزمت الأمانة العلمية وذلك بتوثيق النقول، وتحقيق النصوص، ورد الأقوال إلىٰ قائليها.

٥- حاولت أن يكون الأسلوب سهلًا ميسرًا يخاطب القلوب قبل الأسماع، مراعيًا فيه جانب التربية والتهذيب والموعظة لنفسي أولًا ثم لإخواني من المسلمين والمسلمات، مستشهدًا بمواقف إيمانية من حياة الرسول ﷺ، ومن حياة وأقوال سلفنا الصالح عليهم رضوان الله تعالىٰ.

٦- قسمت الكتاب إلىٰ تسعة أبواب وجعلت فيه بابًا خاصًّا بتفسير آيات الصيام.

كما خصصت بابًا كاملًا لزكاة الفطر جمعت فيه - بحول الله وقوته - معظم الأحاديث وأقوال السلف الصالح والعلماء المعاصرين في أحكام زكاة الفطر، وذكرت أقوال العلماء دون تعصب أو تسفيه لرأي أو لمذهب، وسرت مع الدليل حيث سار، حتىٰ انجلىٰ الحق وبان كما بانت الشمس في رابعة النهار وبان الصبح لذي عينين، ولله الحمد والمنة.

وجعلت بابًا كاملًا لفقه الصيام وفتاويه.

❊ ❊ ❊

ورتبت الأبواب على النحو التالي:

تمهيد:

الباب الأول: وفيه:

١ - الفصل الأول: حقيقة الدنيا وفقه التجارة مع الله.

٢ - الفصل الثاني: من فضائل شهر رمضان.

الباب الثاني: تحت عنوان «الاستعداد لاستقبال رمضان»، وفيه:

الفصل الأول: وقفات مهمة قبل أن تفتح أبواب الجنة. وهو عبارة عن المباحث الآتية:

أ- التوبة النصوح.

ب - تطهير القلوب.

جـ - استحضار النية وتحقيق الإخلاص.

د - التدريب علىٰ اغتنام الأوقات في شهر الخيرات.

الفصل الثاني: رسائل مهمة قبل أن تفتح أبواب الجنة. وهو عبارة عن المباحث الآتية:

أ- رسالة إلىٰ الدعاة في رمضان.

ب - رسالة إلىٰ المرأة المسلمة في رمضان.

جـ - رسالة إلىٰ المدخنين في رمضان.

الباب الثالث: كيف نستقبل رمضان؟

الباب الرابع: آيات الصيام تفسير وفوائد.

الباب الخامس: فقه الصيام. وهو ينقسم إلىٰ مبحثين:

أ- أحكام الصيام.

ب- فتاوىٰ الصيام.

الباب السادس: جدول أعمال المسلم في رمضان.

الباب السابع: وفيه:

١- فضل العشر الأواخر من رمضان.

٢- فضل وأحكام الاعتكاف.

٣- من فضائل وأحكام ليلة القدر.

الباب الثامن: أحكام زكاة الفطر.

الباب التاسع:

١- وداع رمضان.

٢- استقبال العيد.

٣- وفضل صيام ست من شوال.

والله ولي التوفيق

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال

* * *

تمهيد

الحمد لله الذي عم العوالم جودًا وإحسانًا، وجعل لفيضان رحمته أوقاتًا وأزمانًا، سبحانه اختار أيامًا شرفها، وأوقات خير بينها وعرفها، وجعلها متجرًا رابحًا ومغنمًا.

فمن شكر كتب من الآمنين، ومن كفر فإن الله غنيٌّ عن العالمين.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ (١).

سبحانه جعل رمضان سيد الشهور وضاعف فيه الحسنات والأجور، فهبت فيه علىٰ القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب، وسعىٰ سمسار المواعظ للمهجورين في الصلح، ووصلت البشارة للمنقطعين بالوصل، وللمذنبين بالعفو، وللمستوجبين النار بالعتق، لما سلسل الشيطان في شهر رمضان، وخمدت نيران الشهوات بالصيام، انعزل سلطان الهوىٰ، وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل، فلم يبق للعاصي عذرٌ، فيا غيوم الغفلة عن القلوب تقشعي، ويا شموس التقوىٰ والإيمان اطلعي، يا صحائف أعمال الصالحين ارتفعي.

يا قلوب الصائمين اخشعي، يا أقدام المجتهدين اسجدي لربك واركعي، يا عيون المتهجدين لا تهجعي، يا ذنوب التائبين لا ترجعي، يا أرض الهوىٰ ابلعي ماءك، ويا سماء النفوس أقلعي.

يا بروق الأشواق للمحبين المعي، يا خواطر العارفين ارتعي، يا همم المحبين بغير الله لا تقنعي، قد مدت في هذه الأيام موائد الإنعام للصوام فما منكم إلا من دعي.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ (٢).

---

(١) إبراهيم: (٧).

(٢) الأحقاف: (٣١).

ويا همم المؤمنين أسرعي، فطوبىٰ لمن أجاب فأصاب، وويل لمن طرد عن الباب وما دعي[١].

قال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»[٢].

أيها الأحبة...

هيا بنا نقبل علىٰ هذا الموسم - موسم الطاعة - بهمة عالية، فإن أحدنا إذا أراد أن يقيم مشروعًا تجاريًّا للدنيا، فإنه يعد لهذا المشروع قبل أن يشرع فيه دراسة جدوىٰ، فهل وضعت دراسة جدوىٰ لموسم الطاعة.

هل وضعت لنفسك برنامجًا نهاريًّا ليليًّا في رمضان، هل جلست لتخطط كي تستثمر كل لُحيظة في هذا الشهر المبارك، هل فكرت في التجارة به مع الله؟[٣].

إذا رمضان أتىٰ مقبلًا فأقبل فالخير يستقبل
لعلك تخطئه قابلًا وتأتي بعذر فلا يقبل[٤]

* * *

واعلم أنه علىٰ قدر أهل العزم تأتي وتأتي علىٰ قدر الكرام المكارم

---

(١) انظر: لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، تأليف الإمام أحمد بن رجب الحنبلي، ط دار البيان العربي، الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م صـ٢١٣.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب: هل يقال: رمضان أو شهر رمضان حديث (١٨٩٩)، ومسلم في كتاب الصيام باب: فضل شهر رمضان حديث (١٠٧٩).

(٣) انظر: الحقوق الإسلامية للشيخ / محمد حسان، صـ٤٦٠ بتصرف وزيادة.

(٤) لطائف المعارف لابن رجب صـ١٩٥.

فحـيّهلا إن كنـت ذا همـة فقـد حدا بك حادي الشوق فاطوِي المراحلا[١]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«اشتر نفسك اليوم، فإن السوق قائمة والثمن موجود والبضائع رخيصة، وسيأتي علىٰ تلك السوق والبضائع يوم لا تصل فيها إلىٰ قليل ولا كثير»[٢].

﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾[٣].

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ﴾[٤].

إذا أنـت لم ترحـل بـزادٍ مـن التقـىٰ وأبصرت يوم الحشر مـن قـد تـزودا
نـدمت عـلىٰ ألا تكـون كمثلـه وأنـك لم ترصُـدْ كـما كـان أرصـدا

ورأىٰ بعض الصالحين في منامه قائلًا يبشره:

تأهـب للـذي لابـد منـه مـن المـوت الموكـل بالعبـاد
أتـرضىٰ أن تكـون رفيـق قـوم لهـم زاد وأنـت بغـير زاد[٥]

إذًا أيها الأحبة: هيا بنا نعقد صفقة رمضان مع الحي الذي لا يغفل ولا ينام.

هذا كتابي أهديه إليكم محبًّا حريصًا مشفقًا في زمن يموج بالفتن، آملًا أن تلقوه بالقبول والسرور والحبور، وأن يوفقني ربي وإياكم إلىٰ العمل المقبول والذنب المغفور، وأن نلتقي معًا عند باب الريان حيث الرضا والأمان، وأن

---

(١) هذا البيت نقلته من زاد المعاد (٣/ ٧٥).

(٢) انظر الفوائد لابن قيم الجوزية صـ٥٢ ط. دار التقوىٰ.

(٣) التغابن: (٩).

(٤) الفرقان: (٢٧).

(٥) لطائف المعارف صـ١٢٧ .

نشرب من يد خليل الرحمن محمد سيد الأنام عليه الصلاة والسلام.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [1].

وبالله عليكم لا تنسوني من صالح دعائكم بظهر الغيب

الفقير إلى رحمة مولاه

أخوكم في الله

أحمد أبو العمايم

مصر – الدقهلية – المطرية

* * *

(١) الحديد: (١٢).

الباب الأول

الفصل الأول
حقيقة الدنيا وفقه التجارة مع الله

قال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧٧﴾(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

«جمعت هذه الآية بين التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة، والحض علىٰ فعل الخير والزجر عن فعل الشر، إذ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ يتضمن حثهم علىٰ كسب الخير وزجرهم عن كسب الشر»(٢).

ويقول العلامة السعدي - عليه رحمة الله -:

«يخبرنا الحق جل في علاه أن التمتع بلذات الدنيا قليل وأن الآخرة خير منها في ذاتها ولذاتها وزمانها».

فذاتها: كما ذكر النبي ﷺ في الحديث الثابت عنه: «**مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ رَوْحَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**»(٣).

ولذاتها: صافية عن المكدرات، بل كل ما خطر بالبال أو دار في الفكر من تصور لذة فلذة الجنة فوق ذلك، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾(٤).

وأما لذات الدنيا: فإنها مشوبة بأنواع التنغيص الذي لو قوبل بين لذاتها وما يقترن بها من أنواع الآلام والهموم والغموم لم يكن لذلك نسبة بوجه من الوجوه.

(١) النساء: (٧٧).

(٢) بدائع الفوائد (٤/ ٨) نقلًا من كتاب بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله (١/ ٢٨٣) ط، دار ابن الجوزي.

(٣) صحيح: رواه البخاري (٦٤١٥) من حديث سهل رضي الله عنه.

(٤) السجدة، آية: (١٧).

وأما زمانها: فإن الدنيا منقضية وعمر الإنسان بالنسبة إلىٰ الدنيا شيء يسير، وأما الآخرة فإنها دائمة النعيم وأهلها خالدون فيها، فإذا فكر العاقل في هاتين الدارين، وتصور حقيقتهما حق التصور عرف ما هو أحق بالإيثار والسعي له والاجتهاد لطلبه، ولهذا قال: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾، أي: اتقىٰ الشرك وسائر المحرمات ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.

والسعي للآخرة سيجده كاملًا موفورًا غير منقوص منه شيء[1].

ولكن كيف يتحقق للعبد الرغبة في الآخرة؟:

يقول الإمام ابن القيم:

«لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا ولا يستقيم الزهد في الدنيا إلا بعد نظرين صحيحين:

النظر الأول: النظر في الدنيا وسرعة زوالها وفنائها واضمحلالها ونقصها وخستها وألم المزاحمة عليها والحرص عليها، وما في ذلك من الغصص والنغص والأنكاد وآخر ذلك الزوال والانقطاع مع ما يعقب من الحسرة والأسف، فطالبها لا ينفك من هم قبل حصولها وهم في حال الظفر بها، وغم وحزن بعد فواتها، فهذا أحد النظرين.

النظر الثاني: النظر في الآخرة وإقبالها ومجيئها ولا بد، ودوامها وبقائها وشرف ما فيها من الخيرات والمسرات والتفاوت الذي بينه وبين ما ها هنا.

فهي كما قال سبحانه: ﴿وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾[2].

فهي خيرات كاملة دائمة وهذه خيالات ناقصة متقطعة، مضمحلة.

---

(١) تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة عبد الرحمن السعدي صـ١٨٨، باختصار وتصرف يسير.

(٢) الأعلىٰ: (١٧).

فإذا تم له هذان النظران آثر ما يقتضي العقل إيثاره وزهد في ما يقتضي الزهد فيه، فكل أحد مطبوع علىٰ ألا يترك النفع العاجل واللذة الحاضرة إلىٰ النفع الآجل واللذة الغائبة المنتظرة إلا إذا تبين له فضل الآجل علىٰ العاجل وقويت رغبته في الأعلىٰ الأفضل فإذا آثر الفاني الناقص كان ذلك إما: لعدم تبين الفضل له، وإما لعدم رغبته في الأفضل.

وكل واحد من الأمرين يدل علىٰ ضعف الإيمان وضعف العقل والبصيرة، فإن الراغب في الدنيا الحريص عليها المؤثر لها إما: أن يصدق بأن ما هناك أشرف وأفضل وأبقىٰ، وإما ألا يصدق، فإن لم يصدق بذلك كان عادمًا للإيمان رأسًا، وإن صدق بذلك ولم يؤثره كان فاسد العقل سيئ الاختيار لنفسه»[(١)] اهـ.

قال تعالىٰ حاكيًا عن مؤمن آل فرعون أنه قال: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾[(٢)].

وقد بين لنا سبحانه حقيقة الدنيا، فقال: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾[(٣)].

فأخبر عن خسة الدنيا وزهد فيها وأخبر عن دار السلام ودعا إليها، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ

---

(١) الفوائد لابن قيم الجوزية صـ ١٠٢، صـ١٢٣ دار التقوىٰ.

(٢) غافر: (٣٩).

(٣) يونس: (٢٤-٢٥).

هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾[١].

وقد توعد سبحانه أعظم الوعيد لمن رضي بالحياة الدنيا واطمأن بها، وغفل عن آياته ولم يرج لقاءه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[٢].

وعير سبحانه من رضي بالدنيا من المؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾[٣]، وعلىٰ قدر رغبة العبد في الدنيا ورضاه بها يكون تثاقله عن طاعة الله وطلب الآخرة، ويكفي في الزهد في الدنيا قوله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾[٤].

والآيات في ذلك كثيرة جدًّا.

يقول ابن القيم رحمه الله:

«والقرآن مملوء من التزهيد في الدنيا والإخبار بخستها وقلتها وانقطاعها وسرعة فنائها والترغيب في الآخرة والإخبار بشرفها ودوامها».

فهناك آيات كثيرة جدًّا لا يسع المقام لحصرها، بين الله تعالىٰ لنا فيها حقيقة الدنيا «وأنها دار نفاد لا محل إخلاد، ومركب عبور لا منزل حبور ومشرع انفصام

---

(١) الكهف: (٤٥-٤٦).

(٢) يونس: (٧-٨).

(٣) التوبة: (٣٨).

(٤) الشعراء: (٢٠٥-٢٠٧).

لا موطن دوام».

فلهذا كان الأيقاظ من أهلها هم العُباد، وأعقل الناس فيها هم الزُّهاد الذين زهدهم الله تعالىٰ في هذه الدار وشغلهم بمراقبته وإدامة الأفكار وملازمة الاتعاظ والاعتبار والادكار ووفقهم للدأب في طاعته والتأهب لدار القرار والحذر مما يسخطه ويوجب دار البوار والمحافظة علىٰ ذلك مع تغاير الأحوال والأطوار.

ولقد أحسن من قال:

إن لله عبـــــــادًا فطنـــــــــا   طلقـــوا الـــدنيا وخـــافوا الفتنـــا
نظـــروا فيهـــا فلـــما علمـــوا   أنهـــا ليـــست لحـــي وطنـــا
جعلوهـــــا لجـــــة واتخـــــذوا   صـــالح الأعـــمال فيهـــا ســـفنا[1]

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إذا أراد الله بعبده خيرًا أقام في قلبه شاهدًا يعين به حقيقة الدنيا والآخرة»[2].

فالدنيا مضمار سباق وقد انعقد الغبار وخفي السباق والناس في المضمار بين فارس وراجل وأصحاب حمر معقرة.

ســـوف تـــرىٰ إذا انجـــلىٰ الغبـــار   أفـــرس تحتـــك أم حمـــار[3]

ولقد بين لنا رسول الله ﷺ حقيقة الدنيا في أحاديث كثيرة منها عن المستورد بن شداد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**وَاللهِ! مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ**

---

(١) انظر: مقدمة الإمام النووي في كتابه رياض الصالحين صـ٥ شرح العلامة محمد بن صالح العثيمين. ط. مكتبة الإيمان بتصرف.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٠).

(٣) انظر: الفوائد لابن قيم الجوزية صـ٥٣.

أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَىٰ بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ»[١].

أي: ما الدنيا بالنسبة للآخرة في قصر مدتها وفناء لذتها، ودوام الآخرة ودوام لذتها ونعيمها.

وقال ﷺ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إِلَّا ذِكْرُ اللهِ وَمَا وَالَاهُ، وَعَالِمٌ أَوْ مُتَعَلِّمٌ**»[٢].

وتأمل معنىٰ قول الرسول ﷺ وهو يحذر الأمة من التعلق بالدنيا وزينتها: قال ﷺ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ**»[٣].

وانظر معي كيف كان زهده ﷺ وتواضعه ورغبته في الآخرة، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: نام رسول الله ﷺ علىٰ حصير فقام وقد أثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وطاءً، فقال: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»[٤].

وحتىٰ تعرف وزن الدنيا الحقيقي، اقرأ معي هذا الحديث النبوي الشريف: عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٥٨) الجنة وصفة نعيمها، والترمذي (٢٣٢٣) الزهد، ابن ماجه (٤١٨٣) الزهد.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١١٢)، والترمذي (٢٣٢٢) وقال: حديث حسن غريب؛ وحسنه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٢) الرقاق. قال النووي: ومعنىٰ «**الدُّنْيَا خَضِرَةٌ**» يحتمل أن المراد بها شيئان، أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها، كالفاكهة الخضراء الحلوة فإن النفوس تطلبها طلبًا حثيثًا فكذا الدنيا، والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين.

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٩)، والترمذي (٢٣٧٧)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٣٨).

جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»(١).

قال ابن القيم في نونيته(٢):

هَـذَا هُـوَ المثَـلُ الـذي ضَرَبَ الرَّسُـو ... لُ لَهَـــا وذا في غَايـــةِ التِّبْيَـــانِ
وإِذَا أَرَدْتَ تَــرىٰ حَقِيْقَتَهـــا فَخُـــذ ... منـــه مِثـــالًا واحِـــدًا ذَا شَـــانِ
أَدْخِــلْ بِجَهْـدِكَ إِصْـبَعًا في الـيَمِّ وَانْـــ ... ـــظرْ مـــا تَعَلَّقَـــهُ إِذًا بِعِيَـــانِ
هــذا هــو الــدنيا كــذا قــال الرســو ... لُ مُمَـــثِّلًا والحـــق ذو تبيـــانِ
هــذا ولــو عــدلت جنــاح بعوضــةٍ ... عنـــد الإلـــهِ الحـــقِّ في الميـــزانِ
لم يــسق منهــا كــافرا مــن شربــةٍ ... مـــاءً وكـــان الحـــقَّ بالحِرْمَـــانِ
تَــالله مــا عَقَــل امْــرؤٌ قــد بــاعَ مَــا ... يبقــىٰ بــما هــو مُــضْمَحلٌّ فــان

فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْـمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»(٣).

ومعنىٰ الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر: أي أن كل مؤمن مسجون ممنوع في الدنيا من الشهوات المحرمة والمكروهة مكلف بفعل الطاعات الشاقة، فإذا مات استراح من هذا وانقلب إلىٰ ما أعد الله تعالىٰ له من النعيم الدائم والراحة الخالصة من المنغصات.

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١١٠)، والترمذي (٢٣٢٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩٤٠) وقال حديث صحيح غريب.

(٢) انظر: كتاب (الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية) المعروف بـ(نونية ابن القيم) الأبيات من (٥٧٠٧) إلىٰ (٥٧١٤) (٣/ ١٠٤٥، ١٠٤٦) ط. دار عالم الفوائد ١٤٢٨هـ.

(٣) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق (١) (٢٩٥٩) ط، دار إحياء الكتب العربية (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي..

وأما الكافر فإنما له من ذلك ما حصل في الدنيا مع قلته وتكديره بالمنغصات، فإذا مات صار إلىٰ العذاب الدائم وشقاء الأبد اهـ.

قال ابن القيم: «إذا رأيت الرجل يشتري الخسيس بالنفيس ويبيع العظيم بالحقير فاعلم أنه سفيه».

وقد بين رسول الله ﷺ لنا حقارة الدنيا، وحتىٰ تعرف أخي الحبيب كم تساوي هذه الدنيا تعال معي نستمع إلىٰ سيد الخلق ﷺ وهو يبين لنا بهذا المشهد العجيب والمثال الفريد كم تساوي الدنيا عند الملك جل في علاه.

روىٰ الإمام مسلم في «صحيحه»، قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب، حدثنا سليمان «بن بلال»، عن جعفر، عن أبيه، عن جابر بن عبد الله: أن رسول الله ﷺ مر بالسوق داخلًا من بعض العالية والناس كنفته(١) فمر بجدي أسك(٢) ميتٍ فتناوله فأخذ بأذنه، ثم قال: «**أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟**».

فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟!

قال: «**أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟**».

قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا فيه لأنه أسك، فكيف وهو ميت، فقال ﷺ: «**فَوَاللهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ**»(٣).

أرأيتم - يا عباد الله - الوزن الحقيقي لهذه الدنيا، إنها لا تساوي جديًا ميتًا أسك، إنها إذا كست أوكست، وإذا أينعت نعت، وإذا جلت أوجلت، وإذا حلت أوحلت.

---

(١) كنفته، وفي بعض النسخ كنفتيه، معنىٰ الأول: جانبه، ومعنىٰ الثاني: جانبيه.

(٢) جدي أسك: أي صغير الأذنين.

(٣) انظر: صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق (٢٩٥٧).

فهل اتعظنا؟؟؟

هل تبنا؟؟؟

هل عدنا؟؟؟

فكم من قبور تبنىٰ وما تُبنا! وكم من مريض عدنا وما عُدنا! وكم من ملك رفعت له علامات فلما علا مات.

فيا أيها الأخ الحبيب بعِ الدنيا بالآخرة تربحهما جميعًا، ولا تبع الآخرة بالدنيا فتخسرهما جميعًا.

ولا تجعل كل همك الدنيا، بل اجعل شغلك الشاغل الآخرة.

قال ﷺ في الحديث الذي رواه أحمد وابن حبان والترمذي وغيرهم، وصححه الألباني بشواهده في «السلسلة الصحيحة» من حديث أنس، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث زيد بن ثابت، وغيرهم: أن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ»**(١).

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾(٢).

ومهما أوتي الإنسان من نعيم في الدنيا وكان عاصيًا لربه فإن العذاب في الآخرة ينسيه كل نعيم، وكذا نعيم الجنة ينسي المسلم كل شقاء وعناء في الدنيا، ففي «صحيح مسلم» من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُؤْتَىٰ**

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٦٧) في صفة القيامة، باب رقم (٣١)، وصححه الألباني في الصحيحة رقم (٩٤٩).

(٢) يونس: (٧-٨).

بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً وَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ نَعِيمًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ نَعِيمًا قَطُّ.

وَيُؤْتَىٰ بِأَبْأَسِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ مَا رَأَيْتُ بُؤْسًا قَطُّ»(١).

واعلم أن أفضل ما يتحصل عليه العبد من هذه الدنيا الفانية هو العمل الصالح، فهذا هو الذي يرافق الإنسان بعد موته، قال ﷺ في الحديث الذي أخرجه البخاري من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول ﷺ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَىٰ مَعَهُ وَاحِدٌ، يَتْبَعُهُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَىٰ عَمَلُهُ»(٢).

ومعنىٰ بقاء عمله: أنه يدخل معه القبر(٣).

من أجل ذلك كان يوصي النبي ﷺ أصحابه والمؤمنين الصادقين من بعدهم بهذه الوصية، فيقول لابن عمر رضي الله عنهما والحديث في «البخاري»: «يَا بْنَ عُمَرَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»(٤) وكان ابن عمر يقول: «إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك»(٥).

(١) أخرجه مسلم (٢٨٠٧) (٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠) (٥).

(٣) انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان لمحمد فؤاد عبد الباقي صـ٣١٦ط دار الحديث.

(٤) قال الطيبي: ليست (أو) للشك بل للتخيير والإباحة والأحسن أن تكون بمعنىٰ بل فشبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يؤويه ولا مسكن يسكنه ثم ترقي وأضرب عنه إلىٰ عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينهما أودية مردية ومفاوز مهلكة وقاطع طريق، فإن من شأنه ألا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة. انظر خطب الشيخ/ محمد حسان. المجلد الثاني صـ١٦ ط دار ابن رجب ١٤١٨هـ.

(٥) أخرجه البخاري (٦٤١٦).

فعلىٰ المسلم الصائم أن يزهد في الدنيا ويقبل علىٰ الآخرة ويعرف قدر الحياة الدنيا بالنسبة للآخرة.

يقول ابن القيم:

«لما عرف الموفقون قدر الحياة الدنيا وقلة المقام فيها أماتوا فيها الهوىٰ طلبًا لحياة الأبد، ولما استيقظوا من نوم الغفلة استرجعوا بالجد ما انتهبه العدو منهم في زمن البطالة، فلما طالت عليهم الطريق تلمحوا المقصد فقرب عليهم البعيد، وكلما أمرت لهم الحياة حلىٰ لهم تذكر ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾[1]».

ورمضان يعلمنا الزهد في الدنيا:

المفروض أن رمضان شهر الزهد فإنما شرع الصيام شهرًا كل عام ليعرف الناس قدر الدنيا وقيمة الطعام والشراب والشهوات، وليتمكنوا من التحكم فيها.

فلا تحكمهم ولا تكون أهدافهم وآمالهم في حياتهم ويتم التدريب علىٰ ذلك لمدة شهر يتكرر كل عام بهذه القضية التي يمكن أن نسميها حقًّا: الزهد في الدنيا[2].

* * *

---

(١) الأنبياء: (١٠٣).

(٢) أسرار المحبين في رمضان لفضيلة الشيخ / محمد حسين يعقوب صـ ١٤٥ باختصار.

فقه التجارة مع الله

التجارة مع الله هي حقيقة هذه الدنيا الفانية، فالمسلم عليه أن يذكر دائمًا أنه في تجارة مستمرة مع ربه، كل ساعة وكل دقيقة حتىٰ كل ثانية لا يخلو من عملية البيع والشراء، ماذا باع لله؟ وأي سلعة عرض إليه تعالىٰ؟

هل هي سلعة مقبولة أو مردودة؟

وإذا كان الهدف من هذه الحياة هو عبادة الله تعالىٰ وابتغاء مرضاته فلا مفر إذن من التجارة مع الله، فهي واجبة بموجب الحياة في هذه الدنيا[١]، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾[٢].

هؤلاء أصحاب التجارة الرابحة التي لا تكسد ولا تفسد، بل هي تجارة من أجل التجارات، وأعلاها وأفضلها، ألا وهي رضا ربهم والفوز بجزيل ثوابه والنجاة من سخطه وعقابه، وهذا لأنهم مخلصون في أعمالهم وأنهم لا يرجون بها المقاصد السيئة والنيات الفاسدة.

﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾، أي: أجور أعمالهم علىٰ حسب قلتها وكثرتها وحسنها وعدمه.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾، أي: زيادة عن أجورهم.

﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾. غفر لهم السيئات وقبل منهم القليل من الحسنات[٣].

---

(١) التجارة في القرآن الكريم. عبد الغني عبد العزيز عمر (١/ ٤٤) المكتبة الشاملة علىٰ الإنترنت.

(٢) فاطر: (٢٩-٣٠).

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. للعلامة السعدي صـ ٩٨٩ بتصرف يسير.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله:

«فهمة المؤمن متعلقة بالآخرة، فكل ما في الدنيا يحركه إلىٰ ذكر الآخرة، وكل من شغله شيء فهمته شغله، ألا ترىٰ أنه لو دخل أرباب الصنايع إلىٰ دار معمورة رأيت البزاز ينظر إلىٰ الفرش ويحزر قيمته، والنجار إلىٰ السقف، والبناء إلىٰ الحيطان والحائك إلىٰ نسج الثياب.

والمؤمن إذا رأىٰ ظلمة ذكر ظلمة القبر، وإن رأىٰ مؤلمًا ذكر العقاب، وإن سمع صوتًا فظيعًا ذكر نفخة الصور، وإن رأىٰ الناس نيامًا ذكر الموت في القبور، وإن رأىٰ لذة ذكر الجنة، فهمته متعلقة بما تم وذلك يشغله عن كل مأثم.

وأعظم ما عنده أن يتخايل دوام البقاء في الجنة، وإن بقاءه لا ينقطع ولا يزول ولا يعتريه نغصة، فيكاد إذا تخايل نفسه متقلبًا في تلك اللذات الدائمة التي لا تفنىٰ يطيش فرحًا ويسهل عليه ما في الطريق إليها من ألم ومرض وابتلاء وفقد محبوب وهجوم الموت ومعالجة غصصه، فإن المشتاق إلىٰ الكعبة يهون عليه رمل زرود والتائق - أي المشتاق - إلىٰ العافية لا يبالي مرارة الدواء.

ويعلم أن جودة الثمر علىٰ مقدار جودة البذر ها هنا فهو يتخير الأجود ويغتنم الزرع في تشرين العمر من غير فتور»(١).

«فلا بد أن يكون هم العبد رضا مولاه، وأن يفرغ قلبه للتجارة مع الله، وذلك بأن يمتلئ قلب العبد بمحبة مولاه فيتاجر بجوارحه مع مولاه فيظل لسانه ذاكرًا، وكذا بقية الجوارح يتاجر بها المسلم مع الله بطاعته عز وجل والبعد عن معاصيه.

---

(١) انظر: صيد الخاطر صـ ٣٤٥ باختصار.

فالناس ثلاثة أقسام في استعمال جوارحهم:

أولها: من استعمل تلك الجوارح فيما خلقت له، وأريد منها، فهذا هو الذي تاجر بأربح التجارة وباع نفسه لله بأربح البيع فمثلًا الصلاة وضعت لاستعمال الجوارح جميعها في العبودية تبعًا لقيام القلب بها.

فإذا قام بها العبد علىٰ وجهها الأكمل فقد استعمل جوارحه في طاعة الله وتاجر بها مع الله.

ثانيها: من استعمل جوارحه فيما لم تخلق له بل حبسها علىٰ المخالفات والمعاصي، فهذا هو الذي خاب سعيه وخسرت تجارته، وفاته رضا ربه عز وجل عنه وجزيل ثوابه، وحصل علىٰ سخطه وأليم عقابه.

وثالثها: من عطل جوارحه وأماتها بالبطالة والجهالة، فهذا أيضًا خاسر بائر أعظم خسارة من الذي قبله، فإن العبد إنما خلق للعبادة والطاعة لا للبطالة»[(١)].

قال تعالىٰ: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾[(٢)]. اهـ.

فعلىٰ المسلم الصائم أن يعي هذه الأمور جيدًا، وعليه أن يبتعد عن هموم الدنيا ولا يشغل قلبه ولسانه وجوارحه بطاعة الخلق وخدمتهم.

صوم الجوارح أن تكف عن الأذىٰ   لا صوم في صوم فيه أضغان[(٣)]

قال ابن القيم[(٤)] رحمه الله:

إذا أصبح العبد وأمسىٰ وليس همه إلا الله وحده تحمل الله سبحانه حوائجه

---

(١) أسرار الصلاة للعلامة أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية صـ٥ باختصار وتصرف.

(٢) الأحقاف: (١٩).

(٣) من ديوان شعر أبي زيد إبراهيم سيد.

(٤) الفوائد للإمام ابن قيم الجوزية صـ ٩٢ ط دار التقوىٰ.

كلها، وحمل عنه كل ما أهمه، وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره، وجوارحه لطاعته، وإن أمسىٰ وأصبح والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلىٰ نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق، ولسانه عن ذكره بذكرهم، وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كدح الوحش في خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه ويعصر أضلاعه في نفع غيره، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾[(1)].

قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾[(2)].

قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾[(3)].

قال سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها فعمل لها وحدها، فإنه يلقىٰ نتيجة عمله في هذه الدنيا، ويتمتع بها في أجل محدود، ولكن ليس له في الآخرة إلا النار لأنه لم يقدم للآخرة شيئًا، ولم يحسب لها حسابًا فكل عمل الدنيا يلقاه في الدنيا، ولكنه باطل في الآخرة لا يقام له فيها وزن وحابط، وهي صورة مناسبة للعمل المنتفخ المتورم في الدنيا وهو مؤدٍ إلىٰ الهلاك»[(4)].

---

(١) الزخرف: (٣٦).

(٢) الشورىٰ: (٢٠).

(٣) هود: (١٥، ١٦).

(٤) الظلال (٤/ ١٨٦٢).

وقال الشيخ محمد رشيد رضا: «أولئك الموصوفون بما ذكر ليس لهم في الآخرة إلا دار العذاب المسماة بالنار؛ لأن الجزاء فيها كالجزاء في الدنيا علىٰ الأعمال»(١).

قال القشيري: «أولئك الذين خابت آمالهم وظهرت لهم بخلاف ما احتسبوا آلامهم، حبطت أعمالهم وحاق بهم سوء حالهم»(٢).

وأنشد بعضهم:

أخي إنما الدنيا كسوق قد تزينت ... أقيم لنا وانفض عمر الغوانيا
وكل امرئ لابد يدخل سوقها ... سواء بهذا كارهًا أم راضيًا
ولابد من بيع ولا بد من شرا ... ولابد يمشي رائحًا أو غاديًا
وسلعته الكبرىٰ التي يبيعها ... هي النفس لكن من يكون الشاريا
فإن باعها لله أعتقها إذن ... وكان له من جمرة النار واقيا
وجنة ربي كانت الثمن الذي ... سيقبضه الإنسان فرحان راضيًا
وقد ربح البيع الذي تم عقده ... وجل الإله المشتري جل ربي

فيا أحباب الرسول ﷺ، يا أيها الصائمون، اتقوا الله وتبصروا في حقيقة الدنيا، واعلموا أنها أيام وليالي ومراحل نقطعها للدار الآخرة، وإن كل يوم يمر بنا بل كل لحظة تبعدنا من الدنيا وتقربنا من الآخرة، واعلموا أن الله تعالىٰ شرع أنواعًا من العبادات وأصنافًا من الطاعات من شأنها إذا قام العبد بها مخلصًا أن تربطه بخالقه وتصله بربه، وأن تكون سببًا للسعادة في الدنيا والآخرة.

---

(١) تفسير المنار (١٢/ ٤٨).

(٢) لطائف الإشارات (٢/ ١٢٩).

قـــل للـــذي يبغــي الـــسعادة ... هـــل علمـــت مَـــن الـــسعيد
إن الـــــسعادة أن تعــــيش ... لفكــــرة الحـــق التليـــــد
فتعـــيش في الـــدنيا لأخـــرىٰ ... لا تـــــزول ولا تبيـــــد
هـــذي العقيـــدة للـــسعيد ... هـــي الأســـاس هـــي العمـــود
مـــن عـــاش يحملهـــا ويهتـــف ... باســـمها فهـــو الـــسعيد

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾(١)، ومن رحمته تعالىٰ وفضله ومنته وجوده وكرمه أن هيأ لعباده فرصًا ومناسبات في أيام زمانهم يكون الوصول فيها أسهل في القرب من المولىٰ جل في علاه، فهي إعانات إلاهية ومنح وعطايا ربانية وهدايا مجانية تعطىٰ للأمة المحمدية.

قال ﷺ: «**إِنَّ للهِ فِي أَيَّامِ الدَّهْرِ نَفَحَاتٍ فَتَعَرَّضُوا لَـهَا، فَلَعَلَّ أَحَدَكُمْ تُصِيبُهُ نَفْحَةٌ فَلَا يَشْقَىٰ بَعْدَهَا أَبَدًا**»(٢).

ومن أفضل هذه المواسم التي تربح فيها التجارات أرباحًا بمليارات الحسنات شهر رمضان المبارك.

قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾(٣).

قال ﷺ: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ،**

---

(١) الحج: (٧٧).

(٢) أخرجه الطبراني (٩/ ٢٣٣)، وحسنه الألباني (١٨٩٠) في السلسلة الصحيحة.

(٣) البقرة: (١٨٥).

وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ»[(١)].

فهو شهر تنزل فيه الرحمات، وتتوالىٰ الخيرات، وتعم البركات، وتزداد الحسنات، وتغفر الذنوب والخطايا والسيئات، وتربح التجارات، فهو شهر الخشوع والركوع والرجوع، شهر القيام والإحسان، شهر فيه ليلة هي خير من ألف شهر، شهر يشفع لمن صامه إيمانًا واحتسابًا، ولمن قامه إيمانًا واحتسابًا.

فينبغي للمسلم ألا يفرط في أي لحيظة[(٢)] من رمضان، وأن يكون من السابقين، قال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١﴾[(٣)].

قال ابن القيم:

«إذا فتح لأحدكم باب خير فليسرع إليه فإنه لا يدري متىٰ يغلق عنه»[(٤)].

فهيا أخي سارع إلىٰ المغفرة من ربك حتىٰ تكون في جنات عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[(٥)].

فيجب علينا أن نتنافس في الطاعات والعبادات، والسبق إلىٰ الجنات، قال رب البريات: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾[(٦)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٦٨٦)، وصححه الألباني (٧٥٩) في صحيح الجامع.

(٢) تصغير لحظة، وهو جزء بسيط جدًّا من الزمن.

(٣) الحديد: (٢١).

(٤) السير (٤/ ٥٤٠).

(٥) آل عمران: (١٣٣).

(٦) جزء من الآية (٦) من سورة المطففين.

فرمضان فرصة ثمينة نادرة فيها الرحمة والمغفرة ودواعيهما ميسرة فاعقد العزم علىٰ رفع الهمة في رمضان واغتنام أيامه ولياليه، واصدق مع الله،قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾[(١)] .

واعلم أن من فقه التجارة مع الله الإخلاص، وأن يجمع العبد في العمل الواحد نيات كثيرة صالحة، قال ﷺ: «**وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**إِنَّمَا يُبْعَثُ النَّاسُ عَلَىٰ نِيَّاتِهِمْ**»[(٣)] أي إن ثواب العامل علىٰ عمله بمقدار ثواب النيات التي يجمعها في العمل الواحد، ولذلك قالوا: تجارة النيات تجارة العلماء، والعلماء هم الذين يعرفون فقه التجارة مع الله عز وجل وكيف يربحون من الله عز وجل أعظم الأرباح، ومن فقه التجارة مع الله تعالىٰ أن يتأكد العبد أن عمله موافق لسنة النبي ﷺ؛ لقوله ﷺ: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(٤)] .

* * *

---

(١) جزء من الآية (٢١) من سورة محمد.

(٢) رواه البخاري (١-٩) بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلىٰ رسول الله ﷺ ، وفي الإيمان وفي العتق، ورواه مسلم (١٣/ ٥٣، ٥٤) باب قوله ﷺ : «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» ورواه أصحاب السنن الثلاثة، وسيأتي شرحه مفصلًا إن شاء الله تعالىٰ في فصل النية والإخلاص.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٥) وصححه الألباني في الترغيب (١/ ٢٦).

(٤) أخرجه مسلم (١٧١٨) بهذا اللفظ، واتفقا علىٰ إخراجه بلفظ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»، وسوف تأتي أحاديث كثيرة بهذا المعنىٰ إن شاء الله.

سجع

صاموا النهار بلا فتور، نصبوا الأقدام في الدَّيجور، ببكاء مطرود مهجور، فامتلأت بالخيرات الحجور ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.

رفضوا الدنيا شغلًا عن الزينة، وأزلوا أنفسهم فعادت مسكينة، وعلموا أن الدنيا سفينة، فتهيأوا للعبور ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.

يُؤَثِرون بالطعام ويؤْثِرون الصيام، يأملون فضل الإنعام، فما كانت إلا أيام حتىٰ اخضرت البذور ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.

العليل عليل، والأنين طويل، والعيون تسيل، وما مضىٰ إلا القليل حتىٰ فرح[1] الصبور ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.

بخلوف عبد مسكين نالوا المقام الأمين، وانشعب قلب الحزين بأكمل الحبور ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾.

سبحان من قضىٰ لقوم سرورًا، وعلىٰ آخرين ثبورًا فما لهم من نور ﴿يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾[2].

فائدة:

إن الإنسان إذا بقي في هذه الدنيا واستخدم وقته في طاعة الله عزَّ وجلَّ فإن الله أكرم من عبده، فالحسنة بعشر أمثالها إلىٰ سبعمائة ضعف إلىٰ أضعاف كثيرة.

والسيئة بمثلها، وهي تحت عفو الله تعالىٰ.

---

(١) التبصرة (٢/ ٩٦-٩٧).

(٢) التبصرة بتصرف (٢/ ٢٩١) نقلًا من كتاب نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان، د/ سيد حسين العفاني (١/ ٢٠٤).

ولمضاعفة الحسنات أسباب:

السبب الأول: شرف العمل، كما جاء في الحديث القدسي: «مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ..»[١].

الثاني: يكون فضل العمل بحسب نوع العمل، فأعظم الفرائض التوحيد ثم الصلاة.

الثالث: بحسب العامل، قال تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾[٢].

الرابع: يكون التفاضل في الأعمال بحسب الزمن، أي: إن العمل في هذا الزمن أفضل منه في زمن آخر، كالعمل في أيام رمضان، وخاصة في ليالي العشر الآواخر لأن فيها ليلة القدر، قال تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[٣]، فالعمل في هذه الليالي أفضل من العمل في ألف شهر والشرف هنا بحسب الزمن.

الخامس: تفاضل الأعمال بحسب المكان[٤].

* * *

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٠٢).

(٢) الحديد: (١٠).

(٣) القدر: (٣).

(٤) انظر: (دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي) لفضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين رحمه الله صـ١٠٨٤ إلىٰ صـ١٠٨٨ باختصار.

الفصل الثاني
من فضائل شهر رمضان

اقتضت حكمته تعالىٰ أن يفضل بعض الأزمان علىٰ بعض ففضل بعض، الأيام علىٰ بعض، وبعض الليالي علىٰ بعض، وبعض الشهور علىٰ بعض، ففضل شهر رمضان علىٰ سائر الشهور واختصه بمميزات وخصائص لم تتوافر لغيره من الشهور، قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾[(١)].

١ - قال ابن كثير - رحمه الله تعالىٰ -: «يمدح الله تعالىٰ شهر الصيام من بين سائر الشهور بأن اختاره من بينهن لإنزال القرآن العظيم»[(٢)].

٢ - قال ابن الجوزي - رحمه الله تعالى -:

«شهر رمضان ليس كمثله شهر في سائر الشهور، ولا فضلت به أمة غير أمة الرسول ﷺ في سائر الدهور، الذنب فيه مغفور، والسعي فيه مشكور، والمؤمن فيه محبور، والشيطان فيه مثبور، والوزر والإثم فيه مهجور، وقلب المؤمن فيه معمور..»[(٣)].

٣- والله تعالىٰ جعل شهر رمضان موسمًا للطاعات، وأفاض علىٰ الصائمين نعيم الرضوان والنفحات؟

---

(١) البقرة (١٨٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٢١).

(٣) نقلًا من موقع سلسلة العلامتين ابن باز والألباني علىٰ شبكة الإنترنت باختصار وتصرف يسير. www.allamteen.com.

ففيه تجتمع أمهات الطاعات: من صلاة وصيام وزكاة وذكر ودعاء وتلاوة قرآن وإطعام الطعام والعمرة..، وحصول هذه الطاعات وغيرها في هذا الشهر المبارك يجعله بمثابة توبة أمة، ولكن أين المشمرون لاستغلال هذه الفرص التي لا تأتي إلا مرة واحدة كل عام[(١)].

٤-ورمضان رسالة عملية تربوية في التقوىٰ والتهذيب والتغير إلىٰ الأفضل، ورمضان فرصة ثمينة لتنظيم الحياة وتخليصها من الفوضىٰ والرتابة والجمود، ألا فاغتنموا فضل ربكم ذي الجود والإحسان، وتعرضوا لنفحاته في هذا الشهر المبارك شهر القرآن؛ لتنالوا الرضا والرضوان.

وحتىٰ تعرفوا قدر هذا الشهر المبارك إليكم بعض فضائله[(٢)] وثمراته، يقول ابن القيم - عليه رحمة الله تعالىٰ -: «أعظم دليل علىٰ فضيلة الشيء النظر إلىٰ ثمرته».

❊ ❊ ❊

---

(١) (أسرار المحبين في رمضان للشيخ/ محمد حسين يعقوب صـ ٢٦ بتصرف.

(٢) سوف يأتي معنا كثير من هذه الفضائل عند تفسير آيات الصيام - إن شاء الله تعالىٰ - وعند ذكر (جدول أعمال المسلم في رمضان).

في رمضان نزل القرآن

قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾(١) لعل من أعظم مزايا هذا الشهر الكريم أنه مظهر للكتاب العظيم الحكيم الذي هو منار الهداية ومطلع السعادة وهو القرآن الكريم، وإن شهرًا ينزل فيه كتاب يملأ العقول حكمة وصفاء ويملأ القلوب طهارة ونقاء، بل يملأ الدنيا بأسرها عدلًا ورشادًا ويرفع الإنسانية كلها من حضيض الجهل إلىٰ أوج المعرفة والعزة.

نقول: إن شهرًا ينزل فيه كتاب هذا شأنه لذو طلعة مباركة ومقدم كريم وفضل عظيم(٢).

* * *

(١)البقرة: (١٨٥).

(٢)الصيام فضائله وأحكامه. للشيخ / عبد الفتاح القاضي، صـ ١١ بتصرف يسير.

رمضان والقرآن
روح وريحان

رمضان شهر القرآن فالعلاقة بينهما وثيقة، والارتباط عظيم، فلابد من الحديث عن القرآن بتفصيل شديد والعناية به في هذا الشهر الفضيل عناية خاصة، ولذلك إليكم هذا البحث عن القرآن الكريم، فاقرأ بروية ولا تتعجل كي تعمل(١).

يقول ابن القيم رحمه الله:

«فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده وأقرب إلىٰ نجاته من تدبر القرآن وإطالة التأمل وجمع الفكر علىٰ معاني آياته»(٢).

وقد كان النبي ﷺ أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فالرسول ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة(٣).

· **قال ابن رجب:**

«دل الحديث علىٰ استحباب دراسة القرآن في رمضان، والاجتماع عليه، وعرض القرآن علىٰ من هو أحفظ له، وفيه دليل استحباب الإكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان».

وقال ﷺ: **«الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ وَالشَّهْوَةَ بِالنَّهَارِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ**

---

(١) أسرار المحبين في رمضان. للشيخ محمد حسين يعقوب، صـ ١٦١ بتصرف يسير.

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٨٥).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦)، ومسلم (٢٣٠٨).

بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ: فَيُشَفَّعَانِ»(١).

فوالله ما قرأت العيون مثل القرآن جمالًا وإبداعًا، ولا طرق المسامع مثل القرآن حلاوة وطلاوة، ولا وقع في القلوب مثل القرآن يقينًا وهدىٰ، فيا أيها القلب استيقظ بعد رقدة الغفلة ونوم الجهل وهجعة الصبا، استيقظ علىٰ صوت القرآن الذي لو وجه إلىٰ جبل فوقعت علىٰ الجبل عبارات القرآن وتساقطت علىٰ الجبل كلمات القرآن وانسكبت علىٰ الجبل جمل القرآن لرأيت الجبل خاشعًا متصدعًا من خشية الله، هذا وهو جبل صلد فكيف بقلب منسوج من لحم ودم(٢).

قال تعالىٰ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾(٣).

فكيف تخشع الجبال للقرآن ولا تخشع القلوب؟

سؤال مرير، كيف تتصدع الجبال للقرآن الكريم ولا تتحرك له القلوب؟!

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٤).

والقرآن الكريم كتاب هذه الأمة الخالد الذي أخرجها من الظلمات إلىٰ النور، فأنشأها النشأة وبدَّلها من خوفها أمنًا، ومكن لها في الأرض، ووهبها مقوماتها التي بها صارت أمة ولم تكن من قبل شيئًا، وهي بدون هذه المقومات ليست أمة وليس لها مكان في الأرض ولا ذكر في السماء، فلا أقل من شكر الله علىٰ نعمة هذا

---

(١) رواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الجوع، والطبراني في الكبير، والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٤٢٩) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) العظمة. للدكتور عائض القرني صـ٢٦٤ بتصرف وزيادة.

(٣) الحشر: (٢١).

(٤) ق: (٣٧).

القرآن بالاستجابة إلىٰ صوم الشهر الذي نزل فيه القرآن (١).

«يا عظمة هذا الكتاب الخالد! فألفاظه إذا اشتدت فامواجُ البحار الزاخرة، وإذا هي لانت فأنفاسُ الحياة الآخرة متىٰ وُعدت من كرم الله جعلت الثغور تضحك في وجوه الغيوب، وإن أُوعدتْ بعذابِ اللهِ جعلت الألسنة ترعد من حُمىٰ القلوب.

معانٍ هي عذوبةٌ ترويكَ من ماءِ البيان، ورقَّةٌ تستروحُ منها نسيمَ الجنان، ونورٌ تبصرُ به في مرآة الإيمان وجه الأمان، وبينما هي ترف بندىٰ الحياة علىٰ زهرةِ الضمير، وتخلُقُ في أرواقِها من معاني العبرةِ معنىٰ العبير يجري في الخواطر كما تصعد في الشجر قطراتُ الماء ويتصل بالروح فإنما يمدُّ لها بسبب إلىٰ السماء، ألفاظٌ لم تعهد كَلْمَ أحداقِها، وثمراتٌ لم تنبتُ في قَلمِ أوراقها، ونورٌ عليه رونق الماء فكأنما اشتعلت به الغيوم وماء يتلألأ من النور فكأنما عُصِر من النجوم، وهل رأوا إلا كلامًا تضيء ألفاظه كالمصابيح، فعصفوا عليه بأفواههم كما تعصف الريح، يريدون أن يطفئوا نور الله، وأين سراج النجم من نفخة ترتفع إليه كأنما تذهب تطفيه.

وأين نور القمر من كف يحسب صاحبها أنها في حجمه فيرفعها وكأنما يخفيه، وهيهات هيهات دون ذلك.

درج الشمس وهي أم الحياة في كفن، وإنزالها بالأيدي وهي روح النار في قبر من كهوف الزمن، لا جرم أن القرآن سر السماء، فهو نور الله في أفق الدنيا حتىٰ تزول، ومعنىٰ الخلود في دولة الأرض إلىٰ أن تزول، ولذلك إن تمادىٰ أهل الباطل في طغيانهم يعمهون، فستظل آياته تلقف ما يأفكون: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢)»(٣).

---

(١) تفسير الظلال (١/ ١٧١ - ١٧٢).

(٢) الأعراف: (١١٨).

(٣) إعجاز القرآن الكريم للرافعي (٢٩ - ٣١).

من أجلِّ نعم الله علىٰ المؤمنين أن أنزل علىٰ نبيهم الأمين هذا القرآن العظيم تبيانًا لكل شيء وهدىٰ ورحمة، فكل إنسان لا يهتدي بهذا القرآن فهو مخذول، وكل مجتمع لا يهتدي بهذا القرآن فهو قطيع من الغنم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«كل قلب لا تشرق عليه شمس القرآن فهو قلب ملعون، وكل نفس لا تشرق عليها شمس هذا الدين فهي نفس ملعونة، ويقول في كلمته المشهورة:

«من اعتقد أنه سوف يهتدي بهدًىٰ غير هدىٰ الله الذي بعث به محمدًا ﷺ فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يَقبل منه صرفًا ولا عدلًا ولا كلامًا، ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم»(١).

فالقرآن هو كتاب هذه الأمة وهو روحها وباعثها، وقوامها وكيانها، وهو حارسها وراعيها، هو بيانها وترجمانها، هو دستورها ومنهجها، وهو زاد الطريق، ولكن ستظل هناك فجوة عميقة بيننا وبين القرآن، ما لم نتمثل في حسنا ونستحضر في تصورنا أن هذا القرآن خوطبت به أمة حية ذات وجود حقيقي، ووجهت به أحداث واقعية في حياة هذه الأمة، وأُديرت به معركة ضخمة في داخل النفس البشرية، وفي رقعة من الأرض كذلك سيظل هناك حاجز سميك بين قلوبنا وبين القرآن طالما نحن نتلوه كأنه مجرد تراتيل تعبدية همهمة لا علاقة لها بواقع الحياة البشرية، بينما هذه الآيات نزلت لتواجه نفوسًا ووقائع وأحداثًا حية، لقد خاض بهذه الأمة معركة كبرىٰ حوّلت تاريخها وتاريخ البشرية كلها معها.

ولكنه مع هذا يعايش ويواجه ويملك أن يوجه الحياة الحاضرة، وكأنما هو

---

(١) علىٰ مائدة القرآن. د/ عائض القرني صـ١٣، ١٤.

ينزل اللحظة الأخيرة لمواجهة الجماعة المسلمة في شئونها الجارية، وفي صراعها الراهن، وفي معركتها كذلك داخل النفس وفي عالم الضمير[١].

* * *

(١) من وحي القلم: صـ ٢.

فضل تلاوته

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾(١).

أيها الحبيب، احرص علىٰ أن يكون لك وردًا يوميًّا من القرآن في رمضان، وعليك أن تضع خطة لتقرأ القرآن كله بتدبر خلال شهر رمضان، وتقف مع آياته بالرجوع إلىٰ كتب التفاسير وتقيد الخواطر والفوائد، فعظمة المسلم تكمن في مصاحبته للقرآن الكريم وفي العيش معه، وفي تلاوته، وفي تدبره وفي العمل به، وفي حفظه.

وعلىٰ الآباء أن يجلسوا مع أولادهم وبناتهم لقراءة القرآن الكريم ومحاولة ختمه لأهل البيت جميعًا، واستغلال رمضان في حفظ ومراجعة القرآن الكريم.

وبقدر إقبال العبد علىٰ القرآن الكريم يكون إقبال الله تعالىٰ عليه، وبقدر إعراض العبد عن القرآن يكون إعراض الله تعالىٰ عنه، قال خباب بن الأرت لرجل: «تقرب إلىٰ الله ما استطعت، واعلم أنك لن تتقرب إلىٰ الله تعالىٰ بشيء هو أحب إليه من كلامه».

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ (الم) حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(٢).

---

(١) فاطر: (٢٩- ٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٩١٠) وقال: حديث حسن صحيح غريب وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب المجلد الثاني صـ ١٦١ حديث رقم (١٤١٦/ ٢).

وصدق رسول الله ﷺ حيث قال: «لَا حَسَدَ[١] إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ....»[٢].

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَتْلُوهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَسَمِعَهُ جَارٌ لَهُ فَقَالَ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ.

وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَهُوَ يُهْلِكُهُ فِي الحَقِّ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَيْتَنِي أُوتِيتُ مِثْلَ مَا أُوتِيَ فُلَانٌ، فَعَمِلْتُ مِثْلَ مَا يَعْمَلُ»[٣].

وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[٤].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ»[٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: يَا

---

(١) المراد بالحسد هنا: الغبطة، وهي: تمني مثل ما للمحسود، لا تمني زوال تلك النعمة عنه فإن ذلك من الحسد المذموم.

(٢) أخرجه البخاري (٨٤٣)، ومسلم (٥٩٥) (١٤٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه فضائل القرآن باب «اغتباط صاحب القرآن» (٥٠٢٦).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٢٧).

(٥) أخرجه مسلم (٨٠٤) (٢٥٢).

(٦) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (١٤٥٥) واللفظ له.

رَبِّ حَلِّهِ. فَيُلْبَسُ تَاجَ الكَرَامَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ زِدْهُ. فَيُلْبَسُ حُلَّةَ الكَرَامَةِ ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ ارْضَ عَنْهُ. فَيَرْضَىٰ عَنْهُ، فَيُقَالُ لَهُ: اقْرَأْ، وَارْقَ، وَتُزَادُ بِكُلِّ آيَةٍ حَسَنَةً»[(١)].

وعن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَأُ بِهَا»[(٢)].

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ عز وجل: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلَامِ اللهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضْلِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ»[(٣)].

عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ».

وفي رواية: «مَثَلُ الْفَاجِرِ» بدل: «الْـمُنَافِقِ»[(٤)].

وعن زيد: أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو أمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ - الْبَقَرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ - فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٩١٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح وحسنه الألباني في التعليق الرغيب (٢/ ٢٠٧).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٤) والترمذي (٢٩١٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٢٤٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦)، وقال: هذا حديث غريب، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٣٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (٤٩٢٧)، ومسلم (٧٩٧) (٢٤٣).

الْبَقَرَةِ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ».

قال معاوية: بلغني أن البطلة: السحرة[1].

وعن سهل بن معاذ الجهني عن أبيه: أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ أُلْبِسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ضَوْءُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ الشَّمْسِ فِي بُيُوتِ الدُّنْيَا لَوْ كَانَتْ فِيكُمْ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِالَّذِي عَمِلَ بِهَذَا»[2].

وعن عبد الله بن بريدة الأسلمي، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ وَتَعَلَّمَهُ وَعَمِلَ بِهِ أُلْبِسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَاجًا مِنْ نُورٍ، ضَوْءُهُ مِثْلُ ضَوْءِ الشَّمْسِ، وَيُكْسَىٰ وَالِدَاهُ حُلَّتَيْنِ لَا يُقَوَّمُ بِهِمَا الدُّنْيَا، فَيَقُولَانِ: بِمَا كُسِينَا؟ فَيُقَالُ: بِأَخْذِ وَلَدِكُمَا الْقُرْآنَ»[3].

* * *

---

(١) أخرجه مسلم، الصحيح، صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة القرآن وسور البقرة (٨٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود، السنن، الصلاة، باب: في ثواب قراءة القرآن (١٤٥٣)، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وأخرجه الحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين (١/ ٧٥٦ - ٢٠٨٥).

(٣) رواه الحاكم وقال: هذا حديث صحيح علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه.

بعض آداب التلاوة

١- الإخلاص لله تعالىٰ:

قال النووي: «أول ما ينبغي للمقرئ والقارئ أن يقصدا بذلك رضا الله تعالىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[١]. أي: الملة المستقيمة.

وفي «الصحيحين» عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**»[٢].

٢- الطهارة:

قال النووي: «يستحب أن يقرأ وهو علىٰ طهارة، فإن قرأ محدثًا[٣] جاز بإجماع المسلمين، والأحاديث فيه كثيرة معروفة»[٤].

٣- الاستياك.

٤- الاستعاذة عند بداية القراءة.

٥- نظافة المكان الذي يقرأ فيه.

٦- الترتيل.

٧- تحسين الصوت بالقرآن.

٨- التدبر.

---

(١) البينة: (٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) حدث: أصغر.

(٤) التبيان في آداب حملة القرآن. للإمام النووي صـ١٠٦.

٩- البكاء.

١٠- مراعاة حق الآيات.

١١- المحافظة علىٰ سجود التلاوة.

١٢- الاجتماع عند التلاوة.

* * *

فضل تدبره

قال تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[(١)].

فإنه لا قراءة إلا بتدبر، والتدبر يثمر الإيمان ويزرع في القلب الإخلاص، ويربي علىٰ التوحيد.

فالله تعالىٰ بين الحكمة من إنزال القرآن، فقال: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

أي: ليتدبر الناس آياته فيستخرجوا علمها ويتأملوا أسرارها وحكمها، فإنه بالتدبر فيه والتأمل لمعانيه وإعادة الفكر فيها مرة بعد مرة تدرك بركته وخيره، وهذا يدل علىٰ الحث علىٰ تدبر القرآن وأنه من أفضل الأعمال، وأن القراءة المشتملة علىٰ التدبر أفضل من سرعة التلاوة التي لا يحصل بها هذا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أولو العقول الصحيحة يتذكرون بتدبرهم لها كل علم ومطلوب، فدل هذا علىٰ أنه بحسب لب الإنسان وعقله يحصل له التذكر والانتفاع بهذا الكتاب[(٢)].

فالقرآن الكريم لم ينزل لنقرأه علىٰ الأموات، ولا في افتتاح الحفلات، ولا في التعاويذ والتمائم التي تعلق للمرضىٰ، ولا لكي يكتب بماء الذهب ويعلق في الصالونات والأنتريهات والسيارات والمحلات لا، فالقرآن أعظم من ذلك.

فالقرآن الكريم نزل إيمانًا وعقيدة، معاملة وأخلاقًا، وسلوكًا دينًا ودنيا، دنيا وآخرة.

قال علي رضي الله عنه:

«لا خير في عبادة لا فقه فيها، ولا قراءة لا تدبر فيها».

---

(١) ص: (٢٩).

(٢) تفسير العلامة السعدي صـ ٧١٢، ٧١٣ باختصار.

وكان بعضهم يقول:

«آية لا أتفهمها ولا يكون قلبي فيها لا أعد لها ثوابًا».

وحُكي عن أبي سليمان الداراني أنه قال: «إني لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليالي أو خمس ليال، ولولا أني أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلىٰ غيرها».

وعن بعض السلف: أنه بقي في سورة «هود» ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها.

وقال بعضهم: «لي كل جمعة ختمة وفي كل شهر ختمة، وفي كل سنة ختمة، ولي ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد، وذلك بحسب درجات تدبره».

فوائد مهمة لحفظ وتثبت القرآن الكريم - إن شاء الله تعالى -:

١ - أكثر دائمًا من الدعاء بحفظ القرآن فالدعاء، من أقوىٰ الأسباب علىٰ الحفظ.

٢ - لا يشغلنك الحفظ عن التلاوة والمراجعة، فإن التلاوة وقود الحفظ.

٣- حافظ علىٰ تلاوة القرآن يوميًّا، فلماذا يحفظ كثير من المسلمين سورة «الكهف»؟

جـ: لأنهم يقرؤونها في كل أسبوع مرة، فإن استطعت أن تعامل سور القرآن كلها كسورة الكهف فافعل.

٤ - يمكنك أن تصلي قبل الحفظ ركعتين تدعو الله فيهما أن ييسر لك الحفظ.

٥- احرص علىٰ قراءة تفسير الآيات التي تريد حفظها.

٦- لا تبدأ عملك اليومي في مدارسة العلم إلا بعد الانتهاء من ورد القرآن.

٧- اشترط مع نفسك أنه عند الإخلال بهذا الورد تقوم بمعاقبتها بشيء مباح كالصيام والصدقة ونحوهما مع القيام به أيضًا.

٨ - احرص علىٰ القراءة من مصحف واحد - أي طبعة واحدة -.

٩- احرص علىٰ أن تقرأ ما تم حفظه في الصلاة.

١٠- داوم علىٰ أذكار الصباح والمساء والنوم.

١١- في بداية الحفظ لابد من المراجعة علىٰ يد مجيد لتلاوة القرآن.

١٢- لا تبدأ الحفظ إلا بعد إجادة التلاوة.

١٣- احرص علىٰ حضور دروس العلم وخاصة مجالس القرآن.

١٤- إذا التبس عليك بعض الكلمات في الحفظ احضر كراسة من الورق الأبيض، في نفس طبعة المصحف الذي تحفظ منه، ثم ترقم صفحاتها بنفس ترقيم المصحف، مع قيامك برسم الدائرة الداخلية في كل ورقة بنفس مقاس تلك الطبعة ثم بعد ذلك تقوم بكتابة الكلمات التي أنسيتها، أو التبس عليك حفظها، بخط واضح كاللون الأخضر مثلًا، مع تركك باقي الصفحة دون كتابة فإذا أردت مراجعة سورة فانظر إلىٰ تلك الكراسة مع ملاحظة أن الكلمات المراد كتابتها في الكراسة توضع في نفس مكانها من المصحف.

١٥- اختر الصاحب الذي يساعدك علىٰ ذكر الله وتلاوة القرآن.

١٦- إذا صليت وراء إمام وكنت تحفظ الآيات التي يتلوها في الصلاة، فقف مستمعًا لا مصححًا، وادع له بقلبك.

١٧- احذر من هجر القرآن وترك ورد المراجعة اليومية.

١٨- احرص علىٰ الوضوء.

١٩- احذر المعاصي والذنوب، فإن نسيان القرآن من الذنوب، وعليك أن تكثر من الاستغفار.

٢٠- احذر الغرور والكبر وتواضع وخاصة لشيخك.

قال الشافعي: «كنت أتصفح الورق برفق بين يدي الإمام مالك لئلا يسمع وقعها».

وقال الربيع تلميذ الإمام الشافعي: «والله ما اجترأت أن أشرب الماء

والشافعي ينظر».

وقال محقق رسالة المسترشدين أيضًا في مناقب الإمام أبي حنيفة للموفق الخوارزمي (٢/ ٧): روي عن أبي حنيفة: أنه قال:

«ما مددت رجلي نحو دار أستاذي حماد إجلالًا له، وكان بين داري وداره سبع سكك، وما صليت صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي».

وإني لأستغفر لمن تعلمت منه أو علمني علمًا، أسأل الله أن يغفر لي ولك وأن يتقبل منا ومنكم[١].

* * *

---

(١) انظر: عون الرحمن في حفظ القرآن. تأليف أبي ذر القلموني من صـ١٦ إلىٰ صـ٢٤ باختصار وتصرف وزيادات.

التحذير من هجر القرآن الكريم

قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾(١).

يقول الله تعالىٰ، مخبرًا عن رسوله ﷺ أنه قال: ﴿يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾، وذلك أن المشركين كانوا لا يصغون للقرآن ولا يستمعونه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾(٢).

فكانوا إذا تلي عليهم القرآن أكثروا اللغط والكلام في غيره حتىٰ لا يسمعونه، فهذا هُجرانه وترك الإيمان به وترك تصديقه، ومن هجرانه ترك تلاوته وتدبره وتعلمه، ومن هجرانه ترك العمل به وامتثال أوامره واجتناب زواجره، ومن هجرانه العدول عنه إلىٰ غيره من شعر أو قول أو غناء أو لهو أو كلام أو طريقة مأخوذة من غيره.

قال ابن القيم رحمه الله:

«وهجر القرآن أنواع: هجر قراءته، وهجر سماعه والإيمان به، وهجر تدبره، وهجر العمل به، وهجر تحكيمه، وهجر الاستشفاء به من أمراض القلوب وأمراض الأبدان، فمن لم يقرأ القرآن فقد هجره، ومن قرأه ولم يفهم معناه فقد هجره، ومن قرأه وفهم معناه ولم يعمل به فقد هجره، كل هذا داخل في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾(٣).

* * *

(١) الفرقان: (٣٠).

(٢) فصلت: (٣٦).

(٣) من الفوائد لابن القيم (٨١).

التحذير من الإعراض عن القرآن

وحذر سبحانه وتعالىٰ من أعرض عن ذكره، وتوعده بالمعيشة الضنك ويُحشر أعمىٰ - والعياذ بالله -، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي﴾ أي: كتابي[١] الذي يتذكر به جميع المطالب العالية، وأن يتركه علىٰ وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك بأن يكون علىٰ وجه الإنكار له والكفر به، ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ أي: فإن جزاءه أن نجعل معيشته ضيقة مشقة، ولا يكون ذلك إلا عذابًا، وفسرت بعذاب القبر، وبعض المفسرين يرىٰ أن المعيشة الضنك عامة في دار الدنيا. بما يصيب المعرض عن القرآن من الهموم والغموم والآلام التي هي عذاب معجل، وفي دار البرزخ وفي الدار الآخرة لإطلاق المعيشة الضنك وعدم تقييدها، ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ أي: المعرض عن ذكر ربه ﴿أَعْمَىٰ﴾ البصر علىٰ الصحيح[٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾[٣].

فبين سبحانه أن من ابتلاه بقرينه من الشياطين وضلاله به إنما كان بسبب إعراضه وعشوه عن ذكره الذي أنزله علىٰ رسوله، فكان عقوبة هذا الإعراض أن قيض له شيطانًا يقارنه فيصده عن سبيل ربه وطريق فلاحه، وهو يحسب أنه

---

(١) فالذكر هنا مصدر مضاف إلىٰ الفاعل لا إلىٰ المفعول، وليس المعنىٰ: ومن أعرض عن أن يذكرني بل هذا لازم المعنىٰ ومقتضاه من وجه آخر، وأحسن من هذا الوجه أن يقال: الذكر هنا مضاف إضافة الأسماء لا إضافة المصادر إلىٰ معمولاتها، والمعنىٰ: ومن أعرض عن كتابي ولم يتبعه فإن القرآن يسمىٰ ذكرًا، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ﴾[يس: ١١]، انظر: مفتاح دار السعادة. للإمام ابن قيم الجوزية (١/ ٦٧).

(٢) انظر: تفسير العلامة السعدي صـ ٥١٥، ٥١٦ باختصار.

(٣) الزخرف: (٣٦).

مهتد، حتىٰ إذا وافىٰ ربه يوم القيامة مع قرينه وعاين هلاكه وإفلاسه قال: ﴿يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ﴾[1].

* * *

(١) الزخرف: (٣٧)، انظر: مفتاح دار السعادة. لابن القيم (١٩١١).

حال السلف مع القرآن الكريم

لقد كان سلفنا الصالح عليهم رضوان الله تعالىٰ يعتنون بالقرآن الكريم علىٰ مدار العمر ويكونون أشد عناية به في شهر القرآن شهر رمضان، فكان يسمع لهم دوي كدوي النحل وأحيانًا كانت تنزل الملائكة لسماع القرآن.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن أسيد بن حُضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده[1] إذ جالت فرسه، فقرأ ثم جالت أخرىٰ، فقرأ ثم جالت أيضًا، قال أُسيد: فخشيت أن تطأ يحيىٰ[2] فقمت إليها، فإذا مثل الظلة فوق رأسي فيها أمثال السُّرُج عَرَجت في الجو حتىٰ ما أراها، قال: فغدوت علىٰ رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، بينما أنا البارحة في جوف الليل أقرأ في مِربَدي إذ جالت فرسي، فقال رسول ﷺ: «**اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ**» قال: فقرأت، ثم جالت أيضًا، فقال رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ**» قال: فقرأت ثم جالت أيضًا، فقال رسول الله ﷺ: «**اقْرَأْ ابْنَ حُضَيْرٍ**» قال: فانصرفت[3] وكان يحيىٰ قريبًا منها - خشيت أن تطأه - فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السُّرُج عرجت في الجو حتىٰ ما أراها، فقال رسول الله ﷺ: «**تِلْكَ الْمَلَائِكَةُ كَانَتْ تَسْمَعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لَأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ**»[4].

وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يختم القرآن في كل يوم مرة في رمضان، وكان بعض السلف يختم القرآن في قيام رمضان في كل ثلاث ليال، وبعضهم في كل سبع، وبعضهم في كل عشر، «وكان قتادة يختم في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في

(١) بكسر الميم وفتح الموحدة: الموضع الذي ييبس فيه التمر، كالبيدر للحنطة ونحوها.

(٢) وهو ابنه كما يأتي.

(٣) أي: إلىٰ ابنه يحيىٰ كما في رواية البخاري وهي عنده معلقة.

(٤) أخرجه مسلم باب تنزل السكينة لقراءة القرآن (٢١٠٧).

كل ثلاث، وفي العشر الآواخر في كل ليلة»[١].

وكان الزهري إذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل علىٰ تلاوة القرآن الكريم.

وكان مالك إذا دخل رمضان ترك قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم وأقبل علىٰ تلاوة القرآن من المصحف.

«وكان الأسود يختم القرآن في رمضان في كل ليلتين، وكان يختم في غير رمضان في كل ست ليال»[٢].

وعن مسبح بن سعيد، قال: «كان محمد بن إسماعيل البخاري إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم، ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلىٰ أن يختم القرآن، وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلىٰ الثلث من القرآن، فيختم عند الإفطار كل ليلة ويقول: عند كل ختم دعوة مستجابة»[٣].

عن ذي الرياستين، قال: «إن المأمون ختم في شهر رمضان ثلاثًا وثلاثين ختمة، أما سمعتم في صوته بحوحة، إن محمد بن أبي محمد اليزيدي في أذنه صمم، فكان يرفع صوته ليسمع، وكان يأخذ عليه»[٤].

عن عبد الله بن محمد بن اللبان «أنه صلىٰ بالناس صلاة التراويح في جميع الشهر، وكان إذا فرغ من صلاته بالناس في كل ليلة لا يزال قائمًا في المسجد يصلي حتىٰ يطلع الفجر، فإذا صلىٰ الفجر دارس أصحابه، وسمعته يقول: لم أضع جنبي

---

(١) الحلية (٢/ ٣٣٨) لطائف المعارف لابن رجب (١٩١).

(٢) الحلية (٢/ ١٦٣).

(٣) تاريخ بغداد (٢٥/ ١٢) صفة الصفوة (٤ / ١٧٠).

(٤) تاريخ بغداد (١٠/ ١٩٠).

للنوم في هذا الشهر ليلًا ولا نهارًا، وكان ورده كل ليلة فيما يصلي لنفسه سبعًا من القرآن يقرأه بترتيل وتمهل ولم أرىٰ أجود ولا أحسن قراءة منه»[١].

عن محمد بن زهير بن محمد، قال: «كان أبي يجمعنا في وقت ختمة القرآن في وقت شهر رمضان في كل يوم وليلة ثلاث مرات تسعين ختمة في شهر رمضان»[٢].

عن الربيع بن سليمان، قال: «كان الشافعي يختم في كل ليلة ختمة، فإذا كان شهر رمضان ختم في كل ليلة منه وفي كل يوم ختمة، فكان يختم في شهر رمضان ستين ختمة»[٣].

وعن أبي بكر بن أبي طاهر، قال: «كان للشافعي في رمضان ستون ختمة لا يحسب منها ما يقرأ في الصلاة»[٤].

قال إبراهيم بن أبي عبلة: «قال لي الوليد بن عبد الملك - الخليفة الأموي - يومًا: في كم تختم القرآن؟

قلت: في كذا وكذا، فقال: أمير المؤمنين علىٰ شغله يختمه في كل ثلاث - وقيل في كل سبع - قال: وكان يقرأ في شهر رمضان سبع عشرة ختمة»[٥].

وقال أبو العالية: كنا عبيدًا مملوكين، منا من يؤدي الضرائب، ومنا من يخدم أهله، فكنا نختم كل ليلة مرة، فشق ذلك علينا فجعلنا نختم كل ليلتين مرة، فشق علينا، فجعلنا نختم كل ثلاث ليال مرة، فشق علينا حتىٰ شكا بعضنا إلىٰ بعض.

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٤٤).

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٤٨٥).

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ٦٣).

(٤) صفة الصفوة (٢/ ٢٥٥).

(٥) البداية والنهاية (٩/ ١٦٢).

فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلمونا أن نختم كل جمعة - أو قال: كل سبع -، فصلينا ونمنا ولم يشق علينا[(١)].

ومما يدل علىٰ مواظبتهم ما جاء عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: «ما تركت حزب سورة من القرآن من ليلتها منذ قرأت القرآن».

وكان عروة يقرأ ربع القرآن في كل يوم نظرًا في المصحف ويقوم به بالليل فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ثم عاوده من الليلة المقبلة[(٢)].

ويحكي إبراهيم النخعي عن حالهم، فيقول: كان أحدهم إذا بقي عليه من حزبه شيء فنشط قرأه بالنهار أو قرأه من ليلة أخرىٰ، قال: وربما زاد أحدهم.

ولهذا شرع قضاؤه إذا فات، كما روىٰ عمر بن الخطاب: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الظُّهْرِ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ»**[(٣)].

بل كان أحدهم يتأثر غاية التأثر إذا فاته حزبه، كما روىٰ أبو داود الجفري قال: دخلت علىٰ كرز بن وبرة بيته فإذا هو يبكي، فقلت له: ما يبكيك؟ قال: إن بابي مغلق، وإن ستري لمسبل، ومنعت حزبي أن أقرأه البارحة وما هو إلا من ذنب أحدثته[(٤)].

وقال النووي: «روىٰ ابن داود بإسناده الصحيح: أن مجاهدًا رحمه الله كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشاء، وكانوا يؤخرون العشاء في رمضان إلىٰ

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ١١٣).

(٢) شعب الإيمان (٢/ ٤١٠).

(٣) رواه مسلم.

(٤) حلية الأولياء (٥/ ٧٩).

أن يمضي ربع الليل»[١].

وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث علىٰ المداومة علىٰ ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصًا في الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتنامًا للزمان والمكان، وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة، وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره[٢].

فائدة مهمة:

يمر علينا رمضان تلو رمضان وربما ختمنا القرآن كثيرًا، وربما كان هم أحدنا متىٰ يصل إلىٰ نهاية السورة ومتىٰ يصل نهاية القرآن الكريم، ولا شك أن في ذلك أجرًا عظيمًا، فقد كان السلف يكثرون في ختم القرآن في رمضان كما أسلفنا.

ولكن لماذا لا نضع خطة خلال هذا الشهر؟ أن نقرأ القرآن بتدبر ونقف مع آياته بالرجوع إلىٰ كتب التفاسير، وعلوم القرآن ونقيد الخواطر والفوائد منها[٣].

كان ابن تيمية رحمه الله يقول:

«ربما طالعت علىٰ الآية الواحدة نحو مائة تفسير! ثم أسأل الله وأقول: يا معلم آدم، علمني»[٤].

فنتمنىٰ أن نرىٰ شبابنا في المساجد يقرؤون القرآن وبجوارهم كتب التفاسير ينظر في هذا تارة وفي هذا تارة.

---

(١) لطائف المعارف (١٩١).

(٢) لطائف المعارف (١٩١، ١٩٢).

(٣) أربعون وسيلة لاستغلال شهر رمضان. لفضيلة الشيخ الدكتور / إبراهيم بن عبد الله الدويش.

(٤) العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية صـ ٢٦ لابن عبد الهادي تحقيق محمد حامد فهيم.

فلن يصبح أولادنا قرآنيين بمجرد قراءتهم وحفظهم، وإن حفظوه كله سيصبح أولادنا قرآنيين عندما يتعلمون ما في الآيات من معان ومفاهيم وإيمان ويطبقون ما فيها من عمل بعد أن يحفظوها، وإن أدىٰ ذلك إلىٰ حفظهم لأجزاء قليلة من القرآن، فهذا خير لهم ولأمتهم من أن يكونوا مجرد حفظة وفقط.

وإن جمعوا الأمرين أقصد حفظه كاملًا مع فهمه والعمل به، فهو الأولىٰ بل وهو المطلوب في هذه الأيام، فهذا علو همة وزيادة طاعة ونصرة لأمة[1].

اللهم إنا نسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتاب من كتبك أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا.. آمين يا رب العالمين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾[2].

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾[3].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[4].

﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾[5].

---

(١) أسرار المحبين صـ ١٩٢.

(٢) البقرة: (٢٨٦).

(٣) آل عمران: (٨).

(٤) البقرة: (٢٠١).

(٥) البقرة: (٢٥٠).

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾[1].

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾[2].

﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾[3].

﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾[4].

﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[5].

﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾[6].

﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾[7].

* * *

---

(١) إبراهيم: (٤١).

(٢) الكهف: (١٠).

(٣) المؤمنون: (١٠٩).

(٤) الفرقان: (٦٥)..

(٥) الحشر: (١٠).

(٦) التحريم: (٨).

(٧) البقرة: (١٢٧).

رمضان شهر الدعاء

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١] الآية.

هذه الآية الكريمة ذكرها الله تعالىٰ وسط آيات الصيام، وفيها إشارة إلىٰ أن رمضان هو شهر الدعاء، فالله تعالىٰ يستجيب دعاء الصائمين في رمضان ويعتق رقابهم من النيران.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ – يعني: في رمضان – وَإِنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ دَعْوَةً مُسْتَجَابَةً»[٢].

وقال ﷺ: «لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةٌ لَا تُرَدُّ»[٣].

* * *

---

(١) البقرة: (١٨٦).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٢٥٤)، وصححه الألباني.

(٣) يأتي تخريجه قريبًا إن شاء الله.

رمضان والدعاء المستجاب

إن لم يكن رمضان وقت الدعاء المستجاب، ففي أي شهر يكون الدعاء؟ ورمضان شهر تفتح فيه أبواب السماء وأبواب الرحمات، ففي وسط سياق الآيات التي تتحدث عن الصيام وأحكامه نجد لفتة عجيبة إلىٰ أعماق النفس وخفايا السريرة نجد العوض الكامل الحبيب المرغوب عن مشقة الصوم، والجزاء المعجل علىٰ الاستجابة لله، نجد ذلك العوض وهذا الجزاء في القرب من الله تعالىٰ وفي استجابته للدعاء، تصوره ألفاظ شفافة تكاد تنير:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

أية رقة؟ وأي انعطاف؟ وأية شفافية؟ وأي إيناس؟ وأين تقع مشقة الصوم ومشقة أي تكليف في ظل هذا الود، وظل هذا القرب، وظل هذا الإيناس؟

وفي كل لفظ في التعبير في الآية كلها تلك النداوة الحبيبة:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

إضافة العباد إليه، والرد المباشر عليهم منه، لم يقل: فقل لهم: إني قريب. إنما تولىٰ بذاته العلية الجواب علىٰ عباده بمجرد السؤال.. قريب. ولم يقل: أسمع الدعاء.. إنما عجَّل بإجابة الدعاء: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

إنها آية عجيبة.. آية تسكب في قلب المؤمن النداوة الحلوة والود المؤنس، والرضا المطمئن والثقة واليقين، ويعيش فيها المؤمن في جناب رضي وقربىٰ ندية، وملاذ أمين وقرار مكين.

وفي ظل هذا الأنس الحبيب، وهذا القرب الودود، وهذه الاستجابة الربانية،

يوجه الله تعالىٰ عباده إلىٰ الاستجابة له والإيمان به لعل هذا أن يقودهم إلىٰ الرشد والهداية والصلاح ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ اهـ[(١)].

* * *

(١) تفسير الظلال (١/ ١٨٩، ١٩٠).

الحكمة من مجيء آية الدعاء وسط آيات الصيام

عجيب وجميل أن يذكر الله تعالىٰ آية الدعاء وسط آيات الصيام - وهن خمس آيات -، ولذلك حكم ودلالات كثيرة نحاول التعرف علىٰ بعضها عبر هذه السطور - إن شاء الله تعالىٰ -:

قال البيضاوي: «واعلم أنه تعالىٰ أمرهم بصوم الشهر مراعاة العدة وحثهم علىٰ القيام بوظائف التكبير والشكر عقبه بهذه الآية الدالة علىٰ أنه خبير بأحوالهم سميع لأقوالهم مجيب لدعائهم مجاز علىٰ أعمالهم تأكيدًا له وحثًّا عليه»(١).

قال الفخر الرازي في «مفاتيح الغيب»:

«المسألة الأولىٰ: في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه:

الأول: أنه تعالىٰ لما قال بعد إيجاب فرض الصوم وبيان أحكامه: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، فأمر العبد بالتكبير - الذي هو الذكر -، وبالشكر، بين أنه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع علىٰ ذكره وشكره، فيسمع نداءه ويجيب دعاءه ولا يخيب رجاءه.

والثاني: أنه أمر بالتكبير أولًا ثم رغبه في الدعاء ثانيًا، تنبيهًا علىٰ أن الدعاء لابد وأن يكون مسبوقًا بالثناء الجميل، ألا ترىٰ أن الخليل إبراهيم - عليه السلام - لما أراد الدعاء قدم عليه الثناء، فقال أولًا:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾...﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ وكل هذا ثناء منه علىٰ الله تعالىٰ، ثم شرع بعده في الدعاء، فقال: ﴿رَبِّ هَبْ

(١) تفسير المنار (١/ ١٦٧).

لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ هكذا ههنا أمر بالتكبير أولًا ثم شرع بعده في الدعاء ثانيًا.

ثالثًا: إن الله تعالىٰ لما فرض عليهم الصيام كما فرض علىٰ الذين من قبلهم، وكان ذلك علىٰ أنهم إذا ناموا حرم عليهم ما يحرم علىٰ الصائم، فشق ذلك علىٰ بعضهم حتىٰ عصوا الله في ذلك التكليف، ثم ندموا وسألوا النبي ﷺ عن توبتهم، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية مخبرًا لهم بقبول توبتهم.

ونسخ ذلك التشديد بسبب دعائهم وتضرعهم»[(١)].

ولعل من الحكم أيضًا:

١- أن الصائم قريب من الله سبحانه وتعالى:

فهو من الثلاثة الذين لا ترد دعوتهم، عن عبد الله بن عمرو، قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ دَعْوَةً لَا تُرَدُّ**»[(٢)].

٢- المسلم الصائم يشعر بالرهبة والخوف والإخلاص والرجاء والتقوىٰ، وكل هذا يدفعه إلىٰ الإلحاح في الدعاء وإلىٰ اغتنام أبواب الخير المفتوحة فيستجيب الله تعالىٰ منه الدعاء ويُحقق له الجواب.

فالله تعالىٰ أمرنا أن ندعوه خوفًا وطمعًا، قال تعالىٰ: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾[(٣)].

٣- وآية الدعاء تعتبر مكافأة للصائمين ففيها فرج وبشرىٰ وفوز وسعادة لهم،

---

(١) تفسير الفخر الرازي (٣/ ١٠٢) ط دار الفكر ١٤١٥هـ.

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب «الصوم» (١/ ح ١٧٥٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٢٢)، وابن السني (صـ ١٤١/ ح ٤٨٣) جميعًا عن طريق ابن أبي مليكة.

(٣) الأعراف: (٥٦).

فهم الذين تحملوا الجوع والعطش وتركوا الشهوات والملذات ابتغاء مرضات الله تعالىٰ، فالجزاء من جنس العمل، فهذه الآية تكريم وتشريف لهم، فالله تعالىٰ قال: ﴿عِبَادِى﴾ أضافهم إليه، وقال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

* * *

من فقه الدعاء

في الدعاء استمداد المعونة من الله تعالىٰ وإظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنىٰ الثناء علىٰ الله عز وجل وإضافة الجود والكرم إليه سبحانه، وفيه الرغبة إليه عز وجل، فالدعاء تذلل وخضوع وإخبات وانطراح علىٰ سدة الكريم.

والله تعالىٰ خالق الخلق ورازقهم وهو السميع البصير القريب الودود المجيب، لو سأله الناس كلهم بلغاتهم المختلفة في أي حين لسمعهم تبارك وتعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾[1]، ولو أعطىٰ كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكه شيئًا، يحب - سبحانه - تذلل عباده بين يديه وسؤالهم إياه وطلبهم حوائجهم منه وشكواهم إليه وعياذهم به منه وفرارهم منه إليه كما قيل:

قالوا أتشكو إليه ... ما ليس يخفىٰ عليه
فقلت ربي يرضىٰ ... ذل العبيد لديه

أخي المسلم الصائم:

إذا أردت لدعائك أن يصعد حقًّا ويستجاب، فعليك أن تدعو دعاء الراغب الراهب المستكين الخاضع المتذلل الفقير.

قال تعالىٰ: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾.

والدعاء المذكور في الآية الكريمة مشتمل علىٰ جميع مقامات الإيمان والإحسان، وهو الحب والخوف والرجاء، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ

---

(١) طه: (٧).

﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۝﴾[(٢)].

ورمضان فرصة ثمينة جدًّا لإجابة الدعاء، ولقد أجمع العلماء أن للدعاء آدابًا وشروطًا وأسبابًا يرجىٰ لمن التزمها أن يحوز دعاؤه القبول، فإن الله عز وجل بحكمته ورحمته جعل لكل شيء سببًا، وأمرنا أن نأخذ بالأسباب لنصل إلىٰ النتيجة من غير أن نتعلق بالأسباب، فهو سبحانه وتعالىٰ غنيٌّ عن الأسباب ولكنها من سنن الله الربانية التي لا تتغير.

* * *

(١) الأنبياء: (٩).

(٢) الأعراف: (٥٥).

الترغيب في كثرة الدعاء

عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربه عز وجل: أنه قال: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي! كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا! فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي: لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي! لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ - الثوب كالإبرة ونحوها - إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدَ اللهَ عز وجل، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ». قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني إذا حدَّث بهذا الحديث جثا علىٰ ركبتيه[1].

* * *

---

(١) رواه مسلم واللفظ له.

فضل الدعاء

الدعاء عبادة عظيمة غفل عنها بعض المسلمين وتهاونوا في أمرها، وهو حبل موصول وعروة وثقىٰ، وللدعاء فضائل ومزايا عديدة منها:

أن الله عَزَّ وَجَلَّ أمر بالدعاء فقال تعالى:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي﴾[1]، ووعد بالإجابة، فقال: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، وهذا وعد الله والله لا يخلف الميعاد، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾.

الدعاء هو العبادة:

كما في حديث الرسول ﷺ: «**الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ**»[2]، بل هو أفضل العبادة، قال ﷺ: «**أَفْضَلُ الْعِبَادَةِ الدُّعَاءُ**»[3]، وقال ﷺ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ مِنَ الدُّعَاءِ**»[4].

المعية الخاصة من الله عَزَّ وَجَلَّ لمن دعاه:

قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي**»[5]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾[6].

---

(١) غافر: (٦٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) صحيح: رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس وابن عدي عن أبي هريرة وابن سعد عن النعمان بن بشير وصححه الحاكم وأقره الذهبي وصححه السيوطي والألباني في صحيح الجامع رقم (١١٢٢).

(٤) حسن: رواه البخاري في الأدب المفرد وأحمد والترمذي والحاكم عن أبي هريرة وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٩٢).

(٥) رواه مسلم.

(٦) النمل: (٦).

والدعاء أكرم شيء علىٰ الله تعالىٰ، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَىٰ اللهِ ﷿ مِنَ الدُّعَاءِ».

أيها الأحبة:

لا تبخلوا علىٰ أنفسكم بأن تسألوا الله من فضله، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[(١)]، والذي لا يسأل اللهَ، اللهُ يغضب عليه، فعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[(٢)]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾[(٣)]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾.

الدعاء طريق الجنة:

أيها الصائمون، أيها القائمون، أيها المسبحون، أيها المستغفرون، كلنا يبحث عن طريق الجنة والنجاة من النار، والدعاء - إن شاء الله تعالىٰ - سبب النجاة من العذاب ودخول الجنة - أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الفردوس الأعلىٰ.

اسمع معي أيها الحبيب إلىٰ كلام أهل الجنة: قال تعالىٰ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾[(٤)] وأهل الدعاء علىٰ خير إن شاء الله، فالله تعالىٰ أمر خليله المصطفىٰ ﷺ أن يجالس ويلازم أهل الدعاء ويصبر نفسه معهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا

(١) النساء: (٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٤٢)، والترمذي (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، وصححه الحاكم (١/ ٤٩١)، ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥١٢).

(٣) الأنعام: (٤٣).

(٤) الطور: (٢٧، ٢٨).

تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[(١)]، والله تعالىٰ شرف أهل الدعاء وكرمهم ونهىٰ عن الإساءة إليهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾[(٢)].

أيها الحبيب الغالي كن مع هؤلاء القوم أهل الدعاء، فالله تعالىٰ قريب منهم، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾[(٣)].

فهو الذي يفزع إليه المكروب، ويستغيث به المنكوب، وتصمد إليه الكائنات وتسأله المخلوقات، وتلهج بذكره القلوب، إنه الله لا إله إلا هو ولا رب سواه[(٤)].

أيها الحبيب إذا لازمت الدعاء فلن يضرك شقاء بإذن الله تعالىٰ.

قال تعالىٰ حكاية عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾[(٥)]، وقال تعالىٰ حكاية عن زكريا: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾[(٦)].

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا   وبت أشكو إلىٰ مولاي ما أجد
فقلت يا أملي في كل نائبة   ومن عليه في كشف الضر أعتمد
أشكو إليك أمورًا أنت تعلمها   ما لي إلىٰ حملها صبر ولا جلد
وقد مددت يدي بالذل مبتهلًا   إليك يا خير من مدت إليه يد

---

(١) الكهف: (٢٨).

(٢) الأنعام: (٥٢).

(٣) البقرة: (١٨٦).

(٤) انظر: لا تحزن. د/ عائض القرني، صـ ٥٠.

(٥) مريم: (٤٨).

(٦) مريم: (٤).

فلا تردها يارب خائبة فبحر جودك يروي كل من يرد

وأهل الجنة - أسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم - لم يتركوا الدعاء حتىٰ بعد دخولهم الجنة، قال تعالىٰ: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[(١)].

أيها المسلم الحبيب الغالي، لماذا تتكاسل عن الدعاء؟! وتظن أنه لا فائدة فيه مع أن الدعاء كله خير.

فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِمٍ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ بِهَا إِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ»**[(٢)].

واستمع معي إلىٰ كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتاب «فتح الباري»، قال: «كل داع يستجاب له لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دعا به، وتارة بعوضه»[(٣)].

فعليك أن تدعو الله بيقين؛ لأن الله تعالىٰ وعد بإجابة الدعاء، قال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾[(٤)].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ﴾[(٥)].

---

(١) مريم: (١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، وصححه الحاكم (١١ ٤٩٣)، وهو في صحيح الأدب المفرد (٥٤٧).

(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٩٥).

(٤) النمل: (٦٢).

(٥) غافر: (٦٠).

لا تسألن بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب
الله يغضب إن تركت سؤاله ... وترى ابن آدم حين يسأل يغضب

فكن ملحًّا في دعائك، راجيًا عفو ربك، طالبًا مغفرته، راغبًا في جنته ونعيمه، طامعًا في عطائه وغناه، فهو سبحانه يستحي أن يرد عبده خائبًا إذا سأله، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»(١).

فالدعاء المشتمل علىٰ الشروط والآداب تفتح لصاحبه أبواب الرحمة وأبواب الإجابة، ويرفع عنه البلاء، حتىٰ ولو نزل البلاء الله تعالىٰ يعافي الداع أو يصبره ويعينه ويقويه.

فإذا ضافت عليك الأرض بما رحبت وضاقت عليك نفسك بما حملت فاهتف يا الله، فبعد الجوع شبع، وبعد الظمأ ري، وبعد السهر نوم، وبعد المرض عافية، وسوف يصل الغائب، ويهتدي الضال، ويُفك الأسير وينقشع الظلام ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾.

بشر الليل بصبح صادق يطارده علىٰ رؤوس الجبال والأودية، بشر المهموم بفرج مفاجئ يصل في سرعة الصوت ولمح البصر، بشر المنكوب بلطف خفي وكف حانية.

إذا رأيت الصحراء تمتد تمتد، فاعلم أن وراءها رياضًا خضراء وارفة الظلال.

إذا رأيت الحبل يشتد يشتد، فاعلم أنه سوف ينقطع.

مع الدمعة بسمة، ومع الخوف أمن، ومع الفزع سكينة، إذًا فلا تضيق ذرعًا،

---

(١) الترمذي (٥/ ٣٧٤) وهو صحيح وأحمد (٤/ ٢٧١) وغيرهما.

فمن المحال دوام الحال، وأفضل العبادة الدعاء وانتظار الفرج[١]، قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُغْنِي حَذَرٌ مِنْ قَدَرٍ، وَالدُّعَاءُ يَنْفَعُ مِمَّا نَزَلَ وَمِمَّا لَمْ يَنْزِلْ، وَإِنَّ الدُّعَاءَ لَيَلْقَىٰ الْبَلَاءَ فَيَعْتَلِجَانِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[٣].

عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ**»[٤].

قال الشوكاني في تحفة الذاكرين:

«فيه دليل علىٰ أنه سبحانه وتعالىٰ يرفع الدعاء ما قد قضاه علىٰ العبد، وقد وردت بهذا أحاديث كثيرة»[٥].

* * *

(١) لا تحزن. د/ عائض القرني صـ ٤٧، ٤٨ باختصار.

(٢) الشرح: (٥، ٦).

(٣) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٣٩).

(٤) حسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٨٧).

(٥) تحفة الذاكرين صـ ٢٩.

من شروط الدعاء

١- الإخلاص.

٢- تحري الحلال في المأكل والمشرب والملبس.

٣- الصبر وعدم الاستعجال.

٤- العزم في المسألة.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٦- الدعاء في الرخاء والشدة.

* * *

من آداب الدعاء ومستحباته

١- أن يبدأ بحمد الله تعالىٰ والثناء عليه والصلاة علىٰ الرسول ﷺ.

٢- أن يختار أحسن الألفاظ وأبينها وأجمعها للمعاني، وأحسنها ما ورد في كتاب الله تعالىٰ وسنة خليله ﷺ.

٣- تحري أوقات إجابة الدعاء والمبادرة لاغتنام الأحوال والأوضاع والأماكن التي هي مظان إجابة الدعاء، وهي كثيرة ولله الحمد والمنة.

٤- رفع اليدين وبسط الكفين، فعن سلمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»**(١).

٥- الإلحاح والتضرع والمبالغة في التذلل.

* * *

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه واللفظ له، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٣٥)، والصِّفر بكسر الصاد وإسكان الفاء هو الفارغ، ورفع اليدين في الدعاء المطلق مشروع أما الأدعية الخاصة فلا ترفع الأيدي فيها إلا فيما رفع النبي ﷺ يديه.

هؤلاء لا ترد دعوتهم - إن شاء الله تعالى -

١- دعوة المظلوم.

٢- دعوة المسافر.

٣- دعوة الوالد علىٰ ولده.

٤- دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب.

٥- دعوة الإمام العادل.

٦- دعوة الصائم عند فطره.

٧- دعوة الولد الصالح لأبيه بعد موته.

٨- دعوة من دعا بدعاء ذي النون - يونس عليه السلام -، قال ﷺ: «**دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا بِهَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الْحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللهُ لَهُ**»(١).

٩- دعوة المستيقظ من النوم الذاكر ربه.

١٠- دعوة المضطر.

١١- دعوة الحاج والمعتمر والغازي في سبيل الله.

* * *

دعاء القنوت في الوتر(٢)(٣)

محله:

بعد قوله: «سمع الله لمن حمده، ربنا لك الحمد».

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٣)، وصححه الألباني.

(٢) نقلته من كتيب: عودوا إلىٰ خير الهدىٰ. تأليف الشيخ محمد أحمد إسماعيل المقدم صـ٣٨، ٥٠ باختصار.

(٣) في مشروعية القنوت في صلاة الوتر وموضعه خلاف سائغ يعذر فيه المخالف ولا ينكر عليه، انظر: شرح السنة للبغوي (٣/ ١٢٦، ١٣٢).

فيجهر بدعائه ويرفع يديه[١] ويُؤمِّن من خلفه.

صيغته:

«اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي بِالْـحَقِّ وَلَا يُقْضَىٰ عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلَا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ»[٢].

تأكد الالتزام بالمأثور عن النبي ﷺ:

علىٰ الإمام - إذا قنت في صلاة الوتر - أن يتقيد بالوارد في السنة، فإن أبىٰ فليلتزم الأدعية الجامعة من القرآن والسنة ولا يعدل عنها إلىٰ الأدعية المسجوعة المتكلفة، ولا المخترعة الركيكة، فإن خَير الهدىٰ هدىٰ محمد ﷺ.

ومما يستنكر على الأئمة في هذا الزمان:

انتقاء الأدعية المليئة بالتشقيق في العبارات والاستطراد في ذكر أمور تفصيلية من أحوال الموت والبعث والنشور لتحريك عواطف المأمومين، وإزعاج جوارحهم وانفجارهم في البكاء والشهيق، والصراخ، وربما بطلت صلاة بعضهم وهو لا يشعر، فعلىٰ الإمام أن يجتهد في تصحيح نيته، وأن يرسل الدعاء بسجيته وصوته المعتاد بضراعة وابتهال متجنبًا التقعر، والتكلف والتلحين، والتطريب والتمطيط في أداء الدعاء.

---

(١) رفع اليدين في دعاء القنوت ثبت عن النبي ﷺ وبعض أصحابه رضي الله عنهم، انظر المسند للإمام أحمد (٢/ ١٣٧)، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي (٢/ ٨٣)، والمجموع للنووي (٣/ ٤٩٩/ ٥٠٠).

(٢) قال البغوي رحمه الله: وإن كان إمامًا فيذكر بلفظ الجمع: «اللَّهُمَّ اهْدِنَا...» ولا يخص نفسه بالدعاء. اهـ. من شرح السنة (٣/ ١٢٩).

قال الكمال بن الهمام الحنفي - رحمه الله تعالىٰ -: «ما تعارفه الناس في هذه الأزمان من التمطيط، والمبالغة في الصياح، والاشتغال بتحريرات النغم - يعني في الدعاء - إظهار للصناعة النغمية لا إقامة للعبودية، فإنه لا يقتضي الإجابة بل هو من مقتضيات الرد» اهـ[1].

* * *

(١) فتح القدير (١/ ٢٦١، ٢٦٣).

الدعاء سؤال وجواب

س/ ما هو صحة قول بعضهم أثناء الدعاء: «اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه»؟

ج/ قول بعضهم: «اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه» ليس حديثًا، وقد حذر كبار العلماء من هذه المقالة؛ لأن فيها سوء أدب مع الله تعالىٰ، وذلك لمنافاتها لمفهوم حديث النبي ﷺ: «**لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ**».

س/ ما حكم قول الإنسان في الدعاء: «اللهم إني أسألك بجاه فلان أو بحق فلان»؟

ج/ لا يجوز سؤال الله تعالىٰ بجاه فلان ولا بحق فلان ولو بجاه الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أو بحق الأولياء الصالحين، فإنه ليس علىٰ الله حق لأحد ولا يجوز السؤال إلا بأسماء الله تعالىٰ وصفاته.

س/ ما حكم هذا الحديث «إذا سألتم الله فسألوه بجاهي فإن جاهي عظيم»؟

ج/ هذا الحديث مكذوب علىٰ رسول الله ﷺ.

قال ابن تيمية: «وهذا الحديث ليس في أي من كتب المسلمين التي يعتمد عليها أهل الحديث، ولا ذكره أحد من أهل العلم بالحديث»[(١)].

وقال الألباني: «لا أصل له».

(١) انظر: القاعدة الجليلة، صـ ١٧٤.

س/ ما حكم هذا الحديث: «حسبي من سؤالي علمه بحالي»؟

ج/ هذا الحديث لا أصل له.

قال الألباني: «لا أصل له»، وأورده بعضهم من قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وهو من الإسرائيليات ولا أصل له في المرفوع[(١)].

قال ابن تيمية: «وأما قوله (حسبي من سؤالي علمه بحالي) فكلام باطل خلاف ما ذكره الله تعالىٰ عن إبراهيم عليه السلام وغيره من الأنبياء عليهم السلام من سؤالهم له صلاح الدنيا والآخرة من دعائهم لله، ومسألتهم إياه، وهو خلاف ما أمر الله به»[(٢)].

س/ ما هو دعاء الاستخارة وكيف نصليها؟

ج/ المشروع للمسلم إذا صلىٰ الاستخارة أن يدعو بعد السلام منها، وذلك لقول الرسول ﷺ: **«إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ....»** الحديث.

وهذا يدل علىٰ أن الدعاء يكون بعد السلام من الصلاة والأفضل أن يرفع يديه؛ لأن رفعهما من أسباب الاستجابة.

أما حديث الاستخارة فهو حديث صحيح أخرجه البخاري في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وهذا نصه:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن يقول: **«إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ،**

(١) السلسلة الضعيفة (١/ ٧٤).

(٢) مجموع الفتاوىٰ (٨/ ٥٣٩).

وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ - وَهُوَ...- خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي - أَوْ قَالَ: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ -، فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ، قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»[1].

س/ هل يصح حديث: «الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ»؟

ج/ هذا الحديث لا يصح فهو ضعيف، رواه الترمذي من حديث أنس (٣٣٧١)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٣٦١١)، ويغني عنه حديث: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»، وهو صحيح.

س / بعض أئمة المساجد في رمضان يطيلون في الدعاء وبعضهم يقصر فما هو الصحيح؟

ج/ الصحيح ألا يكون غلوًّا ولا تقصيرًا، فالإطالة التي تشق علىٰ الناس منهي عنها، فإن النبي ﷺ لما بلغه أن معاذ بن جبل أطال في الصلاة غضب ﷺ غضبًا لم يغضب في موعظة مثله قط، وقال لمعاذ بن جبل: «أَفَتَّانٌ أَنْتَ يَا مُعَاذُ».

فالذي ينبغي أن نقتصر علىٰ الكلمات الواردة أو يزيد قليلًا ولا يشق ولا شك في أن الإطالة شاقة علىٰ الناس وترهقهم ولا سيما الضعفاء منهم، ومن الناس من يكون وراءه أعمال ولا يحب أن ينصرف قبل الإمام ويشق عليه أن يبقىٰ مع الإمام.

---

(١) رواه البخاري حديث رقم (٦٣٨٢).

فنصيحتي لإخواني الأئمة أن يكونوا بين بين، كذلك ينبغي أن يترك الدعاء أحيانًا حتىٰ لا يظن العامة أن القنوت واجب في الوتر[١].

والله ولي التوفيق.

* * *

(١) انظر: ٤٨ سؤالًا في الصيام لفضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

رمضان شهر الذكر

«رمضان هو شهر الذكر ففيه الشفاه الذابلة والطاعة الكاملة والبطون الضامرة، وفيه يبحث المسلم عن الأخلاق الفاضلة، وإن من أفضل ما يتخلق به الإنسان وينطق به اللسان الإكثار من ذكر الحي الذي لا يغفل ولا ينام، وتسبيحه وتحميده وتمجيده وتلاوة القرآن، والصلاة والسلام علىٰ سيد الأنام عليه الصلاة والسلام، وكذا الإكثار من دعائه سبحانه وسؤاله جميع الحاجات الدينية والدنيوية.

والاستعانة به والالتجاء إليه، بإيمان وصدق وإخلاص وخضوع وخشوع وحضور قلب، يستحضر به الذاكر عظمة الله وقدرته علىٰ كل شيء واستحقاقه للذكر والعبادة جل في علاه»[١].

فأحلىٰ اللحظات[٢] وأجل الساعات إذا ذكرته، وأشرف الرتب وأفضل القرب إذا سبحته.

فذكره تعالىٰ شفاء للصدر، فهو البلسم المجرب والغذاء المبارك والدواء النافع والطعام الطيب، ذكره تعالىٰ فيه الاطمئنان عند الفزع والسكون وقت الهلع.

ذكره تعالىٰ، مال الذي لا تحميه الرجال، ذكره غنىٰ لمن افتقر وزيادة لمن شكر وعدة لمن صبر، ذكره تعالىٰ صدقة بلا مال، وجهاد بلا قتال، ومرابطة بلا انتقال، ومجاهدة بلا مشقة، وتضحية بلا عسر، فذكره قوت القلوب، وقرة العيون، وسرور النفوس، وروح الحياة، وحياة الأرواح.

فبذكره تعالىٰ تنقشع سحب الخوف والفزع والهم والهلع والحزن، بذكره تزاح

---

(١) المجموع المفيد الممتاز من كتب العلامة ابن باز في العقيدة والصلاة والزكاة والصوم والحج والأذكار صـ ١٢٧.

(٢) هذه متقطفات من كتب فضيلة الدكتور عائض القرني مثل كتاب «لا تحزن»، «العظمة» ومن بعض محاضراته بتصرف.

جبال الكرب والغم والأسىٰ.

فأكثر من ذكره ينبسط خاطرك ويهدأ قلبك، وتسعد نفسك ويرتاح ضميرك لأن في ذكره تعالىٰ معاني التوكل عليه، والثقة به والاعتماد عليه، والرجوع إليه وحسن الظن فيه، وانتظار الفرج منه، فهو قريب إذا دُعي، سميع إذا نودي، مجيب إذا سُئل.

فاضرع واخضع واخشع، وردد اسمه الطيب المبارك علىٰ لسانك توحيدًا وثناءً ومدحًا ودعاءً وسؤلًا واستغفارًا، وسوف تجد بحوله وطوله وقوته السعادة والأمن والسرور والحبور والنور.

الله أكـــبر كـــل هـــم يـــنجلي عـــن قلـــب كـــل مكـــبر ومهلـــل

فبذكره تعالىٰ تطمئن القلوب وتسكن الأرواح وتهدأ المشاعر، فيا من شكىٰ من الأرق وبكىٰ من الألم وتفجع من الحوادث ورمته الخطوب...

هيا قم واهتف باسمه وعطر لسانك بذكره....

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(١).

إذا مرضـــنا تـــداوينا بـــذكركم ونـــترك الـــذكر أحيانًـــا فننـــتكس

* * *

ولقـد ذكرتـك والخطـوب كـوالحُ ســودٌ ووجــهُ الــدهر أغـبر قـاتمُ

فهتفت في الأسحار باسمك صارخًا فـــإذا محيـــا كـــل فجـــر باســـمُ

سبحانه ترنيمات التسبيح بحمده تيجان علىٰ رؤوس المسبحين، وزجل التهليل

---

(١) الرعد: (٢٨).

خلود على جباه الموحدين سبحانه لا يعلم ما يستحق إلا هو، لا يحيط بعلمه سواه، لا يقدر قدره إلا إياه، لا يحسن الثناء عليه غيره، ألسنة الذاكرين وأقلام المادحين حائرة في جلاله.

الله ذو العظمة والهيبة والجبروت.

سبحانه إذا اضطرب البحر وهاج الموج وهبت الريح نادى أصحابُ السفينة: يا الله.

إذا ضل الحادي في الصحراء، ومال الركب عن الطريق وحارت القافلة في السير نادوا: يا الله.

إذا بارت الحيل وضاقت السبل وانتهت الآمال وضعف الرجال وتقطعت الحبال، نادوا: يا الله.

إذا ضاقت عليك الأرض بما رحبت وضاقت عليك نفسك بما حملت فاهتف: يا الله... الله فإذا اللطف والعناية والغوث والمدد.

سـهرت أعـينٌ ونامـت عيـون ... في شـؤون تكـون أو لا تكـون
فـدع الهـم مـا اسـتطعت فحمـ ... ـلانك الهمـوم جنـون
إن ربًّـا كفـاك مـا كـان بالأمـ ... ـس سيكفيك في غـدٍ مـا يكـون

إلهي....

مهـما رسـمنا في جلالـك أحرفًـا ... قدسـية تـشدو بهـا الأرواح
فلأنـت أعظـم والمعـاني كلهـا ... يـا ربُّ عنـد جلالكـم تنـداحُ

سبحانه ما عرف قدر جلاله من فتر لحظة عن ذكره.

قال ذو النون:

«ما طابت الدنيا إلا بذكره ولا طابت الآخرة إلا بعفوه، ولا طابت الجنة إلا برؤيته».

إليــك وإلا لا تــشد الركائــب ... ومنــك وإلا فالمؤمــل خائــب

وفيــك وإلا فــالغرام مُفيــعُ ... وعنــك وإلا فالمحــدث كــاذب

من بعض فوائد الذكر:

للذكر فوائد كثيرة جدًّا لا يعلم مداها إلا الله تعالىٰ، وقد جمع شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه «حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح»، وفي كتابه «الوابل الصيب» ثمانية وسبعين فائدة أذكر لك بعضًا منها:

١- أنه يرد الشيطان ويقمعه ويكسره.

٢- أنه يرضي الرحمن عز وجل، ويزيل الهم والغم والحزن.

٣- أنه ينور القلب والبدن.

٤- أنه يجلب الرزق.

٥- أنه يؤمن العبد من الحسرة يوم القيامة.

٦- أن مجالس الذكر مجالس الملائكة، ومجالس الغفلة مجالس الشياطين، فليتخير العبد أعجبهما إليه وأولاهما به فهو مع أهله في الدنيا والآخرة.

٧- أنه أيسر العبادات وهو أحلاها وأفضلها.

٨- أن من شاء أن يسكن الجنة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذكر فإنها رياض الجنة.

٩- أن بذكر الله يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، ويفرج الغم والهم.

١٠- أن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرًا لشهود العبد يوم القيامة، فإن البقعة والدار والجبل والأرض تشهد للذاكر يوم القيامة.

١١- أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة، ويورثه المحبة التي هي روح الإسلام، وقطب رحىٰ الدين ومدار السعادة والنجاة.

١٢- ومنها أن الذكر يورث حياة القلب، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «الذكر للقلب كالماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء».

١٣- ومنها أنه يورث جلاء القلب من صداه، وكل شيء له صدأ، وصدأ القلب الغفلة والهوىٰ، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار.

١٤- ومنها أنه يحط الخطايا ويذهبها، فإنه من أعظم الحسنات، والحسنات يذهبن السيئات، قال ﷺ: **«مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»**[١].

١٥- ومنها أنه غراس الجنة، كما في حديث جابر عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ»**.

* * *

(١) رواه البخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩٢) الذكر.

العمرة في رمضان تعدل حجة مع سيد الأنام ﷺ

إن هذا الشهر المبارك تتضاعف فيه الحسنات، وإن العمل الصالح يتضاعف ثوابه ويزيد أجره بشرف الزمان والمكان.

فالعبادة في ليلة القدر مثلًا أفضل من العبادة في ألف شهر، والصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة فيما سواه، والصلاة في مسجد الرسول ﷺ بألف صلاة، والصلاة في المسجد الأقصىٰ بخمسمائة صلاة.

فالحمد لله علىٰ كرمه وفضله.

والعمرة في رمضان من الأعمال المباركة التي جمعت شرف الزمان والمكان.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لامرأة من الأنصار: «**مَا مَنَعَكِ أَنْ تَحُجِّي مَعَنَا؟**».

قالت: لم يكن لنا إلا ناضحان[1]، فحج أبو ولدها وابنها علىٰ ناضح وترك لنا ناضحًا ننضح[2] عليه الأرض.

قال: «**فَإِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فَاعْتَمِرِي، فَإِنَّ عُمْرَةً فِيهِ تَعْدِلُ حَجَّةً**»[3]، وفي رواية مسلم: «**حَجَّةً مَعِي**».

❊ ❊ ❊

---

(١) ناضحان: أي بعيران.

(٢) ننضح عليه: أي نسقي عليه.

(٣) رواه البخاري (١٧٨٢)، ومسلم (١٢٥٦).

رمضان شهر الاستقامة

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾، أي: وحدوا الله عَزَّوَجَلَّ ولم يشركوا به شيئًا وأخلصوا العبادة له وحده واستسلموا لأمره ثم استقاموا علىٰ الصراط المستقيم علمًا وعملًا.

تعريف الاستقامة:

الاستقامة في اللغة: ضد الاعوجاج والانحراف، فالشيء المستقيم هو المعتدل الذي لا اعوجاج فيه[2].

وفي الشرع:

تتضمن أمرين:

١ - السير علىٰ طريق التقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾[3].

٢- الاستمرار والثبات عليه حتىٰ المات، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾[4].

والاستقامة من الكلمات الجامعة المانعة مثل البر والخير، فلها تعلق بالقول والفعل والاعتقاد.

---

(١) فصلت: (٣٠، ٣٢).

(٢) انظر: التعريفات للجرجاني صـ ٣٧ باختصار.

(٣) آل عمران: (١٠٢).

(٤) آل عمران: (١٠٢).

الصيام طريق الاستقامة

فأول مشهد يشهده الصائم مشهد التوحيد، فيشهد قلبه عظمة الله عز وجل وعلوه علىٰ خلقه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾.

فهو الغني لا يحتاج إلىٰ شيء، ولا يحتاج إلىٰ أحد، ويشهد العبد من نفسه ذله وفقره، وفاقته وحاجته.

وشهود العبد مشهد التوحيد هذا نافع له في صيامه وإفطاره، فإنه يشهد عظمة ربه وغناه وقدرته سبحانه، قال جل ذكره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾[١].

وشعور القلب بهذه العظمة يملؤه غنًىٰ ويمنح القلب قوة في السير إليه سبحانه علىٰ الطريق المستقيم[٢].

فالصائم يسير علىٰ ضرب التقوىٰ بهمة عالية وجد واجتهاد وصبر واحتساب ودعاء وتضرع وإخبات، ومراقبة في السر والعلن، وتلاوة القرآن والإكثار من الذكر، والحرص علىٰ سلامة القلب من الرياء والنفاق والطمع والعجب والكبر وطول الأمل، والصائم يتقلب بين الخوف والرجاء، ويكتسب القناعة والرضا، ويجاهد نفسه والشيطان، ويحرص علىٰ التوبة والإنابة والاستفادة من الوقت، ويضع نصب عينه قول الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾[٣].

---

(١) فاطر: (٣).

(٢) أسرار المحبين في رمضان صـ ١٤٠ باختصار وتصرف يسير.

(٣) الأنعام: (١٥٣).

وقول الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾[١].

فهذا أمر من الله تعالىٰ لنبيه ﷺ ومن معه من المؤمنين أن يستقيموا كما أمروا، فيسلكوا ما شرعه الله من الشرائع، ويعتقدوا ما أخبر الله به من العقائد الصحيحة، ولا يزيغوا عن ذلك يمنة ولا يسرة، ويدوموا علىٰ ذلك[٢].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي عمرو - وقيل: أبي عَمْرَة - سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا بعدك. قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ»[٣].

* * *

(١) هود: (١١٢).

(٢) تفسير العلامة السعدي صـ ٣٩١ باختصار.

(٣) صحيح: رواه مسلم في كتاب الإيمان برقم (٣٨).

رمضان شهر التقوى

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(١)]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ جملة تعليلية جيء بها لبيان حكمة مشروعية الصيام، فكأنه سبحانه يقول لعباده المؤمنين: فرضنا عليكم الصيام كما فرضناه علىٰ الذين من قبلكم لعلكم بأدائكم لهذه الفريضة تنالون درجة التقوىٰ والخشية من الله تعالىٰ، وبذلك تكونون فيمن رضي الله عنهم ورضوا عنه، ولا شك أن هذه الفريضة ترفع بصاحبها إلىٰ أعلىٰ عليين متىٰ أداها بآدابها وشروطها، ويكفي أن الرسول ﷺ قد قال في شأن الصوم: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ**» أي: وقاية، إذ في الصوم وقاية من الوقوع في المعاصي وقاية من عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأمراض الناشئة من الإفراط في تناول بعض الأطعمة والأشربة[(٢)].

تعريف التقوى في اللغة والاصطلاح:

تاء تقوىٰ مقلوب من الواو، ومادته: وقىٰ.

والوقاية: حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء، قال تعالىٰ: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾[(٣)].

﴿وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾[(٤)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾[(٥)]،

---

(١) البقرة: (١٨٣).

(٢) انظر: تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٢٢).

(٣) الإنسان: (١١).

(٤) الدخان: (٥٦).

(٥) الرعد: (٣٤).

وقال تعالىٰ: ﴿مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾[(٢)].

والتقوىٰ شرعًا: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية، فتقوىٰ العبد لربه - سبحانه وتعالىٰ - أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وغضبه وعذابه وقاية تحفظه وتمنعه.

وهي حفظ النفس عما يؤثم وذلك بترك المحظور.

تعريفات أخرى للتقوى:

وعرفها علي رضي الله عنه فقال: «التقوىٰ هي العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والرضا بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل».

وعرفها عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالىٰ -، فقال: «ليس تقوىٰ الله بصيام النهار وقيام الليل والتخليط بين ذلك، ولكن تقوىٰ الله ترك ما حرم الله وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا فهو خير إلىٰ خير».

وعرفها طلق بن حبيب، فقال: «التقوىٰ هي أن تعمل بطاعة الله علىٰ نور من الله، ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله علىٰ نور من الله تخاف عقاب الله».

قال ابن مسعود: «تقوىٰ الله حق تقاته أن يُطاع فلا يعصىٰ، وأن يذكر فلا ينسىٰ، وأن يشكر فلا يجحد».

وقال الحافظ ابن رجب: «أصل التقوىٰ»: أن يجعل العبدُ بينه وبين ما يخافه ويحذرهُ وقاية تقيه، فتقوىٰ العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه».

---

(١) الرعد: (٣٧).

(٢) التحريم: (٦).

قال الحسن: «التقوىٰ أن لا تختار علىٰ الله سوىٰ الله وتعلم أن الأمور كلها بيد الله».

فـ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، فيها بيان الحكمة من فرض الصوم، أي: تتقون الله عَزَّوَجَلَّ، هذه هي الحكمة الشرعية التعبدية للصوم وما جاء سوىٰ ذلك من مصالح بدنية أو مصالح اجتماعية فإنها تبع[1].

فالصيام يثمر التقوى:

قال صاحب «تفسير المنار»: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، هذا تعليل لكتابة الصيام ببيان فائدته الكبرىٰ وحكمته العليا، وهو أن يعد نفس الصائم لتقوىٰ الله تعالىٰ بترك شهواته الطبيعية المباحة الميسورة امتثالًا لأمره واحتسابًا لأجر عنده، فتتربىٰ بذلك إرادته علىٰ ملكة ترك الشهوات المحرمة والصبر عنها، فيكون اجتنابها أيسر عليه، وتقوىٰ علىٰ النهوض بالطاعات والمصالح والاصطبار عليها، فيكون الثبات عليها أهون عليه[2].

وقال سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ في «الظلال»: «﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم، إنها التقوىٰ، فالتقوىٰ هي التي تستيقظ في القلوب، وهي تؤدي هذه الفريضة، طاعة لله، وإيثارًا لرضاه، والتقوىٰ هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تهجس بالبال، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوىٰ عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق موصل إليها، ومن ثم يلخصها

---

(١) تفسير ابن عثيمين (٢/ ١٤١).

(٢) تفسير المنار (٢/ ١٤٥).

السياق أمام عيونهم هدفًا وضيئًا يتجهون إليه عن طريق الصيام، فالصيام من أكبر أسباب التقوىٰ»[١].

«فالتقوىٰ فيها امتثال أمر الله تعالىٰ، واجتناب نهيه، فمما اشتمل عليه من التقوىٰ أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها التي تميل إليها نفسه متقربًا بذلك إلىٰ الله راجيًا بتركها ثوابه، فهذا من التقوىٰ.

ومنها أن الصائم يدرب نفسه علىٰ مراقبة الله تعالىٰ، فيترك ما تهوىٰ نفسه مع قدرته عليه بعلمه باطلاع الله عليه.

ومنها أن الصيام يضيق مجارىٰ الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، فبالصيام يضعف نفوذه وتقل منه المعاصي.

ومنها أن الصائم في الغالب تكثر طاعته والطاعات خصال التقوىٰ.

ومنها أن الغني إذا ذاق ألم الجوع أوجب له ذلك مواساة الفقراء المعدمين وهذا من خصال التقوىٰ»[٢].

خمسون فائدة للتقوى في الدنيا والآخرة[٣]:

١- التقوىٰ سبب لمعية الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[٤].

٢- التقوىٰ سبب لنيل العلم وتحصيله، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ

---

(١) تفسير الظلال لسيد قطب (٢/ ١٦٨).

(٢) تفسير العلامة السعدي صـ٨٦.

(٣) هذا علىٰ سبيل المثال لا الحصر فالله تعالىٰ ذكر التقوىٰ في (٢٥٨) موضع ولها فوائد كثيرة جدًّا لا يمكن حصرها، وقد نقلت معظم هذه الفوائد من كتاب: دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي لفضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين صـ١١٠٢ إلىٰ ١١٠٩ باختصار وزيادات يسيرة وتصرف.

(٤) النحل: (١٢٨).

ٱللَّهُ﴾[١].

٣- إن التقوىٰ سبب لنيل محبة الله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾﴾[٢].

٤- التقوىٰ سبب لنيل رحمة الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[٣].

٥- إن التقوىٰ سبب لحصول الهداية، قال تعالىٰ: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾[٤].

٦- التقوىٰ هي خير زاد، قال تعالىٰ: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٥].

٧- التقوىٰ من أسباب قبول الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[٦].

٨- إن التقوىٰ سبب لتيسير أمور الإنسان، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾﴾[٧].

٩- إن التقوىٰ سبب لحماية الإنسان من ضرر الشيطان، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾[٨].

---

(١) البقرة: (٢٢٨).
(٢) آل عمران: (٦٧).
(٣) الأعراف: (١٦٥).
(٤) البقرة آية (١، ٢).
(٥) البقرة: (١٩٧).
(٦) المائدة: (٢٧).
(٧) الطلاق: (٤).
(٨) الأعراف: (٢٠١).

١٠- إن التقوىٰ سبب لتفتيح البركات من السماء والأرض، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾(١).

١١- وإنها سبب في توفيق العبد في الفصل بين الحق والباطل ومعرفة كلٍّ منهما، قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾(٢).

١٢- إن التقوىٰ سبب للخروج من المأزق وحصول الرزق والسعة للمتقي من حيث لا يحتسب، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(٣).

١٣- إن التقوىٰ سبب لنيل الولاية، قال تعالىٰ: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾(٤).

١٤- والتقوىٰ سبب لعدم الخوف من ضرر وكيد الكافرين، قال تعالىٰ: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾(٥).

١٥- وإنها سبب لنزول المدد من السماء عند الشدائد ولقاء العدو، قال تعالىٰ: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَـٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَـٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥﴾(٦).

١٦- إن التقوىٰ سبب لعدم العدوان وإيذاء عباد الله، قال تعالىٰ: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾(٧)، وقال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟

---

(١) الأعراف: (٦٩).

(٢) الأنفال: (٢٩).

(٣) الطلاق: (٢، ٣).

(٤) الأنفال: (٢٤).

(٥) آل عمران: (١٢٠).

(٦) آل عمران: (١٢٥).

(٧) مريم: (١٨).

عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾[(١)].

١٧- التقوىٰ سبب لتعظيم شعائر الله، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ٣٢﴾[(٢)].

١٨- إنها سبب لصلاح الأعمال، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾[(٣)].

١٩- إن التقوىٰ من أسباب غفران الذنوب وتعظيم الأجور، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ٥﴾[(٤)].

٢٠- إن التقوىٰ سبب قوي تمنع صاحبها من الزيغ والضلال بعد أن منَّ الله عليه بالهداية، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾[(٥)].

٢١- التقوىٰ سبب لغض الصوت عند رسول الله ﷺ في حياته أو بعد وفاته في قبره ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾[(٦)].

٢٢- إن العاقبة تكون للمتقين، قال تعالىٰ: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ٤٩﴾[(٧)].

٢٣- التقوىٰ سبب لحصول البشرىٰ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، قال تعالىٰ:

---

(١) المائدة: (٢).

(٢) الحج: (٣٢).

(٣) الأحزاب: (٧٠، ٧١).

(٤) الطلاق (٥).

(٥) الأنعام: (١٥٣).

(٦) الحجرات: (٣).

(٧) هود: (٩٤).

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾[١].

٢٤- إن التقوىٰ إذا أخذت النساء بأسبابها، والتي من ضمنها عدم الخضوع في القول فإنها تكون سببًا في ألا يطمع فيهن الذين في قلوبهم مرض، قال تعالىٰ: ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾[٢].

٢٥- إن التقوىٰ سبب لعدم الجور في الوصية، قال تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾[٣].

٢٦- التقوىٰ سبب في إعطاء المطلقة متعتها الواجبة لها، قال تعالىٰ: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾﴾[٤].

٢٧- إن التقوىٰ سبب في عدم ضياع الأجر في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾﴾[٥].

٢٨- الآخرة كلها للمتقين، قال تعالىٰ: ﴿وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾[٦].

٢٩- إن التقوىٰ سبب للإكرام عند الله عز وجل، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٧].

٣٠- إن التقوىٰ سبب للفوز والفلاح، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾[٨].

---

(١) يونس: (٦٣، ٦٤).

(٢) الأحزاب: (٣٢).

(٣) البقرة: (١٨٠).

(٤) البقرة: (٢٤١).

(٥) يوسف: (٩٠).

(٦) الزخرف: (٣٥).

(٧) الحجرات: (١٣).

(٨) النور: (٥٢).

٣١- أنها سبب للنجاة يوم القيامة من عذاب الله، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾[(١)].

٣٢- إن التقوىٰ سبب قوي لأن يرثوا الجنة، قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾[(٢)].

٣٣- إن المتقين لهم في الجنة غرف مبنية من فوقها غرف، قال تعالىٰ: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾[(٣)].

٣٤- إنهم بسبب تقواهم يكونون فوق الذين كفروا يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[(٤)].

٣٥- والجنة بما فيها أعدها الله للمتقين، قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[(٥)].

٣٦- التقوىٰ سبب لنيل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين، قال تعالىٰ: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾[(٦)].

٣٧- إن التقوىٰ سبب للنجاة وعدم الخوف والحزن وعدم مساس السوء بهم يوم القيامة، قال تعالىٰ: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾[(٧)].

---

(١) مريم: (٧٢).

(٢) مريم: (٦٣).

(٣) الزمر: (٢٠).

(٤) البقرة: (٢١٢).

(٥) آل عمران: (١٣٣).

(٦) النحل: (٣١).

(٧) الزمر: (٦١).

٣٨- أنهم يحشرون يوم القيامة وفدًا إليه تعالىٰ، والوفد هم القادمون ركبانًا وهو خير موفود، قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾[(١)].

٣٩- إن الجنة تُقرب لهم، قال تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾﴾[(٢)].

٤٠- إن تقواهم سبب في عدم مساواتهم بالفجار والكفار، قال تعالىٰ: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾[(٣)].

٤١- والله تعالىٰ أعد للمتقين ظلالًا وعيونًا وفواكه مما يشتهون، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾﴾[(٤)].

٤٢- إن كل محبة وصداقة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة إلىٰ عداوة إلا صُحبة المتقين، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[(٥)].

٤٣- إن لهم مقامًا أمينًا وجنات وعيونًا.. إلخ، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾[(٦)].

٤٤- أن لهم مقعد صدق عند مليك مقتدر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾[(٧)].

٤٥- إن التقوىٰ سبب في ورود أنهار الجنة المختلفة، قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ﴾[(٨)].

---

(١) مريم: (٥٨).
(٢) ق: (٣١).
(٣) ص: (٢٨).
(٤) المرسلات: (٤١، ٤٢).
(٥) الزخرف: (٧٦).
(٦) الدخان: (٥١، ٥٢).
(٧) القمر: (٥٤ - ٥٥).
(٨) محمد: (٥١).

٤٦- إن لهم البشرىٰ في الآخرة بألا يحزنهم الفزع الأكبر وتلقي الملائكة لهم، قال تعالىٰ: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(١).

قال ابن كثير: «وأما بشراهم في الآخرة، فكما قال تعالىٰ: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(٢).

٤٧- إن المتقين لهم نعم الدار، قال تعالىٰ: ﴿وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾﴾(٣).

٤٨- إن المتقين تتضاعف أجورهم وحسناتهم، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾، أي: أجرين. ﴿مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ﴾(٤).

٤٩- إن المتقين لهم مفاز ومنجىٰ وبُعد عن النار، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾(٥).

٥٠- الأتقياء هم الذين حققوا وصية الله تعالىٰ للسلف والخلف، للأولين والآخرين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾(٦).

* * *

---

(١) يونس: (٦٤).

(٢) الأنبياء: (١٠٣).

(٣) النحل: (٣٠).

(٤) الحديد: (٢٨).

(٥) النبأ: (٣١، ٣٢).

(٦) النساء: (١٣١).

رمضان فرصة لتكفير الذنوب

فالله تعالىٰ أنعم علىٰ هذه الأمة بتمام إحسانه وعاد عليها بفضله وامتنانه، وجعل شهرها هذا مخصوصًا بعميم غفرانه.

فيا عباد الله:

أيام رمضان أيام محو ذنوبكم، فاستغيثوا إلىٰ مولاكم من عيوبكم، هي أيام الإنابة، فيها تفتح أبواب الإجابة، فأين اللائذ بالجناب، أين المتعرض بالباب؟ أين الباكي علىٰ ما جنىٰ؟

أين المستغفر لأمر قد دنا؟

فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ وَالِدَيْهِ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ. قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَمَاتَ وَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَأُدْخِلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ. قُلْ آمِينَ. فَقُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ. قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتُ: آمِينَ»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَىٰ الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ»**(٢).

وقال ﷺ: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**(٣).

---

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير عن جابر بن سمرة، ورواه ابن حبان في صحيحه، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٥).

(٢) رواه مسلم.

(٣) أخرجه البخاري (٣٨).

وبوب الإمام البخاري في «صحيحه»: ٣- باب الصوم كفارة: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا جامع، عن أبي وائل، عن حذيفة قال: قال عمر رضي الله عنه: من يحفظ حديثًا عن النبي ﷺ في الفتنة؟ قال حذيفة: أنا، سمعته يقول: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكَفِّرُهَا الصَّلَاةُ وَالصِّيَامُ وَالصَّدَقَةُ**».

قال: ليس أسأل عن ذِهِ، إنما أسأل عن التي تموج كما يموج البحر.

قال: وإن دون ذلك بابًا مغلقًا.

قال: فيفتح أو يُكسرُ؟

قال: يُكسر.

قال: ذاك أجدر أن لا يغلق إلىٰ يوم القيامة.

فقلنا لمسروق: سَلهُ، أكان عمر يعلمُ مَنِ البابُ؟

فسأله فقال: نعم، كما يعلم أن دون غد الليلة.

ومعنىٰ قوله ﷺ: «**الصَّوْمُ كَفَّارَةٌ**».

أي: الصوم يقع كفارة للذنوب(١).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رَغِمَ أَنْفُ(٢) رَجُلٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ، وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ أَدْرَكَ عِنْدَهُ أَبَوَاهُ الْكِبَرَ فَلَمْ يُدْخِلَاهُ الْجَنَّةَ**»(٣).

---

(١) انظر: فتح الباري (٤/ ١٣٢/ ١٣٣) باختصار.

(٢) رغِم: بالكسر لصق بالرغام أي: التراب هذا أصله، ثم استعمل في الذل والعجز عن الانتصاف.

(٣) صحيح: رواه الترمذي في الدعوات وقال: حديث حسن غريب، وقال الحاكم: صحيح، وقال ابن حجر: له شواهد، وقال الألباني: وإسناده حسن، وأخرج منه الحاكم (١/ ٥٤٩) الفقرة الأولىٰ من هذا الوجه، وأخرج مسلم الفقرة الأخيرة منه عن أبي هريرة، وصححه الألباني في تحقيق المشكاة رقم (٩٢٧)، وصحيح الجامع رقم (٣٥١٠).

قال المناوي:

«رغم أنف من علم أنه لو كف نفسه عن الشهوات شهرًا في كل سنة، وأتىٰ بما وظِّفَ له فيه من صيام وقيام غفر له ما سلف من الذنوب فقصر، ولم يفعل حتىٰ انسلخ الشهر ومضىٰ، فمن وجد فرصة عظيمة بأن قام فيه إيمانًا واحتسابًا عظمه الله، ومن لم يعظمه الله حقره وأهانه»[(١)].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: فيض القدير (٤/ ٣٤).

رمضان فرصة لتحسين الأخلاق

إن رمضان هو جامعة الأخلاق الحسنة، وملتقىٰ الفضائل، وهو فرصة ذهبية لتحسين الأخلاق وكبح جماح النفس وتهذيبها، وإذا كانت التقوىٰ هي الحكمة الجامعة النافعة من الصيام، فثمة حكم وأسرار وتأثير للصيام في بناء الأخلاق الفاضلة لمن تأمل، ولو قال قائل: إن للصيام أثرًا عظيمًا في الإخلاص والصبر والخوف، والرجاء والبر والصلة والذكر والدعاء والمراقبة والحياء، والعزة والحلم والتوبة والاستغفار وتهذيب الغرائز والدعوة والتربية... إلخ، ونحوها من الفضائل والمكارم لما كان مبالغًا، فالصيام له علاقة حميمة بالأخلاق السامية والمعاني الرفيعة، فقد قال ﷺ: «**الصَّوْمُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَفْسُقْ وَلَا يَصْخَبْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ**»(١).

فالصوم ليس حرمان مؤقت من بعض الأطعمة والأشربة بل هو خطوة إلىٰ حرمان النفس دائمًا من شهواتها المحظورة ونزواتها المنكورة.

قال ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(٢).

فحسن الخلق هو: بذل الندىٰ، وكف الأذىٰ، واحتمال الأذىٰ، وهو التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

وجماع حسن الخلق أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، وكان رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي**

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢٠٠٦)، وصححه الألباني (٩٧٨) في صحيح الترغيب والترهيب.

(٢) البخاري (١٩٠٣).

لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ»[1].

ولا يتصف بحسن الخلق إلا أصحاب الهمم العالية.

قال ابن القيم رحمه الله:

«فمن علت همته وخشعت نفسه اتصف بكل خلق جميل، ومن دنت همته وطغت نفسه اتصف بكل خلق رذيل».

وعلو الهمة يتحقق بالصيام، فبه تزكو النفوس ويستقيم السلوك وتنشأ الأخلاق الرفيعة، من رحمة وكرم، وبر وصلة، وبشاشة وطلاقة، ونحو ذلك، وبالصيام تعلو الهمة، وتقوىٰ الإرادة، ويتحقق الاطمئنان.

فهو تدريب منظم علىٰ حمل المكروه، ودرس مفيد في سياسة المرء نفسه، ثم إن الصيام يحرك النفوس للخير، ويسكنها عن الشر ويطلقها منه.

يقول ابن القيم رحمه الله:

«لما كان المقصود من الصيام: حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وثورتها، ويُذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضيق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوىٰ الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحها، وتُلجم بلجامه فهو لجام المتقين وجُنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين، فالصوم يحفظ علىٰ القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته

(١) مسلم (٧٧١).

منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون علىٰ التقوىٰ، كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾»(١).

فشهر رمضان له علاقة حميمة بالأخلاق السامية والمعاني الرفيعة، قال ﷺ: **«الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَفْسُقْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ»**(٢).

وكأن هذا الحديث وضع أصولاً لأخلاق الصائمين:

أولها: أن الصائم هادئ النفس، لين الطبع، في غاية الاحترام، فإنه يستشعر المراقبة حال الصيام، فلا يرفث، أي: لا يتكلم في الجماع ومقدماته.

ثانيها: لا يفسق: أي أنه لا يخرج عن حدود الأدب لا في القول ولا في العمل، بل هو منضبط إلىٰ أقصىٰ حد.

ثالثها: لا يصخب: لا يرتفع صوته؛ لأن الصيام نوع من السكون، يقال: صامت الدابة: أي سكنت عن الحركة، وصامت الخيل: أي سكتت عن الصهيل، فأصل الصيام نوع سكون، وقد فهم الصائم هذا النوع من التعبد، فلا يصخب، إنه يكره الضجيج ويحب السكون، والسكوت لأنه أجمع لشمل قلبه علىٰ ربه.

رابعها: ولا يجهل: والجهل أنواع، وأبو جهل لا يبالي، وآباء الجهل كثيرون، الصائم لا يجهل وكل معصية جهالة، وكل ما عصي الله به فهو جهل، وكل عاص جاهل، والذي يعامل الناس بما يكرهون يجهل عليهم؛ لأنه يجهل حقهم وهو معاملتهم بالحسنىٰ؛ لذلك أُمر الصائم أن يتذكر دومًا ليعلم أنه صائم، فيقول: إني صائم.

خامسها: وهو الأهم أنه إذا أوذي أو اعتدي عليه أو أضر به أحد أو كما قال

(١) زاد المعاد (٢/ ٢٨، ٢٩) باختصار.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٣٠٦)، وصححه الألباني (٩٧٨) في صحيح الترغيب.

رسول الله ﷺ: «**فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ**» فإن المبدأ الإسلامي العظيم يبرز هنا جليًّا وهو: رد السيئة بالحسنة»[١].

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾[٢].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: أسرار المحبين في رمضان صـ(١٤٣-١٤٤) باختصار.

(٢) فصلت: (٣٤-٣٦).

رمضان شهر الصبر والشكر

الصبر لغة: هو الحبس والمنع.

فهو: حبس اللسان عن الشكوىٰ وحبس النفس عن الجزع وحبس الجوارح عن المعاصي.

وأما حقيقته:

فهو خُلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوىٰ النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.

وسُئل عنه الجنيد بن محمد، فقال: «تجرع المرارة من غير تعبس»[1].

أقسام الصبر:

والصبر باعتبار متعلقه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١- صبر علىٰ الأوامر والطاعات حتىٰ يؤديها.

٢- صبر عن المناهي والمخالفات حتىٰ لا يقع فيها.

٣- صبر علىٰ الأقدار والأقضية حتىٰ لا يتسخطها[2].

منزلة الصبر في القرآن والسنة:

يقول ابن القيم رحمه الله:

«إن الله سبحانه وتعالىٰ جعل الصبر جوادًا لا يكبو، وصارمًا لا ينبو، وجندًا لا يهزم، وحصنًا لا يهدم ولا يثلم، فهو والنصر أخوان شقيقان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر، وهو أنصر لصاحبه من الرجال بلا

(١) عُدة الصابرين لابن قيم الجوزية صـ ١٣، ١٤ باختصار.

(٢) المرجع السابق صـ ٢٦.

عدة ولا عدد، ومحله من الظفر كمحل الرأس من الجسد، ولقد ضمن الحق جل في علاه لأهل الصبر أن يوفيهم أجرهم بغير حساب، وأخبرهم أنه معهم بهدايته ونصره العزيز، وفتحه المبين، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[(١)]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٦﴾[(٢)]»[(٣)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**[(٤)].

الصبر والشكر:

الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، ولهذا جمع الله سبحانه وتعالىٰ بين الصبر والشكر[(٥)]، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾[(٦)].

وقد أخبر سبحانه وتعالىٰ إنما يعبده من يشكره، فمن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته قال تعالىٰ: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾[(٧)].

والشكر مبني على خمس قواعد:

١- خضوع الشاكر للمشكور وإضافة النعم إلىٰ موليها بنعت الاستكانة له.

٢- حبه له، قال سلمان: ذكر النعم يورث الحب.

---

(١) الزمر آية (١٠).

(٢) آل عمران: (١٤٦).

(٣) المرجع السابق صـ ٥ باختصار وتصرف يسير.

(٤) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩/ ٦٤).

(٥) المرجع السابق صـ ١١١ باختصار.

(٦) سورة إبراهيم: (٥).

(٧) البقرة: (١٧٢).

٣- اعترافه بنعمته ومعرفته بها وقبولها.

٤- ثناؤه عليه بها.

٥- أن لا يستعملها فيما يكره[(١)].

ورمضان هو شهر الصبر والشكر، فالمسلم الصائم يحتاج إلىٰ الصبر علىٰ ألم الجوع والعطش، ويحتاج إلىٰ صبر علىٰ الطاعة، ويحتاج إلىٰ صبر عن المعصية، وهذه هي أقسام الصبر الثلاثة.

صبر علىٰ ما قدره الله تعالىٰ من المحن والاختبارات والابتلاءات، وصبر علىٰ الطاعة وصبر عن المعاصي.

والمسلم الصائم يرىٰ الطعام الشهي والماء المثلج النقي أمامه وهو جائع عطشان، ولكنه لا يقدر أن يتقدم ليأكل أو ليشرب، فيتذكر ألم المحرومين من الفقراء والمرضىٰ والبائسين الذين يرون ما يشتهون، ولا يقدرون عليه لفقر أو مرض أو غير ذلك، فينشغل بشكر الله علىٰ نعمه عليه، والتي هي تغمره من فوقه ومن تحت قدميه.

ويظل المسلم صائمًا من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، حتىٰ إذا سمع صوت الأذان يشنف أذنيه أفطر وأحس بنعم الله عليه أن أعانه علىٰ الصيام، فيشكر مولاه جل في علاه، وهكذا يظل الصائم يعيش أيام رمضان بين الصبر والشكر.

قال ﷺ: **«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»**[(٢)].

فوالله لو سجدنا لله علىٰ إبر الشوك إلىٰ يوم لقيناه ما قدرنا حق عطاياه، فكيف بنعم الله وفضله في رمضان.

---

(١) نداء الريان (١/ ٢٥٨)، (٢٦٠، ٢٦١) باختصار.

(٢) سبق تخريجه.

شكر علىٰ الإسلام وكفىٰ بها نعمة؟

أم شكر علىٰ نعمة البقاء وإدراك رمضان ونحن أحياء؟

أم شكر علىٰ غفران الذنوب؟

أم شكر علىٰ فتح أبواب الجنة؟

أم شكر علىٰ غلق أبواب النار؟

أم شكر علىٰ تصفيد الشياطين؟

أم شكر علىٰ إجابة الدعاء؟

أم شكر علىٰ العتق من النار؟

أم شكر علىٰ التهجد والتراويح؟

أم شكر علىٰ الصدقات والتسبيح؟

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[1].

* * *

(١) نداء الريان ١/ ٢٥٧ باختصار.

رمضان شهر الجهاد والانتصارات

يعتبر الصيام من أقوىٰ الوسائل لتربية النفس البشرية علىٰ الجهاد، ففي الصيام جهاد النفس بمخالفة المألوف، والخروج عن المعتاد، وترك الشهوات كلية، وفيه مجاهدة للشيطان علىٰ دفع ما يُلقي من الإرادات الفاسدة، والشهوات والشبهات والشكوك الباطلة.

كما أنه يربي المسلم علىٰ الصبر والجلد، وقوة الاحتمال والتضحية، والإخلاص، والزهد في الدنيا، والإقبال علىٰ الآخرة.

قال صاحب تفسير «الظلال»: «ولقد كان من الطبيعي أن يفرض الصوم علىٰ الأمة التي يفرض عليه الجهاد في سبيل الله؛ لتقرير منهجه في الأرض، وللقوامة به علىٰ البشرية، وللشهادة علىٰ الناس.

فالصوم هو مجال تقرير الإرادة العازمة الجازمة، ومجال اتصال الإنسان بربه اتصال طاعة وانقياد، كما أنه مجال الاستعلاء علىٰ ضرورات الجسد كلها واحتمال ضغطها وثقلها إيثارًا لما عند الله من الرضىٰ والمتاع.

وهذه كلها عناصر لازمة في إعداد النفوس لاحتمال مشقات الطريق المفروش بالعقبات والأشواك، والذي تتناثر علىٰ جوانبه الرغبات والشهوات، والذي تهتف بسالكيه آلاف المغريات[(١)].

فالصائم يضحي بأشياء محببة لدىٰ نفسه من أجل التقرب إلىٰ الله تعالىٰ، وفي ذلك تدريب علىٰ التضحية بالنفس والمال لله عز وجل، مصداقًا لقوله تعالىٰ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) تفسير: في ظلال القرآن (١/ ١٨٣).

ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ﴾ [١].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وهذا العقد والوعد قد أودعه أفضل كتبه المنزلة من السماء، وهي: التوراة والإنجيل والقرآن، ثم أكد ذلك بإعلامهم أنه لا أحد أوفى بعهده منه تبارك وتعالى، ثم أكد ذلك بأن أمرهم بأن يستبشروا ببيعهم الذي عاقدوه عليه، ثم أعلمهم أن ذلك هو الفوز العظيم، فليتأمل العاقد مع ربه عقد هذا التبايع ما أعظم خطره، وأجله، فإن الله عَزَّوَجَلَّ هو المشتري والثمن جنات النعيم، والفوز برضاه، والتمتع برؤيته هناك، والذي جرى على يده هذا العقد أشرف رسله وأكرمهم عليه من الملائكة والبشر، وإن سلعةً هذا شأنها لقد هيئت لأمر عظيم، وخطب جسيم.

قد هيأوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل [٢]

مهر المحبة والجنة بذل النفس والمال لمالكها الذي اشتراهما من المؤمنين، فما للجبان المعرض المفلس وسوم هذه السلعة، بالله ما هُزِلَتْ فيستامها المفلسون، ولا كسدت، فيبيعها بالنسيئة المعسرون، لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد، فلم يرض ربها لها بثمن دون بذل النفوس، فتأخر البطالون وقام المحبون ينتظرون أيهم يصلح أن يكون نفسه الثمن، فدارت السلعة بينهم ووقعت في يد ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [٣].

---

(١) التوبة: (١١٠).

(٢) هو آخر بيت من لامية العجم للطغرائي.

(٣) المائدة: (٥٤).

لما كثر المدعون للمحبة، طولبوا بإقامة البينة علىٰ صحة الدعوىٰ، فلو يعطىٰ الناس بدعواهم، لادعىٰ الخليُّ حرفة الشجي، فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: لا تثبت هذه الدعوىٰ إلا ببينة ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(١).

فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الرسول في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة وقيل: لا تقبل العدالة إلا بتزكية ﴿يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾(٢).

فتأخر أكثر المدعين للمحبة، وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم، فسلموا ما وقع عليه العقد، فإن الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، وعقد التبايع يوجب التسليم من الجانبين.

فلما رأىٰ التجار عظمة المشتري وقدر الثمن، وجلالة قدر من جرىٰ عقد التبايع علىٰ يديه، ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هذا العقد، عرفوا أن للسلعة قدرًا وشأنًا ليس لغيرها من السلع، فرأوا من الخسران المبين والغبن الفاحش أن يبيعوها بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة، تذهب لذتها وشهوتها، وتبقىٰ تبعتها وحسرتها، فإن فاعل ذلك معدود في جملة السفهاء، فعقدوا مع المشتري بيعة الرضوان رضًىٰ واختيارًا من غير ثبوت خيار، وقالوا: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، فلما تم العقد وسلموا المبيع، قيل لهم: قد صارت أنفسكم وأموالكم لنا، والآن فقد رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعاف أموالكم معها: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾(٣).

---

(١) آل عمران: (٣١).

(٢) المائدة: (٥٤).

(٣) آل عمران: (١٦٩).

لم نبتع منكم نفوسكم وأموالكم طلبًا للربح عليكم، بل ليظهر أثر الجود والكرم في قبول المعيب والإعطاء عليه أجل الأثمان، ثم جمعنا لكم بين الثمن والمثمن»(١).

أخبر سبحانه أنه ﴿ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾، فشهر رمضان هو شهر التجارة الرابحة، ذروة سنام الإسلام وقبته، وفيه وقعت غزوات ومعارك فاصلة غيرت وجه التاريخ وأورثت المسلمين عزًّا ومجدًا وتمكينًا عظيمًا نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١٧ رمضان ٢هجرية: غزوة بدر الكبرى (يوم الفرقان):

في السنة الثانية من الهجرة وفي السابع عشر من رمضان كانت غزوة بدر الكبرىٰ، الدرة الناصعة والنجمة الزاهرة المضيئة في تاريخ الأمجاد والانتصارات الإسلامية، وسماها الله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ﴾.

وجعلها آية علىٰ تأييده لدينه ورسوله والمؤمنين الذين أخذوا بأسباب النصر وحسن التوكل وصدق الإيمان واليقين والإخلاص وإعداد العدة والصبر عند اللقاء، فكان النصر حليفًا لهم حتىٰ أن الله تعالىٰ أمر الملائكة أن تقاتل معهم بقيادة أمين وحي السماء جبريل عليه السلام، قال تعالىٰ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾﴾(٢)، وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾﴾(٣).

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية (٣/ ٧٢، ٧٣، ٧٤).

(٢) الأنفال: (٩).

(٣) الأنفال: (١٢).

رمضان ٣هـ:

وفي شهر رمضان في السنة الثالثة الهجرية جهز رسول الله ﷺ جيشه المبارك في المدينة لصد عدوان المشركين الذين كانوا يستعدون للثأر لقتلاهم في غزوة بدر.

رمضان ٥هـ:

وفي شهر رمضان من السنة الخامسة من الهجرة كان الاستعداد لغزوة الخندق «الأحزاب»(١) اهـ(٢).

وكان سببها أن اليهود لما رأوا انتصار المشركين علىٰ المسلمين يوم أحد وعلموا بميعاد أبي سفيان لغزو المسلمين، خرج أشرافهم كسلام بن أبي الحقيق وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع وغيرهم إلىٰ قريش بمكة يحرضونهم علىٰ غزو رسول الله ﷺ ويؤلبونهم عليه، فأجابتهم قريش وخرجوا معهم، ولما علم الرسول ﷺ بمسيرهم استشار الصحابة، فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق، فأمر الرسول ﷺ بحفره وكان النصر بفضل الله تعالىٰ ومن غير قتال، وكانت معركة فاصلة أصبح المسلمون بعدها هم الذين يَغْزُون ولا يُغْزَوْن في ديارهم.

٢٠ رمضان ٨ هـ: الفتح الأعظم «فتح مكة»:

في السنة الثامنة من الهجرة في العشرين من رمضان كان فتح مكة الذي أعز الله به دينه، ورسوله، وجنده، وحزبه الأمين، واستنقذ به بيته الذي جعله هدىً للعالمين من أيدي الكفار والمشركين، وهو الفتح الذي استبشر به أهل السماء وضربت أطناب عِزِّه علىٰ مناكب الجوزاء، ودخل الناس به في دين الله أفواجًا، وأشرق به وجه الأرض ضياءً وابتهاجًا، خرج له رسول الله ﷺ بكتائب الإسلام،

---

(١) وكانت في سنة خمس من الهجرة في شوال علىٰ أصح القولين.

(٢) زاد المعاد (٣/ ٢٦٩).

وجنود الرحمن[1]، ودخل ﷺ المسجد الحرام ثم قام ﷺ على باب الكعبة، وقال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ**».

وأمر رسول الله ﷺ بتحطيم الأصنام التي كانت حول الكعبة وكان عددها ستون وثلاثمائة صنم، وتلا ﷺ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾، وامتلأت قلوب المشركين بالرعب.

فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ بِكُمْ؟**» قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم. قال: «**فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**»[2] .

وأمر رسول الله ﷺ بلالًا أن يصعد فيؤذن على الكعبة.

فاللهم انصر الإسلام والمسلمين.

رمضان ١٥ هـ: معركة القادسية:

كانت في رمضان سنة خمس عشرة للهجرة بقياد سعد بن أبي وقاص.

رمضان ٩١، ٩٢هـ: فتح الأندلس:

كان في رمضان سنة ٩١، ٩٢هـ بقيادة طارق بن زياد.

رمضان ٢٦٤ هـ:

سقطت سرقوسة (من جزيرة صقلية) في يد المسلمين في ١٤ رمضان سنة ٢٦٤هـ، ٢١ مارس سنة ٨٧٨م، على يد جعفر بن محمد.

رمضان ٤٧٩هـ: معركة الزلاقة:

وهي في جنوب دولة أسبانيا - حاليًا - كانت في رمضان ٤٧٩ هـ.

(١) زاد المعاد المجلد الثالث صـ ٣٩٤.

(٢) أخرجه ابن هشام (٢/ ٤١٢) عن ابن إسحاق، حدثني بعض أهل العلم.

رمضان ٥٨٤هـ: موقعة حطين

بقيادة صلاح الدين.

فتح الكرم وصفد.

رمضان ٦٥٨هـ:

موقعة عين جالوت بقيادة السلطان قطز والقائد العسكري بيبرس.

رمضان ٦٦٦هـ:

فتح إنطاكية.

رمضان ٦٧٣هـ:

فتح أرمينيا الصغرىٰ.

رمضان ٧٩١هـ:

فتح البوسنة والهرسك.

رمضان ٨٢٧هـ:

فتح بلجراد عاصمة المجر (٢٥ رمضان) علىٰ يد السلطان العثماني سليمان القانوني.

رمضان ٨٢٩ هـ:

فتح جزيرة قبرص في عهد المماليك.

رمضان ١٣٩٣هـ:

سنة ١٣٩٣هـ العاشر من رمضان السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م مَنَّ الله علىٰ عباده المسلمين وجنوده الموحدين المصريين بهزيمة اليهود أعداء الدين، وامتلأت سماء سيناء بالتكبير والتهليل والحمد والثناء علىٰ رب الأرض والسماء.

❊ ❊ ❊

رمضان شهر فيه تسلسل الشياطين

روىٰ البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»(٢).

معنىٰ: «**سُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ**»، قال ابن حجر العسقلاني في «الفتح»:

«يحتمل أن يكون المراد من الشياطين مسترقو السمع منهم، وأن تسلسلهم يقع في ليالي رمضان دون أيامه؛ لأنهم كانوا منعوا في زمن القرآن من استراق السمع، فزيدوا التسلسل مبالغة في الحفظ.

ويحتمل أن يكون المراد أن الشياطين لا يخلصون من افتتان المسلمين إلىٰ ما يخلصون إليه في غيره، لاشتغالهم بالصيام الذي فيه قمع الشهوات، وبقراءة القرآن والذكر»(٣).

ومعنىٰ قوله: «**صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»:

أي: شدت بالأصفاد، وهي: الأغلال، وهو بمعنىٰ سلسلت، وقال عياض: يحتمل أنه علىٰ ظاهره وحقيقته، وأن ذلك كله علامة للملائكة لدخول الشهر وتعظيم حرمته، ولمنع الشياطين من أذىٰ المؤمنين، ويحتمل أن يكون إشارة إلىٰ كثرة الثواب والعفو، وأن الشياطين يقل إغواؤهم فيصيرون كالمصفدين.

---

(١) البخاري (فتح رقم الحديث ١٨٩٩) الباب(٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) فتح الباري (٤/ ١٣٦) ط الريان.

وقيل:أن اللفظ يحمل علىٰ ظاهره.

وقال القرطبي - بعد أن رجح حمله علىٰ ظاهره -: «فإن قيل: كيف نرىٰ الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرًا، فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟

فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ علىٰ شروطه وروعيت آدابه.

أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة لا كلهم.

أو المقصود تقليل الشرور فيه وهذا أمر محسوس، فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية؛ لأن لذلك أسبابًا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة، والعادات القبيحة، والشياطين الإنسية».

وقال غيره:في «تصفيد الشياطين في رمضان» إشارة إلىٰ رفع المكلف كأنه يقال له: قد كففت الشياطين عنك، فلا تعتل بهم في ترك الطاعة ولا فعل المعصية[(١)].

* * *

---

(١) انظر:المرجع السابق (٤/ ١٣٧).

تحذير المسلمين من اتباع خطوات الشياطين

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1].

يحذر الله جل في علاه الناس في هذه الآية من اتباع خطوات الشيطان، وهي طرائقه ومسالكه، وقال قتادة والسدي: نزغات الشيطان، وقال مجاهد: خطاياه، وقال قتادة والسدي: خطوات الشيطان: كل معصية لله فهي من خطوات الشيطان[2].

قال الماوردي[3]: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: جمع خطوة واختلف أهل التفسير في المراد بها علىٰ أربعة أقوال:

أحدها: أن خطوات الشيطان أعماله، وهو قول ابن عباس.

الثاني: أن خطوات الشيطان طاعته، وهو قول السُّدي.

الثالث: أن خطوات الشيطان خطاياه، وهو قول مجاهد.

الرابع: أن خطوات الشيطان النذور في المعاصي.

وقال السعدي[4]: ﴿خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾: أي طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر وفسوق وظلم...

وقال القرطبي[5]: والصحيح أن اللفظ عام في كل ما عدا السنن والشرائع

---

(١) البقرة: (١٦٨).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٣٣٤).

(٣) انظر: تفسير النكت والعيون لأبي الحسن البصري الشهير بالماوردي.

(٤) انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة عبد الرحمن السعدي صـ ٨٠.

(٥) انظر: تفسير القرطبي لأبي عبد الله محمد القرطبي (١/ ٥٨٨).

من البدع والمعاصي.

﴿إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾:

يقول أبو السعود[١]: هذا تعليل للنص، أي: ظاهر العداوة عند ذي البصيرة، وإن كان يظهر الولاية لمن يغويه، ولذلك سمي وليًّا في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾.

﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾:

يقول الرازي[٢]: الشيطان هو العدو المبين، وهو التزم أمورًا سبعة، أربعة منها في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ﴾، وثلاثة منها في قوله تعالىٰ: ﴿لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ۝١٧﴾.

فلما التزم الشيطان هذه الأمور كان عدوًّا متظاهرًا بالعداوة اهـ.

فعداوته بينة وكيف وهو الذي أخرج أبوينا آدم وحواء من الجنة وأكثر الشرور والمفاسد في الدنيا إنما هي بوسواسه وإغوائه اهـ[٣].

ولقد[٤] بين الله تعالىٰ في آيات كثيرة عداوات الشيطان للإنسان، فمن ذلك قوله تعالىٰ:

﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ۝١١٧﴾[٥].

---

(١) انظر: تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود (٢/ ١٠٦).

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي (٣/ ٥).

(٣) أيسر التفاسير للشيخ أبي بكر الجزائري (١/ ١٤٤).

(٤) انظر: مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة صـ ٢٤٩، ٢٥٠ الجزء الأول العدد التاسع ١٤٢٤هـ بتصرف.

(٥) طه: (١١٧).

وقال تعالىٰ بعد وسوسة الشيطان لآدم وحواء وأكلهما من الشجرة التي نهاهما الله عنها:

﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾[1].

يقول القرطبي[2] في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾: أخبر تعالىٰ بأن الشيطان عدو وخبره حق وصدق، فالواجب علىٰ العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو الذي قد أبان عداوته من زمن آدم، وبذل نفسه وعمره في إفساد أحوال بني آدم، وقد أمرنا الله تعالىٰ بالحذر منه، فقال جل من قائل: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾[3].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[4].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[5].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[6].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾[7].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾[8].

---

(١) الأعراف: (٢٢).

(٢) انظر: «تفسير القرطبي» (١/ ٥٨٨).

(٣) النساء (٦٠).

(٤) البقرة (٢٦٨).

(٥) المائدة (٩١).

(٦) فاطر (٦).

(٧) فاطر (٥).

(٨) يس (٦٠).

وإذا كان الأمر كذلك فعلىٰ الإنسان أن يبادل الشيطان نفس الشعور فيكون عدوًّا كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[1].

وأن يتيقظ له ولوساوسه، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾[2].

وأن يستعيذ بالله تعالىٰ عند نزغه، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾[3].

ومن ثم لا يقع الإنسان فريسة للشيطان ويسقط في شباك حبائله اهـ.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾:

استئناف بيان كيفية عداوته تفصيل لفنون شره وإفساده وانحصار معاملته معهم في ذلك.

والسوء في الأصل مصدر ساءه يسوؤه سوءًا ومساءة إذا أحزنه، يطلق علىٰ جميع المعاصي سواء كانت من أعمال الجوارح، أو إقبال القلوب لاشتراكها كلها في أنها تسوء صاحبها، والفحشاء أقبح أنواعها وأعظمها مساءة، ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ عطف علىٰ الفحشاء اهـ[4].

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ﴾.

قال السُّدي[5]: «السوء في هذا الموضع معاصي الله، سميت سوءًا لأنها تسوء

(١) فاطر: (٦).

(٢) الأعراف: (٢٠١).

(٣) الأعراف (٢٠٠).

(٤) انظر: تفسير أبو السعود (٢/ ١٠٦) «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا الكتاب الكريم».

(٥) تفسير الماوردي (١/ ١١٥).

صاحبها بسوء عواقبها.

والفحشاء ها هنا ثلاثة أقوال:

أحدها: الزنا.

الثاني: المعاصي.

الثالث: كل ما فيه الحد سمي بذلك لفحش فعله وقبح مسموعه» اهـ.

﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

فهذا كالتفصيل لجملة عداوته وهو مشتمل علىٰ أمور ثلاثة[1]:

أولها: السوء، وهو متناول جميع المعاصي سواء كانت تلك المعاصي من أفعال الجوارح أو من أفعال القلوب.

وثانيها: الفحشاء، وهي نوع من السوء؛ لأنها أقبح أنواعه، وهو الذي يستعظم ويستفحش من المعاصي.

وثالثها: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. وكأنه أقبح أنواع الفحشاء.

فصارت هذه الجملة كالتفسير لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾.

فيدخل في الآية أن الشيطان يدعو إلىٰ الصغائر والكبائر والكفر والجهل بالله. اهـ.

والآيات في ذلك كثيرة، واعلم أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم، فعن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ معتكفًا فأتيت أزوره ليلًا، فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبني[2]، - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا رسول الله ﷺ أسرعا،

---

(١) الفخر الرازي (٣/ ٥).

(٢) ليقلبني بفتح الباء: ليردني إلىٰ منزلي.

فقال النبي ﷺ «عَلَىٰ رِسْلِكُمَا إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ».

فقالا: سبحان الله يا رسول الله!

قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا» أو قال: «شَيْئًا»[(١)].

واعلم أن للشيطان طرقًا في إضلال الإنسان منها:

أ- تزيين الباطل: قال تعالىٰ: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[(٢)]، فالتزيين أولًا ثم الإغواء.

ب- دخوله إلىٰ النفس من أحب الأبواب إليها: يقول ابن القيم رحمه الله[(٣)]: «وهذا باب كيده الأعظم الذي يدخل منه علىٰ ابن آدم فإنه يجري منه مجرىٰ الدم حتىٰ يصادف نفسه ويخالطها ويسألها عما تحبه، فإذا عرفه استعان بها علىٰ العبد ودخل عليه من هذا الباب».

جـ - التدرج في الإضلال: قال تعالىٰ: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ﴾[(٤)].

فهذا نداء شفقة ورحمة من الرؤوف الرحيم إلىٰ عباده المؤمنين محذرًا لهم من اتباع طرق الشيطان ومسالكه، ومنبهًا علىٰ أنه يجب علىٰ العبد أن يغلق باب الطريق من أوله كي لا يتدرج معه في الغواية والضلال.

فالشيطان لا يأتىٰ للإنسان ويقول له: افعل هذه المعصية، أو: ارتكب هذه الفاحشة، وإنما يقربه منها خطوة خطوة، وقديمًا قالوا:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣) في باب الاعتكاف، مسلم (١٤٠٤).

(٢) الحجر: (٣٩).

(٣) انظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية ط، دار المنار (١ - ١١٢).

(٤) النور: (٢١).

نظرة، فابتسامة، فكلام، فموعد، فلقاء، فوقع المحذور، والعياذ بالله. اهـ[(١)] .

قال تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيۡنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

د - اتباع الهوىٰ: اتباع الهوىٰ يُعمي عن الحق ومعرفة القصد، قال تعالىٰ:

﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[(٢)] .

قال ابن عباس رضي الله عنهما:

«ما ذكر الله هوًىٰ في القرآن إلا ذمه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ﴾[(٣)] .

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴿٢٨﴾﴾[(٤)] .

وقال تعالىٰ: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾[(٥)] .

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾[(٦)] .

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾[(٧)] ».

وقال ابن مسعود رضي الله عنه[(٨)]: «أنت في زمان يقود الحقُّ الهوىٰ، وسيأتي زمان يقود الهوىٰ الحقَّ».

فالهوىٰ - أيها الأحبة - ملك ظلوم غشوم جهول يهوي بصاحبه إلىٰ الشر

---

(١) انظر: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، للشيخ وحيد عبد السلام بالي، ط دار البشير، القاهرة صـ١٥٨ بتصرف يسير.

(٢) ص: (٢٦).

(٣) الأعراف: (١٧٦).

(٤) الكهف: (٢٨).

(٥) الروم: (٢٩).

(٦) القصص: (٥٠).

(٧) ص: (٢٦).

(٨) القرطبي (٩/ ٢٠٨).

والضياع في الدنيا، والهلاك في الآخرة، فليس أخطر علىٰ العبد من هواه.

قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: أَمَّا الثَّلَاثُ الْـمُهْلِكَاتُ: فَشُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًىٰ مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْـمَرْءِ بِنَفْسِهِ.

وَأَمَّا الثَّلَاثُ الْـمُنْجِيَاتُ: فَخَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَىٰ، وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا»[١].

فلو انقاد الإنسان لهواه لزينت له نفسه جلسة الفارغين وجلسة البطالين، وزُين له تحلل المتحللين، والبعد عن منهج رب العالمين وهو لا يدري أنه يقتل نفسه باتباع هواه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ:

«اتباع الهوىٰ يمنع الانتفاع بالموعظة»[٢].

وقال أيضًا: «العبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، فأرته نفسه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل»[٣].

فالإنسان مجموع أيام، فإذا انقضىٰ يوم من أيامه استدبر به الدنيا واستقبل الآخرة كما كان لقمان[٤] يقول لابنه:

«أي بني، إنك من يوم أن نزلت إلىٰ الدنيا استدبرت الدنيا واستقبلت الآخرة، فأنت إلىٰ دار تقبل عليها أقرب من دار تبتعد عنها» اهـ.

---

(١) رواه البزار والبيهقي والحاكم والحديث حسن بمجموع طرقه، حسنه العلامة الألباني في الصحيحة رقم (١٨٠٢)، وفي صحيح الجامع (٣٠٤٥)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر.

(٢) مدراج السالكين (١/ ٤٨٣).

(٣) المرجع السابق (١/ ٤٨٣).

(٤) انظر: خطب شيخنا محمد حسان المجلد الثاني صـ ١٣ باختصار وتصرف يسير.

فعلىٰ الإنسان أن يحذر من اتباع الهوىٰ، فهو مدخل من مداخل الشيطان، فعليه أن يتغلب عليه ويكبح جماحه، قال تعالىٰ:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[(١)].

يقول سيد قطب رحمه الله: «والذي يخاف مقام ربه لا يقدم علىٰ معصية، فإذا أقدم عليها بحكم ضعفه البشري قاده خوف هذا المقام إلىٰ الندم والاستغفار والتوبة، فظل في دائرة الطاعة».

قال ابن القيم: «من عود نفسه مخالفة الهوىٰ غلبه متىٰ أراد»[(٢)].

هـ - الأمن من مكر الله: بعض الناس يسرف علىٰ نفسه بالذنوب والمعاصي والآثام، فإذا نصحه أحد كان الرد: ﴿ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فمثلًا بعضهم يشرب الدخان ويفعل المعاصي، فإذا وجه أحد له نصحًا، قال له: «ربك رب قلوب، الله غفور رحيم» ولقد نسي هذا المسكين أن عذابه هو العذاب الأليم.

قال ابن القيم رحمه الله:

«وكثير من الجهال اعتمدوا علىٰ رحمة الله وعفوه، وكرمه وضيعوا أمره ونهيه ونسوا أنه شديد العقاب، وأنه لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، ومن اعتمد علىٰ العفو مع الإصرار علىٰ الذنب، فهو كالمعاند.

قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه من الخذلان والحمق» اهـ[(٣)].

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[(٤)].

---

(١) النازعات: (٤٠، ٤١).

(٢) عدة الصابرين صـ١١.

(٣) الداء والدواء لابن قيم الجوزية صـ ٢٥.

(٤) الحجر: (٥٠).

وقال تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[1].

والأمن من مكر الله يورث الغفلة، والغفلة تورث التهاون، وما أدراك ما التهاون، هو سلم الشيطان، هو سبب من أسباب الخسران، فمن تهاون في أمر من أوامر الله جره الشيطان إلىٰ ما هو أكبر منه، وهكذا يوقعه في شباك المعاصي.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾﴾[3].

وبعض الناس لا تزيد نعم الله عليه إلا عصيانًا وتكبرًا وإعراضًا وضلالًا ولا يزيد حلم الله عليه وستر الله عليه إلا تماديًا واستخفافًا وإعراضًا.

ويظن أن الله عز وجل ما أنعم عليه بهذه النعم إلا لأنه يحبه، ولولا أنه أهل لهذه النعم ما أنعم عليه بها مع أنه مقيم علىٰ المعاصي بل ومصر عليها ومقصر في الطاعات، فهو لا يصلي ولا يزكي ولا يتحرىٰ الحلال.

وربما اتكل بعض المغترين علىٰ ما يرىٰ من نعم الله عليه في الدنيا، وأنه لا يغير ما به ويظن ذلك أنه من محبة الله له، وأنه سيعطيه في الآخرة أفضل من ذلك، وهذا من الغرور.

ونسي هذا المسكين أن هذا استدراج له من رب العباد، كما قال سيد المرسلين وإمام الموحدين من حديث عُقبة بن عامر أنه ﷺ قال:

«إِذَا رَأَيْتَ اللهَ تَعَالَىٰ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ فَاعْلَمْ أَنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ».

---

(١) الأعراف: (٩٩).

(٢) المعارج: (٢٧، ٢٨).

(٣) الفجر: (٢٥).

ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ (١)(٢).

ونسي هذا المسكين أن الله عز وجل يُمهل ولا يهمل، كما في «الصحيحين» من حديث أبي موسىٰ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**»، وَقَرَأَ الرَّسُولُ ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ (٣)(٤).

وقال بعض السلف:

«رب مستدرج بنعم الله عليه وهو لا يعلم، ورب مغرور بستر الله عليه وهو لا يعلم، ورب مفتون بثناء الناس عليه وهو لا يعلم».

فالواجب علىٰ العاقل أن يحذر مغبة المعاصي، فإن نارها تحت الرماد وربما تأخرت العقوبة، ثم فجأت، وربما جاءت مستعجلة، فليبادر بإطفاء ما أوقد من نيران الذنوب، ولا ماء يطفي تلك النار إلا ما كان من عين العين لعل خصم الجزاء يرضىٰ قبل أن يبيت الحاكم في حكمه».

---

(١) الأنعام: (٤٤، ٤٥).

(٢) رواه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي في شعب الإيمان، وصححه الألباني في الصحيحة (٤١٤)، وهو في صحيح الجامع حديث رقم (٥٦١).

(٣) هود: (١٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٢٦٧) في التفسير باب قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ومسلم رقم (٢٥٨٣) في البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، والترمذي رقم (٣١٠٩) في التفسير باب ومن سورة هود، وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٠١٨) في الفتن باب العقوبات.

و- صده عن الصراط المستقيم[١]: قال تعالىٰ علىٰ لسان الشيطان: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[٢].

ي - تزيين المعاصي والإغواء: قال تعالىٰ علىٰ لسان الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾﴾[٣].

س - الصد عن الإنفاق والأمر بالفحشاء قال تعالىٰ: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[٤].

ش - الإضلال والافتراء علىٰ الله: قال تعالىٰ علىٰ لسان الشيطان: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾[٥].

د - إيقاع العداوة والبغضاء بين الناس وصدهم عن ذكر الله والصلاة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِي ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾[٦] اهـ.

ذ - القنوط من رحمة الله: فإذا لم يستطع الشيطان أن يدخل للعبد من باب الأمن من مكر الله شدد عليه الأمر حتىٰ ييأس ويقنط من رحمة الله، فيقول له: إن ذنوبك كثيرة وعظيمة لا يمكن أن تُغفر ولا يمكن أن تدركك رحمة الله،

---

(١) انظر: مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة صـ ٢٤٩، ٢٥٠ باختصار العدد التاسع.

(٢) الأعراف الآيتان (١٦، ١٧).

(٣) الحجر الآية (٣٩).

(٤) البقرة: (٢٦٨).

(٥) النساء الآيتان (١١٨، ١١٩).

(٦) المائدة: (٩١).

فيظل خلف العبد حتىٰ يقنط، فإذا قنط قال له:

إذًا فتمتع من الدنيا بما تشاء قبل الموت ما دمت داخلًا النار لا محالة، بهذه الطريقة يستدرج العبد حتىٰ ينطلق في المعاصي والشهوات، والملذات والفجور حتىٰ ينتهي عمره ويموت علىٰ المعصية والعياذ بالله.

فعلىٰ العبد أن يسد هذا المدخل بتذكر رحمة الله التي وسعت كل شيء، فالله يقبل توبة الكافر إذا تاب وأسلم، فكيف لا يقبل توبة المسلم إذا أذنب، وقد قيل:

يا كثير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر

ذنبك أعظم الأشياء في جانب عفو الله يغفر

﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[1] ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[2].

سبحانه غفر لمن قتل مائة، أفلا يغفر لك؟

سبحانه غفر لمن زنا وهو محصن، أفلا يغفر لك؟

سبحانه غفر لمن قتل حمزة - عم النبي ﷺ - أفلا يغفر لك؟

ومن الذي لم تصدر منه ذلة؟

ومن الذي لم يقع في هفوة؟

ومن الذي لم يقع في معصية؟

وقد قال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ اللهُ لَهُمْ**»[3].

---

(١) الأنفال: (٣٨).

(٢) الزمر: (٥٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه.

فأي نفس - عباد الله - غير نفوس الأنبياء والرسل معصومة! فعليك أن تحذر من اليأس والقنوط، فهما من حيل الشيطان وشبكة من شباكه، فلا تيأس وإن عظم ذنبك وكثرت معاصيك، فإن عفو الله أعظم ولكن تب وارجع إلىٰ ربك وقل (١):

يـا رب إن عظمـت ذنـوبي كثـرة ... فلقـد علمـت بـأن عفـوك أعظـمُ
إن كـان لا يرجـوك إلا محسـن ... من ذا الـذي يـدعو ويرجـو المجرمُ
مـا لي إليـك وسـيلة إلا الرجـا ... وجميـل عفـوك ثـم إني مـسلمُ

❊ ❊ ❊

إلهـي لا تعـذبني فـإني ... مقـر بالـذي قـد كـان منـي
ومـا لي حيلـة إلا رجـائي ... وعفـوك إن عفـوت وحـسن ظنـي
فكـم مـن ذلـة لي في البرايـا ... وأنـت علـيَّ ذو فـضل ومـن
إذا فكـرت في نـدمي عليهـا ... عضـضت أنـاملي وقرعـت سـني
يظـن النـاس بي خـيرًا وإني ... لـشر النـاس إن لم تعفـو عنـي

❊ ❊ ❊

(١) انظر: وقاية الإنسان من الجن والشيطان، للشيخ وحيد عبد السلام بالي صـ ٢٢٥، ٢٢٨ بزيادات واختصار وتصرف.

اعرف عدوك

تعرفنا عن بعض مكائد إبليس وفتنه وتلبيسه علىٰ الناس والآن هذه بعض المعلومات عن هذا العدو اللدود من خلال أوراقه الشخصية[١]:

الاسم: إبليس الملعون.

البلدة: قلوب الغافلين والكافرين.

العشيرة: الطواغيت.

المكان الدائم: جهنم وبئس المصير.

الدرجة: كافر وفاسق من الدرجة الأولىٰ.

الأقطار: التي لا يُذكر فيها اسم الله.

طريق الرحلة: المسارات العوجاء وطريق الذلل.

رأس المال: الأماني الكاذبة.

المجلس: الأسواق.

المرافقون: الكفرة والمغيرون لشرع الله وشياطين الإنس والجن.

أعداء الرحلة: المسلمون.

الدليل: السراب.

شعار العمل: النفاق سيد الأخلاق.

لباس العمل أو الزي: جميع الألوان كالحرباء لكل مكان لون.

زوجة الدنيا: الكاسيات العاريات.

---

(١) نقلًا من موقع وزارة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية بالأردن البريد الإلكتروني.
info@awqaf.qov.jo

يحب من؟: الغافلين عن ذكر الله.

يزعجه: الاستغفار.

كتابته: الوشم.

بيته: الخلاء والحمام والصحاري وشواطئ البحار.

صفته: مذبذب حسب المفسدة.

بداية ظهوره: يوم أن رفض السجود لآدم.

زملاؤه: المنافقون والكافرون والمشركون.

نصائحه: يأمر بالمنكر ويرغب فيه وينهىٰ عن المعروف.

مصدر رزقه: المال الحرام.

غرفة عملياته: الأماكن النجسة وأماكن المعاصي.

خدماته: يأمر بالمنكر ويرغب فيه.

أوامره: يأمر بالفحشاء.

الديانة: الكفر.

الوظيفة: مدير عام المغضوب عليهم والضالين.

مدة الخدمة: إلىٰ يوم القيامة.

مكافأة نهاية الخدمة: نار تلظىٰ.

جهة السفر النهائي: صراط الجحيم.

أرباح التجارة: هباءً منثورًا.

رفيق الرحلة: شياطين الإنس والجن.

رفيق العمل: الساكت عن الحق.

نوع الركوبة: الكذب.

الأجرة: مأزور هو وأتباعه.

جهاز الاتصال: الغيبة والنميمة والتجسس.

الطعام المفضل: لحم الأموات «الغيبة».

يخاف ممن؟: المؤمن التقي.

يكره من؟: الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

الدفاع: إن كيد الشيطان كان ضعيفًا.

مصائده: النساء.

هوايته: الغواية والضلالة.

أمنيته وهدفه الأسمىٰ: أن يكفر الناس جميعًا.

نهايته: يوم الوقت المعلوم.

أفضل عمل له: اللواط والسحاق والزنا.

كلمة السر لأتباعه: «أنا» كلمة المتكبرين.

من مطربوه؟: الفنانون والفنانات.

وعوده: يعدكم الفقر.

ما يبكيه: كثرة السجود. اهـ.

وهذا حوار للإنسان مع الشيطان(١):

قال عبد الله بن آدم: حاورت الشيطان الرجيم في الليل البهيم، فلما سمعت أذان الفجر أردت الذهاب إلىٰ المسجد.

فقال لي: عليك ليل طويل فارقد.

---

(١) من مقامات القرني لفضيلة د/ عائض بن عبد الله القرني «حوار مع الشيطان» نقلًا من موقع طريق الإسلام www.islamway.com باختصارات وزيادات يسيرة.

قلت: أخاف أن تفوتني الفريضة.

قال: الأوقات طويلة وعريضة.

قلت: أخشىٰ ذهاب صلاة الجماعة.

قال: لا تشدد علىٰ نفسك في الطاعة.

فما قمت حتىٰ طلعت الشمس.

فقال لي في همس: لا تأسف علىٰ ما فات، فاليوم كله أوقات.

وجلست لآتي بالأذكار ففتح لي دفتر الأفكار.

فقلت: أشغلتني عن الدعاء.

قال: دعه إلىٰ المساء.

وعزمت علىٰ المتاب.

فقال: تمتع بالشباب.

قلت: أخشىٰ الموت.

قال: عمرك ممدود لا تخشىٰ الفوت.

وجئت لأحفظ المثاني.

قال: روح نفسك بالأغاني.

قلت: هي حرام.

قال: لبعض العلماء كلام!!

قلت: أحاديث التحريم عندي في صحيفة.

قال: كلها ضعيفة.

ومرت حسناء فغضضت البصر.

قال: ماذا في النظر؟

قلت: فيه خطر.

قال: تفكر في الجمال فالتفكر حلال والله جميل يحب الجمال.

وذهبت لسماع الدروس ومجالسة الأخيار.

قال: ركبت الأخطار وأنت في طريقك إلىٰ الاغترار.

قلت: لابد من إصلاح الأحوال.

قال: الجنة لا تُدخل بالأعمال.

قلت: أنا ذاهب لألقي نصيحة.

قال: لا تجر إلىٰ نفسك فضيحة.

قلت: هذا نفع للعباد.

فقال: أخشىٰ عليك من الشهرة وهي رأس الفساد.

قلت: فما رأيك في المقاهي؟

قال: نرحب فيها بكل لاهي.

قلت: فما هو ذكركم؟

قال: الأغاني.

قلت: كيف تضل الناس؟

قال: بالشهوات والشبهات والملذات والملهيات والأمنيات والأغنيات.

قلت: كيف تضل النساء؟

قال: بالتبرج والسفور وترك المأمور والبعد عن منهج الرسول ﷺ.

قلت: فكيف تضل العلماء؟

قال: بحب الظهور والعُجب والغرور وحسد يملأ الصدور.

قلت: كيف تضل العامة؟

قال: بالغيبة والنميمة والأحاديث السقيمة وما ليس له قيمة.

قلت: كيف تضل التجار؟

قال: بالربا والغش في المعاملات ومنع الصدقات والإسراف في النفقات.

قلت: كيف تضل الشباب؟

قال: بالغزل والهيام والعشق والغرام والاستخفاف بالأحكام وتضييع الأيام وفعل الحرام.

قلت: فما رأيك في الدعاة؟

قال: عذبوني وأتعبوني وبهذلوني وشيبوني، يهدمون ما بنيت، ويقرأون إذا غنيت ويستعيذون إذا أتيت.

قلت: فماذا تقول لشارب البانجو والخمور؟

قال: قلت له: اشرب فإنها تذهب الهموم وتزيل الغموم وباب التوبة معلوم.

قلت: فماذا يقتلك؟

قال: آية الكرسي، منها تضيق نفسي، ويطول حبسي، وفي كل بلاء أمسي.

قلت: فما أحب الناس إليك؟

قال: المغنون والشعراء الغاوون وأهل المعاصي والمجون وكل خبيث مفتون.

قلت: فما أبغض الناس إليك؟

قال: أهل المساجد وكل راكع وساجد وزاهد وعابد وكل مجاهد.

قلت: أعوذ بالله منك فاختفىٰ وغاب، كأنما ساخ في التراب، وهذا جزاء الكذاب.

فعليك أيها الحبيب أن تحذر من أساليب الشيطان الملعون وأن تنتبه إلىٰ حيله وطرقه التي يضل بها الإنسان وعليك أن تجاهده.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كمال النصرة علىٰ العدو بحسب كمال الاعتصام بالله»[١].

* * *

(١) مدارج (١/ ٢٠٠).

بعض تحصينات الإنسان ضد الشيطان[(١)]

١- الإخلاص:

إن تحقيق الإخلاص هو سبيل الخلاص من الشيطان باعترافه هو، حيث يقول تعالىٰ علىٰ لسانه: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠﴾[(٢)].

فقد اعترف الشيطان بعجزه عن إغواء المخلصين.

٢ - الاستعاذة بالله والاستعانة به من الشيطان الرجيم:

قال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٣٦﴾[(٣)].

وفي «صحيح البخاري» عن عدي بن ثابت عن سليمان بن صرد رضي الله عنه، قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ ورجلان يَسْتبَّان فأحدهما احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال النبي ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ**»[(٤)].

اعلم أنك لن تستطيع أن تتغلب علىٰ الشيطان إلا بعون من الله وتوفيقه إياك، رُوي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد، قال: أجاهده.

قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: هذا يطول.

---

(١) التفسير القيم للإمام ابن القيم جمع محمد أويس الندوي ط الصفا صـ ٤٩٤، ووقاية الإنسان من الجن والشيطان، للشيخ/ وحيد عبد السلام بالي. باختصار.

(٢) الحجر: (٣٩- ٤٠).

(٣) فصلت: (٣٦).

(٤) متفق عليه: بخاري (٣٢٨٢) كتاب بدء الخلق، ومسلم (٢٦١٠) كتاب البر الصلة والأدب.

أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع؟

قال: أكابده وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك.

٣- سورة «البقرة»:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، فَإِنَّ الْبَيْتَ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ «الْبَقَرَةِ» لَا يَدْخُلُهُ شَيْطَانٌ»(١).

٤- آية الكرسي(٢):

عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جُرن من تمر، فكان ينقص، فحرسه ذات

(١) رواه أحمد (٢/ ٣٦٧)، ومسلم (٣/ ٦٨ نووي)، والترمذي (٤/ ٢٣٢)، وقال: حسن صحيح.

(٢) هذه الآية المباركة لها شأن عظيم وقدر رفيع إذ هي أعظم آي القرآن شأنًا وأفضلها قدرًا وأرفعها مكانة، وليس في القرآن آية أعظم منها، فقد صح الحديث عن رسول الله ﷺ بأنها أفضل آية في كتاب الله، روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قال: قلت: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ قال: فضرب في صدري، وقال: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» [صحيح مسلم (٨١٠)].

أي: هنيئًا لك هذا العلم الذي ساقه الله إليك ويسره لك ومنَّ عليك به، وأقسم ﷺ على ذلك بالله تعلية لهذا الشأن وتفخيمًا لهذا المرام.

وهذه الآية الكريمة المباركة متكونة من عشر جمل فيها من توحيد الله وتمجيده وتعظيمه وبيان تفرده بالكمال والجلال ما يحقق لمن قرأها الحفظ والكفاية، وفيها من أسماء الله الحسنى خمسة أسماء، وفيها من صفات الله ما يزيد على العشرين صفة.

فهي آية تحوي درسًا مختصرًا وتقريرًا مفيدًا وبيانًا نافعًا للتوحيد بأنواعه الثلاثة، وجمعت من تقرير التوحيد وبيانه ما لم يأت مجتمعًا في آية أخرى غيرها، وإنما جاء مفرقًا في آيات.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

«فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العُلا». [تفسير السعدي صـ ١١٠].

انظر آية الكرسي وبراهين التوحيد، تأليف عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر صـ ٤، ٦، ١٣، ١٧ باختصار.

ليلة، فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم، فسلَّم عليه فردَّ عليه السلام، فقال: ما أنت؟ جني أم إنسي؟ قال: جني. قال: فناولني يدك. فناوله يده فإذا يده يد كلب وشعره شعر كلب، قال: هذا خلق الجن. قال: قد علمت الجن أن ما فيهم رجلًا أشد منّي. قال: فما جاء بك؟ قال: بلغني أنك تحب الصدقة، فجئنا نُصيب من طعامك. قال: فما ينجينا منكم. قال: هذه الآية التي في سورة «البقرة»: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ من قالها حين يمسي أجير منا حتىٰ يصبح، ومن قالها حين يصبح أجير منا حتىٰ يمسي، فلما أصبح أتىٰ رسول الله ﷺ فذكر ذلك له فقال: «صَدَقَ الْـخَبِيثُ»(١).

٥- تحصين الأهل والأولاد والأموال:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَىٰ أَهْلَهُ قَالَ: بِسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**»(٢).

٦- الأذكار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ**»(٣).

---

(١) رواه النسائي والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٤١٨).

(٢) رواه البخاري (١/ ٢٤٢) فتح، ومسلم (١٠/ ٥، نووي).

(٣) رواه مالك (١/ ٢٠٩)، والبخاري (٦/ ٣٣٨ فتح) ومسلم (١٧ / ١٧ نووي).

٧- المحافظة على صلاة الجماعة:

إن التهاون في صلاة الجماعة يُجرئ الشيطان على الإنسان، فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الْغَنَمِ الْقَاصِيَةَ**»(١).

وقال تعالىٰ: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾(٢).

٨- الالتزام بالكتاب والسنة:

يقول د/ الأشقر: «أعظم سبيل للحماية من الشيطان هو الالتزام بالكتاب والسنة عملًا وعلمًا، فالكتاب والسنة جاءا بالصراط المستقيم، والشيطان يجاهد كي يخرجنا عن هذا الصراط، قال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾(٣).

وقد شرح الرسول ﷺ هذه الآية وبينها، فقد خط رسول الله ﷺ خطًّا بيده، ثم قال: «**هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا**» وخط عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «**هَذِهِ السُّبُلُ لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾(٤).

٩- الأذان طارد للشيطان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ**

---

(١) رواه أبو داود (١/ ١٥٠) بسند حسن.

(٢) المجادلة: (١٩).

(٣) الأنعام: (١٥٣).

(٤) رواه أحمد والحاكم وصححه النسائي، قلت: وسند أحمد صحيح.

وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ أَقْبَلَ حَتَّىٰ إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلَاةِ أَدْبَرَ حَتَّىٰ إِذَا قُضِيَ التَّثْوِيبُ أَقْبَلَ»(١).

١٠- ذكر الله عند دخول البيت:

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا وَلَجَ - أي دخل - الرَّجُلُ بَيْتَهُ، فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلَجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا، وَعَلَىٰ اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا. ثُمَّ يُسَلِّمْ عَلَىٰ أَهْلِهِ»(٢).

١٢- ذكر الله عند الطعام والشراب:

عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ، وَإِذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ، وَإِذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ الْمَبِيتَ وَالْعَشَاءَ»(٣) اهـ.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٨٤ فتح) ومسلم (٤/ ٩١ - نووي).

(٢) رواه أبو داود (٤/ ٣٢٥)، وقال الألباني: إسناده صحيح (تخريج الكلم الطيب تعليق رقم ٤٣).

(٣) رواه مسلم (١٣/ ١٩٠) نووي.

احذر شياطين الإنس

فهم أشد خطرًا وأكثر ضررًا وأشد فتكًا من شياطين الجن، فمنهم من يحبب إليك الرذيلة بأي مصطلح وتحت أي مسمىٰ، فإياك ومصاحبة هؤلاء.

قال ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»[(١)].

وقال الشاعر:

إذا كنتَ في قومٍ فصاحب خيارهم ... ولا تصحب الأردىٰ فتردىٰ مع الردي

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي

واعلم أنهم لن يتركوك وخصوصًا أن من ورائهم شياطين الجن تؤزهم إلىٰ المعاصي أزًّا، وتدفعهم دفعًا وتسوقهم سوقًا، فابتعد عنهم، ولا تجلس معهم وتخلص من جميع أطلال الماضي التي تربطك بهم، وأزل كل ما يذكرك بهم كرقم الهاتف والعناوين.. إلخ.

فهم رفقاء سوء، قال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[(٢)]، فرفيق السوء هو الذي يأتيك وأنت مهتدٍ ومتجه إلىٰ الله ﷻ تريد التوبة والاستقامة والهداية، فلا يتركك حتىٰ يضلك، فمثلًا:

يثقلك عن الصلاة في جماعة ويثبط عزمك، ويدعوك إلىٰ المنكرات والحرام، فمثلًا يقدم لك سيجارة أو مجلة خليعة أو يأخذك إلىٰ السينما أو المقهىٰ أو يقدم لك شريط غناء.

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وحسنه الألباني.

(٢) الزخرف: (٦٧).

ومنهم من يضيع لك وقتك بالغيبة والنميمة والوقيعة في أعراض الناس، ومنهم من يصدك عن مجالس العلم والدعوة والخير، ويحذرك من العلماء والدعاة ويصفهم بالتزمت ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾[1] فاحذرهم فهم قطاع طريق.

* * *

(١) الكهف: (٥).

ومن فضائله أن الله تعالى فرض فيه الصوم، والصوم من أجل الأعمال

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾.

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

وصوم رمضان أحد أركان الإسلام الخمسة، قال ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا»[١].

وللصوم أجر عظيم لا يعلمه إلا الله عز وجل حيث أضافه لنفسه تشريفًا لقدر الصيام، وتعريفًا بعظيم فخره، قال ﷺ: «قَالَ اللهُ عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ[٢] إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ[٣]، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ[٤]، وَالَّذِي

---

(١) متفق عليه.

(٢) أي: له أجر محدود «إِلَّا الصَّوْمَ» فأجره بدون حساب، ويشهد لهذا المعنىٰ رواية مسلم الآتية بلفظ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: إِلَّا الصَّوْمَ».

(٣) بضم الجيم: كل ما ستر، ومنه «المجن» وهو الترس، ومنه سمي الجن لاستتارهم عن العيون، وإن كان الصوم جُنة لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات كما في الحديث «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ» قال ابن الأثير في «النهاية»: معنىٰ كونه: «جُنة» أي: يقي صاحبه ما يؤذيه من الشهوات.

(٤) يحتمل أن يكون كلامًا لسانيًا ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالبًا، ويحتمل أن يكون كلامًا نفسانيًا أي: يحدث به نفسه ليمنعها من مشاتمته.

قلت: والراجح الأول، قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«والصحيح أن يقول بلسانه كما دل عليه الحديث، فإن القول المطلق لا يكون إلا باللسان، وأما ما في النفس فمقيد كقوله «عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا»، ثم قال: «مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ».

=

نَفْسُ مُحَمَّدٍ ﷺ بِيَدِهِ لَـخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا، إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»[١].

فائدة:

في الحديث السابق يقول المصطفىٰ ﷺ: «.. لَـخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْـمِسْكِ».

الجزاء من جنس العمل:

وذلك لأن الصيام سر بين العبد وبين ربه في الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق؛ ليشتهر بذلك أهل الصيام ويعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لإخفائهم صيامهم في الدنيا، فالجزاء من جنس العمل[٢].

الريان للصائمين:

من فضائل الصيام أن الله تعالىٰ أعد للصائمين بابًا في الجنة يقال له: الريان، لا يدخل منه إلا الصائمون كما جاء في الحديث عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ. فَيَقُومُونَ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»[٣].

فالكلام المطلق إنما هو الكلام المسموع، فإذا قال بلسانه: «إِنِّي صَائِمٌ» بيّن عذره في إمساكه عن الرد، وكان أزجر لمن بدأه بالعدوان.

(١) أي: بجزائه وثوابه، ففي رواية لأحمد (٢/ ٢٣٢): «وَإِذَا لَقِيَ اللهَ فَجَزَاهُ فَرِحَ» وسنده صحيح علىٰ شرط مسلم، وقد أخرجه في صحيحه (٣/ ١٥٨) انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني المجلد الأول حديث رقم (٩٧٨) صـ ٥٧٤.

(٢) الجزاء من جنس العمل د/ سيد العفاني باختصار (١/ ٥٤٢).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٧)، ومسلم.

فـائـدة:

تدبر معي يا أخي مسمىٰ الباب «الريان» من الري، والري ضد الظمأ، مسمىٰ الباب يبعث علىٰ الري وأول الغيث قطرة.

إن ذكر الماء في الصحراء يقلل من شدة العطش، فما ظنك بالداخل؟[(١)].

وقيام وصيام رمضان إيمانًا واحتسابًا له يغفر جميع ما تقدم من الذنوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**[(٢)].

ومعنىٰ: **«إيمَـانًا وَاحْتِسَابًا»** أي: نية وعزيمة وهو أن يصومه علىٰ التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له ولا مستثقل لصيامه ولا مستطيل لأيامه، لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب[(٣)]، وقال البغوي: «قوله: «**احتسابًا**» أي: طلبًا لوجه الله تعالىٰ وثوابه».

وفي رمضان ليلة هي أفضل من ألف شهر، وهي ليلة القدر، الليلة العظيمة المباركة، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:

دخل رمضان، فقال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ هَذَا الشَّهْرَ قَدْ حَضَرَكُمْ وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الخَيْرَ كُلَّهُ وَلَا يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلَّا مَحْرُومٌ»**[(٤)].

فالصيام من أجل الأعمال عند الله تعالىٰ وله أجرٌ عظيم لا يعلم مداه إلا الله،

---

(١)المرجع السابق (١/ ٥٤٥) باختصار.

(٢)رواه البخاري (٣٥)، ومسلم (٧٦٠).

(٣)هذا تعريف الإمام الخطابي انظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني صـ ٤٨٧.

(٤)رواه ابن ماجه وإسناده حسن، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب صـ٥٨٦.

ففي رواية لمسلم [١]:

«كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِـهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ...» الحديث.

ومن صام يومًا في سبيل الله بعد الله عن وجهه النار سبعين خريفًا فكيف بمن صام شهرًا كاملًا؟

قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ الْيَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا» [٢].

والصيام يشفع للعبد يوم القيامة حتىٰ يدخله الجنة، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ الصِّيَامُ: أَيْ رَبِّ مَنَعْتُهُ الطَّعَامَ وَالشَّهْوَةَ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، وَيَقُولُ الْقُرْآنُ: مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ فَشَفِّعْنِي فِيهِ، قَالَ: فَيُشَفَّعَانِ» [٣].

ومن ختم له بصيام يوم ابتغاء وجه الله دخل الجنة، ففي الحديث عن حذيفة رضي الله عنه قال: أسندت النبي ﷺ إلىٰ صدري، فقال: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ حَسَنٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ صَامَ يَوْمًا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ خُتِمَ لَهُ بِهَا دَخَلَ الجَنَّةَ» [٤].

* * *

---

(١) رواه مسلم (٢/ ٨٠٧).

(٢) رواه مسلم (٦٠٩).

(٣) رواه أحمد (٢/ ١٧٤)، والطبراني في الكبير ورجاله يحتج بهم في الصحيح، ورواه الحاكم، وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٨٤/ ص ٥٧٩).

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣٩١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٥) - (٨) صـ٥٧٩.

الصيام جنة

قال رسول الله ﷺ: «وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنْ عَذَابِ اللهِ»[(١)].

وقال ﷺ: «الصَّوْمُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ»[(٢)].

وقال ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: الصِّيَامُ جُنَّةٌ يَسْتَجِنُّ بِهَا الْعَبْدُ مِنَ النَّارِ، وَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[(٣)].

وقال ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ»[(٤)].

الجُنة - بضم الجيم -: الوقاية والستر، أي: ستر ووقاية يقي صاحبه المعاصي وجميع المزالق التي قد يتردىٰ فيها.

قال ابن العربي: «إنما كان الصوم جنة من النار؛ لأنه إمساك عن الشهوات والنار محفوفة بالشهوات».

وقال الشيخ عمر الأشقر: «الصيام جُنة ووقاية يقي العبد الذنوب والمعاصي والبغيض من الكلام والسيئ من الفعال وبذلك يتقي العبد النار».

وقال العلامة المناوي في «فيض القدير»: «الصوم وقاية في الدنيا من المعاصي بكسر الشهوة؛ لأنه يقمع الهوىٰ ويردع الشهوات التي هي من أسلحة الشيطان»[(٥)].

---

(١) صحيح: رواه البيهقي في شعب الإيمان عن عثمان بن أبي العاص، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة، وابن حبان وصححه السيوطي والألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٦٨).

(٢) صحيح: رواه الطبراني في الكبير عن عثمان بن أبي العاص، ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان وصححه السيوطي، وقال الهيثمي: سنده حسن، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٨٦٨).

(٣) حسن: رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن جابر وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٣٠٨).

(٤) رواه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي هريرة وصححه السيوطي، وقال المناوي في فيض القدير (٤/ ٢٥٠)، قال الهيثمي: هو في الصحيح خلا قوله «وحصن» إلخ، وسنده حسن، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٨٠).

(٥) انظر: فيض القدير (٤/ ٢٧٨).

قال ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ - مرتين -»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ، وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ - مرتين -»(٢).

الصيام جُنة وهو حصن من حصون المؤمن»(٣).

* * *

(١) رواه أحمد والبخاري صحيح الجامع (٣/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٩٤، ١٩٠٤، ٥٩٢٧، ٧٤٩٢، ٧٥٣٨)، وأخرجه مسلم في صحيحه (١١٥١)، وأبو داود في سننه (٢٣٦٣)، وأخرجه أحمد في المسند (١/ ١٩٥- ١٩٦، ٢/ ٢٥٧، ٣٠٢، ٣١٢، ٤/ ٢٣، ٥/ ٨٣)، وكذلك الإمام الدارمي في سننه برقم (١٧٣٢) من حديث أبي عبيدة وبرقم (١٧٧١) من حديث أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني في الكبير بإسناد حسن، صحيح الجامع (٣/ ٢٦٨).

الصيام يعلمنا المراقبة

فالصائم يصوم في السر والعلن، ويعلم علم اليقين أن الله مطلع عليه، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥﴾[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ﴾[(٢)]، وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ۝١٩﴾[(٣)].

فالصائم إذا خلا بنفسه حاسبها وراقب قلبه حتىٰ لا يفسد صيامه وذلك لعلمه أن الله تعالىٰ يعلم ما في الصدور، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾[(٤)].

* * *

(١)آل عمران: (٥).

(٢)الأنعام: (٥٩).

(٣)غافر: (١٩).

(٤)آل عمران: (٢٢٩).

من الفوائد الطبية للصيام

قال تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾.

ثبت من خلال الأبحاث الطبية بعض الفوائد الوقائية للصيام ضد كثير من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية منها علىٰ سبيل المثال:

١- يقوي الصيام جهاز المناعة:

فيقي الجسم من أمراض كثيرة حيث يتحسن المؤشر الوظيفي للخلايا اللمفاوية عشرة أضعاف، كما تزداد نسبة الخلايا المسئولة عن المناعة النوعية (tlymphocytes) زيادة كبيرة، كما ترتفع بعض أنواع الأجسام المضادة في الجسم، وتنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهني منخفض الكثافة.

(٢- riyad albiby and ahmad elkadi, apriliminary report on efects of islamic fasting on lipoproteins and immunity. the joumal of jma vol ١٧,١٨٨, page ٨٤)

٢- الوقاية من مرض السمنة وأخطارها:

حيث إنه من المعتقد أن السمنة كما قد تنتج عن خلل في تمثيل الغذاء، فقد تتسبب عن ضغوط بيئية أو نفسية أو اجتماعية، وقد تتضافر هذه العوامل جميعًا في حدوثها، وقد يؤدي الاضطراب النفسي إلىٰ خلل في التمثيل الغذائي، وكل هذه العوامل التي يمكن أن تنجم عنها السمنة، يمكن الوقاية منها بالصوم من خلال الاستقرار النفسي والعقلي الذي يتحقق بالصوم نتيجة الجو الإيماني الذي يحيط بالصائم، وكثرة العبادة والذكر، وقراءة القرآن، والبعد عن الانفعال والتوتر، وضبط النوازع والرغبات، وتوجيه الطاقات النفسية والجسمية توجيهًا

إيجابيًّا نافعًا[١].

٣- راحة الجهاز الهضمي:

الصيام هو فترة راحة للجهاز الهضمي، المسئول عن استهلاك واستقلاب الطعام، وبالتالي فالكبد أيضًا يأخذ فرصة استراحة كونه معمل استقلاب الغذاء الرئيسي في الجسم.

٤- نقص مستوى كولسترول الدم:

أثبتت دراسات عديدة انخفاض مستوىٰ الكولسترول في الدم أثناء الصيام، وانخفاض نسبة ترسبه علىٰ جدران الشرايين الدموية، وهذا بدوره يقلل من الجلطات القلبية والدماغية، ويجنب ارتفاع الضغط الدموي، ونقص شحوم الدم يساعد بدوره علىٰ التقليل من حصيات المرارة والطرق الصفراوية[٢].

٥- يفيد الصوم في علاج الاضطرابات المزمنة للأمعاء:

والمصحوبة بتخمر المواد النشوية والبروتينية، وذلك نظرًا لاستراحة الجهاز الهضمي أثناء ساعات النهار من إفراز العصارات الهاضمة، وكذلك تقلل حركة الأمعاء الكثيرة، وهذا بدوره يعطي الأمعاء فرصة للتخلص من الفضلات المتراكمة بها، وعلىٰ هذا فإن الصيام يعتبر من أفضل الوسائل لتطهير الأمعاء.

٦- مرض السكر والصوم:

لا شك أن الصوم إذا روعيت آدابه وفهمت مراميه الصحية، فإنه يحمي من السمنة أو البدانة.

---

(١) من أوجه الإعجاز العلمي في الصيام، د: عبد الجواد الصاوي، موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة علىٰ شبكة الإنترنت.

(٢) د/ شريف كف الغزال نقلًا من موقع islamonline.

وبالتالي يعتبر عملًا وقائيًّا ضد مرض السكر عند بعض الناس[١].

٧- شهر رمضان فرصة حقيقية لتجديد الشباب:

وزيادة حيوية وعمل الخلايا وذلك لأن الصوم يؤدي إلىٰ تأثيرين مهمين وهما:

١- أثناء استهلاك الجسم للمواد المتراكمة فيه أثناء فترة الصيام، فإن من بين هذه المواد المتراكمة الدهون المتراكمة والملتصقة بجدران الأوعية الدموية، فيؤدي ذلك إلىٰ إذابتها تمامًا كما يذيب الماء الثلج، وبالتالي زيادة تدفق الدم خلال هذه الأوعية، وزيادة نسبة الأكسجين والغذاء الواصل إلىٰ الخلايا عبر هذا الدم، وبالتالي تزداد حيوية وعمل الخلايا؛ لذلك نرىٰ أن الشخص الذي يحافظ علىٰ الصيام تقل إصابته بمرض تصلب الشرايين وتتأخر عنده علامات الشيخوخة.

٢- انتهاء وتحلل الخلايا التالفة واستبدالها بخلايا جديدة ونشطة يزيد من عمل وقوة وظائف الجسم المختلفة لذلك يشعر الإنسان بعد انتهاء شهر الصوم بنقاء جسمه وزيادة طاقته وصفاء نفسه[٢].

٨- يحسن الصيام خصوبة الرجل والمرأة على السواء.

٩- يعالج الصيام عددًا من الأمراض الخطيرة مثل:

الأمراض الناتجة عن السمنة كمرض ضغط الدم وتصلب الشرايين وبعض أمراض القلب.

ويعالج كثيرًا من الأمراض التي تنشأ من تراكم السموم والفضلات الضارة في الجسم.

---

(١) الصيام بين الفقه والطب د/ محمد السقا عيد نقلًا من موقع موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة علىٰ شبكة الإنترنت.

(٢) صيام رمضان فرصة وقائية وعلاجية د: جمال عبد الله باصهي موقع صحة علىٰ شبكة الإنترنت.

١٠- يقي الصيام الجسم من تكون حصيات الكلى:

إذ يرفع معدل الصوديوم في الدم فيمنع تبلور أملاح الكالسيوم، كما أن زيادة مادة البولينا في البول تساعد في عدم ترسب أملاح البول، التي تكون حصيات المسالك البولية[1]، إلي غير ذلك من الفوائد الطبية الكثيرة للصيام والتي لا يسع المقام لبسطها.

وبالجملة ففوائد الصيام كثيرة جدًّا من الناحيتين الروحية والمادية:

فالصوم طاعة لله تعالىٰ، يثاب عليها المؤمن ثوابًا مفتوحًا لا حدود له؛ لأنه لله تعالىٰ وكرم الله واسع.

والصوم مدرسة خلقية كبرىٰ يتدرب فيها المؤمن علىٰ خصال كثيرة فهو جهاد للنفس ومقاومة للأهواء ونزعات الشيطان والصوم يعلم: الأمانة ومراقبة الله تعالىٰ في السر والعلن إذ لا رقيب علىٰ الصائم في امتناعه عن الطيبات إلا الله وحده.

والصوم يقوي الإرادة ويشحذ الهمة ويعلم الصبر ويساعد علىٰ صفاء الذهن واتقاد الفكر والصوم يعلم النظام والانضباط؛ لأنه يجبر الصائم علىٰ تناول الطعام والشراب في وقت محدد وموعد معين.

والصوم يشعر بوحدة المسلمين الحسية في المشارق والمغارب فهم جميعًا يصومون ويفطرون في وقت واحد.

وينمي الصوم في الإنسان عاطفة الرحمة والأخوة والشعور برابطة التضامن

---

(١) د: فاهم عبد الرحيم وآخرون. تأثير الصيام الإسلامي علىٰ مرضىٰ الكلىٰ والمسالك البولية، نشرة الطب الإسلامي، العدد الرابع، أعمال وأبحاث المؤتمر العالمي الرابع عن الطب الإسلامي، منظمة الطب الإسلامي، الكويت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦ صـ ٧٠٧ - صـ ٧١٤ نقلًا من موقع الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة علىٰ شبكة الإنترنت.

والتعاون التي تربط المسلمين فيما بينهم.

فيدفعه الجوع والحاجة مثلًا إلىٰ صلة الآخرين.

والصوم فعلًا يجدد حياة الإنسان بتجدد الخلايا وطرح ما شاخ منها وإراحة المعدة وجهاز الهضم.

والصيام جهاد للنفس وتخليصها مما علق بها من شوائب الدنيا وآثامها وكسر حدة الشهوة والأهواء وتهذيبها وضبطها في طعامها وشرابها بدليل قول النبي ﷺ: **«يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»**[1].

ومنها سكون النفس الأمارة، وكسر ثورتها في الفضول المتعلقة بجميع الجوارح من العين واللسان والأذن والفرج.

ومنها كونه موجبًا للرحمة والعطف علىٰ المساكين، فإنه لما ذاق ألم الجوع في بعض الأوقات ذكر من هذا حاله في عموم الأوقات قال في «الإيضاح»:

«اعلم أن الصوم من أعظم أركان الدين وأوثق قوانين الشرع المتبين به قهر النفس الأمارة بالسوء، وإنه مركب من أعمال القلب، ومن المنع عن المآكل والمشارب والمناكح عامة يومه وهو أجمل الخصال، غير أنه أشق التكاليف علىٰ النفوس»[2].

وقد مدحه الله بآية:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ

---

(١) رواه الجماعة عن ابن مسعود (نيل الأوطار: ٦/ ٩٦)، والباءة: مؤن الزواج وتكاليفه، والوجاء، أي: يضعف شهوة النكاح، تشبيهًا بقطع السيف.

(٢) حاشية ابن عابدين (٢/ ١٠٩).

وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾(١)(٢).

* * *

(١) الأحزاب آية (٣٣: ٣٥).

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته أ. د/ وهبة الزحيلي (٣/ ١٦١٧ إلىٰ ١٦٢٠) باختصار ط، دار الفكر.

الباب الثاني

الاستعداد لاستقبال رمضان

«وقفات ورسائل مهمة قبل أن تفتح أبواب الجنة»

الاستعداد لاستقبال رمضان

أيها الأحبة: إن التأهب والاستعداد لاستقبال رمضان وتحري هلاله من تعظيم شعائر الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾[1].

فعلىٰ المسلم أن يتجهز لاستقبال رمضان قبل أن يأتي، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُـرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾[2][3].

فلما لم يعدوا العدة للخروج عُلم أنهم غير صادقين، لذلك عوقبوا بالتثبيط والخذلان: ﴿وَلَـٰكِن كَـرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾[4].

فإن كنت أيها الحبيب تريد العتق من النار في رمضان، إن كنت تريد أن تمحىٰ خطاياك وتقال عثراتك، وترفع درجاتك، وتسعد في دنياك وأخراك، فلابد من إعداد العدة لاستقبال رمضان.

يقول ابن القيم رحمه الله:

«حذار حذار من أمرين:

١ - أن يأتي عليك واجب الوقت وأنت غير مستعد له ومتهيئ لفعله، فتعاقب بالتثبيط عن فعله والتخذيل عن تحصيله، قال تعالىٰ:

﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ

---

(١) الحج (٣٢).

(٢) التوبة: (٤٦).

(٣) ﴿لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ هيأوا له ما يلزم من سلاح ومركوب.

(٤) انبعاثهم: أي خروجهم معك، ﴿فَثَبَّطَهُمْ﴾: أي ألقىٰ في نفوسهم الرغبة في التخلف وحببه إليهم فكسلوا ولم يخرجوا.

انظر أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري المجلد الثاني صـ ٣٧٣.

عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾﴾[(١)].

٢- وحذار من رد الأمر لأول وهلة لمخالفته هواك، فتعاقب بتقليب القلب، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾»[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) التوبة: (٨٣).

(٢) الأنعام: (١١٠).

وهذه وقفات مهمة قبل أن تفتح أبواب الجنة:

الوقفة الأولى
التوبة النصوح
ماذا تنتظر؟! باب التوبة مفتوح

التوبة من الذنوب والرجوع إلىٰ علام الغيوب وغفار الذنوب مبدأ طريق السالكين ورأس مال الفائزين، وأول إقدام المريدين ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين، فهي أول المنازل وأوسطها وآخرها فالتوبة هي بداية الطريق، وهي نهاية الطريق اهـ[(١)].

فعلينا أن نستعد لاستقبال رمضان بالتوبة الصادقة النصوح - اللهم تب علينا - فالفلاح في رمضان وغيره يكون بالتوبة؛ لأن التوبة هي وظيفة العمر تلزم العبد في كل لحظة، قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾[(٢)].

«هذه الآية في سورة مدنية - سورة «النور» - خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه بعد إيمانهم وصبرهم وهجرتهم وجهادهم، ثم علق سبحانه الفلاح بالتوبة وأتىٰ بكلمة ﴿لَعَلَّكُمۡ﴾ إيذانًا بأنكم إذا تبتم كنتم علىٰ رجاء الفلاح، فلا يرجو الفلاح إلا التائبون - جعلنا الله منهم -.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾[(٣)].

---

(١) إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي المجلد الرابع صـ ٣ تحقيق الشحات الطحان - عبد الله المنشاوي ط مكتبة الإيمان ١٤١٧هـ.

(٢) النور: (٣١).

(٣) النساء: (٢٧).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾[(١)].

فقسم العباد إلىٰ تائب وظالم وليس ثمَّ قسم ثالث، وأوقع اسم الظلم علىٰ من لم يتب ولا أظلم منه لجهله بربه وبحقه وبعيب نفسه وآفات عمله» اهـ[(٢)].

والله تعالىٰ أمرنا بالتوبة النصوح، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾[(٣)].

ووعدنا بالقبول، فقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾[(٤)].

وفتح لنا باب الرجاء حتىٰ لا نقنط من رحمته، فقال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[(٥)].

وأمرنا أن نلتمس التوبة علىٰ عجل قبل دنو الأجل بل أمرنا بالمسارعة فقال تعالىٰ: ﴿۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[(٦)].

والنبي ﷺ أمرنا بالتوبة والاستغفار، فقال ﷺ: **«يَأَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَىٰ اللهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَىٰ اللهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ»**[(٧)].

ورمضان فرصة للتوبة، ففيه أبواب الجنات تفتح، وأبواب النيران تغلق، والشياطين تصفد، وفرص العبادة متعددة، والأجور مضاعفة، قال ﷺ: **«إِذَا كَانَ**

---

(١) الحجرات: (١١).

(٢) انظر: مدارج السالكين للإمام ابن قيم الجوزية (١/ ١٣٦، ١٣٧).

(٣) التحريم: (٨).

(٤) الشورىٰ: (٢٥).

(٥) الزمر: (٥٣).

(٦) آل عمران: (١٣٣).

(٧) صحيح مسلم (٢٧٠٢).

أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ وَنَادَىٰ مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَللهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر، فقال: «آمين... آمين... آمين».

فقيل: يا رسول الله، إنك صعدت المنبر، فقلت: «آمين.. آمين.. آمين».

فقال: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَتَانِي، فَقَالَ:... مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتُ: آمِينَ...» الحديث(٢).

نعم... أقبل رمضان، فأقبل علىٰ ربك الذي عصيته.. متضرعًا خاشعًا نادمًا باكيًا، وقل:

أنا العبد الذي كسب الذنوبا ... وصدته الأماني أني يتوبا

أنا العبد الذي أضحىٰ حزينًا ... علىٰ زلاته قلقًا كئيبًا

أنا العبد المسيء عصيت سرًّا ... فما لي الآن لا أبدي النحيبا

أنا العبد المفرط ضاع عمري ... فلم أرع الشبيبة والمشيبا

أنا العبد السقيم من الخطايا ... وقد أقبلت ألتمس الطبيبا

أنا الغدار كم عاهدت عهدًا ... وكنت علىٰ الوفاء به كذوبًا

فيا أسفي علىٰ عمر تقضي ... ولم أكسب به إلا الذنوبا

ويا حزناه من حشري ونشري ... بيوم يجعل الولدان شيبا

---

(١) رواه الحاكم وصححه علىٰ شرط الشيخين.

(٢) الحديث رواه أحمد وهو صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١/ ٩٩٧).

ويـا خجـلاه مـن قـبح اكتـسابي إذا مـا أبـدت الـصحف العيوبـا
ويـا حـذراه مـن نـار تلظـى إذا زفـرت وأقلقـت القلوبـا
فيـا مـن مـد في كـسب الخطايـا خطـاه أمـا آن الآوان لأن تتوبـا

ابك علىٰ خطيئتك، وناج ربك، وقل:

إلهي أتيتك أشكو مـصاب الـذنوب وهـل يـشتكىٰ الـضر إلا إليـك
فـامنن بعفـوك يـا إلهـي فلـيس اعـتمادي ولا تـوكلي إلا عليـك

واعلم أن الله تعالىٰ غافر الذنب وقابل التوب، سبحانه أنعم علىٰ عباده وفتح لهم باب التوبة، وجعلها فجرًا جديدًا تنسكب فيه العبرات حزنًا علىٰ ما فات، وتبدأ معه رحلة العودة إلىٰ رب الأرض والسموات، بقلوب منكسرة ودموع منسكبة وجباه خاضعة وأبدان ساجدة، وما أجمل العودة في شهر الغفران في شهر رمضان؛ فأنت أيها الحبيب تصوم عن الحلال من الأكل والشرب والجماع، فهذا تدريب علىٰ ترك الحرام، والصيام جُنة لك من الشهوات، قال ﷺ: «وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ»[(١)].

فيا أيها الأحبة: لابد أن نبدأ رحلة الصيام بالتوبة حتىٰ نتحصل علىٰ التقوىٰ، فالغرض من صيام رمضان هو التقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾[(٢)].

والتقوىٰ هي فعل أوامره واجتناب نواهيه، وهي الخوف من الجليل والرضا بالقليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل، وهي أن يطاع فلا يُعصىٰ وأن

---

(١) جزء من حديث صحيح علىٰ شرط الشيخين البخاري ومسلم وصححه الالباني في «صحيح الترغيب والترهيب» المجلد الأول (١/ ٩٧٨).

(٢) البقرة: (١٨٣).

يذكر فلا يُنسىٰ وأن يشكر فلا يكفر، فعلىٰ الجوارح أن تتوب عن معصية الله تعالىٰ من غيبة ونميمة وكذب وبهتان ونظرة محرمة وتجسس ورشوة وربا وتبرج وسفور وخمور وشرب دخان واختلاط ومشاهدة المحرمات... إلىٰ غير ذلك من المعاصي والآثام، وعلىٰ القلب أن يتوب من الشهوات والملذات والشبهات والأماني والتسويف وطول الأمل والعجب والكبر والحقد والحسد والغرور... إلخ.

يا ذا الذي ما كفاه الذنب في رجب — حتىٰ عصىٰ ربه في شهر شعبان
لقد أظلك شهر رمضان فلا — يكن حالك كما كان
واتل الكتاب وسبح فيه مجتهدًا — فإنه شهر مغفرة وتسبيح وقرآن[1]

فهيا هيا.. هيا نعود إلىٰ الملك الغفور الودود.

أيها الحبيب.. عُد إلىٰ الله يقبلك.

وتب إلىٰ الله يتب عليك.

واستغفر الله يغفر لك.

واجعلها توبة نصوحًا، والتوبة النصوح كما قال عنها عمر بن الخطاب: «أن يتوب العبد من الذنب وهو يحدث نفسه ألا يعود».

أخي.. أختي.. أحبابي:

اجمعوا عقاقير التوبة في بوتقة العزم، وأوقدوا عليها نار الأسف علىٰ ما سلف، واعلموا أنه ليس للعبد مستراح إلا تحت شجرة طوبىٰ، ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد، واعلموا أن خير الأيام يوم العودة إلىٰ الله عز وجل، وإياكم والأماني الكاذبة فهي أكوام من الوهم، وجبال من السراب، وبركٌ من الوحل، وقصور

---

(١) لطائف المعارف لابن رجب صـ١٩٦.

من الرمال، ومن تعلق بها كمن قصد حفر بئرين بإبرتين، ونزح بحرين بغربالين، وكنس رمال الصحراء بريشتين، وغسل عبدين أسودين حتىٰ يصيرا أبيضين، فهذا وهم في وهم.

قال الحسن البصري: «إن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتىٰ خرجوا من الدنيا بغير توبة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل».

أحبابي في الله، حاسبوا أنفسكم محاسبة الشريك الشحيح، فإن المؤمن قوام علىٰ نفسه يحاسبُ نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة علىٰ قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة علىٰ قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، وإذا جود الإنسان التوبة وصدق مع مولاه وتاب توبة صادقة، وعزم علىٰ تطليق الذنوب طلاقًا بائنًا بينونة كبرىٰ لا رجعة فيه، نبشره بقول ابن مسعود رضي الله عنه:

«إذا تاب العبد وهو يعزم ألا يعود كفر الله عنه كل سيئة، وأنسىٰ الحفظة ذنوبه، ومحا من الأرض أثر خطاياه».

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن رب العزة، قال: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»(١).

قال عبد الأعلىٰ: لا أدري قال في الثالثة أو الرابعة: «اعْمَلْ مَا شِئْتَ»(٢).

---

(١) «اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ» معناه ما دمت تذنب ثم تتوب فقد غفرت لك.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٢٩ (٢٧٥٨).

كيف أتوب؟

أظنك الآن تسأل كيف أتوب؟

أقول لك: إن الله غافر الذنب وقابل التوب، فهو سبحانه الملك الوهاب الغفور التواب يتوب علىٰ التائبين مهما عظمت ذنوبهم إذا تابوا إليه، ويبدل الله سيئاتهم حسنات إذا أصلحوا أعمالهم وأنابوا إليه، فهو سبحانه الرحمن الرحيم البر الكريم الجواد الرؤوف الوهاب رحمته وسعت كل شيء.

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾[1].

وهو العفو الغفور الغفار الذي لم يزل ولا يزال بالعفو معروفًا، وبالغفران والصفح عن عباده موصوفًا فهو التواب.

يفتح للمستغفرين الأبواب، وييسر للتائبين الأسباب، إن شاء الله باب التوبة واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ظاهر كالقمر في ليلة التمام، ما عليك إلا أن تطرقه وستجد الجواب: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾.

ولكن سلعة ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ﴾ لا تبذل إلا بثمن ﴿لِمَن تَابَ﴾.

فاللهم تب علينا توبة نصوحًا لا معصية بعدها.

اللهم آت نفوسنا تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضا والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... فكل الذي فوق التراب تراب

---

(١) الأعراف: (١٥٦).

تعريف التوبة:

قال ابن القيم رحمه الله:

التوبة: مخالفة داعي النفس وإجابة داعي الحق»[١].

١- هي الهداية الواقية من اليأس والقنوط.

٢- هي الرجوع عما يكره الله ظاهرًا وباطنًا إلىٰ ما يحبه الله ظاهرًا وباطنًا.

٣- هي الينبوع الفياض لكل خير وسعادة في الدنيا والآخرة.

٤- ولعل أفضل تعريف للتوبة ما قاله ابن القيم رحمه الله: «حقيقة التوبة هي الندم علىٰ ما سلف منه في الماضي، والإقلاع عنه في الحال، والعزم علىٰ ألا يعاوده في المستقبل»[٢].

٥- وقيل: هي ترك الذنب لقبحه، والندم علىٰ فعله، والعزم علىٰ عدم العودة، ورد المظلمة إن كانت أو طلب البراءة من صاحبها، وهي أبلغ وجوه الاعتذار.

٦- والتوبة لغة: من تاب يتوب إذا رجع.

وشرعًا: الرجوع عن معصية الله تعالىٰ إلىٰ طاعته، وأعظمها التوبة من الكفر إلىٰ الإيمان، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[٣].

ثم تليها التوبة عن كبائر الذنوب والموبقات، ثم المرتبة الثالثة عن صغائر الذنوب، والواجب علىٰ المرء أن يتوب إلىٰ الله تعالىٰ عن كل ذنب[٤].

حكم التوبة:

نقل الإمام النووي عن أهل العلم، فقال: «اتفقوا علىٰ أن التوبة من جميع

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٦٨، ٣٣٢، ٣٠٩).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٨٢).

(٣) الأنفال: (٢٨).

(٤) انظر: شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين المجلد الأول صـ ٤٥.

المعاصي واجبة، وأنها واجبة على الفور لا يجوز تأخيرها سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعده المتأكد وجوبها عند أهل السنة من الشرع» اهـ[(١)].

شروط التوبة:

قال النووي رحمه الله:

«**إن للتوبة ثلاثة أركان:**

١- الإقلاع.

٢- والندم على فعل تلك المعصية.

٣- والعزم على أن لا يعود إليها أبدًا.

فإن كانت المعصية لحق آدمي فلها ركن رابع، وهو:

٤- التحلل من صاحب ذلك الحق.

وأصلها الندم، وهو ركنها الأعظم» اهـ[(٢)].

قال الشيخ عثمان بن قائد النجدي رحمه الله[(٣)]:

شروط توبتهم إن شئت عدتها ... ثلاثة عرفت فاحفظ على مهل

إقلاعه ندمٌ وعزمه أبدًا ... أن لا يعود لما فيه جرى وقل

إن كان توبته عن ظلم صاحبه ... لابد من رده الحقوق على عجل اهـ

وزاد ابن المبارك[(٤)] على ما سبق من الشروط، فقال: الندم والعزم على عدم

(١) انظر: شرح صحيح مسلم (١٧/ ٥٩).

(٢) شرح صحيح مسلم للإمام النووي (١٧/ ٥٩)، وانظر رياض الصالحين صـ ١٠، ١١.

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني (١/ ٣٧٢).

(٤) فتح الباري (١١/ ١٠٣).

العودة، ورد المظلمة، وأداء ما ضيع من الفرائض، وأن يعمد إلىٰ البدن الذي رباه بالسحت، فيذيبه بالهم والحزن حتىٰ ينشأ له لحم طيب، وأن يذيق نفسه ألم الطاعة كما أذاقها لذة المعصية.

فزاد رحمه الله:

١-أداء ما ضيع من الفرائض.

٢-إذابة البدن الذي رباه بالسحت بالهم والحزن.

٣-الجد في الإكثار من الطاعات[1].

وزاد الشيخ ابن عيثمين رحمه الله شرطًا آخر، وهو: صدق النية والإخلاص في التوبة.

* * *

(١) انظر: المعاصي وآثارها صـ ٣٣٢.

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[١]

الوقفة الثانية
تطهير القلوب

قال يحيىٰ بن معاذ الرازي: «مفاوز الدنيا تقطع بالأقدام، ومفاوز الآخرة تقطع بالقلوب». [«حلية الأولياء» لأبي نعيم].

قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[٢].

يجب علىٰ المسلم أن يستقبل رمضان بقلب طاهر سليم نظيف، خال من الشرك والشك والبدع والأهواء والشهوات والشبهات، ومن التوكل علىٰ غير الله، ومن الخوف من غير الله، ومن الرجاء في غير الله، ومن الرياء والسمعة، ومن الغل والحقد والحسد والبغضاء والشحناء، وسوء الظن والبخل والشح والغفلة وركوب بحر الأماني الكاذبة، إلىٰ غير ذلك من أمراض القلوب.

فالبدار البدار إلىٰ التطهير ليكون القدوم علىٰ طهارة، فالقلب يحتاج دائمًا إلىٰ تطهير معنوي مستمر، فالكثير من الناس يهتم بإعداد الجسد للصوم. وهذا أمر طيب - ولكن المهم إعداد القلب؛ لأنه رئيس الأعضاء، وإذا صلح الرئيس، فليس علىٰ الجسد بأس فبصلاح القلب تصلح الأجساد.

روىٰ الشيخان عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[٣].

---

(١) الرعد: (٢٨).

(٢) الشعراء: (٨٨، ٨٩).

(٣) **متفق عليه**: رواه البخاري رقم (٥٢) في الإيمان وفي البيوع ومسلم (١٥٩٩) في المساقاة وأبو داود رقم (٣٣٢٩- ٣٣٣٠) =

والقلب هو موضع نظر الله تعالىٰ، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي هريرة مرفوعًا:

«**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَبْشَارِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

وفي رواية أخرىٰ: قال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ**»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فالفضل عند الله ليس بصورة الأعمال بل بحقائق الإيمان، فالأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنما تتفاضل في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض».

والله تعالىٰ فرض علينا الصيام من أجل التقوىٰ، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾(٣).

والقلب وعاء التقوىٰ الذي أشار إليه النبي ﷺ ثلاثًا وهو يقول: «**التَّقْوَىٰ هَاهُنَا**».

والقلوب تمرض بالشهوات والشبهات والذنوب والمعاصي والآثام والرياء والنفاق، قال تعالىٰ:

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾(٤).

ويرحم الله شيخ الإسلام عبد الله بن المبارك، حين يقول:

= في البيوع والترمذي رقم (١٢٠٥).

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة (٢٥٦٤).

(٢) رواه مسلم (١٧٧٦).

(٣) البقرة: (١٨٣).

(٤) البقرة: (١٠).

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها[1]

قال ابن مسعود: تفقد قلبك في ثلاثة مواطن:

١- عند سماع القرآن.

٢- في مجالس الذكر والعلم.

٣- في وقت الخلوة بينك وبين ربك.

فإن لم تجد قلبك في هذه المواطن، فابحث عن قلبك، فإنه لا قلب لك، والعلماء يقولون: «التخلية قبل التحلية».

والله تعالىٰ قال: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

أي: لا ينجو من عذاب الله يوم القيامة إلا صاحب القلب السليم، وسلامة القلب هي:

١- أن يسلم من الشرك صغيره وكبيره، فإنه من أعظم مفسدات القلوب، قال ابن القيم رحمه الله: «ولا صلاح له - أي: القلب - إلا بتوجيه محبته وعبادته وخوفه ورجائه لله تعالىٰ».

٢- أن يسلم من البدعة، ومخالفة السنة، فإن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فإذا امتلأ القلب بالبدع أظلم، وإذا أظلم مرض ولم يصح.

٣- أن يسلم القلب من الشبهات التي تزيغه وتحمله علىٰ اتباع الهوىٰ وتكذيب الحق.

٤- أن يسلم من الشهوات التي تمرضه وتفسده:

---

(١) الجزاء من جنس العمل د/ سيد عفاني (٢/ ٣٦٦).

أيها الأحبة: إن سلامة القلب من هذه الأمراض والآفات لا تتأتىٰ إلا بأسباب لابد من الأخذ بها، ومقدمات لابد من السعي لتحصيلها.

من أسباب صلاح القلوب:

١- تلاوة القرآن: بفهم وتدبر وعظة وعمل وحفظ، فهو شفاء لما في الصدور، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[(٢)].

فالقرآن الكريم أبلغ موعظة لمن كان له قلب أو ألقىٰ السمع وهو شهيد، وهو أنفع الأدوية لما في الصدور من أمراض الشبهات والشهوات.

قال ابن القيم رحمه الله:

«جماع أمراض القلوب هي أمراض الشبهات والشهوات والقرآن شفاء للنوعين».

٢- عمارة القلوب بالإيمان: ومحبة الله تعالىٰ فلا فلاح ولا صلاح ولا لذة إلا بمحبة الله تعالىٰ:

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا..»[(٣)] الحديث.

٣- ومن أسباب صلاح القلوب ذكر الله: قال تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ

---

(١) يونس: (٥٧).

(٢) الزمر: (٢٣).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في الإيمان من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم (١٦)، وأخرجه مسلم في الإيمان برقم (٤٣).

ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[(١)].

قال ﷺ - كما في «الصحيحين» من حديث أبي موسىٰ الأشعري - «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ كَمَثَلِ الْـحَيِّ وَالْـمَيِّتِ**»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مساكين - والله - أهل الدنيا، خرجوا من الدنيا ولم يتذوقوا أطعم وأحلىٰ ما فيها. قيل: وما أطعم ما فيها؟ قال: ذكر الله والأنس به».

٤- ومن أسباب صلاح القلوب: تطهيرها من الآفات والأمراض: التي تفسدها وتعطبها، كالحسد والغل والعجب والرياء... إلخ.

٥- ومن أهم الأسباب دعاء الله تعالىٰ: وسؤاله إصلاح القلب وتطييبه، فإن سؤال ذلك من أنفع الدعاء، ومن دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**»[(٣)].

ومن دعائه أيضًا ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**»[(٤)].

دواء فعال لعلاج أمراض القلوب:

خذوا هذه الوصفة البليغة من سفيان الثوري لرجل مرض قلبه وذهب إليه يسأله الدواء، فقال له: يا سفيان، لقد ابتليت بمرض قلبي فصف لي دواء.

قال سفيان: «عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر وعصير التواضع، ضع هذا كله في إناء التقوىٰ وصب عليه ماء الخشية، وأوقد عليه نار الحزن علىٰ المعصية

---

(١) الرعد: (٢٨).

(٢) رواه البخاري رقم (٦٤٠٧) في الدعوات باب فضل ذكر الله.

(٣) أخرجه مسلم في القدر من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه برقم (٦٥٤).

(٤) أخرجه الترمذي في القدر من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه برقم (٢١٤٠).

وصفه بمصفاة المراقبة، وتناوله بكف الصدق واشربه من كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وابعد عن الحرص والطمع.. يشفىٰ مرض قلبك بإذن الله».

فاللهم اغسل قلوبنا بماء اليقين، واشف أرواحنا من كوثر الدين، وأثلج صدورنا بسكينة المؤمنين، آمين يا رب العالمين.

من أسباب شرح الصدور(١):

أعظم أسباب شرح الصدور:

١- التوحيد:

وعلىٰ حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(٣).

فالهدىٰ والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدور، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه، ومنها النور الذي يقذفه الله في قلب العبد وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرج وصار في أضيق سجن وأصعبه.

٢- العلم:

فإنه يشرح الصدر ويوسعه حتىٰ يكون أوسع من الدنيا والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية المجلد الثاني صـ ٢٣، ٢٧ باختصار.

(٢) الزمر: (٢٢).

(٣) الأنعام: (١٢٥).

علم بل للعلم الموروث عن الرسول ﷺ وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرًا وأوسعهم قلوبًا وأحسنهم أخلاقًا وأطيبهم عيشًا.

٣- الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى:

ومحبته بكل القلب والإقبال عليه، والتنعم بعبادته فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك حتىٰ أنه ليقول أحيانًا: إن كنت في الجنة في مثل هذه الحالة، فإني إذًا في عيش طيب.

وللمحبة تأثير عجيب في انشراح الصدر وطيب النفس ونعيم القلب لا يعرفه إلا من له حس به، وكلما كانت المحبة أقوىٰ وأشد كان الصدر أفسح وأشرح، ولا يضيق إلا عند رؤية البطالين الفارغين من هذا الشأن، فرؤيتهم قذىٰ عينه ومخالطتهم حُمَّىٰ روحه.

٤- ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم:

فإن هذه الفضول تستحيل آلامًا وغمومًا وهمومًا في القلب تحصره وتحبسه وتضيقه، ويتعذب بها بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها، فلا إله إلا الله ما أضيق صدر من ضرب من كل آفة من هذه الآفات بسهم؟! وما أنكد عيش من ضرب في كل خصلة من تلك الخصال المحمودة بسهم؟! وكانت همته دائرةً عليها، حائمة حولها، فلهذا نصيب وافر من قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾﴾[1].

ولذلك نصيب وافر من قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[2].

وبينهما مراتب متفاوتة لا يحصيها إلا الله تعالىٰ.

فيا أيها الحبيب: اجتهد علىٰ أن تصلح قلبك، وذلك بتحقيق الإيمان،

(١) الانفطار: (١٣).

(٢) الانفطار: (١٤).

والمحافظة علىٰ العبادات، والمواظبة علىٰ مجالس العلم، وقيام الليل والذكر والاستغفار إلىٰ غير ذلك، ضع قلبك في بيئة تجدد الإيمان، وابتعد قدر استطاعتك عن بيئة تضعف الإيمان في قلبك، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[1].

تعريف ابن القيم للقلب السليم[2]:

«هو القلب الذي سلم من هذا وهذا، فهو القلب الذي قد سلم لربه وسلم لأمره، ولم تبق فيه منازعة لأمره ولا معارضة لخبره، فهو سليم مما سوىٰ الله وأمره، لا يريد إلا الله ولا يفعل إلا ما أمره الله، فالله وحده غايته وأمره، وشرعه وسيلته وطريقته لا تعترضه شبهة تحول بينه وبين تصديق خبره، لكن لا تمر عليه إلا وهي مجتازة تعلم أنه لا قرار لها فيه ولا شهوة تحول بينه وبين متابعة رضاه، ومتىٰ كان القلب كذلك، فهو سليم من الشرك، وسليم من البدع، وسليم من الغي، وسليم من الباطل، وكل الأقوال التي قيلت في تفسيره فذلك يتضمنها.

وحقيقته أنه القلب الذي قد سلم لعبودية ربه حياء وخوفًا وطمعًا ورجاءً، ففني بحبه عن حب ما سواه، وبخوفه عن خوف ما سواه، وبرجائه عن رجاء ما سواه، وسلم لأمره ولرسوله تصديقًا وطاعة كما تقدم واستسلم لقضائه خضوعًا وذلًّا وعبودية وسلم جميع أحواله وأقواله وأعماله وأذواقه ومواجيده ظاهرًا وباطنًا من مشكاة رسوله، وعرض ما جاء من سواها عليها، فما وافقها قبله وما خالفها رده، وما لم يتبين له فيه موافقة ولا مخالفة وقف أمره وأرجأه إلىٰ أن تبين له، وسالم أولياءه وحزبه المفلحين الذابين عن دينه وسنة نبيه، القائمين بها، وعادىٰ أعداءه المخالفين لكتابه وسنة نبيه، الخارجين عنهما الداعين إلىٰ خلافهما.

---

(١) التغابن: (١١).

(٢) مفتاح دار السعادة المجلد الأول صـ٦٦.

الوقفة الثالثة
استحضار النية وإخلاص العمل

قال ابن الجوزي:

«لله در أرواح تشتاق إلىٰ روح قربه، ويطول عليها الزمان شوقًا إليه لحبه، إن سألت عن أوصافها، فكل منهم مخلص لربه مجتهد في طاعته خائف من عتبه».

[اليواقيت الجوزية، لابن الجوزي صـ ٤٢]

* * *

استحضار النية وإخلاص العمل لوجه الله تعالى

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾(١)

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾(٢).

وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾(٣).

وقال له ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾(٤).

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا

---

(١) البينة: (٥).

(٢) الزمر: (٢، ٣).

(٣) الزمر: (١٤، ١٥).

(٤) الأنعام: (١٦٢، ١٦٣).

ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[2].

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أحسن العمل هو أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أصوبه وأخلصه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا؟ لم يقبل، حتىٰ يكون خالصًا وصوابًا.

والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون علىٰ السنة، ثم قرأ: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾﴾[3]»[4].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾[5].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾[6].

روىٰ الإمام البخاري في «صحيحه»: عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّمَا**[7] **الْأَعْمَالُ**[8] **بِالنِّيَّاتِ**[9]، **وَإِنَّمَا لِكُلِّ**

---

(١) النساء: (١٤٦).

(٢) الملك: (٢).

(٣) الكهف: (١١٠).

(٤) انظر: دروس العام لعبد الملك القاسم طبعة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ط دار القاسم صـ ٧.

(٥) النساء: (١٢٥).

(٦) الكهف: (١١٠).

(٧) إنما: إن المؤكدة وما الكافة اقترانًا للإفادة والحصر، وهو إثبات الحكم المذكور بعدها ونفيه عما عداه.

(٨) الأعمال: جمع عمل، والعمل حركة البدن وجوارحه.

(٩) بالنيات: وفي رواية «بِالنِّيَّةِ»، والنيات: جمع نية، وهي في الأصل مصدر نوىٰ، وفي اللغة: القصد مطلقًا، وفي الشرع: قصد الشيء مقترنًا بفعل الشيء امتثالًا وخضوعًا لله تعالىٰ و(ال) في النيات بدل من الضمير المحذوف، وتقدير الكلام: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِنِيَّاتِهَا»، وجمعت النية مع أنها في الأصل مصدر؛ للإشارة إلىٰ أنها تتنوع، والمصدر إذا تنوع

امْرِئٍ[(١)] مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ[(٢)] إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ دُنْيَا[(٣)] يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[(٤)].

وقفة مع الحديث:

هذا الحديث أصل عظيم في الدين، وموضوعه الإخلاص في العمل وبيان اشتراط النية، وهو حديث صحيح متفق علىٰ صحته تلقته الأمة بالقبول وبه صدر الإمام البخاري كتابه «الصحيح»، وأقامه مقام الخطبة له إشارة إلىٰ أنه كل عمل لا

جمع مثل علم علىٰ علوم وبحث علىٰ بحوث.

(١) «لكل امرئ»: كل اسم موضوع لاستغراق ما بعده، فإن كان ما بعده نكرة استغرق أفرادها، وإن كان معرفة استغرق أجزائها، مثال الأول «كل امرئ»: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ مثال الثاني: قرأت كل الكتاب.

والمقصود من «امرئ» في الحديث: الرجل، بدعوىٰ غلبة دوران الأحكام عليه، فتدخل معه المرأة، وكل المقصود منه مطلق الإنسان بدليل استعمال «من» بعده وهي دالة علىٰ العموم.

(٢) هجرته: أي انتقاله، والهجرة في الأصل اسم من الهجر، والهجر في اللغة الترك، ويطلق علىٰ ترك الوطن إلىٰ غيره، وعلىٰ ما عدا هذا من الترك، فمثال الأول: هجرة الرسول والمسلمين إلىٰ الحبشة والمدينة، ومثال الثاني: قول الرسول ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ...» الحديث، ومنه هجر الزوج زوجته إذا تحقق من نشوزها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ﴾، ومنه هجر المعاصي.

(٣) دنيا: فُعلة بضم الفاء أو بكسرها من الدنو، وهي في الأصل وصف للمؤنث ومذكرها أدنىٰ، أُخليت من الوصفية وإن احتفظت بالمنع من الصرف وأُجريت مجرىٰ الأسماء وأريد بها هذه الدار التي نعيش فيها، وتستعمل معرفة بأل ومنكرة، ومن استعمالها منكرة قول الشاعر.:

لا تعجبنك دنيا أنت تاركها   كم نالها من أناسي وقد ذهبوا

انظر: الهدية السعدية شرح الأربعين النووية تأليف د/ محمد السعدي فرهود الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م دار الطبعة المحمدية بالأزهر القاهرة صـ١٤، ١٥ باختصار.

(٤) رواه البخاري كتاب بدء الوحي (١/ ٩/ ١٣٥)، (٥/ ١٦٠)، (٧/ ٢٢٦)، (٧/ ٢٢٦)، (٩/ ١١٥)، (١١/ ٥٧٢)، (١٢/ ٣٢٧) فتح الباري.

ورواه مسلم في كتاب الإمارة/ باب قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» رقم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢/ ٣٥٢)، والترمذي (١/ ١٩٨)، والنسائي (١/ ٨٥)، (٧/ ١٣)، (٦/ ١٥٨)، وابن ماجه (٢/ ١٤١/ ٤٢٢٧) وأحمد (١/ ٢٥، ٤٣).

يراد به وجه الله فهو باطل لا ثمرة له في الدنيا والآخرة، فكل عمل مطلوب له النية، فلا عمل مقبول إلا بنيته[1]، فاجعل وجه الله تعالىٰ تجاهك في كل عمل يثيبك الله به ويجزيك عليه.

وكما أن الإمام البخاري افتتح بهذا الحديث «صحيحه»، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية قال:

«وأصل العمل الصالح هو إخلاص العبد لله في نيته، فإنه سبحانه إنما أنزل الكتب وأرسل الرسل وخلق الخلق لعبادته، وهي دعوة الرسل لكافة بريته، كما ذكر في كتابه وعلىٰ ألسنة رسله - عليهم السلام - ولهذا كان السلف الصالح يستحبون أن يفتتحوا مجالسهم وكتبهم وغير ذلك بهذا الحديث: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» في أول الأمر وبدايته» اهـ[2].

ومن العلماء الذين افتتحوا كتبهم بهذا الحديث:

١ - تقي الدين المقدسي في كتابه «عمدة الأحكام».

٢ - السيوطي في «جامعه الصغير».

٣ - النووي في «المجموع».

وقال أبو عبيد:

«ليس في الأحاديث أجمع وأغنىٰ وأكثر فائدة من هذا الحديث».

وقال ابن حجر في «الفتح»: «واتفق الشافعي فيما نقله عن البوطي وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني وأبي داود والترمذي والدارقطني وحمزة والكتاني علىٰ أنه «ثلث الإسلام».

---

(١) انظر: صحيح البخاري تحقيق طه عبد الرؤوف سعد صـ ٩ ط مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) انظر: فتاوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية المجلد الثامن عشر صـ ٢٤٧.

ومنهم من قال: ربعه.

وجه البيهقي كونه «ثلث العلم» بأن كسب العبد يقع بقلبه ولسانه وجوارحه، فالنية أحد أقسامها الثلاثة وأرجحها». اهـ[1].

وقال الإمام الشافعي: فيه سبعون بابًا من الفقه.

وقال أحمد: أصل الإسلام على ثلاثة أحاديث: حديث عمر رضي الله عنه: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**»، وحديث عائشة رضي الله عنها: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»[2]، وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه: «**الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**»[3].

* * *

(١) انظر: «فتح الباري» بشرح ابن حجر العسقلاني المجلد الأول صـ ١١.

(٢) أخرجه مسلم، وأبو داود، وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن النعمان بن بشير.

حقيقة النية

لقد عُمِّي الأمر علىٰ كثير من الناس فظنوا أن النية مجرد جريان للخاطر في الشيء أو تلفظ بقول: «نويت كذا وكذا».

وهذا وهم كبير وأمر خطير في حاجة إلىٰ إيضاح وبيان، اهـ[(١)].

حيث أن التلفظ بالنية بدعة، والجهر بذلك أشد في الإثم وإنما السنة النية بالقلب؛ لأن الله سبحانه يعلم السر وأخفىٰ، وهو القائل عز وجل ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾[(٣)].

«ولم يثبت عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه ولا عن الأئمة المتبعين التلفظ بالنية، فعلم بذلك أنه غير مشروع بل من البدع المحدثة» اهـ[(٤)].

واعلم أن هذا المعنىٰ الذي يفهمه كثير من الناس للنية بأنها حديث لسان وفكر، أو انتقال من خاطر إلىٰ خاطر أو إرادة باردة لفعل شيء ما، هذا المعنىٰ ليس نية ولكنه أمنية، وفرض علىٰ العامل أن يعرف النية من الأمنية، والأمر كما قال يحيىٰ بن معاذ:

«لا يزال العبد مقرونًا بالتواني ما دام مقيمًا علىٰ وعد الأماني».

«وما اختار أحد الأماني تقوده إلا كان أثقل ما يكون خطوًا ووجدًا ثم السراب الخادع، وعدم الماء وقت العطش».

---

(١) انظر: «محاضرات في الحديث الموضوعي» د: عبد الرحمن البار، د: ماهر منصور صـ ٢٦ ط١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

(٢) الحجرات: (١٦).

(٣) الرعد: (١٠).

(٤) مجموع فتاوىٰ ومقالات ابن باز (١٠/ ٤٢٣) نقلًا من دروس العام للشيخ عبد الملك القاسم صـ ١٤ ط ١٤٢١-٢٠٠٠م.

وإذًا، فلا حقيقة للنية إلا بحدوث التوجه والميل في النفس وانبعاث شوقها إلىٰ العمل، ليندفع العامل بحب وشغف إلىٰ تحقيق هذه النية اهـ[١].

فالنية في اللغة: هي نوع من القصد والإرادة، واصطلاحًا: قصد الشيء مقترنًا بفعله. قال صاحب «المغني»[٢]: «والنية: القصد، يقال: نواك الله بخير أي: قصدك به ونويت السفر، أي: قصدته وعزمت عليه» اهـ.

النية والصيام:

النية: ركن[٣] ركين من أركان الصيام.

قال ابن قدامة:

«لا يصح صوم إلا بنية إجماعًا، فرضًا كان أو تطوعًا؛ لأنه عبادة محضة فافتقر إلىٰ النية كالصلاة ثم إن كان فريضة، كصيام رمضان في أدائه أو قضائه والنذر والكفارة اشترط أن ينويه من الليل عند إمامنا ومالك والشافعي»[٤].

وقال النووي:

«لا يصح الصوم إلا بنية ومحلها القلب، ولا يشترط النطق بها بلا خلاف[٥] فمذهب كافة العلماء أنه لا يصح الصوم إلا بنية سواء أكان الصوم واجبًا أم تطوعًا»[٦].

---

(١) انظر: محاضرات في التفسير الموضوعي صـ ٢٧ باختصار.

(٢) انظر: المغني (١/ ١٢٩) ط دار الحديث ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

(٣) وقيل: شرط وليست ركنًا إذا أجزنا تقدم النية علىٰ العبادة كانت شرطًا، وإذا قلنا بوجوب مقارنتها لأول العبادة كانت ركنًا، أما القول بتقدم النية في العبادة كالصوم ثم عدها في هذه الحالة ركنًا فهذا خطأ بين. «مقاصد المكلفين» للشيخ: عمر الأشقر صـ٣٤٢- ٣٤٣].

(٤) انظر: المغني (٤/ ٣٣٣).

(٥) بداية المجتهد (١/ ٣٠٠) المجموع (٦/ ٣٣٦).

(٦) روضة الطالبين (٢/ ٣٥٠).

ودليلهم علىٰ هذا الإجماع أن الصوم عبادة محضة لا تتأدىٰ إلا بالنية، والنصوص الدالة علىٰ لزوم النية للعبادات كقوله ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**».

تشمل الصوم ويضاف علىٰ ذلك النصوص المصرحة بإيجاب النية في الصوم، كقوله ﷺ: «**مَنْ لَمْ يُبَيِّتِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صِيَامَ لَهُ**»(١).

وسوف نتكلم - إن شاء الله - بالتفصيل عن النية والصيام عند الحديث عن «تفسير آيات الصيام».

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح:رواه النسائي عن حفصة وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥٣٥).

تعريف الإخلاص

الإخلاص لغة: مصدر أَخْلَص يُخْلِص، وهو مأخوذ من مادة (خَ لَ صَ) الدالة علىٰ تنقية الشيء وتهذيبه[(١)].

والمخلصين: قال ثعلب: الذين أخلصوا العبادة لله تعالىٰ والذين أخلصهم الله عزوجل فالمخلصون المخُتارون، والمخلصون: الموحدون وكلمة الإخلاص كلمة التوحيد[(٢)].

واصطلاحًا: قال المناوي: «الإخلاص: تخليص القلب من كل شوب يكدر صفاءه».

وقيل: الخلاص عن رؤية الأشخاص.

وقيل: تصفية العمل من التهمة والخلل[(٣)].

فضل الإخلاص:

الإخلاص: مسك القلب، ينقيه من الحقد والخيانة، «الإخلاص مسك مصون في القلب، ينبه ريحه علىٰ حامله»[(٤)].

حقيقة الإخلاص:

الإخلاص: «خروج الخلق عن معاملة الرب، والنظر إلىٰ ثواب الله لا يريد بذلك حب محمدة وكراهة مذمة، لا يمازج عمله رياء، ولا سمعة، ولا إعجاب لأنه خلصه من الأدناس ومخرج الإخلاص من الرغبة والرهبة لله عزوجل في أصول

---

(١) مفردات الراغب صـ ١٥٤.

(٢) لسان العرب لابن منظور (٧/ ٢٦).

(٣) التوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي صـ ٤٢.

(٤) اليواقيت الجوزية لابن الجوزي صـ ٧٧ مكتبة السنة، نقلًا من كتاب تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص، د/ سيد العفاني.

العقود قبل العمل، فإذا هيجه للعمل رغبة أو رهبة لله واعترضت عليه الآفة فدفعها بقلبه وكرهها بعمله، فقد أخلص لله عَزَّ وَجَلَّ في عمله»[١].

❊ ❊ ❊

(١) كتاب القصد والرجوع إلىٰ الله للمحاسبي ص٢٥٩، ٢٦٠.

الإخلاص والصيام: الإخلاص عنوان الصيام:

الصوم هو العبادة الوحيدة التي خصت بالنسبة إلىٰ الله تعالىٰ، ففي الحديث القدسي: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامُ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**»[١].

فالواجب علىٰ المسلم أن يستعد لصيام رمضان إيمانًا واحتسابًا لا رياء ولا سمعة ولا تقليدًا للناس أو متابعة لأهله أو أهل بلده.

بل الواجب عليه أن يكون الحامل له علىٰ الصوم هو إيمانه بأن الله تعالىٰ قد فرض عليه ذلك، واحتسابه الأجر عند ربه في ذلك[٢].

والإخلاص أحلىٰ أعطيات الصيام وأغلىٰ معانيه، والإخلاص لله تعالىٰ خلاص وتجرد بعيدًا عن أوحال الأرض والناس.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ: «لا رياء في الصوم، فلا يدخله الرياء في فعله، من صفىٰ صفىٰ له، ومن كدَّر كدر عليه، ومن أحسن في ليله كوفئ في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفئ في ليله، وإنما يُكال للعبد كما كال».

والصوم يعلم الناس الإخلاص فما صام منافق مرائي إذ يمتنع الصائم عن الشهوات المباحة والمحببة للنفس إنما يمتنع عنها لله وحده في الوقت الذي لا يراه فيه أحد، فيا للصوم من عبادة أسها ولحمتها وسداها الإخلاص، وفيه من النار الخلاص.

١- الإخلاص في صيام رمضان:

قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٣].

---

(١) قطعة من حديث صحيح سبق تخريجه.

(٢) انظر: رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام للشيخ عبد العزيز بن باز صـ ٢١ بتصرف وزيادات.

(٣) سبق تخريجه.

قال المناوي في «فيض القدير»: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا» تصديقًا بثواب الله أو أنه حق «وَاحْتِسَابًا» لأمر الله به طالبًا الأجر، أو إرادة وجه الله لا نحو رياء، فقد يفعل المكلف الشيء معتقدًا أنه صادق لكنه لا يفعله مخلصًا بل لنحو خوف أو رياء...»(١).

٢- الإخلاص في قيام رمضان:

قال ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٢).

قال العلامة المناوي: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ» أي: قام بالطاعة في رمضان أتىٰ بقيام رمضان وهو التراويح، أو قام إلىٰ صلاة رمضان أو إلىٰ إحياء لياليه بالعبادة غير ليلة القدر تقديرًا ويحصل بنحو تلاوة أو صلاة أو ذكر أو علم شرعي، وكذا كل أخروي، ويكفي بمعظم الليل، وقيل بصلاة العشاء والصبح جماعة «**إيمانًا**» تصديقًا بوعد الله بالثواب عليه «**واحتسابًا**» إخلاصًا وجمع بينهما؛ لأن المصدق للشيء قد لا يفعله مخلصًا بل لنحو رياء، والمخلص في الفعل قد لا يكون مصدقًا بثوابه...»(٣).

٣- الإخلاص في قيام ليلة القدر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(٤).

قال المناوي: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ»، أي: أحياها مجردة من قيام رمضان «**إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا**» إخلاصًا من غير شوب نحو رياء طلبًا للقبول»(٥).

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المناوي (٦/ ٢١٣) ط مكتبة مصر.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) المرجع السابق (٦/ ٢٥٤).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) المرجع السابق (٦/ ٢٥٥).

الوقفة الرابعة
التدريب على اغتنام الأوقات في شهر الخيرات
الوقت هو الحياة

كل مفقود[1] عسىٰ أن تسترجعه إلا الوقت، فهو إن ضاع لم يتعلق بعودته أمل، ولذلك كان الوقت أنفس ما يملكه الإنسان، وكان علىٰ العاقل أن يستقبل أيامه استقبال الضنين للثروة الرائعة لا يفرط في قليلها بله كثيرها، ويجتهد أن يضع كل شيء مهما ضؤل موضعه اللائق به.

إن الإنسان ليسير حثيثًا إلىٰ الله وكل دورة للفلك تتمخض عن صباح جديد ليست إلا مرحلة من مراحل الطريق الذي لا توقف فيه أبدًا، أفليس من العقل أن يدرك المرء هذه الحقيقة وأن يجعلها نصب عينيه، وهو يستبين ما وراءه وما أمامه؟ من الخدع أن يحسب المرء نفسه واقفًا والزمن يسير، إنه خداع النظر حين يخيل لراكب القطار أن الأشياء تجري وهو جالس والواقع أن الزمن يسير بالإنسان إلىٰ مصيره العتيد.

والإسلام دين يعرف قيمة الوقت ويقدر خطورة الزمن، يؤكد الحكمة الغالية «الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك» ويجعل من دلائل الإيمان وأمارات التقىٰ أن يعي المسلم هذه الحقيقة ويسير علىٰ هداها.

فقد وزع الإسلام عباداته الكبرىٰ علىٰ أجزاء اليوم وفصول السنة، فالصلوات الخمس تكتنف اليوم كله وأوقاتها تطرد مع سيره والمقرر في الشريعة أن «جبريل» نزل من عند الله ليرسم أوائل الأوقات وأواخرها، ليكون من ذلك

(١) انظر: خلق المسلم للشيخ محمد الغزالي صـ ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٨ باختصار وتصرف.

نظام محكم دقيق يرتب الحياة الإسلامية ويقيسها بالدقائق من مطلع الفجر إلىٰ مغيب الشفق:

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

ومن الحكم التي تغيب عن بال الجماهير: «الواجبات أكثر من الأوقات».

«الزمن لا يقف محايدًا فهو إما صديق ودود أو عدو لدود» اهـ.

فالواجب علىٰ المسلم[١] المبادرة بالأعمال الصالحة قبل أن لا يقدر عليها وقبل أن يحال بينه وبينها إما بمرض أو موت أو شغل أو غير ذلك.

ويروىٰ أن النبي ﷺ قال: **«بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ سَبْعًا: هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًىٰ مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوْ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ»**[٢].

قال الحافظ ابن رجب معلقًا علىٰ هذا الحديث: «والمراد من هذا أن هذه الأشياء كلها تعوق عن الأعمال، فبعضها يشغل عنه إما في خاصة الإنسان كفقره وغناه ومرضه وهرمه وموته، وبعضها عام كقيام الساعة وخروج الدجال، وكذلك الفتن المزعجة، وبعض هذه الأمور العامة لا ينفع بعدها عمل، كما قال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[٣].

---

(١) انظر: المسك والعنبر الجزء الثاني صـ١٥٦، ١٥٧ باختصار وتصرف د/ عائض القرني.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٧٨، ٤٧٩) رقم (٢٣٠٦)، وقال: حسن غريب. وضعفه الألباني كما في السلسلة الضعيفة رقم (١٦٦٦).

(٣) الأنعام: (١٥٨).

قال أبو حازم:

«إن بضاعة الآخرة كاسدة يوشك أن تنفق، فلا يوصل منها إلىٰ قليل ولا كثير، ومتىٰ حيل بين الإنسان والعمل لم يبقىٰ له إلا الحسرة والأسف عليه ويتمنىٰ الرجوع إلىٰ حال يتمكن فيها من العمل فلا تنفعه الأمنية» اهـ.

ويقول ابن الجوزي:

«ينبغي للإنسان أن يعرف شرف زمانه وقدر وقته، فلا يضيع منه لحظة في غير قربة ويقدم فيه الأفضل فالأفضل من القول والعمل، ولتكن نيته في الخير قائمة من غير فتور بما لا يعجز عنه البدن من العمل».

فعلىٰ المسلم أن يعتبر بعمره وحياته وليعلم أن أنفاسه هي أغلىٰ ما يملك، وليعلم أن العمر هو رأس المال، وكل نفس أعظم من ملء الأرض ذهبًا، فالله في مواسم العمر، والبدار البدار قبل الفوات، نافسوا الزمان وناقشوا النفوس واستظهروا الزاد.

فالوقت أنفس من المال وأغلىٰ، أرأيتم لو أن محتضرًا وضعت أمواله جميعًا ليزاد في عمره يوم واحد هل يحصل له ذلك التمديد وتلك الزيادة؟

الجواب: لا، ولا لحظة.

فعمر الإنسان هو موسم الزرع في هذه الدنيا والحصاد هناك في الآخرة، فلا يحسن للمسلم أن يضيع أوقاته وينفق رأس ماله فيما لا فائدة فيه.

فيا أيها الإنسان[1]:

دقـــات قلـــب المـــرء قائلـــة لـــه   إن الحيـــــاة دقـــــائق وثــــوان

---

(١) المسك والعنبر الجزء الثاني د/ عائض القرني صـ ١٥٧ باختصار.

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمر ثانٍ

اهـ.

أيها الناس:

إن هناك أناسًا يرتكبون في اليوم الواحد جبالًا من الخطايا وتلالًا من الذنوب، ومع ذلك لا يهتمون لها ولا يتأسفون عليها، فتراهم يلعبون ويمرحون ويضحكون ولا يبكون، وكأنهم سوف يخلدون في هذه الدار، وكأن الموت بمعزل عنهم، وكأنهم لن يعرضوا علىٰ الله عز وجل ليس بينهم وبينه حجاب ولا ترجمان في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون.

قيل لسفيان الثوري: اجلس معنا نتحدث؟ فقال: «كيف نتحدث والنهار يعمل عمله!!».

واعلموا أن الله تعالىٰ وصف شهر رمضان بقوله: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾[(١)]، سوف تمر وترحل.. تمر مر السحاب... وقلَّ من يتدبر ويتذكر سرعة تعاقب الليل والنهار، قال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾[(٢)].

الحرص على الاستفادة من الوقت:

إن الوقت هو الحياة والعاقل هو الذي يعرف قدر وقته وشرف زمانه، فلا يضيع منه لحظة من عمره إلا في خير للدنيا والآخرة، كما أن الإنسان حريص علىٰ المال، فليحرص علىٰ الوقت؛ لأنه رأس المال الحقيقي، والوقت من أعظم نعم الله تعالىٰ علىٰ العبد، قال ﷺ «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالْفَرَاغُ**»[(٣)].

---

(١) البقرة: (١٨٤).

(٢) الفرقان: (٦٢).

(٣) رواه البخاري رقم (٦٤١٢) في الرقاق في فاتحته والترمذي رقم (٢٣٠٥) في الزهد.

وقد حث ﷺ علىٰ اغتنامها، فقال: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[١].

فالوقت أمانة من أعظم الأمانات وسوف يُسأل عنه العبد يوم القيامة، قال ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ - وَفِي لَفْظٍ: وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ -، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»[٢].

ولقد أقسم الله تعالىٰ بالوقت، ومعلوم أن الله تعالىٰ إذا أقسم بشيء خلقه دل علىٰ أهميته وليلفت الأنظار إليه وينبه علىٰ جليل منفعته، فلقد أقسم الله تعالىٰ بالليل والنهار، فقال عز من قائل:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾[٣].

وأقسم بالفجر، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢﴾[٤].

وأقسم بالضحىٰ، فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾[٥].

وأقسم بالعصر، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾[٦].

---

(١) رواه الحاكم وصححه الألباني.

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٤١٩) في صفة القيامة باب رقم (١)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٠).

(٣) الليل: (١ - ٢).

(٤) الفجر: (١ - ٢).

(٥) الضحىٰ: (١-٢).

(٦) العصر: (١-٣).

والله تعالىٰ يقلب الليل والنهار للاتعاظ والاعتبار؛ قال تعالىٰ: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾[1].

فعلىٰ المسلم الصائم أن يغتنم ساعات هذا الشهر المبارك، وليحذر من قتل الوقت فيما لا يفيد بل يضر، كالجلوس علىٰ المقاهي وفي أماكن اللهو وفي الأسواق وفي الطرقات، بل أحيانًا يستثمر وقته في الحرام كمشاهدة الأفلام والأغاني.. إلخ.

وليحذر من السهر الطويل والنوم الطويل وتضييع الصلوات... إلخ.

إنــــما دنيـــــاك ســــــاعة فاجعــــل الـــساعة طاعـــة
واحـــذر التقـــصير فيهـــا واجتهـــد مـــا قـــدر الـــساعة
وإذا أحببـــــت عـــــزًّا فـــالتمس عـــز الطاعـــة

فمن توفيق الله للعبد أن يعرف خطر الأوقات والأنفاس وأن يسابق الأوقات بالطاعات، ويعلم أن كل نفس من أنفاس العمر جوهرة ثمينة يستطيع أن يشتري بها كنزًا لا يفنىٰ أبد الآباد، فتضييعه وخسارته أو اشتراء صاحبه به ما يجلب هلاكه لا يفعله إلا أقل الناس عقلًا وأكثرهم حمقًا.

أرأيت لو أن رجلًا ورث جواهر ثمينة نفيسة ثم ظل يلقي بها الواحدة تلو الأخرىٰ في الوحل والبحار والأنهار، بماذا تحكم عليه؟!

الجواب: بالجنون.

فما بالك بمن يضيع عمره يومًا تلو الآخر في معصية الله؟

الجواب: هذا هو المجنون الحقيقي.

---

(١) النور: (٤٤).

فالسعيد هو الذي يتاجر بأنفاسه مع الله.

قال الحسن البصري:

«المبادرة المبادرة فإنما هي أنفاس لو حُبست انقطعت عنكم أعمالكم التي تتقربون بها إلىٰ الله عز وجل».

يا من بدنياه انشغل وغره طول الأمل
الموت يأتي بغتة والقبر صندوق العمل

* * *

والليالي من الزمان حُبَالىٰ مثقلاتٍ يلدن كل عجيب![1]

إن الزمن آية تعجز العقول عن كنهها وما نعرفه إلا بما يخلفه في المادة من آثار ولعل سر الخلود والفناء مطوي فيه لا يعرفه إلا المحيط بظواهره وخوافيه.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾﴾[2].

والذي يجب أن نعقله أن حياتنا هذه ليست سُدىٰ، وأن الله أجل من أن يجعلها كذلك.

وإذا انتفعنا بمرور الزمن علىٰ خير وجه سجلنا لأنفسنا خلودًا لا يناوشه الزمن بهرم ولا بلىٰ عند الرفيق الأعلىٰ. اهـ.

حال السلف الصالح مع الوقت:

سلفنا الصالح هم خير من أدرك قيمة الوقت وأهمية العمر وهم أروع أمثلة

---

(١) انظر: خلق المسلم للشيخ الغزالي صـ ٢١٢ باختصار.

(٢) المؤمنون: (٧٩-٨٠).

علىٰ اغتنام دقائق العمر، واستغلال أنفاسه في طاعة الله واستثمارها في الفوز بالرضوان والنعيم المقيم، فقد كانوا يسابقون الساعات ويبادرون اللحظات حتىٰ لا تضيع منهم لحظة بلا فائدة وخاصة في شهر القرآن.

وكانوا[1] يبخلون بأنفاسهم أن تنفق في غير طاعة الله عز وجل فملئوا الدنيا عبادة وطاعة لله عز وجل، وتمنوا لو واصلوا العبادة بعد الموت، فهذا ثابت البناني يقول: «يا رب إن أذنت لأحد أن يصلي في قبره فأذن لي».

وبكىٰ أحد السلف عند موته فسُئل عن سبب بكائه، فقال: «أبكي لأن يصوم الصائمون ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم»: فكانوا أحرص علىٰ أوقاتهم من حرصنا علىٰ الدينار والدرهم» اهـ.

قال ابن مسعود: «ما ندمت علىٰ شيء كندمي علىٰ يومٍ غربت شمسه نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي».

وقال الحسن البصري: «ما من يوم ينشق فجره إلا وهو ينادي بلسان الحال: يا بن آدم أنا خلق جديد وعلىٰ عملك شهيد فاغتنمني، فإني إذا ذهبت لا أعود إلىٰ يوم القيامة».

وقال أيضًا: «يا بن آدم إنما أنت أيام إذا ذهب يوم ذهب بعضك».

وقال: «يا بن آدم نهارك ضيف فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل يحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل يذمك وكذلك ليلك».

وقال: «الدنيا ثلاثة أيام»: أما الأمس فقد ذهب بما فيه ولن يعود، وأما غدًا فلعلك لا تدركه، وأما اليوم فلك فاعمل فيه».

---

(١) انظر: خواطر إيمانية د/ أحمد فريد صـ ٧٣ باختصار.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كل نفس يخرج في غير ما يقرب إلىٰ الله تعالىٰ فهو حسرة علىٰ العبد»(١).

وقال أيضًا: «تضييع الوقت يخفي نور المراقبة»(٢).

وقال: «إضاعة الوقت أشد من الموت؛ لأن إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها»(٣).

وقال رجل لأحد العلماء: قف أكلمك.

قال: أوقف الشمس.

وقال بعضهم: من علامة المقت إضاعة الوقت.

فيا من أنفاسه محفوظة وأعماله ملحوظة أينفق العمر النفيس في نيل الهوىٰ الخسيس.

جد الزمان وأنت تلعب ... والعمر لا في شيء يذهب

* * *

كم كم تقول غدًا أتوب ... غدًا غدًا والموت أقرب

تزود من التقوىٰ فإنك لا تدري ... إن جن ليل هل تعيش إلىٰ الفجر

فكم من سليم مات من غير علة ... وكم من سقيم عاش حينًا من الدهر

وكم من فتىٰ يمسي ويصبح آمنًا ... وقد نُسجت أكفانه وهو لا يدري

أخي لما علم الصالحون قصر العمر وحثهم حادي وسارعوا طووا مراحل الليل مع النهار انتباهًا للأوقات.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١/ ١٦٢).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٢٩١).

(٣) الفوائد.

اصغ سمعك لنداء: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾.

وبادر بطي صحيفتك واحسر عن رأسك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموت وشمر للسباق غدًا، فإن الدنيا ميدان المتسابقين.

فبادر أخي باغتنام أوقات رمضان واحذر التسويف والكسل، فكم في المقابر من قتيل سوَّف، والتسويف سيف يقطع المرء عن استغلال أنفاسه في طاعة ربه، فاحذر أن تكون من قتلاه وضحاياه.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني
رسائل مهمة قبل أن تفتح أبواب الجنة

رسالة إلى الدعاة في رمضان

الرسالة الأولى: إلى الدعاة[١]:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾[٢].

فضيلة الشيخ المبارك:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله الذي يسر أمر الطاعة، وجعلك إمامًا لنا وقدوة، وبوأك مكانة عظيمة وأنت أهل لذلك - إن شاء الله تعالىٰ -.

أخي وشيخي وحبيبي في الله تعالىٰ، والله إن تحايا القلب تكاد تخرج من غير استئذان...

وكلمات التحية والسلام تتزاحم علىٰ الشفاه واللسان، وهي تدعو لك بالتوفيق والنجاح.

بداية: أسأل الله تعالىٰ أن يزجي بكلامك سحابًا من الخير، ثم يؤلف بينه في

---

(١) جمعت هذه الرسالة من موقع الرسائل الدعوية علىٰ شبكة الإنترنت. alrsael.net وموقع صيد الفوائد وكتاب دروس رمضان للشيخ عبد الملك القاسم، ومن موقع إمام: http://www.alimam.ws/ref/٧٦٢/print بزيادات وتصرف.

(٢) فصلت: (٣٣).

قلوب المؤمنين، ثم يجعله ركامًا هائلًا من العطاء المبارك، فترىٰ ودق الصدق والنور يخرج من خلاله، فيصيب به من يشاء من عباده المؤمنين البررة.

وأسأل الله تعالىٰ أن يجزيك خيرًا، وأن يقر عينيك بعز الإسلام والمسلمين، وقيام كلمة الحق ظاهرة، وأن يكتب لك ما احتسبت، وأن يجزيك عن الإسلام والمسلمين خير ما جزىٰ عباده الصالحين.. آمين.

ولعل في هذه الأيام المباركة يكون التواصي أوثق والتناصح أوجب.

ولعلمي بسعة صدرك، وكيف لا وقد حملت علىٰ كاهلك أعظم ما اختص به أنبياء الله ورسله ألا وهي مهمة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وتبليغ دينه.

أذكر نفسي وإياك بأمور لا تغيب عن بالك، فمثلي ومثلك كالذي يبيع ماء زمزم علىٰ أهل مكة شرفها الله تعالىٰ.

أيها المبارك، هذا رمضان الخير قد أوشك أن يُطل علينا من جديد وها هي نفحات السعادة أوشكت أن تنبعث؛ لتنثر بين جوانحنا فوح الطاعة وأريج العمل الصالح، وأظن أنه لا يخفىٰ عليك أن النبي ﷺ كان يستفيد من المناسبات في دعوته إلىٰ الحق وينتهز المواقف ليسخرها في الوعظ والتذكير، وقد كان ﷺ يقصد تجمعات الناس في المواسم، ويذهب إليها ليبلغ دين الله تعالىٰ، وكان لا يدع أية فرصة إلا ويسخرها في خدمة الدعوة.

ويراعي في ذلك أحوال الصحابة الكرام.

ومن ذلك أنه مرّ ذات يوم علىٰ جدي أسك ذكرهم بحقارة الدنيا..»[١] ولو ذهبنا نستقري مواقفه ﷺ في هذا الباب لطال بنا الحديث.

---

(١) انظر: صـ٢٨.

فهل أدركت أخي الغالي قيمة هذه الفرصة الدعوية التي لا تتأتىٰ في العام إلا مرة واحدة، وإذا كان أصحاب الدعاية والإعلام والفن والغناء قد أعدوا عدتهم من قبل رمضان بأشهر، وهم في جد واجتهاد وتراهم يعرضون مهرجاناتهم وبرامجهم ويروجون لمسلسلاتهم ومسارحهم، ويدعون إلىٰ سهراتهم وملاهيهم التي يشغلون بها أوقاتهم في رمضان المبارك، ويرون أنهم علىٰ شيء وهم علىٰ سراب وباطل، قد استحوذ عليهم الشيطان، فإن الداعية إلىٰ الله تعالىٰ القائم علىٰ الحق أولىٰ وأحرىٰ بأن يعد لرمضان العدة، ويشمر عن ساعدي الدعوة، ويرتدي رداء الأنبياء المبلغين الناس الخير والهدىٰ، وأن يبذل في ذلك قصارىٰ جهده، وغاية وسعه في الترويج للحق، وإعلان كلمة التوحيد، ويفتح لآفاق الدنيا منافذ البصيرة والضياء.

وينبغي علىٰ الداعية أن يستعد لاستغلال شهر رمضان استغلالًا تامًّا يسد جميع أبواب الفراغ، ويغطي ساحات العمل الدعوي، ويشبع الناس بالدعوة إلىٰ الله بشتىٰ الوسائل والبرامج، فإننا في عصر نتحين فيه الفرص: متىٰ يقبل الناس منا، ومتىٰ يقبل الناس علىٰ الدين؟

فهل أعددت الخطط والأفكار والبرامج والأهداف لكي يجعلك الله سببًا لوصول الناس بأمان وسلام إلىٰ شاطئ الهداية والنور، وإنقاذهم من طوفان الغفلة والظلام.

فما أكثر التائبين في هذا الشهر الكريم! وما أكثر الأنفس التي تقبل علىٰ الله تعالىٰ.

فالمساجد تكتظ بالناس، فهذا يتلو كتاب الله، وآخر يدعو، وثالث قائم يصلي، ناهيك عن وجوه الخير الأخرىٰ التي يفعلها بعض الناس من بذل الصدقات وتفطير الصائمين والاجتهاد في سائر النوافل والقربات، فمتىٰ

سندعوا إلىٰ الله تعالىٰ إن فرطنا في مثل هذه الفرص المواتية المباركة؟ وبعد هذا فماذا تنتظر أخي الداعية؟

وأنت تحمل مشعل الحق وعنوان الصواب، فقم أخي المفضال من لحظتك وشمر عن ساعديك داعيًا إلىٰ الله تعالىٰ.

وإليك بعض الوصايا:

١- أوصي نفسي وإياك بتقوىٰ الله تعالىٰ والإخلاص في مهمتك، فراقب الله في أداء ما وكل إليك، وإياك أن يستولي عليك الكسل والفتور، فتضيع الأمانة، فأنت يا أخي عليك عبء كبير في هذا الشهر المبارك من استعداد وتجهيز وتحضير ومراجعة وحفظ.

فادع الله عز وجل أن يعينك وأن يجعل ذلك في موازين حسناتك، وأوصي نفسي وإياك أن تخلص النية لله تعالىٰ وأن تراقبه في كل دقيق وجلل، فالمسئولية كبيرة والأمانة عظيمة، والأمة في انتظار كلماتك المباركة النافعة، فإن حاجة الأمة للكلمة الصادقة من الداعية الناصح أعظم من حاجتها إلىٰ طعامها وشرابها.

وإن الأمة اليوم ممثلة في جيلها الطاهر الهدار بالمثل أصبحت أذن صاغية لكلمة الأوفياء الخيرين - أسأل الله أن يجعلك منهم -.

٢- عليك بتهيئة الناس لاستقبال رمضان قبل دخوله بوقت مناسب.

٣- اهتم جيدًا بتنظيم وقتك، فاجعل وقتًا لمراجعة الورد القرآني اليومي، ووقتًا للقراءة والتحضير، ووقتًا لإلقاء الدروس والمحاضرات، ووقتًا للوقوف بين يدي علام الغيوب في جوف الليل وادعوه أن يفتح لك أبوابًا من الإخلاص والتوفيق والهداية... وبالله عليك لا تنساني بالدعاء.

٤- استغل فرصة إقبال الناس علىٰ المساجد، فلا تبخل عليهم بكلمة توجيهية

بين كل وقت وحين، ترشد ضالهم، وتنبه غافلهم وتجيب سائلهم، واحرص أن تكون كلماتك وتوجيهاتك مناسبة لعوام الناس تلامس بها ما يعايشونه من مشاكل وهموم، وما يقعون فيه من أخطاء، فالناس يحتاجون إليك وإلىٰ علمك.

٥- العناية بفئة الشباب وتوظيف طاقاتهم إلىٰ ما فيه الخير في الدنيا والآخرة.

٦- اعمل بما تقول ليكون أجدىٰ تأثيرًا في الناس، فإن من يتكلم بكلام جميل ولكنه يعارضه بفعل القبيح لا يقبل الله منه، ولا يقبل منه الناس، قال تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1].

ويقول الشاعر:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

٧- الاستفادة من حضور النساء، والقيام بتوجيههن بالكلمات النافعة وتوزيع النشرات والكتب والمطويات والأشرطة عليهن ليعم النفع.

٨- لوحة المسجد لها تأثير عجيب في نفوس رواد المسجد، فاحرص بارك الله فيك علىٰ تنوع مادتها وثرائها وفائدتها وتجديدها بين الحين والآخر، وتستطيع أن تجعل صندوقين في المسجد لتلقي الأسئلة والاقتراحات والرد عليها.

٩- لا يتوقف دور الداعية داخل المسجد فقط بل عليك بزيارة المرضىٰ في المستشفيات وتستطيع أن تشكل فريقًا من رواد المسجد يسمىٰ «فريق عيادة المريض» وتكون العيادة دورية مرة كل أسبوع أو مرة كل شهر، وعليك بزيارة المدارس، وإلقاء المحاضرات فيها وزيارة المحلات التجارية التي بجوار المسجد،

---

(١) البقرة: (١٤٤).

وإعطائهم بعض الهدايا من الأشرطة والمجلات الإسلامية وغيرها، وعليك ببسط النفس ولين الجانب وبشاشة الوجه، فإن تلك الأمور اليسيرة مفتاح للقلوب القاسية وجرب وسترىٰ.

لا تنس مشاريع الخير للفقراء مثل «شنطة رمضان» ورعاية الأيتام.. إلخ، وإلىٰ غير ذلك من الأنشطة والبرامج التي تساعد في جذب الناس ودعوتهم ولا مانع من وضع برامج أخرىٰ وأنشطة أخرىٰ يراها إمام المسجد ما دامت تحقق هدفًا من أهداف الدعوة إلىٰ الله، وليكن في كل الأوقات محفزًا للناس، ومشجعًا لهم وباعثًا لهم إلىٰ الاهتمام بجانب العبادة وقراءة القرآن وقيام الليل وسائر الطاعات.

١٠- من التعاون علىٰ البر والتقوىٰ، ساهمتُ بهذا الكتاب المتواضع وهو: «عبير الزمان في آداب وأحكام الصيام».

وجعلته بين يديك وجمعت لك فيه قطوفًا متنوعة من مواعظ وتفسير وعقيدة وحديث وفقه وأخلاق، فما عليك إلا أن تقطف الثمار وتدعو لي بظهر الغيب، أسأل الله لي ولك القبول والتوفيق إلىٰ ما يحبه ويرضاه.

وفي الختام جعلنا الله وإياك دعاة لدينه حماة لشريعته، ورزقنا الإخلاص في القول والعمل.

وصلِّ اللهم علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلِّم.

* * *

رسالة إلى المرأة في رمضان

الرسالة الثانية: إلى المرأة المسلمة في رمضان:

إلىٰ الأم، والزوجة، والبنت، والأخت، والمربية، والمعلمة والحاضنة، إلىٰ مخرجة الرجال، ومربية الأبطال، ومنشئة القادة والعلماء والدعاة.

إليكِ أيتها الداعية التي ندبت نفسها لأعظم طريق يوصل إلىٰ الجنة ورضوان الله.

إلىٰ بنت الإسلام إلىٰ أصل العز والشرف والحياء، إلىٰ المرأة المسلمة التي تربعت طيلة القرون الماضية علىٰ عرش حيائها تهز المهد بيمينها وتزلزل عروش الكفر بشمالها إلىٰ الدرة المصونة واللؤلؤة المكنونة إلىٰ بنت الإسلام.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بداية: أسأل الله تعالىٰ أن يثبتكِ علىٰ طريق الهداية والخير والصلاح، ويوفقكِ للتمسك بشرع الله تعالىٰ ظاهرًا وباطنًا، ويعينكِ علىٰ أداء حقوقه وحقوق عباده، وأبشرك ببشارة عظيمة يسوقها لك من لا ينطق عن الهوىٰ.

يقول ﷺ:

«إِذَا صَلَّتِ الْـمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا - أي: زوجها - **دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْـجَنَّةِ شَاءَتْ»**[1].

والآن أختي:

هل أدركت معنىٰ هذا الضيف العزيز المبارك الذي أوشك أن يهل علينا، وهل عرفت أي فضلٍ ننتظره، وهل ترغبين بنيل ذلك الأجر كله في الصيام؟ لا أظنكِ ترددين، وإذا أردت ذلك فما عليك إلا أن تشمري عن ساعد الجد وتعملي

(١) رواه أحمد واللفظ له، ورواه مسلم.

بهمة ونشاط لتكوني أحد الفائزين بتلك الجوائز العظيمة في هذا الشهر المبارك[(١)].

وقد جمعت لكِ بين يديكِ في هذا الكتاب كل ما تحتاجين إليه في هذا الشهر المبارك من فضائل وأحكام.

فاقرئي بدقة، واعملي بإخلاص، وانشري هذا الهدىٰ بين الناس وخاصة جميع أفراد الأسرة.

فأنت الركيزة الأولىٰ في بناء المجتمع المسلم بل في كيان الأمة بأسرها، قال ﷺ: «...وَالْـمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِي مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا»[(٢)].

فالأم هي الحضن التربوي الطاهر الذي خرج القادة الفاتحين والعلماء العاملين والدعاة الصادقين، فوالله ثم والله ما فتحنا الدنيا إلا بأمهات عفيفات متدينات عالمات، مجاهدات صابرات، حافظات للغيب قانتات، تائبات عابدات صائمات داعيات[(٣)].

وإليك بعض الوصايا الرمضانية:

١ - استحضري النية وأخلصي العمل لله، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾[(٤)].

٢- حافظي علىٰ الصلاة في أوقاتها مستوفية لشروطها وسننها وأركانها وواجباتها، يقول تعالىٰ لأمهات المؤمنين: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[(٥)].

---

(١) كيف تكونين امرأة رمضانية مريم السالم صـ ١٣ بتصرف ط دار القاسم لسنة ١٤١٦هـ.

(٢) رواه البخاري (١٣/ ١٠٠) في الأحكام، ومسلم رقم (١٨٢٩) في الإمارة باب فضيلة الإمام العادل.

(٣) المرأة وأثرها في استقامة المجتمع، للشيخ محمد حسان من كتاب خطبة صـ ١٦١ بتصرف يسير ط دار ابن رجب.

(٤) الكهف: (١١٠).

(٥) الأحزاب: (٣٣).

٣- احذري من تضييع الأوقات في إعداد الطعام واعلمي أن رمضان شهر الصيام. وليس شهر الطعام، وجربي الطهي بالتسبيح والذكر والاستغفار، أو الاستماع للخطب والمحاضرات عبر جهاز التسجيل أثناء إعداد الطعام، واحذري من الإسراف في الطعام والشراب.

٤- احذري من قضاء أكثر الوقت في النوم فإنه يجلب الكسل والخمول ويضيع الوقت.

٥- احذري من عصيان الله تعالىٰ بالسهر أمام القنوات التلفزيونية التي تعرض الأفلام والفوازير.. إلخ.

٦- رمضان فرصة عظيمة للتزود من الطاعات فلا تضيعيه بالخروج للأسواق وخاصة أيام العشر الأواخر.

٧- إذا كنتِ ممن يُصلي في المساجد فَمُري بالمعروف، وانهي عن المنكر، وعلمي أخواتك الجاهلات، وانصحي الغافلات، فهي فرصة كبيرة للتذكير والمناصحة خاصة وأن القلوب مستعدة لقبول الحق في هذا المكان الطاهر، وفي هذا الشهر المبارك.

٨- ولا تؤذي الآخرين بأطفالك وخاصة في المساجد أثناء الصلاة وأثناء سماع دروس العلم.

٩- احذري التبرج والسفور ولا تكوني أنت المعول الذي يهدم به الإسلام ولا الخنجر الذي يطعن به الإسلام.

قال ﷺ: **«صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ**

كَذَا وَكَذَا»[١].

١٠- أختي المسلمة حاولي مضاعفة أعمال الخير والطاعات المباحة لك أيام الحيض في وقت عادتك، إذ لا صلاة تجب عليكِ ولا صيام، فعوضي عن ذلك بأنواع القُربات المختلفة، كذكر الله تعالىٰ والاستغفار والصلاة علىٰ النبي ﷺ والدعاء، والصدقة، واستماع القرآن وقراءة الكتب النافعة والمساهمة في تفطير الصائمين، وغير ذلك من أعمال البر، واعلمي أختي أنك إذا احتسبتي في تركك للصلاة والصيام وقت الحيض، وأنك ما تركتيهما إلا تعبدًا لله عز وجل ورضاءً بقدره فأنتِ مأجورة[٢] علىٰ ذلك - إن شاء الله تعالىٰ -.

أسأل الله تعالىٰ أن يصلحنا ويصلح نساءنا وأسرنا ومجتمعنا ومجتمعات المسلمين، وأن يحميهم من الشر والفساد ويرد كيد الكائدين وعدوان المعتدين ونفاق المنافقين ووسائل المفسدين، آمين يا رب العالمين[٣].

❊ ❊ ❊

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨/ ١٢٥).

(٢) كيف تكونين امرأة رمضانية صـ ٢١ إلىٰ صـ ٢٥ باختصار وزيادات وتصرف.

(٣) المرأة المسلمة ومسؤولياتها في الواقع المعاصر صـ ١٤٢ تأليف أ.د: فالح بن محمد الصغير.

رسالة إلى المدخنين في رمضان

الرسالة الثالثة: رسالة خاصة... وعاجلة!! إلى الإخوة المدخنين

نفحات الرحمن في تحريم الدخان:

الحمد لله الذي أمر بكل طيب، ونهىٰ عن كل خبيث، الذي قال عز من قائل: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[1].

وقد ميز لنا الله سبحانه وتعالىٰ الخبيث من الطيب، فقال تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ﴾[2].

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد ﷺ الذي وضع لنا الأسس لتمييز الخبيث من الطيب، فقال ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ فِي الْإِسْلَامِ**»[3].

أخي المدخن:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد...

أخي في الله أود أن أُخاطب من خلال هذه الرسالة الموجزة عقلك وقلبك بكلمات تنبض بالمحبة الصادقة راجيًا لك السعادة في الدنيا والآخرة.

أيها الغالي لا تكن ممن أضاع وقته وماله وآذىٰ غيره وعرض نفسه للانتحار البطيء!! وأغضب رب السموات والأرض.

وإني يا أخي الحبيب لا أحدثك عن أضرار التدخين الصحية، فهي معروفة

---

(١) الأعراف: (١٥٧).

(٢) آل عمران: (١٧٩).

(٣) **صحيح**: حديث رواه الإمام أحمد (٢٣٤٠)، (٢٣٤١) ورواه ابن ماجه (١٣) كتاب الأحكام (١٧) باب (من بنىٰ في حقه ما يضر جاره).

للقاصي والداني حتىٰ أن شركات تصنيع التبغ تقر ذلك، بل وتكتبه علىٰ علب السجائر، وتقر أنه يدمر الصحة ويسبب السرطانات والوفاة - والعياذ بالله -.

حتىٰ أن منظمة الصحة العالمية أعلنت سنة ١٩٧٥م أن التدخين أشد خطرًا علىٰ صحة الإنسان من أمراض السل والجزام، والطاعون والجدري مجتمعة.

فهل ترضىٰ لنفسك هذا؟

تقتل نفسك وتعطي أموالك لشركات التبغ التي يملك معظمها اليهود والنصارىٰ أعداء الإسلام والمسلمين، وأعداء رب العالمين.

وهذا الفم الطاهر المرتل للقرآن، والمسبح للرحيم الرحمن والذي قال عنه سيد الأنام:

«لَخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»(١).

يُلوث ويُدمر بالدخان!!

وأجهزة الجسم التي أبدع خلقها الملك العليم العلام تعرضها للأمراض الفتاكة المهلكة التي يسببها الدخان، فهو يحتوي علىٰ ما يزيد علىٰ (٣٦٠٠) مركب مختلف، وهي تملك خواص مهيجة ومسرطنة، ومنها: النيكوتين والذي يكفي «واحد مليجرم» منه لقتل الإنسان.

والله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾.

ويقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾.

أخي الحبيب، إنك في حاجة إلىٰ وقفة صادقة مع نفسك الآن وفورًا حتىٰ تتخلص من هذا الصديق اللدود الخبيث.

---

(١) سبق تخريجه.

سل نفسك: لماذا أُدخن؟

جاوب علىٰ نفسك بصدق، وخذ القرار الصحيح بعزيمة صادقة وهمة عالية لتدوس بقدمك الحازمة ذلك «الصديق» الخبيث الآن قبل فوات الأوان، وتب إلىٰ الله تعالىٰ مما سببه لك من مخالفة لشرع الله تعالىٰ، فاستعماله حرام، قال تعالىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾، وهو تبذير، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧﴾.

ولقد أفتىٰ أهل العلم في الماضي والحاضر بأن شرب الدخان محرم، وكذلك بيعه وشراؤه وتأجير المحلات لمن يبيعه.

وهي يشبه طعام أهل النار - والعياذ بالله - فهو لا يسمن ولا يغني من جوع، قال تعالىٰ: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ٦ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ ٧﴾[١].

واعلم أن هذا الجسد ملك لله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾[٢].

وسوف تسأل عنه يوم القيامة وعن مالك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ»**[٣].

وأنت تتسبب أيضًا في إيذاء أحب الناس إليك زوجتك وأولادك وأهل

---

(١) الغاشية: (٦، ٧).

(٢) المؤمنون: (١٢-١٤).

(٣) رواه الترمذي حديث (٢٤١٧) انظر: صحيح الترمذي للشيخ الألباني حديث (١٩٧٠).

بيتك، فأضرار التدخين لا تقتصر علىٰ الشخص المدخن وحده بل ينشر الضرر لأشخاص غير المدخنين الذين يستنشقون الدخان المنبعث من السيجارة أو الشيشة، وهذا ما يسمىٰ التدخين السلبي أو التدخين بالإكراه.

والرسول ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ»(١).

وقال ﷺ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»(٢).

أخي الحبيب تب إلىٰ الله من هذه السيجارة التي تهدد حياتك وسعادتك، فهي طاعة للشيطان ومعصية للرحمن، وإيذاء للجيران والإخوان وتلويث للأركان وقذارة للمكان وإيذاء لملائكة الرحمن.

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٨﴾﴾(٣).

واعلم أن شهر رمضان فرصة ذهبية لترك الدخان وهو عيادة مجانية وفعالة للإقلاع عن التدخين، فهو يقوي العزيمة والمجاهدة فاستعن بالله.

واجعل رمضان هذا العام بلا دخان.

وإليك بعض الوصايا:

١- استعن بالله واتركه مخلصًا لله تعالىٰ، قال ﷺ: «.. وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ».

٢- ألح علىٰ الله بالدعاء وخاصة عند الإفطار وفي وقت السحر واسأله أن يتوب عليك.

---

(١) رواه البخاري (كتاب الأدب) باب «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ» (٤/ ٥٣)، ورواه مسلم حديث (٧٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الأحزاب: (٥٨).

٣- استثمر الصيام في تدعيم قرارك.

٤- سيتولد لديك صراع داخلي للعودة إلىٰ التدخين، فتذكر قول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ ۝٢٠١﴾.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠﴾.

٥- اذهب إلىٰ طبيب الأسنان واطلب منه أن: يزيل كل رواسب وأوساخ التدخين من أسنانك للتخلص من آثاره ورائحته الكريهة ثم استعمل السواك.

وتذكر قول الرسول ﷺ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ، مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»[1].

فالسواك هو الدواء والسجائر هي الداء، فهناك ميل فيسيولوجي وعلاقة ميكانيكية بين اليد والفم[2].

٦- تجنب الأماكن التي يكثر فيها التدخين والمدخنون، وتذكر قول الرسول ﷺ: «فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ».

وقال ﷺ: «الْـمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُـخَالِلُ».

٧- أبلغ زوجتك وأهلك ومن تثق بهم بقرارك، فإنهم سيكونون مصدر تدعيم مهم - إن شاء الله -.

٨- تذكر أنك تستعد لاستقبال شهر الصوم، وأن ذلك يقتضي ترك الخبائث والمنكرات، والتدخين من الخبائث التي يجب تركها، قال تعالىٰ: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾.

وكما يقولون: «التخلية قبل التحلية».

---

(١) أخرجه أحمد (٤٢/ ٦٤) (٢٥١٣٣) والدارمي (٧١١).

(٢) السواك الدواء والسجائر الداء د: رامي محمد ديابي من مقالة له علىٰ شبكة الإنترنت باختصار وتصرف يسير.

٩- تصدق بجزء ولو يسير من المال الذي كنت تنفقه علىٰ الدخان: واستثمره عند الرحيم الرحمن.

١٠- حاول أن تجد رفيقًا لك من المدخنين لتتعاهدا معًا أمام الله تعالىٰ علىٰ ترك التدخين، قال تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾.

وأخيرًا: أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يُلهمنا وإياك الصواب، وأن يكفينا شرور أنفسنا، وأن يهدينا جميعًا سبيل الرشاد إنه علىٰ كل شيء قدير، وصلىٰ الله علىٰ البشير النذير وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

الباب الثالث

كيف نستقبل رمضان؟

من هنا نبدأ وعند باب الريان نلتقي - إن شاء الله -

التهنئة بقدوم رمضان

كان رسول الله ﷺ يبشر أصحابه بقدوم رمضان، كما أخرجه الإمام أحمد والنسائي، فعن أبي قلابة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يبشر أصحابه فيقول:

«قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ شَهْرٌ مُبَارَكٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، فِيهِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»[1].

جاء شهر الخيرات بالبركات ... فأكرم به من زائر هو آت[2]

أحبابي في الله:

ها هي الأيام المباركة قد أزهرت وأينعت، فأين المشمرون؟

أخي وحبيبي في الله إياك إياك أن تتكاسل في هذا الشهر المبارك الذي أظلنا، فمن لم يربح في رمضان ففي أي وقت يربح.

إذا الروض أمسىٰ مجدبًا في ربيعه ... ففي أي حين يستنير ويخصبُ

فرمضان شجرة طيبة، الأسابيع فروعها، والأيام أغصانها، والساعات أوراقها، والأنفاس بذورها، والخير والسعادة ثمرها، فازرع الخير في رمضان لتجني الثمر في الدنيا وعند باب الريان، واعلم أنه علىٰ قدر جودة البذر والعناية به يكون جودة الثمر.

---

(١) إسناده صحيح: (رواه النسائي والبيهقي وكلاهما عن أبي قلابة، انظر مسند الإمام أحمد (٧١٤٨، ٩٤٩٣، ٨٩٧٩) تحقيق العلامة: أحمد شاكر.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب صـ ٢٧٩.

يقول ابن رجب في لطائف المعارف:

أتى رمضان مزرعة العباد لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولًا وفعلًا وزادك فاتخذه إلى المعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها تأوه نادمًا يوم الحصاد[1]

* * *

(١) المصدر السابق صـ٢٨.

رمضان شهر القرآن فرصة لا تعوض:

مرحبًا بالضيف الكريم:

يقول مصطفى الصادق الرافعي أديب الإسلام:

فديتك زائرًا في كل عام ... تُحيا بالسلامة والسلام
وتُقْبِل كالغمام يفيض حِينًا ... ويبقى بعده أثر الغمام
وكم في الناس من كَلِف مَشُوقٍ ... إليك وكم شجيٍّ مستهام
رمزت له بألحاظ الليالي ... وقد عيّ الزمان عن الكلام
فظل يعدّ يومًا بعد يومٍ ... كما اعتادوا لأيام السقام
ومدّ له رواق الليل ظِلًّا ... ترف عليه أجنحة الظلام
فبات وملء عينيه منام ... لتنفض عنهما كسل المنام
ولم أر قبل حبك من حبيب ... كفى العشاق لوعات الغرام
فلو تدري العوالم ما درينا ... لحنّت للصلاة وللصيام
بَنِي الإسلام هذا خير ضيف ... إذا غشي الكريم ذرا الكرام
يلُمُّكم على خير السجايا ... ويجمعكم على الهمم العظام
فشدوا فيه أيديكم بعزم ... كما شدَّ الكميّ على الحسام
وقوموا في لياليه الغوالي ... فما عاجت عليكم للمقام
وكم نفر تغرهم الليالي ... وما خلقوا ولا هي للدوام

وخلــوا عـــادة الـــسفهاء عـــنكم ... فتلـــك عوائـــد القـــوم اللئـــام

يحلـــــون الحـــــرام إذا أردوا ... وقـــد بـــان الحـــلال مـــن الحـــرام

ومـــا كـــل الأنـــام ذوي عقـــول ... إذا عَـــدُّوا البهـــائمَ في الأنـــام

ومـــن روّتـــه مرضـــعة المعـــاصي ... فقـــد جاءتـــه أيـــام الفطـــام[(١)]

* * *

رمـــضان هـــلَّ بـــوافر الخـــيرات ... يهـــدي لنـــا الآمـــال والبركـــات

يحيـي القلـوب بهـدي رب راحـم ... ويمُـــدنا بـــالنور والنفخـــات

شـهر الفـضائل جئتنـا تجلـو العنـا ... بالحـــب تنعـــشنا وبالنـــسمات[(٢)]

هذا شهر رمضان الذي كان السلف يدعون الله تعالىٰ ستة أشهر أن يبلغهم إياه، ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبله منهم.

فكان من دعائهم: «اللهم سلمنا رمضان وتسلمه منا مقبولًا».

فشهر رمضان هو فرصة الزمان، هكذا ينبغي أن يعتقد المسلم، وهكذا كان يعتقد سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - فلم يكن رمضان بالنسبة لهم مجرد شهر من الشهور، بل كان له في قلوبهم مكانة خاصة ظهرت واضحة من خلال استعدادهم له واحتفائهم به ودعائهم وتضرعهم إلىٰ الله تعالىٰ أن يبلغهم إياه لما يعلمون من فضيلته وعظيم قدره ومنزلته عند الله تعالىٰ.

ولما لا.. وهو شهر نزول القرآن الكريم والكتب السماوية، وهو شهر الشفاعة

---

(١) من ديوان الرافعي (٣١).

(٢) دكتور عثمان قدري مكانس من علىٰ «موقع صيد الفوائد» علىٰ شبكة الإنترنت.

بالصيام والقرآن شهر الشفاعة بالصيام والقرآن، شهر التوبة وتكفير الذنوب، شهر غلق أبواب النار، شهر فتح أبواب الجنة، شهر العتق من النار.

شهر تصفد فيه الشياطين، شهر التراويح والتهجد، شهر ليلة القدر، شهر الدعاء، شهر الصبر والشكر، شهر الجهاد، شهر مضاعفة الحسنات.

فعلىٰ المسلم أن يعرف لهذا الضيف قدره وينزله منزلته ويحسن استقباله، فهو ضيف عزيز كريم يهل علينا بأنفاسه الخاشعة الزاكية وبرحماته الندية.

أخي وحبيبي في الله استحضر في قلبك الآن أحب الناس إليك، وقد غاب عنك أحد عشر شهرًا، وهب أنك بُشرت بقدومه وعودته غدًا - إن شاء الله تعالىٰ - فكيف تكون فرحتك بقدومه واستبشارك بقربه، وبشاشتك للقائه بعد طول غياب؟ فما بالك إذا كان هذا الحبيب القادم هو شهر القرآن، وجاءك بما فيه من خير وبركة وبشريات، وأنس وسرور وحبور، وبهجة وضياء وفرص لغسل ذنوب التائبين النادمين، ورفع درجات المحبين الصادقين.

رمضان الذي تبهج بطيب ساعاته قلوب العابدين المتقين، وتسعد بلحظاته قلوب الراكعين الساجدين لله رب العالمين.

فهلم يا باغي الخير إلىٰ شهر يضاعف فيه الأجر للأعمال، فقد هبت علىٰ القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب في رمضان، وسعىٰ سمسار الوعظ للمهجورين في الصلح، ووصلت البشارة للمنقطعين بالوصل وللمذنبين بالعفو، والمستوجبين النار بالعتق.

فيا من طالت غيبته عن مولاه، قد أقبلت أيام التجارة الرابحة، واعلم يا أخي أن الناصح لنفسه لا تخرج عنه مواسم الطاعات وأيام القربات عطلًا؛ لأن الأبرار نالوا البر بالبر.

وضع نصب عينيك قول المصطفىٰ ﷺ: «**افْعَلُوا الخَيْرَ دَهْرَكُمْ، وَتَعَرَّضُوا لِنَفَحَاتِ رَحْمَةِ اللهِ، فَإِنَّ للهِ نَفَحَاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ يُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ**»[(١)].

وإليك بعض الوصايا المهمة التي نستقبل بها رمضان:

١ - الحمد والشكر لله تعالىٰ علىٰ بلوغ شهر رمضان: إن إدراك شهر رمضان نعمة عظمىٰ، ومنة كبرىٰ تحتاج إلىٰ الحمد والشكر، فكم من أناسي حال بينهم وبينه هادم اللذات، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾[(٢)].

فعليك أن تحمد مولاك أن جاءك رمضان وأنت بصحة وعافية ترتشف من رحيقه، وتشم عاطر شذاه الفواح وترتوي من معينه العذب.

ولكي تعرف نعمة صيام رمضان أهدي إليك هذا الحديث الذي صححه الشيخ الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رجلان من بَلِيّ - حيّ من قُضاعة - أسلما مع رسول ﷺ، فاستشهد أحدهما وأخر الآخر سنة، فقال طلحة بن عبيد الله: فرأيت الجنة فرأيت المؤخر منهما أُدخل الجنة قبل الشهيد، فتعجبت لذلك، فأصبحت فذكرت ذلك للنبي ﷺ - أو ذُكر لرسول الله ﷺ - فقال رسول الله ﷺ: «**أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ، وَصَلَّىٰ سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ وَكَذَا وَكَذَا رَكْعَةً صَلَاةَ السَّنَةِ؟!!**»[(٣)].

ورواه ابن ماجه وابن حبان في «صحيحه» والبيهقي كلهم عن طلحة بنحوه

---

(١) حسن: رواه الطبراني في الكبير عن أنس، وقال الهيثمي: إسناد رجاله رجال الصحيح. وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (١٨٩٠).

(٢) إبراهيم: (٧).

(٣) رواه أحمد بإسناد حسن وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (٣٧٢- (٢٣)).

أطول منه وزاد ابن ماجه وابن حبان في آخره: «**فَلَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**».

﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٢- وعلينا أن نستقبل رمضان بالفرح والبشر والسرور، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[1].

وذلك لأن محبة الأعمال الصالحة والاستبشار بها فرع من محبة الله تعالىٰ، وذلك مصداقًا لقوله تعالىٰ:

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾[2].

فالمسلم يفرح برمضان ويسعد بقدومه الذي كان يترقبه الساعة تلو الساعة، يفرح بتوبة الله عليه من المعاصي والذنوب، يفرح لأن أبواب الجنة مفتحة وأبواب النار مغلقة والشياطين مصفدة.

يفرح بعودة الناس إلىٰ رب الناس جل في علاه، يفرح بإقبال الناس علىٰ المساجد وامتلائها بهم في جميع الصلوات من غبش الفجر إلىٰ العشاء، يفرح بتوفيق الله له بقيام رمضان كل ليلة، يفرح لأن الله تعالىٰ أعطاه فرصة عظيمة لدخول الجنة ورضا الملك جل في علاه عنه.

فهذه هي أفراح أهل الإيمان أفراح علوية، ومسرات روحية، تطلق النفوس من قيد المطامع الشخصية، وتحررها من أسر الأغراض المادية إنها أفراح أهل الطهر والصفاء والمحبة والإخاء والبر والسعادة والهناء.

---

(١) يونس: (٥٨).

(٢) التوبة: ١٢٤.

٣- عقد العزم الصادق والهمة العالية علىٰ استغلال رمضان بالأعمال الصالحة:

علينا أن نستقبل رمضان بعقد العزم علىٰ تعميره بالطاعات وزيادة الحسنات وهجر السيئات وتحقيق الوقفات السابقة من:

توبة صادقة، تطهير القلوب، والإخلاص، والاستفادة من الوقت.

٤- تعلم فقه الصيام وأحكامه وآدابه، حتىٰ يتم الإنسان صيامه علىٰ الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، فيستحق بذلك تحصيل الأجر والثواب وتحصيل الثمرة المرجوة والدرة الغالية، وهي التقوىٰ(١).

٥- تزكية النفس وتعويدها علىٰ الصيام، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾(٢).

وقد كان النبي ﷺ يصوم شعبان كله، وكان يصوم شعبان إلا قليلًا، وكان هذا ضروريًّا لتعويد النفس علىٰ الصيام حتىٰ إذا جاء رمضان كانت مستعدة بلا كلفة، وكذلك لابد من تعويد النفس علىٰ قيام الليل قبل رمضان وإن كان لازمًا لكل الناس، فهو للدعاة والأئمة ألزم، ففيه من الأسرار ما تنفتح له مغاليق القلوب، وتنكسر أمامه أقفالها، فتتنزل الرحمات والبركات، ويفتح علىٰ الإنسان من أبواب الفهم والفتح ما لا يعلمه إلا الله، ومن تخرج من مدرسة قيام الليل يؤثر في الأجيال بعده إلىٰ ما شاء الله، والمتخلف عن مدرسة الليل تقسو قلوب الناظرين إليه.

فعليك أيها الحبيب بمجاهدة النفس علىٰ القيام، ولتكن البداية ركعتين ثم زد رويدًا رويدًا، حتىٰ ينفتح قلبك وتأتي فيوضات الرحمن، ودرب نفسك علىٰ كثرة

(١) نقلًا من الشبكة الإسلامية علىٰ شبكة الإنترنت.

(٢) الشمس: (٩).

التلاوة قبل رمضان حتىٰ تسعد بقراءة القرآن في رمضان[١].

٦- المسابقة والجدية، وهي أصل في العبادة قال تعالىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[٢].

وقال تعالىٰ: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ٢١﴾[٣].

فاجتهد أيها الحبيب أن تكون من أهل الصيام والقيام الحق، وحاول أن يكون رمضان هذا العام نقطة تحول في حياتك الإيمانية[٤].

٧- إنهاء جميع المنازعات والجدل والخصومات حتىٰ تتفرغ لعبادة رب الأرض والسموات بداية من المنزل مع الزوجة والأولاد هيئ لنفسك بيئة إيمانية رمضانية هادئة لا صخب فيها، قال تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾[٥].

وفي العمل ومع الأرحام والأصدقاء والجيران، فض جميع المشاكل والمنازعات قبل دخول شهر رمضان حتىٰ لا تعكر عليك جوك الإيماني، وحتىٰ لا تعرقل طاعاتك التي تريد القيام بها، وحتىٰ يتحقق لك صفاء القلب الخالي من الشحناء والبغضاء حتىٰ تتذوق حلاوة الإيمان ولذة الطاعة، قال تعالىٰ: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ﴾.

٨- تعويد اللسان علىٰ منهج «**فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**».

---

(١) المرجع السابق.

(٢) آل عمران.

(٣) الحديد: (٢١).

(٤) المرجع السابق.

(٥) النحل: (٨٠).

قال ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»(١).

لقد كان السلف الصالح - عليهم رضوان الله تعالىٰ - يستقبلون رمضان بقلوبهم ومشاعرهم يراقبون الله تعالىٰ ولا يتلفظون بسوء ولا يقولون إلا خيرًا.

فلابد للمسلم أن يستقبل رمضان بلسان يقل خيرًا أو يصمت، شعاره: «إِنِّي صَائِمٌ».

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، مَرَّتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا»(٢).

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾(٣).

فالصفة الثانية من صفات أهل الفلاح من المؤمنين أنهم ﴿عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾.

وقال تعالىٰ في وصف عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾(٤).

وقال تعالىٰ في وصفهم أيضًا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾(٥)، كرامًا من الزلل والسقوط في اللغو الذي لا يرضي المولىٰ جل وعلا.

قال ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، فَيَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا

---

(١) متفق عليه: البخاري (٥٦٧٢)، ومسلم (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري ٣٠ - كتاب الصوم - باب فضل الصوم.

(٣) المؤمنون الآيات (١: ٣).

(٤) الفرقان: (٦٣).

(٥) الفرقان: (٧٢).

دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا فَيَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»(١).

وقال ﷺ: «مَنْ صَمَتَ نَجَا»(٢).

فعود لسانك على الصوم عن اللغو وفضول الكلام.

قال ابن مسعود: «والله الذي لا إله غيره ما على الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لساني».

وهذا صديق الأمة أبو بكر رضي الله عنه يدخل عليه يومًا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فيرى عمر أبا بكر يجذب لسانه إلى خارج فمه.

فقال عمر: «صه، صه غفر الله لك يا أبا بكر».

فقال الصديق: «هذا الذي أوردني الموارد».

وهذا ابن عباس رضي الله عنهما أخذ لسانه يومًا وهو يحدث نفسه، ويقول: «ويحك، قل خيرًا تغنم، أو اسكت عن سوء تسلم، وإلا فاعلم أنك ستندم».

فاحذروا عباد الله من الكلام فيما لا يعني، والخوض في الباطل والمراء والجدال بغير حق، وتجنبوا التقعر في الكلام والفحش والسب وبذاءة اللسان، وتباعدوا عن اللعن والغناء والسخرية والاستهزاء وإفشاء السر والوعود الكاذبة، ورطبوا ألسنتكم بذكر الله وتلاوة القرآن.

واعلموا أن الكلام مسطور محفوظ، وهذه حقيقة قررها القرآن الكريم في العديد من آياته كي يكون الإنسان حسيبًا على نفسه مراقبًا للسانه.

يقول الله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق (٦٤٧٨)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٨٨/ ٤٩، ٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩)، وصححه الألباني (٥٣٦) في السلسلة الصحيحة.

(٣) ق آية: (٨).

وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول للنبي ﷺ: وهل نحن مؤاخذون بما نتكلم يا رسول الله؟ - وفي رواية: تنطق به ألسنتنا يا رسول الله؟ - قال ﷺ: «**ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ - أَوْ عَلَىٰ مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ يَتَكَفَّلْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَرِجْلَيْهِ أَتَكَفَّلْ لَهُ بِالْجَنَّةِ**»(٢).

وأنشد بعضهم:

أهل الخصوص من الصوام صومهم ... صوم اللسان عن البهتان والكذب

وأيضًا علينا أن نستقبل رمضان وقد عودنا العينين علىٰ غض البصر، قال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾(٣).

وإياك إياك من مشاهدة الأفلام والمسلسلات والمتبرجات، فهذا يفتت عزم القلب ويظلمه.

وكذا الأذنين احفظهما منَ سماع الغيبة والنميمة والكذب، وسماع الأغاني، أي: يجب علينا كف الجوارح عن استرسالها في القبائح.

قال جابر: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والحرام، ودع أذىٰ الجار، وليكن عليك سكينة ووقار، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء.

فالصيام إمساك عن الأكل والشرب والجماع وسائر ما نهىٰ الله عنه» جعلنا الله

---

(١) أخرجه الترمذي في الإيمان (٢٦١٦)، والنسائي في الكبرىٰ في التفسير (١١٣٩٤)، وابن ماجه في الفتن (٣٩٧٢)، وأحمد في المسند (٥/ ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٥).

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) النور: (٣٠- ٣١).

وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

٩- التقليل من الطعام، وهو مقصد من مقاصد الصيام، إن امتلاء المعدة بالطعام سبب الكسل والخمول والوهن، فإذا أكل الإنسان كثيرًا شرب كثيرًا فنام كثيرًا، قال ﷺ: «**مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ فَاعِلًا فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ**»(١).

فكثير من الناس يجلس علىٰ مائدة الإفطار ويكثر من الطعام والشراب حتىٰ إنه لا يستطيع القيام، وهذا يؤدي إلىٰ الكسل والخمول، فلابد من إعطاء المعدة فرصة، فقلة الطعام توجب رقة القلب وقوة الفهم وضعف الهوىٰ وانكسار النفس.

أخي بعد ذكر هذه الوصايا المهمة لاستقبال رمضان، عليك أن تأخذ الأمر علىٰ محمل الجد، فالأمر من الأهمية بمكان؛ لأنه متعلق بعتق الرقبة من النار والفوز برضوان الملك العزيز الغفار.

واعلم أن الأيام والليالي تجريان بسرعة البريد تقربان كل بعيد وتبليان كل جديد.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(٢).

واعلم أن البداية إذا كانت صادقة كانت النتيجة مشرقة.

غـدًا تـوفىٰ النفـوس مـا كـسبت ... ويحـصد الزارعـون مـا زرعـوا

إن أحـسنوا أحـسنوا لأنفـسهم ... وإن أسـاءوا فبـئس مـا صـنعوا

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«من كانت أنفاسه في طاعة فثمرة شجرته طيبة، ومن كانت في معصية،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١١١)، وصححه الألباني (١٩٨٣) في صحيح إرواء الغليل.

(٢) ق: (٣٧).

فثمرته حنظل، وإنما يكون الجداد يوم الميعاد، فعند الجداد[١] يتبين حلو الثمار من مرها، وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة رمضان كذلك[٢].

يقول تعالىٰ في الحديث القدسي: «**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**».

فرمضان روضة فيحاء أمدها ماء الوحي وغيث الرسالة، فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، فثمرة رمضان الحياة الطيبة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة.

أي: من هنا نبدأ وعند باب الريان نلتقي - إن شاء الله -.

فاللهم بلغنا رمضان وتقبله منا إنك أنت السميع العليم.

* * *

(١) الجداد يعني الحصاد.

(٢) انظر الفوائد لابن قيم الجوزية صـ ١٧٧ بتصرف.

فيه تفتح أبواب الجنة

المسلم إذا قام بأي عمل صالح لابد له أن يستشعر عاقبة هذا العمل، ويعلم أن الله لا يضيع عنده الأجر، فيحسن هذا العمل ويتقي الله فيه، قال تعالىٰ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾[1].

وفي شهر رمضان تفتح أبواب الجنة بما فيها من قطوف دانية ومنازل عالية وأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمرٍ لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفىٰ، إلىٰ آخر ما أعده الله لأهل الجنة من ألوان النعيم السرمدي، الذي لا يزول ولا يحول.

فلما تذكر هذه الأوصاف وهذه الدرجات تتشوق النفس وتزداد الرغبات في نيل هذه الدرجات، وتحصيل هذه الثمرات، وينبعث في النفس روح الصدق والإخلاص والرغبة الأكيدة في العمل بجد ونشاط وعزم، وذلك واضح في سيرة أصحاب الرسول ﷺ الذين كان يلهب حماستهم ويبعث أشواقهم إلىٰ الجنة، ولم يكن إعلانهم بالتشمير إلىٰ الجنة شقشقة لسان أو حديث نفس أو أمنية، ولكن كان عزمًا محضًا وتوجهًا صادقًا نحو الهدف بهمة عالية.

يقول ابن القيم رحمه الله:

«المطلب الأعلىٰ موقوف حصوله علىٰ همةٍ عالية ونيةٍ صحيحة، فمن فقدها تعذر عليه الوصول إليه، فالهمة إذا كانت عالية تعلقت به وحده سبحانه دون غيره، وإن كانت النية صحيحة سلك العبد الطريق الموصلة إليه، فالنية تفرد له الطريق، والهمة تفرد له المطلوب، فإذا توحد المطلوب والطريق الموصلة إليه كان

---

(١) الحاقة: (٢٤).

الوصول غايته»[١] ا.هـ.

ودونك أمثلة تؤكد ذلك:

فهذا عمير بن الحمام رضي الله عنه يقف النبي عليه الصلاة والسلام علىٰ أرض المعركة في غزوة يوم ١٧ رمضان ٢هـ، ليرفع هذه البشرىٰ وهذا التقرير الكبير الذي تهفو النفوس لسماعه.

يقول ﷺ: «**أَيُّهَا النَّاسُ قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ**».

فيسمع عمير رضي الله عنه هذا البيان من سيد الأنام ﷺ، فيقول: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض فقال: «**نَعَمْ**».

قال عمير: بخ بخ[٢] يا رسول الله.

قال: «**يَا عُمَيْرُ مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ: بَخٍ بَخٍ**»؟

قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاء أن أكون من أهلها. قال: «**فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا**».

قال: فأخرج تمرات من قرنه[٣] فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتىٰ آكل تمراتي إنها لحياة طويلة، فرمىٰ ما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتىٰ قُتل[٤].

وهذا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه، قال ابن إسحاق: حدثني يحيىٰ بن عباد عن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد قال:

«الذي أرضعني - وكان أحد بني مرة بن عوف - وكان في تلك الغزوة - غزوة مؤتة - قال:

---

(١) الفوائد (٢٥٩).

(٢) كلمة تقال لتفخيم الأمر وتعظيمه وفيها لغتان: إسكان الخاء وكسرها منونًا، وهو اسم فعل بمعنىٰ أستحسن.

(٣) قرنه أي جعبة نشابه.

(٤) رواه مسلم (١٣/ ٦٨ - ٦٩) رقم (١٩٠١ الإمارة)، والحاكم (١٣/ ٤٢٦) من حديث أنس وأحمد (٣/ ١٣٦ - ١٣٧).

والله لكأني أنظر إلىٰ جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ثم عقرها، ثم قاتل حتىٰ قُتل وهو يقول:

يـــا حبـــذا الجنـــة واقترابهـــا
طيبـــة وبـــارد شرابهـــا
والـــروم رومٌ قـــد دنـــا عـــذابها
كـــافرةٌ بعيـــدةٌ أنـــسابها
عـــليَّ إن لاقيتهـــا ضرابهـــا

وقال ابن هشام: «وحدثني من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبي طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضديه حتىٰ قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فآتاه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء»(١).

قال عبد الله: «كنت فيهم في تلك الغزوة فالتمسنا جعفر بن أبي طالب فوجدناه في القتلىٰ ووجدنا في جسده بضعًا وتسعين من طعنة ورمية»(٢).

إنهم الرجال الذين: ﴿صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾(٣).

وهذا شاب آخر في أحضان عروسه، في ليلة أنسٍ وعُرس، يسمع النداء: «يا خيل الله اركبي حي علىٰ الجهاد، حي علىٰ الجهاد» فينتزع نفسه من بين أحضان

---

(١) انظر: سيرة ابن هشام مع الروض الآنف (٤/ ٧٢) نقلًا من «مواقف إيمانية» جمع وترتيب د: أحمد فريد ط / الدار السلفية ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م صـ١٩١.

(٢) رواه البخاري (٧/ ٥٨٣) المغازي.

(٣) الأحزاب: (٢٣).

عروسه، وإن شئت فقل: إنه استحضر في نفسه عاقبة وجزاء العمل، فانتزعه الإيمان والصدق والإخلاص من بين أحضان عروسه وينطلق مسرعًا علىٰ الفور لينال شرف الصف الأول خلف رسول الله ﷺ وتنتهي المعركة، ويرفع هذا التقرير الطبي للحبيب النبي ﷺ: يا رسول الله، إنا نرىٰ أثر ماء علىٰ حنظلة.

فقال ﷺ: **«سَلُوا أَهْلَهُ[١]؟ مَا شَأْنُهُ؟»**

فسألوا امرأته، فأخبرتهم الخبر[٢].

قالت: إن حنظلة لما سمع المنادي يقول: «يا خيل الله اركبي حي علىٰ الجهاد».

وكان حنظلة جنبًا فلم يمهله الوقت حتىٰ يغتسل من جنابته، وشعر أن لو انتظر حتىٰ يغتسل ربما تأخر عن النبي ﷺ، فانطلق لينال شرف الشهادة والسعادة ويرزق الحسنىٰ وزيادة، فلما سمع النبي ﷺ ذلك قال: **«إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ قَدْ أَرْسَلَ مَلَائِكَةً مِنَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مِنَ الْجَنَّةِ لِتُغَسِّلْ حَنْظَلَةَ لِتَرْفَعَ عَنْهُ الْجَنَابَةَ»**[٣].

رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

ومثل ذلك كثير، كثير لا يسع المقام لذكره، فكان ذكر الجنة والتذكير بالعواقب يلهب مشاعرهم ويصحح نياتهم ويصلح مقاصدهم ويدفعهم إلىٰ الطاعات دفعًا في سعادة وشوق وإخلاص، وأمامك السنة والسيرة فاجمع منها من ذلك ما شئت وستجد خيرًا كثيرًا بإذن الله.

---

(١) أي زوجته وهي جميلة بنت عبد الله بن أُبي ابن سلول.

(٢) قال الأرنؤوط في تخريج زاد المعاد «ذكره ابن هشام» (٢/ ٧٥) بلا سند وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٠٤ - ٢٠٥)، والبيهقي (٤/ ١٥)، والسراج من طريق ابن إسحاق وسنده جيد، وله شاهد من حديث ابن عباس عند الطبراني بسند حسن، وفي الباب شاهد مرسل قوي عن الحسن البصري عند ابن سعد (٣/ ٩١١).

(٣) انظر: خطب الشيخ: محمد حسان الجزء الثالث ط دار ابن رجب صـ ٩٣ بتصرف.

هيا بنا فقد فتحت جنة ربنا
فيه تفتح أبواب الجنة
أيها الصائم التقي احجز مكانك من الآن[١]

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»[٢].

من نعم الله الكبرىٰ علىٰ عباده في هذا الشهر المبارك أن فتح لهم أبواب الجنة وهذه حقيقة لا تحتاج إلىٰ تأويل.

قال القاضي عياض: «قيل: يحتمل علىٰ الحقيقة وأن تفتيح أبواب الجنة وتغليق أبواب النار علامة لدخول الشهر وعظيم قدره، وكذلك تصفيد الشياطين ليمتنعوا من أذىٰ المؤمنين فيه»[٣].

وقال ابن العربي: «وإنما تفتح أبواب الجنة ليعظم الرجاء ويكثر العمل ويتشوق إليها الصابر، وتغلق أبواب النار لتخزىٰ الشياطين، وتقل المعاصي ويصد في وجوه السيئات، فتذهب سبيل النار»[٤].

---

(١) جمعت هذا الفصل من المراجع الآتية: حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية، وصحيح الترغيب والترهيب للعلامة الألباني المجلد الثالث، ونداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان للشيخ الدكتور: سيد العفاني، المجلد الأول، ورمضان والجنة للشيخ خالد الدويش، وصف الجنة في القرآن والسنة للشيخ أبو زيد الشافعي وغيرها بتصرف.

(٢) البخاري ومسلم.

(٣) إكمال المعلم (٤/ ٥).

(٤) عارضة الأحوذي (٣/ ١٩٨).

وهذه أمور تدل علىٰ عظم هذا الشهر وعلو مكانته عند الله تعالىٰ، فعلىٰ المسلم الصائم أن يدرك قيمة فتح أبواب الجنة في رمضان، حتىٰ تتشوق نفسه وتتلهف إليها، وليحذر أن يقدم علىٰ جنة عرضها السموات والأرض ليس له فيها موضع قدم!

ومن هذا المنطلق أحببت أن أذكر نفسي وكل من أدرك رمضان بهذه الجنة ونعيمها والأعمال[1] التي تعين المسلم وتسهل عليه دخولها إن شاء الله تعالىٰ.

أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل الفردوس الأعلىٰ

* * *

بشرى

يا باغي الخير أقبل فأبواب الجنة مفتحة

لقد أمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يبشر بالجنة من آمن وعمل صالحًا، قال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾[2].

أخي الحبيب:

ألا يُمتعك أن تكون الجنة دارك، والنبي ﷺ جارك، والملائكة والأنبياء والصحابة الكرام أحبابك وزوّارك؟!

أما أخذك الشوق لقوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ (٢٣)﴾[3].

فاعمل لـدار غـدًا رضـوان خازنـها والجـار أحمـد والـرحمن بانيهـا

قـصورها ذهـب والمـسك طينتهـا والزعفـران حـشيش نابـت فيهـا

---

(١) اكتفيت بما ذكرته في جدول أعمال المسلم الصائم في رمضان.

(٢) البقرة: (٢٥).

(٣) القيامة: (٢٢، ٢٣).

أنهارها لبن مُصفىٰ ومن عسل والخمر يجري رحيقًا في مجاريها

واقرأ معي جيدًا كلام خليل الرحمن علىٰ نبينا وعليه الصلاة والسلام، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال:

«لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ أَرْضٌ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»[1].

وعليك يا خليل الرحمن السلام ورحمة الله وبركاته

وصلى اللهم وبارك على محمد وآله ﷺ

* * *

(١) رواه الترمذي وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٢٨).

رحلة إلى الجنة

هيا بنا أيها الصائمون نبدأ هذه الرحلة المباركة إلىٰ الجنة لنتعرف علىٰ نعيمها وأوصافها ونعيش فيها بأرواحنا، ونحن في الدنيا ونتشوق إليها بقلوبنا قبل أن ندخلها - إن شاء الله تعالىٰ - وعلينا أن نتنبه أنها فوق ما نسمع ونقرأ.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يَقُولُ اللهُ عز وجل: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ»**.

ثم تلىٰ النبي ﷺ قول الله عز وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[1].

والآن تعالوا بنا أحبتي في الله، لنعيش في هذه اللحظات المباركة في هذا الشهر المبارك مع وصف الجنة من الكتاب والسنة، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٣٠) في بدء الخلق باب ما جاء في صفة الجنة وفي تفسير سورة السجدة باب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ وفي التوحيد باب: قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ومسلم رقم (٢٨٢٤) في الجنة فاتحته، والترمذي رقم (٣/ ٩٥) في التفسير باب «ومن سورة السجدة».

وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾[١].

أولاً: وقفة مع أبواب الجنة

قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾[٢].

للجنة ثمانية أبواب:

كما قال ﷺ: «**لِلْجَنَّةِ ثَمَـانِيَةَ أَبْوَابٍ، فِيهَا بَابٌ يُسَمَّىٰ الرَّيَّانُ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ**»[٣] وقال ﷺ: «**مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ وَلِلْجَنَّةِ أَبْوَابٌ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دَخَلَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ** - وفي رواية: **مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ - وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ**».

فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، ما علىٰ أحد من ضرورة أن يدخل من أي أبواب الجنة، فهل يدعىٰ أحد من كل أبواب الجنة؟ قال: «**نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ**»[٤].

وفي «صحيح مسلم» عن عمر بن الخطاب، عن النبي ﷺ، قال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**» زاد الترمذي بعد التشهد «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْـمُتَطَهِّرِينَ**».

---

(١) سورة الإنسان من الآية (٥) إلىٰ (٢٢).

(٢) سورة ص: (٤٩- ٥٠).

(٣) رواه البخاري (٩/ ٣٢٨).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١٨٩٧).

دخول الملائكة على أهل الجنة من كل باب:

قال تعالىٰ: ﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآبِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾(١).

رسول الله ﷺ أول من يقرع باب الجنة:

عن أبي مالك، أن النبي ﷺ قال: «آتِي بَابَ الجَنَّةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ»(٢).

سعة أبوابها:

عن أبي هريرة قال: وضعت بين يدي رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم فتناول الزراع وكان أحب الشاة إليه، فنهش نهشة وقال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ثم نهش أخرىٰ وقال: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فلما رأىٰ أصحابه لا يسألونه، قال: «أَلَا تَقُولُونَ: كَيْفَ؟» قالوا: كيف يا رسول الله؟ قال: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَـمِينَ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ» فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال في آخره: «فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَـحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، فَيُقِيمُنِي رَبُّ الْعَالَـمِينَ مَقَامًا لَـمْ يُقِمْهُ أَحَدًا قَبْلِي وَلَنْ يُقِيمَهُ أَحَدًا بَعْدِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي. فَيَقُولُ: يَا مُـحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُـحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِعِ الْـجَنَّةِ لَكَمَـا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ - أَوْ هَجَرٍ وَمَكَّةَ -» وفي لفظ: «بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرٍ - أَوْ كَمَـا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ -»(٣).

---

(١) الرعد: (٢٣، ٢٤).

(٢) رواه مسلم (٣/ ٧٣).

(٣) متفق علىٰ صحته.

ثانيًا: تفتح أبواب الجنة كل أسبوع:

عنْ أبي هريرة ﵁، أن النبي ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ مُسْلِمٍ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا».

ثانيًا: السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم:

في «الصحيحين» من حديث همام بن منبه، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَا يَبْصُقُونَ فِيهَا وَلَا يَتَغَوَّطُونَ وَلَا يَتَمَخَّطُونَ فِيهَا، آنِيَتُهُمْ وَأَمْشَاطُهُمْ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ، وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ، وَرَشْحُهُمْ الْمِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَىٰ مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الْحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ قَلْبٍ وَاحِدٍ يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا» وفي «الصحيحين» أيضًا من حديث أبي زرعة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَالَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إِضَاءَةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ الْمِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ الْأَلُوَّةُ، وَأَزْوَاجُهُمُ الْحُورُ الْعِينُ، أَخْلَاقُهُمْ عَلَىٰ خُلُقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ».

اللهم اجعلنا منهم آمين

ثالثًا: بناء الجنة وتربتها:

عن أبي هريرة ﵁ قلنا: يا رسول الله:

إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا

وشممنا(١) النساء والأولاد. قال: «لَوْ تَكُونُونَ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ عَلَىٰ الحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ، وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَـهُمْ».

قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة ما بناؤها:

قال: «لَبِنَةٌ (٢) مِنْ ذَهَبٍ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا(٣) الْمِسْكُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَمَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَىٰ ثِيَابُهُ، وَلَا يَفْنَىٰ شَبَابُهُ»(٤).

رابعًا: قصورها ومساكنها:

قال تعالىٰ: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾(٥).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾(٦).

وقال ﷺ: «فِي الْـجَنَّةِ خَيْمَةٌ مِنْ لُؤْلُؤَةٍ مُـجَوَّفَةٍ عَرْضُهَا سِتُّونَ مِيلًا»(٧).

خامسًا: الفرش والأواني:

قال تعالىٰ: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾(٨) وقال تعالىٰ: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن

(١) شممنا: أي دنونا واقتربنا من النساء والأولاد.

(٢) اللبنة هي القالب المستخدم في البناء.

(٣) الملاط: ما يسد به بين اللبنات أو الطلاء.

(٤) أخرجه الترمذي رقم (٢٥٢٨) في صفة الجنة باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها، ورواه أحمد والدارمي وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة رقم (٩٦٩)، وصحيح الترمذي رقم (٢٠٥٠).

(٥) سورة الزمر: (٢٠).

(٦) التوبة: (٧٢).

(٧) البخاري (٤٨٧٩)، مسلم (٧٣٣٨).

(٨) الرحمن (٥٤).

فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾﴾[(١)].

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية:

«ويُطاف علىٰ هؤلاء الأبرار بآنية من الأواني التي يشربون فيها شرابهم، هي من فضة كانت قوارير فجعلها فضة، وهي في صفاء القوارير فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج».

سادسًا: الطعام والشراب والفواكه:

قال تعالىٰ: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾[(٢)].

وقال سبحانه: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾[(٣)].

سابعًا: الأشجار والبساتين والظلال:

قال تعالىٰ: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[(٤)].

وفي «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ لَا يَقْطَعُهَا، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ:** ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[(٥)].

ثامنًا: أنهارها:

قال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ

(١) الإنسان: (١٥).

(٢) الواقعة: (٢٠- ٢١).

(٣) الواقعة: (٣٣).

(٤) الواقعة (من ٢٧ إلىٰ ٣٠).

(٥) رواه البخاري رقم (٤٨٨١) في التفسير واللفظ له.

خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾(١).

تاسعًا: الكوثر نهر في الجنة:

عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ. قَالَ: فَضَرَبَ الْـمَلَكُ بِيَدِهِ فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ»(٢).

يا لجمال منظره وطيب ريحه ولذة طعمه.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَىٰ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تُرْبَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَىٰ مِنَ الْعَسَلِ، وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ»(٣).

حوض النبي صلى الله عليه وسلم ويا سعادة من شرب منه:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»(٤).

عاشرًا: نساء الجنة:

قال تعالىٰ: ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا

---

(١) محمد آية (١٥).

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٣/ ٥٠٥).

(٤) رواه البخاري (١١/ ٤٦٣)، ومسلم (١٥/ ٦٤- نووي).

﴿... ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧﴾.

غناء الحور العين وجمال أصواتهن:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال:

«إِنَّ أَزْوَاجَ أَهْلِ الْـجَنَّةِ لَيُغَنِّينَ بِأَحْسَنِ أَصْوَاتٍ مَا سَمِعَهَا أَحَدٌ قَطُّ، إِنَّ مِـمَّـا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الْـخَيْرَاتُ الْـحِسَانُ، أَزْوَاجُ قَوْمٍ كِرَامٍ، يَنْظُرْنَ بِقُرَّةِ أَعْيَانٍ. وَإِنَّ مِمَّا يُغَنِّينَ بِهِ: نَحْنُ الخَالِدَاتُ فَلَا يُمِتْنَهْ، نَحْنُ الْآمِنَاتُ فَلا يَخَفْنَهْ، نَحْنُ الْمُقِيمَاتُ فَلا يَظْعَنَّ»[1].

الحادي عشر: الخدم والغلمان:

قال تعالىٰ: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ۝١٩﴾[2].

الثاني عشر: لباس أهل الجنة وزيناتهم:

قال تعالىٰ: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ۝٢١﴾[3].

رضوان الله خير من الجنة وما فيها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ: فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ وَالْـخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّنَا! وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[4].

---

(١) رواه الطبراني في الصغير والأوسط ورواتها رواة الصحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٥١٩).

(٢) الإنسان: (١٩).

(٣) الإنسان: (٢١).

(٤) رواه البخاري ومسلم والترمذي.

يوم المزيد:

عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، يَقُولُ اللهُ عز وجل تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ» ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[1].

* * *

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي.

الباب الرابع

آيات الصيام تفسير وفوائد

تفسير آيات الصيام

الصيام روضة فيحاء أمدها ماء الوحي وغيث الرسالة فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، وآيات الصيام بحر زاخر ليس له ساحل[١] وإلىٰ كم تطوف علىٰ ساحل البحر مغمضًا عينيك عن غرائبها، أوما كان لك أن تركب متن لجتها لتبصر عجائبها وتسافر إلىٰ جزائرها لاجتناء أطايبها وتغوص في عمقها، فتستغني بنيل جواهرها.

أوما تعير نفسك في الحرمان عن دررها وجواهرها بإدمان النظر إلىٰ سواحلها وظواهرها، أوما بلغك أن القرآن هو البحر المحيط ومنه يتشعب علم الأولين والآخرين كما يتشعب عن سواحل البحر المحيط أنهارها وجداولها، أوما تغبط أقوامًا خاضوا في غمرة أمواجها فظفروا بالكبريت الأحمر، وغاصوا في أعماقها فاستخرجوا الياقوت الأحمر والدر الأزهر والزبرجد الأخضر وساحوا في سواحلها فالتقطوا العنبر الأشهب، والعود الرطب الأنضر، وتعلقوا إلىٰ جزائرها واستدروا من حيواناتها الترياق الأكبر والمسك الأذفر. اهـ.

* * *

(١) جواهر القرآن - الغزالي (ج ١/ صـ ٢١).

الآية الأولى من آيات الصيام

وهي الآية رقم (١٨٣) من سورة «البقرة»:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾.

سبب النزول:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ: «كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر ويصوم يوم عاشوراء، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

فكان من شاء أن يصوم صام، ومن شاء أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينًا أجزأه ذلك.

معاني الكلمات[١]:

الكلمة	معناها
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾	فرض[٢] وأثبت عليكم.
﴿ٱلصِّيَامُ﴾	لغة الإمساك، والمراد به هنا الامتناع عن الأكل والشرب وغشيان النساء من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس.

(١) انظر أيسر التفاسير (١/ ١٥٩).

(٢) أي بنية امتثال أمر الله تعالىٰ به أو بنية التقرب إليه عز وجل انظر المرجع السابق (١/ ١٦٠).

الكلمة	معناها
﴿تَتَّقُونَ ٣٢﴾	التاء مقلوبة من الواو، ومادته وقىٰ وهي مأخوذة من الوقاية يقال: وقيت الشيء أقيه وقاية ووقاء والتقوىٰ: حفظ النفس عما يؤثم، وأصل التقوىٰ أن: يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية، فتقوىٰ العبد لربه سبحانه وتعالىٰ أن يجعل العبد بينه وبين سخط الله وغضبه وعذابه وقاية تحفظه وتمنعه[1].

المعنى الإجمالي للآية:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، هذا نداء الإيمان من الرحمن يخاطب به تعالىٰ المؤمنين آمرًا لهم بالصيام، وهو نداء للقلب، يخبر[2] فيه تعالىٰ بما منَّ به علىٰ عباده بأن فرض عليهم الصيام كما فرضه علىٰ الأمم السابقة، ثم ذكر تعالىٰ حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾.

فإن الصيام من أكبر أسباب التقوىٰ؛ لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه. اهـ.

يقول العلامة ابن عثيمين:

«تصدير الحكم بالنداء دليل علىٰ الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب انتباه المنادي، ثم النداء بوصف الإيمان دليل علىٰ أن تنفيذ هذا الحكم من مقتضيات الإيمان، وعلىٰ أن فواته نقص في الإيمان».

---

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني.

(٢) انظر: تفسير الكريم الرحمن صـ٨٦ باختصار.

قال ابن مسعود رضي الله عنه[(١)]:

«إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فأرعها سمعك - يعني استمع لها جيدًا - فإما خير يأمر به أو شر ينهىٰ عنه»[(٢)].

وقفة مع هذا النداء[(٣)] الرباني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

إن النداء المحبب إلىٰ النفوس نداء الحبيب للمحبوب نداء الخالق للمخلوق، نداء من فاطر السموات والأرض يخاطب به عباده بأحب الأسماء إليهم، إنه اسم الإيمان[(٤)]، يا له من نداء فيه تكريم وتشريف ورحمة وتحصين، إنه نداء يفتح القلوب المغلقة، ويجمع النفوس المعرضة حتىٰ لا تملك إلا أن تستجيب طائعة مختارة.

وخطاب الله تعالىٰ لهذه الأمة بلفظ الإيمان فيه تشريف وتكريم، ففي قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا﴾ تأكيد ومبالغة لأن النداء بـ«يا» فيه تأكيد وتنبيه، و«ها» فيها التنبيه و«أي» فيها التدرج من الإبهام إلىٰ التوضيح.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في كتاب التفسير (١/ ١٩٦)، تحقيق أسعد أحمد الطيب، وسنده قال ابن أبي حاتم: ثنا أبي نعيم بن حماد ثنا عبد الله بن المبارك ثنا مسعر ثنا معن وأبو عون أو أحدهما أن رجلًا أتىٰ عبد الله بن مسعود، ونعيم بن حماد قال الحافظ فيه: صدوق يخطئ كثيرًا، وقد تتبع ابن عدي ما أخطأه فيه وقال: أرجو أن يكون باقي حديثه مستقيمًا، «الكامل لابن عدي» (٨/ ٢٥١ - ٢٥٦)، ولم يذكر ابن عدي هذا الأثر، ومعن هو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، «ت. التهذيب»، وأبو عون، كما في «التهذيب» هو أبو عون الثقفي محمد بن عبيد الله الأعور، وكلاهما ثقة، لكن معن بن عبد الرحمن لم يدرك عبد الله بن مسعود لأن الحافظ عده من الطبقة السابعة، وأما أبو عون فإنه مات سنة ١١٠هـ، وعبد الله بن مسعود ٣٣ هـ، «ت. التهذيب» (٩ / ٢٨٥، ٦/ ٢٥) فيبعد أن يكون قد أدرك ابن مسعود، فيكون حديث معن وأبي عون عن ابن مسعود مرسلًا.

(٢) نداءات رب العالمين لعباد الله المؤمنين لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله صـ ٧ ط دار الإيمان ت ٢٠٠٤.

(٣) النداء هو طلب الإقبال أو حمل المنادىٰ علىٰ أن يلتفت بإحدىٰ أدوات النداء، انظر النحو الشافي د/ محمود حسين صـ ٤٤٦ ط الرسالة.

(٤) تعريف الإيمان لغة: التصديق، واصطلاحًا: ما وقر في القلب وصدقه العمل.

والتعبير بلفظ الماضي ﴿ءَامَنُوٓا﴾ دون ﴿يُؤْمِنُونَ﴾.

فيه تأكيد الإيمان وإدخال السرور علىٰ المخاطب اهـ[١].

فهذا نداء من الرب العلي لأمة الحبيب النبي ﷺ بأكرم نداء، ولذة النداء هنا أنست مشقة التكليف.

والنداء بـ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا﴾، ورد في القرآن الكريم في (٨٩)[٢] موضع، فكان أول نداء للمؤمنين في القرآن الكريم هو:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾[٣].

والنداء الخامس هو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

وآخر نداء بترتيب المصحف كان في سورة «التحريم»[٤] هو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾[٥].

وجميع هذه النداءات جاءت في السور المدنية، فقد نزلت أكثر من (٨٠) سورة في مكة، ليس فيها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟...﴾.

ولما هاجر الرسول ﷺ إلىٰ المدينة وأصبحت دار إسلام وأخذ التشريع ينزل ويتوالىٰ قرع[٦] هذا النداء ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ سمع الجزيرة العربية، بل قرع سمع

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٧٢).

(٢) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم صـ ١٣٥، ١٣٧.

(٣) البقرة: (١٠٤).

(٤) وهي السورة رقم (٦٦) بترتيب المصحف ونزلت بعد «الحجرات» وآياتها (١٢).

(٥) التحريم: (٨).

(٦) من «خاطرة صلاة التراويح» د/ يوسف القرضاوي ليلة ٣ رمضان ١٤٢٧ هـ نقلًا من «موقعه علىٰ شبكة الإنترنت».

البشرية لأول مرة ولم يعرف الناس هذا النداء من قبل، وقد عرفوا نداءات عديدة، مثل: «يا بني فلان، أو يأهل كذا..» أي: كان الناس يتنادون بالقبائل والأقاليم، فكان النداء الجديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بمثابة تصنيف جديد للبشرية باسم الإيمان بعيدًا عن العصبيات العرقية واللونية والإقليمية، فالناس مؤمن وكافر والنداء بصيغة الجماعة حيث هم أمة كبيرة، فهذا النداء يرسخ فكرة الأمة لدىٰ المسلم، فيُعلِّم المسلم الالتحام والاتحاد. اهـ.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ..﴾[1].

ولقد افتتح الحق جل في علاه ثلاث سور في القرآن الكريم بـ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وهم:

١- سورة «المائدة»:

افتتحها الله تعالىٰ بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ...﴾.

ثم تكرر نداء المؤمنين فيها في خمس عشرة مرة، فيكون المجموع ست عشرة مرة.

٢- سورة الحجرات:

بدأت بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ...﴾.

ثم تكرر فيها نداء المؤمنين في أربع مواضع فيكون المجموع خمسة مواضع.

٣- سورة الممتحنة:

بدأن بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ...﴾ ثم تكرر النداء في موضعين فيكون المجموع ثلاث مرات.

وهذه السور الثّلاث كلها مدنية.

---

(١) المؤمنون: (٥٢).

وهناك نداءات أخرىٰ في القرآن الكريم لا يسع المقام لبسطها.

قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾: أي فُرض، والذي فرضه هو الله سبحانه وتعالىٰ، وانظر معي إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ﴾ بصيغة المبني لما لم يُسَم، وهذا المبني للمجهول من الذي فرضه ومن الذي كتبه إنه رب العالمين.

فلما يعلم المؤمن ذلك يستسلم قلبه لحكم مولاه وتستبشر نفسه؛ لأنه علىٰ يقينٍ أنَّ رب العالمين هو أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، فرضه لحكم كثيرة فيها السعادة في الدنيا والآخرة.

فيمتثل المؤمن لأمر مولاه فيصوم[1] ويترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده جلَّ في علاه، فهو ترك محبوبات النفس وتلذُّذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، ولذلك أصبح الصيام سرًّا بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطَّلعون منه علىٰ ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده جلَّ وعلا، فهو أمرٌ لا يطَّلع عليه غير الذي كتب وفرض عليه الصيام وهو مولاه جل في علاه اهـ.

قوله تعالىٰ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾:

أي: كما فرضه علىٰ الأمم السابقة؛ لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان، وفيه تنشيط لهذه الأمة بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال والمسارعة إلىٰ صالح الخصال، وأنه ليس من الأمور

---

(١) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٢٩) بتصرف.

الثقيلة التي اختصصتم بها.

ثم ذكر تعالىٰ حكمته في مشروعية الصيام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾، فإن الصيام من أكبر أسباب التقوىٰ؛ لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه...»[1].

من فوائد هذه الآية المباركة:

١- أهمية الصيام؛ لأن الله تعالىٰ صدَّره بالنداء وأنه من مقتضيات الإيمان لأنه وجَّه الخطاب إلىٰ المؤمنين وإنَّ تركه يخل بالإيمان.

٢- فرضية الصيام، لقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ﴾.

٣- ومنها: فرض الصيام علىٰ من قبلنا من الأمم لقوله تعالىٰ: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

٤- ومنها: تسلية الإنسان بما ألزم به غيره ليهون عليه القيام به لقوله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

٥- ومنها: استكمال هذه الأمة لفضائل من سبقها حيث كتب الله عليها ما كتب علىٰ من قبلها لتترقىٰ إلىٰ درجة الكمال كما ترقىٰ إليها من سبقها.

٦- ومنها: الحكمة في إيجاب الصيام وهي تقوىٰ الله تعالىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ فالصيام من أعظم أسباب التقوىٰ، فالصيام يدرب الصائم علىٰ مراقبة الله تعالىٰ، فيترك ما تهوىٰ نفسه مع قدرته عليه لعلمه باطلاع الله عليه، والصائم في الغالب تكثر طاعته وتقل معاصيه وهذه من خصال التقوىٰ.

٧- ومنها: فضل التقوىٰ وأنه ينبغي سلوك الأسباب الموصلة إليها؛ لأن الله أوجب الصيام لهذه الغاية إذًا هذه الغاية غاية عظيمة، ويدل علىٰ عظمها أنها

---

(١) تفسير «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» للعلامة السعدي صـ ٨٦ باختصار.

وصية الله للأولين والآخرين لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [(١)].

ويتفرع علىٰ هذه الفائدة اعتبار الذرائع، يعني ما كان ذريعة إلىٰ الشيء، فإن له حكم ذلك الشيء فلما كانت التقوىٰ واجبة كانت وسائلها واجبة، ولهذا يجب علىٰ الإنسان أن يبتعد عن مواطن الفتن.

لا ينظر إلىٰ المرأة الأجنبية ولا يكلمها كلامًا يتمتع به معها؛ لأنه يؤدي إلىٰ الفتنة ويكون ذريعة إلىٰ الفاحشة، فيجب اتقاء ذلك حتىٰ إن الرسول ﷺ أمر من سمع بالدجال أن يبتعد عنه حتىٰ لا يقع في فتنته [(٢)].

٨- ومن فوائد الآية حكمة الله سبحانه وتعالىٰ بتنوع العبادات:

لأننا إذا تدبرنا العبادات وجدنا أن العبادات متنوعة، منها: ما هو مالي محض، ومنها: ما هو بدني محض، ومنها: ما هو مركب منهما (بدني ومالي)، ومنها: ما هو كف، يتم اختبار المكلف، لأن من الناس من يهون عليه الكف عن المحبوب، ومنهم من يكون بالعكس، فمن ثم نوّع الله سبحانه وتعالىٰ بحكمته العبادات.

فالصوم كف عن المحبوب، قد يكون عند بعض الناس أشق من بذل المحبوب، ومن العجائب في زمننا هذا أن من الناس من يصبر علىٰ الصيام ويعظمه، ولكن لا يصبر علىٰ الصلاة، ولا يكون في قلبه من تعظيم الصلاة ما في قلبه من تعظيم الصيام، تجده يصوم رمضان لكن الصلاة لا يصلي إلا من رمضان

---

(١) النساء: (١٣).

(٢) راجع ذلك في مسند أحمد صـ ١٤٥٧ حديث رقم (٢٠١١٦) وأبا داود صـ ١٥٣٧ كتاب الملاحم باب (١٤) خروج الدجال حديث رقم (٤٣١٩) ومستدرك الحاكم (٤/ ٥٣١) وكتاب الفتن والملاحم وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبي (المرجع السابق) وقال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح (٣/ ٣٠)، حديث رقم (٤٣١٩).

إلىٰ رمضان - إن صلىٰ في رمضان - وهذا لا شك خطأ في التفكير، لكن الصلاة حيث إنها تتكرر كل يوم صار هينًا علىٰ هذا الإنسان تركها، والصوم يكون عنده تركه صعبًا، ولهذا إذا أرادوا ذم الإنسان قالوا: لا يصوم ولا يصلي، يبدؤون بالصوم[(١)].

٩- علاوة علىٰ فوائد الصيام الروحية والتهذيبية فقد أثبت الطب الحديث أن للصيام فوائد طبية عدة:

فهو يفيد في علاج كثير من الأمراض كضغط الدم المرتفع، وتصلب الشرايين، والبول السكري، ويصلح الجهاز الهضمي، وهبوط القلب، والتهاب المفاصل، ويعطي الجسم والأنسجة فرصة للراحة، والتخلص من كثير من الفضلات بالجسم، كما أنه وقاية من كثير من الأمراض المختلفة[(٢)].

١٠- الصيام سبب لتحقيق التقوىٰ: وبتحقيق التقوىٰ تتحقق الولاية قال تعالىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾[(٣)] فكل من كان مؤمنًا تقيًّا كان لله تعالىٰ وليًّا.

فالصيام فرصة عظيمة لبلوغ أعلىٰ درجات الولاية المستطاعة والمقدورة ففيه تهفو النفوس إلىٰ الطاعة وتنقطع عن كثير من الغي والعصيان، فنهارها للصيام وليلها للقيام، وهو بين هذا وذاك يكثر من الدعاء وتلاوة القرآن.

وفيه يخرج الصائم زكاة الفطر، ويكثر من العطاء للبائسين المحرومين أي: أنه يتابع الفرائض بالنوافل والطاعات كلها متأكدة في هذا الشهر المبارك، وصيام

---

(١) انظر: «نداءات رب العالمين لعباد الله المؤمنين» للعلامة ابن عثيمين رحمه الله صـ٤٦، ٤٧.

(٢) «المنتخب في تفسير القرآن الكريم» صـ٤١ ط الثامنة عشر ١٤١٦ المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية.

(٣) سورة البقرة: (٦٢: ٦٣).

رمضان محفوف بصيام قبله وبعده علىٰ سبيل التنفل[١] وهذا هو طريق الولاية.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[٢][٣].

* * *

---

(١) فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتىٰ نقول: لا يفطر، ويفطر حتىٰ نقول: لا يصوم، وما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان، وما رأيته في شهر أكثر صيامًا منه في شعبان. رواه البخاري ومسلم. وعن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ» رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) نقلًا من «دروس الزمان في شهر رمضان» للشيخ سعيد عبد العظيم صـ ١٠٣ بتصرف.

تفسير الآية الثانية من آيات الصيام

وهي الآية رقم (١٨٤) من سورة «البقرة»، قال تعالى:

﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾.

معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾	أي: معينات بالعد أو قليلات لأن القليل يسهل عده[(١)]. وهي تسعة وعشرون أو ثلاثون يومًا بحسب شهر رمضان[(٢)].
﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾	فعلىٰ من أفطر لعذر المرض أو السفر فعليه صيام أيام أخر بعدد الأيام التي أفطر فيها[(٣)].
﴿يُطِيقُونَهُ﴾	أي يتحملونه بمشقة لكبر سن أو مرض لا يرجىٰ برؤه[(٤)].

---

(١) تفسير روح المعاني للألوسي (١/ ٢٧٥).

(٢) «تفسير أيسر التفاسير» للشيخ أبو بكر الجزائري ١/ ١٦٠.

(٣) المرجع السابق (١/ ١٦٠).

(٤) المرجع السابق (١/ ١٦٠).

الكلمة	معناها
﴿فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾	قالوا: وجب علىٰ من أفطر لعذر مما ذكر أن يطعم عن كل يوم مسكينًا ولا قضاء عليه[(١)].
﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾	أي زاد علىٰ المدين[(٢)] أو أطعم أكثر من مسكين فهو خير له[(٣)].
﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾	الصيام علىٰ من يطيقه ولو بمشقة خير من الإفطار مع الإطعام[(٤)].

المعنى العام للآية:

لما ذكر تعالىٰ في الآية السابقة أنه فرض عليهم الصيام أخبر أنه أيام معدودات، أي: قليلة في غاية السهولة، ثم سهل تسهيلًا آخر، فقال: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

وذلك للمشقة في الغالب، رخص الله لهما في الفطر، ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن، أمرهما أن يقضياه في أيام أخر إذا زال المرض وانقضىٰ السفر، وحصلت الراحة، وقوله تعالىٰ:

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: يطيقون الصيام ﴿فِدْيَةٌ﴾ عن كل يوم يفطرونه،

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٦٠).

(٢) هل الواجب مدًا أو مدان خلاف، فمن الفقهاء من يري مدين، ومنهم من يرىٰ مُدًا واحدًا، والمد: الحفنة بحفنة الرجل المعتدل.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق (١/ ١٦٠).

﴿طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾، وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام، وكان فرضه حتمًا فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم بأسهل طريق وخير المطيق للصوم بين أن يصوم وهو أفضل، أو يطعم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾، ثم بعد ذلك جعل الصيام حتمًا علىٰ المطيق، وغير المطيق يفطر ويقضيه في أيام أخر.

وقيل: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي: يتكلفونه، ويشق عليهم مشقة غير محتملة كالشيخ الكبير، فدية عن كل يوم طعام مسكين، وهذا هو الصحيح[1].

* * *

(١) «تفسير السعدي» صـ ٨٦ باختصار وتصرف يسيران.

من فوائد الآية

١- من فوائد الآية أن الصوم أيام قليلة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

٢- ومنها: التعبير بكلمات يكون بها تهوين الأمر علىٰ المخاطب؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

٣- ومنها: رحمة الله بعباده لقلة الأيام التي فرض عليهم صيامها.

٤- وأن المشقة تجلب التيسير؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ لأن المرض والسفر مظنة المشقة.

٥- ومنها: جواز الفطر للمرض[1]، ولكن هل المراد مطلق المرض، وإن لم يكن في الصوم مشقة عليه؟ أو المراد: المرض الذي يشق معه الصوم، أو يتأخر معه البرء؟ الظاهر الثاني، وهو مذهب الجمهور؛ لأنه لا وجه لإباحة الفطر بمرض لا يشق معه الصوم، أو لا يتأخر معه البرء، هذا وللمريض حالات:

الأولىٰ: أن لا يضره الصوم، ولا يشق عليه، فلا رخصة له في الفطر.

الثانية: أن يشق عليه، ولا يضره، فالصوم في حقه مكروه؛ لأنه لا ينبغي العدول عن رخصة الله.

الثالثة: أن يضره الصوم، فالصوم في حقه محرم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾[2].

٦- ومن فوائد الآية جواز الفطر في السفر[3]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ

---

(١) ذكرنا أحكام صيام المريض صـ٣٩٣ فارجع إليه غير مأمور.

(٢) النساء: (٢٩).

(٣) راجع ذلك صـ٣٩٦ يرحمك الله.

مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

وللمسافر باعتبار صومه في سفره حالات ثلاث:

الأولى:

أن لا يكون فيه مشقة إطلاقًا.

يعني: ليس فيه مشقة تزيد علىٰ صوم الحضر، ففي هذه الحال الصوم أفضل وإن أفطر فلا حرج، ودليله أن الرسول ﷺ كان يصوم في السفر كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتىٰ يضع الرجل يده علىٰ رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة»(١).

ولأن الصوم في السفر أسرع في إبراء ذمته، ولأنه أسهل عليه غالبًا لكون الناس مشاركين له وثقل القضاء غالبًا؛ ولأنه يصادف شهر الصوم وهو رمضان.

الحال الثانية:

أن يشق عليه الصوم مشقة غير شديدة، فهنا الأفضل الفطر والدليل عليه أن النبي ﷺ كان في سفر، فرأىٰ زحامًا، ورجلًا قد ظلل عليه، فسأل عنه، فقالوا: صائم. فقال ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ»(٢).

فنفىٰ النبي ﷺ البر عن الصوم في السفر.

---

(١) أخرجه البخاري صـ ١٥٢ كتاب الصوم باب (٣٥) حديث رقم (١٩٤٥)، وأخرجه مسلم صـ ٨٥٨ كتاب الصيام باب (١٧) التخيير في الصوم والفطر في السفر (٢٦٣٠ (١٠٨) ١١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري صـ ١٥٢ كتاب الصوم باب (٣٦) قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ» حديث رقم ١٩٤٦ أخرجه مسلم ٨٥٦، ٨٥٧ كتاب الصيام، باب ١٥ جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية حديث رقم (٢٦١٢)، (٩٢)، (١١١٥).

فإن قيل: إن من المتقرر في أصول الفقه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وهذا يقتضي نفي البر عن الصوم في السفر مطلقًا؟

فالجواب: أن معنىٰ قولنا: «العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

يعني: أن الحكم لا يختص بعين الذي ورد من أجله، وإنما يعم من كان مثل حاله، وقد نص علىٰ هذه القاعدة ابن دقيق العيد في شرح الحديث في «العمدة» وهو واضح.

الحال الثالثة:

أن يشق الصوم علىٰ المسافر مشقة شديدة، فمنها يتعين الفطر، ودليله: ما ثبت في «الصحيح» أن الرسول ﷺ كان في سفر، فشكي إليه أن الناس قد شق عليهم الصيام وإنهم ينتظرون ما يفعل، فدعا بماء بعد العصر فشربه، والناس ينظرون ثم جيء إلىٰ النبي ﷺ وقيل له: إن بعض الناس قد صام، فقال ﷺ: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ! أُولَئِكَ الْعُصَاةُ!**».

والمعصية لا تكون إلا في فعل محرم، أو ترك واجب.

٧- ومن فوائد الآية أن السفر الذي يباح فيه الفطر غير مقيد بزمن ولا مسافة؛ لإطلاق السفر في الآية، وعلىٰ هذا يرجع فيه إلىٰ العرف، فما عده الناس سفرًا فهو سفر، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية؛ لأن تحديده بزمن أو مسافة يحتاج إلىٰ دليل.

٨- ومنها: أن المتهيئ للسفر كالخارج فيه وإن كان في بلده، فإنه يجوز أن يفطر وكان أنس بن مالك يفعل ذلك ويقول: «السنة»[1] لكن هذا الحديث فيه مقال

(١) أخرجه الترمذي صـ ١٧٢٦ كتاب الصوم باب ٧٦: ما جاء فيمن أكل ثم خرج يريد سفرًا، حديث رقم ٧٩٩، ٨٠٠ وفي الحديث الأول عبد الله بن جعفر بن نجيح المديني البصري، قال الحافظ في التقريب: ضعيف لكن تابعه محمد بن =

علىٰ ذلك.

٩- ومن فوائد الآية أن الظاهرية استدلوا بها علىٰ أن من صام في السفر لم يجزئه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فأوجب الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ المريض والمسافر عدة من أيام أخر، فمن صام وهو مريض أو مسافر صار كمن صام قبل دخول رمضان، وقالوا: «إن الآية ليست فيها شيء محذوف»، وهذا القول لولا أن السنة بينت جواز الصوم لكان له وجه قوي؛ لأن الأصل عدم الحذف لكن أجاب الجمهور عن هذا بأن الحذف متعين وتقدير الكلام: فمن كان مريضًا أو علىٰ سفر، فأفطر فعليه عدة من أيام أخر؛ لأن النبي ﷺ صام في رمضان في السفر والصحابة معه منهم الصائم ومنهم المفطر، ولم يعب أحد علىٰ أحد(١)، ولو كان الصوم حرامًا ما صامه النبي ﷺ ولأنكر المفطر علىٰ الصائم.

١٠- ومن فوائد الآية: أنه لو صام عن أيام الصيف أيام الشتاء، فإنه يجزئ لقوله تعالىٰ: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وجهه أن ﴿أَيَّامٍ﴾ نكرة.

١١- ومنها: حكمة الله سبحانه وتعالىٰ في التدرج بالتشريع حيث كان الصيام أول الأمر يخير فيه الإنسان بين أن يصوم ويطعم ثم تعين الصيام كما يدل علىٰ

=

جعفر بن أبي كثير في الحديث الثاني، قال الترمذي: وهو مدني ثقة [جامع الترمذي صـ١٧٢٦ كتاب الصوم باب ٧٦: ما جاء فيمن أكل...، حديث رقم ٨٠٠] وفي الحديثين زيد بن اسلم، قال الحافظ في التقريب: ثقة عالم كان يرسل. ولكنه صرح بالتحديث في حديث رقم (٨٠٠)، وقال الألباني في صحيح الترمذي في حديث رقم (٧٩٩): صحيح (١/ ٢٤٠حديث رقم ٦٤١- ٨٠٣).

وذكر الحديث الثاني في صحيح الترمذي ولم يعلق عليه [المرجع السابق حديث رقم ٦٤٢- ٨٠٤] وقال عبد القادر الأرناؤوط: إسناده حسن. [جامع الأصول (٦/ ٤١٢)، حاشية رقم ١].

(١) راجع مسلمًا صـ ٨٥٦ كتاب الصيام باب (١٥) «جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر» حديث رقم ٢٦١٨ (٩٦) (١١١٦).

ذلك حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه

١٢- ومنها: أن من عجز عن الصيام عجزًا لا يرجىٰ زواله، فإنه يطعم عن كل يوم مسكينًا، ووجه الدلالة أن الله سبحانه وتعالىٰ جعل الإطعام عديلًا للصيام حين التخيير بينهما، فإذا تعذر الصيام وجب عديله، ولهذا ذكر ابن عباس رضي الله عنهما: أن هذه الآية في الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يطيقان الصيام، فيطعمان عن كل يوم مسكينًا(١).

١٣- ومنها: أنه يرجع في الإطعام في كيفيته ونوعه إلىٰ العرف؛ لأن الله تعالىٰ أطلق ذلك، والحكم المطلق إذا لم يكن له حقيقة شرعية يرجع فيه إلىٰ العرف.

١٤- ومنها: أنه لا فرق بين أن يملك الفقير ما يطعمه، أو يجعله غداءً أو عشاءً لأن الكل إطعام، وكان أنس بن مالك حين كبر يطعم أدمًا وخبزًا(٢).

١٥- ومنها: أن ظاهر الآية لا يشترط تمليك الفقير ما يطعم، وهو القول الراجح، وقال بعض أهل العلم: إنه يشترط تمليكه فيعطي مدًّا من البُر أو نصف صاع من غيره، وقيل: يعطىٰ نصف صاع من البر وغيره، واستدل القائلون بالفرق بين البر وغيره بما قاله معاوية في زكاة الفطر: «أرىٰ المد من هذه - يعني: البر - يعدل مدين من الشعير»(٣)، فعدل به الناس وجعلوا الفطرة من البر نصف صاع(٤).

واستدل القائلون بوجوب نصف صاع من البر، وغيره بحديث كعب بن

---

(١) راجع البخاري صـ ٣٦٩ كتاب التفسير باب (٢٤) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ حديث رقم (٤٥٠٥).

(٢) ذكره البخاري معلقًا بصيغة الجزم صـ ٣٦٩ كتاب التفسير، باب (٢٦) قوله تعالىٰ: ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ﴾.

(٣) راجع البخاري صـ ١١٩ كتاب الزكاة باب (٧٥) صاع من زبيب حديث رقم (١٥٠٨)، ومسلمًا صـ (٨٣٣) كتاب الزكاة باب (٤) زكاة الفطر علىٰ المسلمين من التمر والشعير حديث رقم (٢٢٨٥(١٩) ٩٨٥)، واللفظ للبخاري.

(٤) راجع البخاري صـ ١١٩ كتاب الزكاة باب (٧٤) صدقة الفطر صاعًا من تمر حديث رقم (١٥٠٧).

عجرة رضي الله عنه حين أذن له النبي ﷺ بحلق رأسه وهو محرم أن النبي ﷺ قال له مبينًا المجمل في قوله تعالىٰ: ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾[(١)].

فقال في الصدقة: «أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ»[(٢)].

ولم يفرق النبي ﷺ بين طعام وآخر.

١٦- ومن فوائد الآية أن طاعة الله - تبارك وتعالىٰ - كلها خير؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ﴾.

١٧- ومنها ثبوت تفاضل الأعمال؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾.

وتفاضل الأعمال يستلزم تفاضل العامل فينبني علىٰ ذلك أن الناس يتفاضلون في الأعمال، وهو ما دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف والواقع، قال الله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾[(٣)]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾[(٤)] والنصوص في هذه كثيرة.

١٨- ومن فوائد الآية: التنبيه علىٰ فضل العلم[(٥)]؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾﴾[(٦)].

---

(١) البقرة: (١٩٦).

(٢) راجع البخاري صـ ١٤٢ كتاب الحج باب (٧) «الإطعام في الفدية نصف صاع حديث» رقم (١٨١٦)، وأخرجه مسلم صـ ٨٧٤ كتاب الحج باب (١٠) «جواز حلق الرأس للمحرم إذا كان به أذىٰ» حديث رقم (٢٨٧٧ (٨٠) ١٢٠١).

(٣) الحديد: (١٠).

(٤) النساء: (٩٥، ٩٦).

(٥) نداءات رب العالمين لعباد الله المؤمنين للعلامة ابن عثيمين رحمه الله صـ ٥١ إلىٰ ٥٧.

(٦) البقرة: (١٨٤).

الآية الثالثة: آية رقم (١٨٥)

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
﴿شَهْرُ﴾	الشهر: مأخوذ من الشهرة، ومنه قال: شهر فلان سيفه: إذا أخرجه[(١)]. والشهر: مدة مشهورة بإهلال الهلال، أو باعتبار جزء من اثني عشر جزءًا من دوران الشمس من نقطة إلىٰ تلك النقطة[(٢)]. سمي بذلك لشهرته في حاجة الناس إليه في المعاملات وغيرها من أمورهم. قال الثعلبي: شهر الهلال إذا طلع[(٣)].

---

(١) تفسير الماوردي (١/ ١٣٠).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني (١/ ٧٧٢).

(٣) تفسير البحر المحيط (٢/ ٢٩) باختصار.

الكلمة	معناها
﴿رَمَضَانَ﴾	مصدر رمض إذا احترق[(١)]. والرمض: هو شدة وقع الشمس، يقال: أرمضته فرمض، أي: أحرقته. الرمضاء: وهي شدة حر الشمس، وأرض رمضة، ورمضت الغنم: رعت في الرمضاء ففرحت أكبادها، وفلان يترمض الظباء: أي يتبعها في الرمضاء[(٢)]. ورمضان مأخوذ من رمض الصائم يرمض[(٣)] إذا احترق جوفه من شدة العطش[(٤)]. ورمضان هو الشهر التاسع من شهور السنة القمرية[(٥)].

(١) تفسير الكشاف للزمخشري (١/ ١٥٤).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للأصفهاني (١/ ٥٨٣).

(٣) الرمضاء: شدة الحر ويشهد لذلك حديث الرسول ﷺ في «صحيح مسلم»: «صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ إِذَا رَمِضَتِ الْفِصَالُ» أي: اشتد الحر في الأرض فلم يقو الفصيل علىٰ الوقوف علىٰ الأرض بأخفافه فيبرك.

(٤) تفسير فتح القدير للشوكاني (١/ ٢٠٥).

(٥) أيسر التفاسير (١/ ١٦٢).

الكلمة	معناها
﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾	هذه آية فضله علىٰ غيره من سائر الشهور حيث أنزل فيه القرآن، وذلك في ليلة القدر منه لآية: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أي: أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة في سماء الدنيا، ثم نزل نجمًا بعد نجم، وابتدئ نزوله علىٰ رسول الله ﷺ في رمضان أيضًا[1]. والقرآن: مصدر قرأ قرآنًا، قال حسان رضي الله عنه: محوا باسمك عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا[2] وقراءة. وأطلق علىٰ ما بين الدفتين من كلام الله عز وجل، وصار علمًا علىٰ ذلك، وهو من إطلاق المصدر علىٰ اسم المفعول في الأصل. ومعنىٰ قرآن بالهمز: الجمع؛ لأنه يجمع السور. أو تكون النون أصلية من قرنت الشيء إلىٰ الشيء ضمت؛ لأن ما فيه من السور والآيات والحروف مقترن بعضها إلىٰ بعض، أو لأن ما فيه من الحكم والشرائع كذلك أو ما فيه من الدلائل ومن القرائن لأن آياته يصدق بعضها بعضًا.

(١) المرجع السابق (١/ ١٦٢).

(٢) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٢٩).

الكلمة	معناها
﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾	الهداية دلالة بلطف ومنه الهدية، وخص ما كان دلالة بهديت، وما كان إعطاء بأهديت، نحو أهديت الهدية، وهديت إلىٰ البيت. ومعنىٰ ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ أي: رشادًا للناس وهاديًا إلىٰ ما فيه كمالهم وسعادتهم في الدارين(١).
﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾	**البينات:** جمع بينة. **والبينة:** من بان الشيء يبين، إذا وضح(٢). الدلالة الواضحة عقلية كانت أم محسوسة، والمعنىٰ أن القرآن نزل هاديًا للناس ومبينًا لهم سبيل الهدىٰ موضحًا طريق الفوز والنجاة(٣).
﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾	ما فرق الله به بين الحق والباطل، أي: فصل، والمراد القرآن الكريم يفرق الله تعالىٰ به بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، وبين النافع والضار.. فرقان في كل شيء(٤).

(١) تفسير الماوردي (١/ ١٣٠)، وأيسر التفاسير (١/ ١٦٣).

(٢) وسمي الشاهدان بينة لقوله عليه الصلاة والسلام: «**البَيِّنَةُ عَلَىٰ الـمُدَّعِي**» انظر صحيح مسلم رقم (١١٧١)، انظر مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني (١/ ١٩٩) بتصرف يسير واختصار.

(٣) **انظر:** أيسر التفاسير (١/ ١٦٣)، وتفسير القرطبي (٢/ ٦٧٥).

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٦٧٥)، وتفسير ابن عثيمين (٢/ ١٤٧) باختصار.

الكلمة	معناها
﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾	الشهود والشهادة الحضور مع المشاهدة، إما بالبصر أو بالبصيرة و﴿شَهِدَ﴾ بمعنىٰ حضر، وفيه إضمار، أي: شهد منكم هلال الشهر عاقلًا بالغًا صحيحًا مقيمًا. ﴿فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ وهو يقال عام فيخصص بقوله: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾[(١)].
﴿فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾	**العدة:** هي الشيء المعدود، أي: عليه أيام بعدد ما فاته من زمان آخر غير زمان شهر رمضان[(٢)].
﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾	**أي:** وجب عليكم قضاء الأيام التي أفطرتم فيها بعد برئكم من مرضكم أو إقامتكم من سفركم من أجل إكمال الشهر ثلاثين أو تسعة وعشرين يومًا[(٣)].
﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾	وذلك عند إتمام صيام رمضان من رؤية الهلال إلىٰ العودة من صلاة العيد، والتكبير مشروع وفيه أجر كبير[(٤)].
﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾	تحتمل وجهين، أحدهما: تشكرون الله علىٰ هدايته لكم، والثاني: علىٰ ما أنعم به من ثواب وطاعة، فقد فرض عليكم

(١) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للأصفهاني (١/ ٧٦٦)، وتفسير القرطبي (٢/ ٦٧٥).

(٢) مفردات ألفاظ القرآن الكريم للأصفهاني (٢/ ١٤٢) باختصار.

(٣) أيسر التفاسير (١/ ١٠٦٣) بزيادة وتصرف.

(٤) أيسر التفاسير (١/ ١٦٣).

الكلمة	معناها
	الصوم وندبكم إلىٰ التكبير لتكونوا بذلك من الشاكرين لله تعالىٰ علىٰ نعمه؛ [1] لأن الشكر هو الطاعة [2].

* * *

=

(١) تفسير الماوردي (١/ ١٣١).

(٢) يشهد له قوله تعالىٰ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾، والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، وهو العمل، قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

انظر أيسر التفاسير (١/ ١٦٣).

المعنى العام للآية الكريمة

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ...﴾

أي: الصوم المفروض عليكم هو شهر رمضان الشهر العظيم الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم، المشتمل علىٰ الهداية لمصالحكم الدينية والدنيوية، وتبين الحق والباطل، والهدىٰ والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة، فحقيق بشهر هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه أن يكون موسمًا للعبادة مفروضًا فيه الصيام، فلمَّا قرره وبين فضيلته وحكمة الله تعالىٰ في تخصيصه، قال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ هذا فيه تعيين الصيام علىٰ القادر الصحيح الحاضر، ولما كان النسخ للتخيير بين الصيام والفداء خاصة، أعاد الرخصة للمريض والمسافر لئلا يتوهم أن الرخصة أيضًا منسوخة، فقال تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾، أي: يريد الله تعالىٰ أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلىٰ رضوانه أعظم تيسير ويسهلها أبلغ تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله سهله تسهيلًا آخر، أما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات.

وهذه جملة لا يمكن تفصيلها؛ لأن تفصيلها جميع الشرعيات، ويدخل فيها جميع الرخص والتخفيفات ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾.

وهذا - والله أعلم - لئلا يتوهم متوهم أن صيام رمضان يحصل المقصود منه ببعضه، رفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته، وبشكر الله تعالىٰ عند إتمامه علىٰ

توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده، وبالتكبير عند انقضائه، ويدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلىٰ فراغ خطبة العيد(١).

* * *

(١) تفسير السعدي صـ ٨٦، ٨٧.

من فوائد الآية الكريمة

١- بيان الأيام المعدودات التي أبهمها الله عَزَّوَجَلَّ في الآيات السابقة بأنها شهر رمضان.

٢- ومنها: فضيلة هذا الشهر، حيث أن الله سبحانه وتعالىٰ فرض علىٰ عباده صومه.

٣- ومنها: أن الله تعالىٰ أنزل القرآن في هذا الشهر، وقد سبق في التفسير، هل هو ابتداء إنزاله أو أنه نزل كاملًا، والظاهر أن المراد ابتداء إنزاله؛ لأن الله - تبارك وتعالىٰ - يتكلم بالقرآن حين إنزاله، وقد أنزله جل وعلا مفرقًا، فيلزم من ذلك أن لا يكون القرآن كله نزل في هذا الشهر.

٤- ومنها: أن القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأن الذي أنزله هو الله كما في آيات كثيرة أضاف الله سبحانه وتعالىٰ إنزال القرآن إلىٰ نفسه، والقرآن كلام لا يمكن إلا بمتكلم، وعليه يكون القرآن كلام الله عَزَّوَجَلَّ، وهو كلامه سبحانه وتعالىٰ لفظه ومعناه.

٥- ومنها: ما تضمنه القرآن من الهداية لجميع الناس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾.

٦- ومنها: أن القرآن الكريم متضمن لآيات بينات واضحة لا تخفىٰ علىٰ أحد إلا علىٰ من طمس الله قلبه، فلا فائدة في الآيات كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

٧- ومنها: أن القرآن الكريم فرقان بين الحق والباطل، وبين النافع والضار وبين أولياء الله وأعداء الله وغير ذلك من الفرقان فيما تقتضي حكمته التفريق فيه.

---

(١) يونس: (١٠).

٨- ومنها: وجوب الصوم متىٰ ثبت دخول شهر رمضان، وشهر رمضان يثبت دخوله إما بإكمال شعبان ثلاثين يومًا، أو برؤية هلاله، وقد جاءت السنة بثبوت دخوله إذا رآه أحد يوثق بقوله(١).

٩- ومنها: لا يجب الصوم قبل ثبوت دخول رمضان.

ويتفرع علىٰ هذا أنه لو كان في ليلة الثلاثين من شعبان غيم أو قتر يمنع من رؤية الهلال فإنه لا يصوم ذلك اليوم؛ لأنه لم يثبت دخول شهر رمضان، وهذا هو القول الراجح من أقوال أهل العلم، بل ظاهر حديث عمار بن ياسر رضي الله عنهما أن: «من صام اليوم الذي يشك فيه، فقد عصىٰ أبا القاسم ﷺ»: أي أن صيامه إثم(٢).

١٠- ومن فوائد الآية: التعبير بـ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ قال أهل العلم: «وهذا أولىٰ» ويجوز التعبير بـ﴿رَمَضَانَ﴾ بإسقاط ﴿شَهْرُ﴾، لقول النبي ﷺ: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا... وَمَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا»**(٣).

وقوله ﷺ: **«إِذَا جَاءَ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ»**(٤).

ولا عبرة بقول من كره ذلك.

---

(١) راجع أبا داود صـ١٣٩٧ كتاب الصيام باب (١٤) في شهادة الواحد علىٰ رؤية هلال رمضان حديث رقم (٢٣٤٢) والدارمي (٢/ ٩) كتاب الصوم باب (٦) الشهادة علىٰ رؤية هلال رمضان حديث رقم (١٦٩١) قال الألباني في صحيح أبي داود: صحيح (٥٥١٢، حديث رقم ٢٣٤٢).

(٢) راجع أبا داود صـ١٣٩٦، كتاب الصيام باب (١٠): كراهية صوم يوم الشك، حديث رقم (٢٣٣٤)، والترمذي صـ١٧١٤، أبواب الصوم، باب (٣): ما جاء في كراهية صوم يوم الشك حديث رقم (٦٨٦)، والنسائي صـ٢٢٣٠ كتاب الصيام باب (٣٧): صيام يوم الشك حديث رقم (٢١٩٠) وابن ماجه صـ(٢٥٧٥)، أبواب ما جاء في الصيام باب (٣): ما جاء في صيام يوم الشك حديث رقم (١٦٤٥) والدارمي (٥١٢) من كتاب الصوم باب (١): في النهي عن صيام يوم الشك حديث رقم (١٦٨٢) قال الألباني في صحيح أبي دواد: صحيح (٢/ ٥٢/ ح ٢٣٣٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

١١- ومن فوائد الآية: تيسير الله - تبارك وتعالىٰ - علىٰ عباده، حيث رخص للمريض الذي يشق عليه الصوم، وللمسافر مطلقًا أن يفطرا أو يقضيا أيامًا أخر.

١٢- ومنها: إثبات الإرادة لله عزّ وجلّ.

وإرادة الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

إرادة كونية: وهي التي بمعنىٰ المشيئة، ويلزم منها وقوع المراد سواء كان مما يحبه الله، أو مما لا يحبه الله، ومنها: قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[(١)]، وهذه الآية كقوله تعالىٰ: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾[(٢)].

إرادة شرعية: بمعنىٰ المحبة، ولا يلزم منها وقوع المراد ولا تتعلق إلا فيما يحبه الله عزّ وجلّ، ومنها قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾[(٣)].

١٣- ومن فوائد الآية: أن شريعة الله سبحانه وتعالىٰ مبنية علىٰ اليسر والسهولة، لأن ذلك مراد الله عزّ وجلّ في قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ﴾، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**»[(٤)]، وكان ﷺ يبعث البعوث ويقول:

«**يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا**»[(٥)].

---

(١) الأنعام: (١٢٥).

(٢) الأنعام: (٣٩).

(٣) النساء: (٢٧، ٢٨).

(٤) سبق تخريجه (١/ ٢٤٣).

(٥) أخرجه البخاري صـ ٨ كتاب العلم باب ١١: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة حديث رقم (٦٩)، أخرجه مسلم صـ ٩٨٥ كتاب الجهاد والسير باب ٣: في الأمر بالتيسير وترك التنفير حديث رقم [٤٥٢٨ (٨) ١٧٣٤]
=

«فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»(١).

١٤- ومنها: انتفاء الحرج والمشقة والعسر في الشريعة؛ لقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

١٥- ومنها: أنه إذا دار الأمر بين التحليل والتحريم فإنه يغلب جانب التحليل؛ لأنه الأيسر والأحب إلىٰ الله.

١٦- ومنها: الأمر بإكمال العدة، أي: بالإتيان بعدة أيام الصيام كاملًا.

١٧ - ومنها: مشروعية التكبير عند تكميل العدة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾، والمشروع في هذا التكبير أن يقول الإنسان: «الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد» وإن شاء أوتر فقال: «الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد»، فالأمر في هذا واسع ولله الحمد.

١٨- ومن فوائد الآية: أن الله يشرع الشرائع لحكمة وغاية حميدة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

١٩- ومنها: الإشارة إلىٰ أن القيام بطاعة الله من الشكر، ويدل لهذا قول النبي ﷺ: **«إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ﴾، **وقال تعالىٰ:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾»(٢). وهذا يدل علىٰ أن الشكر هو العمل الصالح.

٢٠- ومنها: أن من عصىٰ الله عز وجل فإنه لم يقم بالشكر، ثم قد يكون الإخلال

= واللفظ للبخاري.

(١) أخرجه البخاري صـ ٢٠ كتاب الوضوء باب ٥٨: صب الماء علىٰ البول في المسجد حديث رقم (٢٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٥).

كبيرًا، وقد يكون الإخلال صغيرًا حسب المعصية التي قام بها العبد.

تنبيه:

استنبط بعض الناس أن من كانوا في الأماكن التي ليس عندهم فيها شهور مثل الذين في الدوائر القطبية، يصومون في وقت رمضان عند غيرهم عدة شهر؛ لأن الشهر غير موجود.

وقال: إن هذا من آيات القرآن، فقد جاء التعبير صالحًا حتىٰ لهذه الحال التي لم تكن معلومة عند الناس حين نزول القرآن؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ اهـ[(١)].

* * *

(١) تفسير ابن عثيمين (٢/ ١٤٨ - ١٤٩).

الآية الرابعة من آيات الصيام
وهي الآية رقم (١٨٦) من سورة «البقرة»

وهي قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ۝١٨٦﴾.

شرح معاني الكلمات[(١)]:

الكلمة	معناها
﴿ٱلدَّاعِ﴾	السائل ربه حاجته.
﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى﴾	أي: يجيبوا ندائي إذا دعوتهم لطاعتي وطاعة رسولي بفعل المأمور وترك المنهي والتقرب إليَّ بفعل القرب وترك ما يوجب السخط.
﴿يَرْشُدُونَ﴾	بكمال القوتين العلمية والعملية إذ الرشد هو العلم بمحاب الله ومساخطه، وفعل المحاب وترك المساخط، ومن لا علم له ولا عمل، فهو السفيه الغاوي والضال الهالك.

* * *

(١) تفسير أيسر التفاسير (١/ ١٦٥).

المعنى العام للآية الكريمة

هذه جواب سؤال للنبي ﷺ سأله بعض أصحابه، فقالوا: يا رسول الله ﷺ أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فنناديه؟ فنزل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.

لأنه تعالىٰ الرقيب الشهيد المطلع علىٰ السر وأخفىٰ يعلم خائنة الأعين وما تخفىٰ الصدور، فهو قريب أيضًا من داعيه بالإجابة، ولهذا قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

والدعاء نوعان: دعاء عبادة ودعاء مسألة.

والقرب نوعان: قرب بعلمه من كل خلقه، وقرب من عابديه وداعيه بالإجابة والمعونة والتوفيق.

فما دعا ربه بقلب حاضر ودعاء مشروع ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء - كأكل الحرام ونحوه -، فإن الله قد وعده بالإجابة وخصوصًا إذا أتىٰ بأسباب إجابة الدعاء وهي الاستجابة لله تعالىٰ بالانقياد لأوامره ونواهيه القولية والفعلية والإيمان به الموجب للاستجابة، فلهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة، ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة.

ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره سبب لحصول العلم، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [1] اهـ.

مناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه تعالىٰ لما تضمن قوله: طلب تكبيره وشكره بيّن

---

(١) تفسير العلامة السعدي صـ ٨٦، ٨٧.

أنه مطلع علىٰ ذكر من ذكره وشكر من شكره يسمع نداءه ويجيب دعاءه جل في علاه[1] اهـ.

* * *

(١) تفسير البحر المحيط لأبي حيان (٢/ ٤١).

من فوائد الآية الكريمة

الفوائد[(١)]:

١- من فوائد الآية: أن الصيام مظنة إجابة الدعاء، لأن الله سبحانه وتعالىٰ ذكر هذه الآية في أثناء آيات الصيام، ولا سيما أنه ذكرها في آخر الكلام علىٰ آيات الصيام.

وقال بعض أهل العلم: يستفاد منها فائدة أخرىٰ: أنه ينبغي الدعاء في آخر يوم الصيام أي عند الإفطار.

٢- ومنها: رأفة الله عز وجل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي﴾، حيث أضافهم إلىٰ نفسه تشريفًا، وتعطفًا عليهم.

٣- ومنها: إثبات قرب الله سبحانه وتعالىٰ، والمراد قرب نفسه؛ لأن الضمائر في هذه الآية كلها ترجع إلىٰ الله؛ وعليه فلا يصح أن يحمل القرب فيها علىٰ قرب رحمته، أو ملائكته؛ لأنه خلاف ظاهر اللفظ، ويقتضي تشتيت الضمائر بدون دليل؛ ثم قرب الله عز وجل هل هو خاص بمن يعبده، أو يدعوه، أو هو عام؟ علىٰ قولين، والراجح أنه خاص بمن يعبده، أو يدعوه؛ لأنه لم يرد وصف الله به علىٰ وجه مطلق؛ وليس كالمعية التي تنقسم إلىٰ عامة وخاصة.

فإن قال قائل: ما الجواب عن قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[(٢)] وهذا عام؟ فالجواب: أن المراد بالقرب في هذا الآية قرب ملائكته بدليل قوله تعالىٰ: ﴿إِذْ

---

(١) تفسير ابن عثيمين (٢/ ١٥٠، ١٥١).

(٢) ق: ١٦، ١٧.

يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾(١)، ومثلها قوله تعالىٰ: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾(٢)، فإن المراد بها قرب الملائكة الذين يقبضون الروح.

فإن قال قائل: كيف الجمع بين قربه جل وعلا وعلوه؟

فالجواب: أن الله أثبت ذلك لنفسه، أعني القرب، والعلو، ولا يمكن أن يجمع الله لنفسه بين صفتين متناقضتين، ولأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته، فهو قريب في علوه عليٌّ في دنوه.

٤- ومن فوائد الآية: إثبات سمع الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أُجِيبُ﴾؛ لأنه لا يجاب إلا بعد أن يُسمعَ ما دعا به.

٥- ومنها: إثبات قدرة الله؛ لأن إجابة الداعي تحتاج إلىٰ قدرة.

٦- ومنها: إثبات كرم الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

٧- ومنها: أن من شرط إجابة الدعاء أن يكون الداعي صادق الدعوة في دعوة الله عز وجل، بحيث يكون مخلصًا مشعرًا نفسه بالافتقار إلىٰ ربه، ومشعرًا نفسه بكرم الله وجوده؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِذَا دَعَانِ﴾.

٨- ومنها: أن الله تعالىٰ يجيب دعوة الداع إذا دعاه، ولا يلزم من ذلك أن يجيب مسألته؛ لأنه تعالىٰ قد يؤخر إجابة المسألة ليزداد الداعي تضرعًا إلىٰ الله، وإلحاحًا في الدعاء، فيقوىٰ بذلك إيمانه، ويزداد ثوابه، أو يدخره له يوم القيامة، أو يدفع عنه من السوء ما هو أعظم فائدة للداعي، وهذا هو السر - والله أعلم - في

---

(١) ق: ١٧.

(٢) الواقعة: (٨٣ - ٨٥).

قوله تعالىٰ: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾.

٩- ومنها: أن الإنابة إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ، والقيام بطاعته سبب للرشد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾.

١٠- ومنها: أن الاستجابة لابد أن يصحبها إيمان؛ لأن الله قرن بينهما، فمن تعبد لله سبحانه وتعالىٰ وهو ضعيف الإيمان بأن يكون عنده تردد - والعياذ بالله - أو شك فإنه لا ينفعه، أو يكون عنده إنكار، كما يفعل المنافقون، فإنهم يتعبدون إلىٰ الله عَزَّوَجَلَّ ظاهرًا، لكنهم ليس عندهم إيمان، فلا ينفعهم.

١١- ومنها: إثبات الأسباب والعلل، ففيه رد علىٰ الجهمية، وعلىٰ الأشاعرة؛ لأنهم لا يثبتون الأسباب إلا إثباتًا صوريًا، حيث يقولون: إن الأسباب لا تؤثر بنفسها لكن يكون الفعل عندها.



الآية الخامسة من آيات الصيام
وهي الآية رقم (١٨٧) من سورة «البقرة»

قال تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

* * *

من أسباب النزول

كان السبب في نزول هذه الآية ما قاله أبو إسحاق عن البراء بن عازب، قال: «كان أصحاب النبي ﷺ إذا كان الرجل صائمًا، فنام قبل أن يفطر لم يأكل إلىٰ مثلها، وإن قيْس بن صِرمة الأنصاري كان صائمًا، وكان يومه ذاك يعمل في أرضه، فلما حضر الإفطار أتىٰ امرأته، فقال: هل عندك طعام؟ قالت: لا، ولكن انطلق واطلب لك، فغلبته عينُه فنام، وجاءت امرأته، فلما رأته نائمًا، قالت: خيبة لك أنمت؟ فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ...﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ ففرحوا فرحًا شديدًا»(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم (٤/ صـ ١٥٤/ ح١٩١٥ - فتح)، وأبو داود في كتاب الصوم باب مبدأ فرض الصوم (٢/ صـ٢٩٥/ ح٢٣١٤)، والترمذي كتاب التفسير باب ومن سورة البقرة (٥/ صـ ١٩٤/ ح ١١٩٣)، =

وفي البخاري من طريق أبي إسحاق، سمعت البراء قال:

«لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا هُشيم، أخبرنا حُصَين، أخبرني عديّ بن حاتم قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ عمدت إلىٰ عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض.

قال: فجعلتهما تحت وسادتي، قال: فجعلت أنظر إليهما فلا تبيَّن لي الأسود من الأبيض، ولا الأبيض من الأسود، فلما أصبحت غدوت علىٰ رسول الله ﷺ، فأخبرته بالذي صنعت، فقال: «**إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ، إِنَّمَا ذَلِكَ بَيَاضُ النَّهَارِ وَسَوَادُ اللَّيْلِ**»(٢).

ومعنىٰ: «**إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ**» أي: إن كان يسعُ لوضع الخيط الأبيض والخيط الأسود المرادين من هذه الآية تحته، فإنهما بياض النهار وسواد الليل، فيقتضي أن يكون بعرض المشرق والمغرب(٣).

* * *

=

وابن خزيمة في صحيحه (٣/ صـ ٢٠ / ح ١٩٠٤)، وأحمد في مسنده (٤/ ٢٩٥) من حديث البراء بن عازب... به.

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير (٨/ صـ ٣٠/ حديث رقم ٤٥٠٨) فتح الباري.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٧٧)، ومسلم في كتاب الصيام (٢/ ٣٣/ صـ٧٦٦، صـ ٧٦٧).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).

معاني الكلمات:

الكلمة	معناها
﴿لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ﴾	الليلة التي يصبح العبد بعدها صائمًا(١).
﴿ٱلرَّفَثُ﴾	الجماع(٢).
﴿لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾	كناية عن اختلاط بعضكم ببعض كاختلاط الثوب بالبدن(٣).
﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾	بتعريضها للعقاب، ونقصان حظها من الثواب بالجماع ليلة الصيام قبل أن يحل الله لكم ذلك(٤).
﴿بَٰشِرُوهُنَّ﴾	جامعوهن، أباح لهم ذلك ليلًا(٥).
﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾	اطلبوا بالجماع الولد إن كان قد كتب لكم(٦) ولا يكن الجماع لمجرد الشهوة(٧).
﴿ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ﴾	بياض النهار(٨).
﴿ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾	سواد الليل(٩).
﴿ٱلْفَجْرِ﴾	مصدر قولك: فجرت الماء أفجره فجرًا،

(١-٥، ٧) أيسر التفاسير (١/ ١٦٦).

(٦) ويحتمل اللفظ معاني أخرىٰ مثل: ما أبيح لكم وليلة القدر والرخصة والتوسعة.

(٨) تفسير ابن عثيمين (٢/ ١٥١).

(٩) تفسير ابن عثيمين (٢/ ١٥١).

الكلمة	معناها
	وفجرته تفجيرًا. قال الأزهري: الفجر أصله الشق، فعلىٰ هذا الفجر في آخر الليل هو انشقاق ظلمة الليل بنور الصبح[(١)].
﴿عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾	منقطعون إلىٰ العبادة في المسجد تقربًا الله تعالىٰ[(٢)].
﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾	جمع حد، وهو: ما شرع الله تعالىٰ من الطاعات فعلًا أو تركًا[(٣)].
﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾	أي كما بين أحكام الصيام يبين أحكام سائر العبادات من أفعال وتروك ليهيئهم للتقوىٰ التي هي السبب المورث للجنة[(٤)].

* * *

(١) تفسير الفخر الرازي (٣/ ١٢٠).
(٣، ٤، ٥) أيسر التفاسير (١/ ١٦٧).

المعنى الإجمالي للآية الكريمة

كان في أول فرض الصيام يحرم علىٰ المسلمين في الليل بعد النوم الأكل والشرب والجماع، فحصلت المشقة لبعضهم، فخفف الله تعالىٰ عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها الأكل والشرب والجماع سواء نام، أو لم ينم؛ لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به، فتاب الله عليهم بأن وسع لهم أمرًا كان - لولا توسعته - موجبًا للإثم، وعفا عنهم ما سلف من التخون ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ﴾ بعد هذه الرخصة والسعة من الله ﴿بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ وطأً، وقبلة ولمسًا وغير ذلك.

﴿وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: انووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلىٰ الله تعالىٰ، والمقصود الأعظم من الوطء، وهو حصول الذرية وإعفاف فرجه وفرج زوجته وحصول مقاصد النكاح، ومما كتب الله لكم ليلة القدر الموافقة لليالي صيام رمضان، فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها، فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك:

﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ هذه غاية للأكل والشرب والجماع وفيه دليل علىٰ استحباب السحور للأمر، وأنه يستحب تأخيره أخذًا من معنىٰ رخصة الله، وتسهيله علىٰ العباد، وفيه أيضًا دليل علىٰ أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جنب من الجماع قبل أن يغتسل، ويصح صيامه؛ لأن لازم إباحة الجماع إلىٰ طلوع الفجر أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق ﴿ثُمَّ﴾ إذا طلع الفجر ﴿أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ﴾ أي: الإمساك عن المفطرات ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ وهو غروب الشمس، ولما كان إباحة الوطء في ليالي الصيام ليست إباحته عامة لكل أحد، فإن المعتكف لا يحل له ذلك، استثناه تعالىٰ بقوله: ﴿وَلَا تُبَـٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَـٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾.

أي: وأنتم متصفون بذلك، ودلت الآية علىٰ مشروعية الاعتكاف، وأن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد، وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف ﴿تِلْكَ﴾ المذكورات، وهي تحريم الأكل والشرب والجماع ونحوه من المفطرات في الصيام، وتحريم الفطر علىٰ غير المعذور، وتحريم الوطء علىٰ المعتكف، ونحو ذلك من المحرمات ﴿حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ التي حدها لعباده ونهاهم عنها، فقال: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ أبلغ من قوله: «فلا تفعلوها» لأن القربان يشمل النهي عن فعل المحرمات بنفسه، والنهي عن وسائله الموصلة إليه، والعبد مأمور بترك المحرمات والبعد منها غاية ما يمكنه، وترك كل سبب يدعو إليها، وأما الأوامر فيقول الله فيها: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ فينهىٰ عن مجاوزتها.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: يبين الله لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين وأوضحها لهم أكمل إيضاح ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه، فإن الإنسان قد يفعل المحرم علىٰ وجه الجهل بأنه محرم، ولو علم تحريمه لم يفعله فإذا بين الله للناس آياته لم يبق لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سببًا للتقوىٰ[(١)].

* * *

(١) تفسير العلامة السعدي صـ ٨٧، ٨٨ باختصار وتصرف يسير.

من فوائد الآية الكريمة(١)

١- رحمة الله تعالىٰ بعباده، لنسخ الحكم الأول إلىٰ التخفيف حيث كانوا إذا ناموا أو صلوا العشاء في ليالي رمضان حرمت عليهم النساء والطعام والشراب إلىٰ غروب الشمس من اليوم التالي، ثم خفف عنهم بإباحة ذلك إلىٰ الفجر.

٢- ومنها: جواز الكلام بين الزوج وزوجته فيما يستحيا منه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾ لأنه مضمن معنىٰ الإفضاء.

٣- ومنها: جواز استمتاع الرجل بزوجته من حين العقد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ﴾ ما لم يخالف شرطًا بين الزوجين، وقد ظن بعض الناس أنه لا يجوز أن يستمتع بشيء من زوجته حتىٰ يعلن النكاح، وليس بصحيح لكن هنا شيء يخشىٰ منه، وهو الجماع، فإنه ربما يحصل حمل، وإذا حصل حمل مع تأخر الدخول ربما يحصل في ذلك ريبة، فإذا خشي هذا الإنسان هذا الأمر، فليمنع نفسه لئلا يحصل ريبة عند العامة.

٤- ومن فوائد الآية: أن الزوجة ستر للزوج وهو ستر لها، وأن بينهما من القرب كما بين الثياب ولابسيها، ومن التحصين للفروج ما هو ظاهر لقوله تعالىٰ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ﴾.

٥- ومنها: إثبات العلة في الأحكام؛ لقوله تعالىٰ: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ لأن هذه الجملة لتعليل التحليل.

٦- ومنها: ثبوت علم الله بما في النفوس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ

---

(١) تفسير ابن عثيمين (٢/ ١٥٣ إلىٰ ١٥٦).

﴿تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾.

٧- ومنها: أن الإنسان كما يخون غيره يخون نفسه، وذلك إذا أوقعها في معاصي الله، فإن هذا خيانة، وعلىٰ هذا فنفس الإنسان أمانة عنده؛ لقوله تعالىٰ: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾.

٨- ومن فوائد الآية: إثبات التوبة لله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾، وهذه من الصفات الفعلية.

٩- ومنها: إثبات عفو الله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَفَا عَنكُمْ﴾.

١٠- ومنها: ثبوت النسخ خلافًا لمن أنكره، وهو في هذه الآية صريح؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ﴾ يعني: وقبل الآن لم يكن حلالًا.

١١- ومنها: أن النسخ إلىٰ الأخف نوع من التوبة إلا أن يراد بقوله تعالىٰ: ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ﴾ ما حصل من اختيانهم أنفسهم.

١٢- ومنها: جواز مباشرة الزوجة علىٰ الإطلاق بدون تقييد، ويستثنىٰ من ذلك الوطء في الدبر والوطء حال الحيض أو النفاس.

١٣- ومنها: أنه ينبغي أن يكون الإنسان قاصدًا بوطئه طلب الولد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ وذكروا عن عمر رضي الله عنه أنه لا يجامع إلا إذا اشتهىٰ الولد، ولكن مع ذلك لا يمنع الإنسان أن يفعل لمجرد الشهوة، فهذا ليس فيه منع، بل فيه أجر لقول النبي ﷺ: «**وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَيَكُونُ عَلَيْهِ وِزْرٌ**» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ**»[1].

(١) أخرجه مسلم صـ ٨٣٧، كتاب الزكاة، باب ١٦: بيان أن اسم الصدقة يقع علىٰ كل نوع من المعروف) حديث رقم (٢٣٢٩ (٥٣) ١٠٠٦).

١٤- **من فوائد الآية:** جواز الأكل والشرب والجماع في ليالي الصيام حتىٰ يتبين الفجر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾.

أخذ بعض أهل العلم من هذا استحباب السحور، وتأخيره، وهذا الاستنباط له غور؛ لأنه يقول: إنما أبيح الأكل والشرب ليلة الصيام رفقًا بالمكلف، وكلما تأخر إلىٰ قرب طلوع الفجر كان أرفق به، فما دام نسخ التحريم من أجل الرفق بالمكلف، فإنه يقتضي أن يكون عند طلوع الفجر أفضل منه قبل ذلك؛ لأنه أرفق، وهذا استنباط جيد تعضده الأحاديث مثل قول الرسول ﷺ: «**تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السُّحُورِ بَرَكَةً**».

ففيه بركة لكونه معينًا علىٰ طاعة الله، وفيه بركة لأنه امتثال لأمر رسول الله ﷺ، وفيه بركة لأنه اقتداء برسول الله ﷺ، وفيه بركة لأنه يغني عن عدة أكلات، وشربات في النهار، وفيه بركة لأنه فصل بين صيامنا وصيام أهل الكتاب، فهذه خمسة أوجه من بركته.

١٥- ومن فوائد الآية: أن الإنسان لو طلع عليه الفجر وهو يجامع ثم نزع في الحال فلا قضاء عليه ولا كفارة؛ لأن ابتداء جماعه كان مأذونًا فيه، ولكن استدامته بعد أن تبين الفجر حرام وعلىٰ فاعلها القضاء والكفارة إلا أن يكون جاهلًا وقد قيل: إنه إذا نزع في هذه الحال فعليه كفارة؛ لأن النزع جماع لكنه قول ضعيف إذ كيف نلزمه بالقضاء والكفارة مع قيامه بما يجب عليه، وهو النزع.

١٦- ومنها جواز أن يصبح الصائم جنبًا لأن الله أباح الجماع حتىٰ يتبين الفجر، ولازم هذا أنه إذا أخر الجماع لم يغتسل إلا بعد طلوع الفجر، وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه كان يصبح جنبًا من جماع أهله، ثم يصوم(١).

(١) أخرجه البخاري صـ ١٥١ كتاب الصوم باب ٢٥: اغتسال الصائم، حديث رقم (١٩٣١)، وأخرجه مسلم صـ ٨٥٥، كتاب الصيام باب ١٣: صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، حديث رقم (٢٥٨٩) (٧٥) (١١٠٩).

١٧- **ومنها**: جواز الأكل والشرب والجماع مع الشك في طلوع الفجر، لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ فإن تبين أن أكله وشربه وجماعه كان بعد طلوع الفجر، فلا شيء عليه.

١٨- **ومنها**: رد قول من قال: إنه يجوز أن يأكل الصائم ويشرب إلىٰ طلوع الشمس لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾، وكذلك رد قول من قال: إنه يجوز أن يأكل ويشرب إلىٰ الغلس.

١٩- ومن فوائد الآية: بيان خطأ بعض جهال المؤذنين الذين يؤذنون[١] قبل الفجر احتياطًا - علىٰ زعمهم - لأن الله تعالىٰ أباح الأكل والشرب والجماع حتىٰ يتبين الفجر؛ ولأن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ تَسْمَعُوا أَذَانَ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَإِنَّهُ لَا يُؤَذِّنُ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»[٢].

وهو أيضًا مخالف للاحتياط؛ لأنه يستلزم أن يمتنع الناس مما أحل الله لهم من الأكل والشرب والجماع وأن يقدِّم الناس صلاة الفجر قبل طلوع الفجر، وأيضًا فإنه يفتح بابًا للمتهاون حيث يعلم أنه أذن قبل الفجر فلا يزال يأكل إلىٰ أمد مجهول، فيؤدي إلىٰ الأكل بعد طلوع الفجر من حيث لا يشعر، ثم اعلم أن الاحتياط الحقيقي إنما هو في اتباع ما جاء في الكتاب والسنة لا في التزام التضييق والتشديد.

٢٠- ومن فوائد الآية: أنه لو أكل الإنسان يظن أن الفجر لم يطلع ثم تبين أنه طلع فصيامه صحيح؛ لأنه قد أذن له بذلك حتىٰ يتبين له الفجر، وما كان مأذونًا فيه فإنه لا يرتب عليه إثم، ولا ضمان، ولا شيء، ومن القواعد الفقهية المعروفة: «ما ترتب علىٰ المأذون فهو غير مضمون».

---

(١) أو يقولون: (ارفع) يقصدون الامتناع عن تناول الطعام.

(٢) سبق تخريجه.

وهذا هو ما تؤيده المعلومات، مثل قوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(١)، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾(٢)، وتؤيده أيضًا نصوص خاصة في هذه المسألة نفسها، وهو فعل عدي بن حاتم ﷺ، حيث كان يضع عقالين تحت وسادته أحدهما أبيض والآخر أسود، فيأكل وهو يتسحر حتىٰ يتبين له العقال الأبيض من العقال الأسود، ثم يمسك، فأخبر النبي ﷺ، وبين له النبي ﷺ المراد في الآية ولم يأمره بالقضاء.

٢١- ومن فوائد الآية: الإيماء إلىٰ كراهة الوصال؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ﴾ والوصال معناه: أن يقرن الإنسان صوم يومين جميعًا لا يأكل بينهما، وقد كان الوصال مباحًا ثم نهاهم الرسول ﷺ عنه، وقال: «**أَيُّكُمْ أَرَادَ أَنْ يُوَاصِلَ فَلْيُوَاصِلْ إِلَىٰ السَّحَرِ**»(٣)، ورغب ﷺ في تعجيل الفطر، فقال: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ**»(٤).

وهذا من باب أن الشيء قد يكون مأذونًا فيه، وليس بمشروع، فالوصال إلىٰ السَّحَر مأذون فيه، ولكن ليس بمشروع، ومثال آخر: الصدقة عن الميت فهذا أمر مأذون فيه وليس بمشروع.

٢٢-ومن فوائد الآية: أن الاعتبار بالفجر الصادق الذي يكون كالخيط ممتدًا في الأفق، وذكر أهل العلم أن بين الفجر الصادق والفجر الكاذب ثلاثة فروق:

---

(١)البقرة: (٢٦٨).

(٢)الأحزاب: (٥).

(٣)أخرجه البخاري صـ ١٥٣ كتاب الصوم باب ٤٨: الوصال حديث رقم (١٩٦٣).

(٤)سبق تخريجه.

الفرق الأول:

أن الصادق مستطير معترض من الجنوب إلىٰ الشمال، والكاذب مستطيل ممتد من الشرق إلىٰ الغرب.

والفرق الثاني: أن الصادق متصل بالأفق، وذاك بينه وبين الأفق ظلمة.

والفرق الثالثة: أن الصادق يمتد نوره، ويزداد، والكاذب يزول نوره ويظلم.

٢٣- ومن فوائد الآية: أن بياض النهار، وسواد الليل يتعاقبان فلا يجتمعان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ﴾.

٢٤ - ومنها: أن الأفضل المبادرة بالفطر؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، وقد جاءت السنة بذلك صريحًا كما في قوله ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ**»[1].

٢٥- ومنها: أن الصيام الشرعي من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾.

٢٦- ومنها: أن الصيام الشرعي ينتهي بالليل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَى ٱلَّيْلِ﴾، وقد فسر النبي ﷺ ذلك بقوله: «**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**»[2].

٢٧- ومنها: الإشارة إلىٰ مشروعية الاعتكاف؛ لأن الله أقره ورتب عليه أحكامًا، وقوله تعالىٰ: ﴿فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾ بيان للواقع؛ لأن الاعتكاف المشروع لا يكون إلا في المساجد.

٢٨- ومنها: أن الاعتكاف مشروع في كل مسجد؛ لعموم قوله تعالىٰ: ﴿فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾، فلا يختص بالمساجد الثلاثة - كما قيل به - وأما حديث حذيفة: «**لَا**

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

اعْتِكَافَ إِلَّا فِي الْـمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ»[١] يعني المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصىٰ، فإن صح فالمراد به الاعتكاف الكامل.

٢٩- ومنها: أن ظاهر الآية أن الاعتكاف يصح في كل مسجد - وإن لم يكن مسجد جماعة - وهذا الظاهر غير مراد لوجهين:

الوجه الأول: أن «أل» في ﴿ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ للعهد الذهني فتكون دالة علىٰ أن المراد بـ﴿ٱلْمَسَـٰجِدِ﴾ المساجد المعهودة التي تقام فيها الجماعة.

الوجه الثاني: أنه لو جاز الاعتكاف في المسجد الذي لا تقام فيه الجماعة للزم من ذلك أحد أمرين: إما ترك صلاة الجماعة - وهي واجبة - وإما كثرة الخروج إليها - وهذا ينافي الاعتكاف أو كماله.

٣٠- ومن فوائد الآية: النهي عن مباشرة النساء حال الاعتكاف.

٣١- ومنها: أن الجماع مبطل للاعتكاف، وجه كونه مبطلًا أنه نهىٰ عنه بخصوصه، والشيء إذا نهي عنه بخصوصه في العبادة كان من مبطلاتها.

٣٢- ومنها: ما استنبطه بعض أهل العلم أن الاعتكاف يكون في رمضان وفي آخر الشهر لأن الله ذكر حكمه عقب آية الصيام، وهذا هو الذي جاءت به السنة: فإن النبي ﷺ لم يعتكف إلا في العشر الأواخر من رمضان حين قيل له: «إن ليلة القدر في العشر الأواخر».

وكان اعتكافه في العشر الأول والأوسط يتحرىٰ ليلة القدر، فلما قيل له: «إنها في العشر الأواخر». ترك الاعتكاف في العشر الأول والأوسط.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق موقوفًا (٣/ ٣٤٨) حديث رقم (٨٠١٦) وأخرجه الطحاوي مرفوعًا في شرح مشكل الآثار (٧/ ٢٠١)، وقال شعيب في تحقيق مشكل الآثار: ورواية من وقفه علىٰ حذيفة أصح وأقوىٰ وأثبت [مشكل الآثار للطحاوي بتحقيق شعيب الأرناؤوط (٧/ ٢٠٣)].

٣٣- ومنها: أن أوامر الله حدود له، وكذلك نواهيه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾.

٣٤- ومنها: أنه ينبغي البعد عن المحارم، لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾.

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «مَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهَاتِ فَقَدِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الْحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَقَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ اللهِ مَحَارِمُهُ»[1].

٣٥- ومنها: أن الله سبحانه وتعالىٰ يبين للناس الآيات الكونية والشرعية لقوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾، والآيات الكونية: هي المخلوقات فكل المخلوقات ذواتها وصفاتها وأحوالها من الآيات الكونية، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[2]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾[3]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾[4] ... إلخ.

وكانت المخلوقات آية لله؛ لأنه لا أحد من المخلوق يصنع مثلها.

والآيات الشرعية: هي ما أنزله الله تعالىٰ علىٰ رسله وأنبيائه من الوحي، فإنها آيات شرعية تدل علىٰ كمال منزلها سبحانه وتعالىٰ في العلم والرحمة والحكمة وغير ذلك مما تقتضيه أحكامها وأخبارها، وجه ذلك أنك إذا تأملت أخبارها وجدتها في غاية الصدق والبيان والمصلحة، كما قال تعالىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ

---

(١) أخرجه البخاري بدون ذكر اعتكاف النبي ﷺ العشر الأول صـ ١٥٧ كتاب فضل ليلة القدر باب: ١: فضل ليلة القدر حديث رقم (٢٠١٦)، وأخرجه مسلم تامًّا صـ ٨٦٧ كتاب الصيام باب ٤٠: فضل ليلة القدر والحث علىٰ طلبها حديث رقم [٢٧٧١ (٢١٥) ١١٦٧].

(٢) فصلت (٣٧).

(٣) الروم: (٢١).

(٤) الروم: (٢٠).

أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾(١) .

فأحسن الأخبار أخبار الوحي: القرآن، وغيره، وأصلحها للخلق قصصها، كما قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾(٢) .

وإذا تأملت أحكامها وجدتها أحسن الأحكام وأصلحها للعباد في معاشهم ومعادهم، كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝﴾(٣) .

ولو اجتمع الخلق علىٰ أن يأتوا بمثل الأحكام التي أنزلها الله علىٰ رسوله ما استطاعوا إلىٰ ذلك سبيلًا، بهذا تكون آية علىٰ ما تقتضيه من صفات الله سبحانه وتعالىٰ.

٣٦- ومن فوائد الآية: الرد علىٰ أهل التعطيل وغيرهم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه في أسماء الله، وصفاته وجه ذلك أنهم لما قالوا: المراد بـ «اليد»: النعمة، أو القوة، والمراد بـ«الاستواء». الاستيلاء، والمراد بكذا كذا. وهو خلاف ظاهر اللفظ ولا دليل عليه: صار القرآن غير بيان للناس؛ لأنه ما دام أن البيان خلاف ما ظهر فلا بيان.

٣٧- ومنها: أن العلم سبب للتقوىٰ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ ووجهه أنه ذكره عقب قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ﴾ فدل هذا أنه كلما تبينت الآيات حصلت التقوىٰ، ويؤيد ذلك قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾(٤) .

فكلما ازداد الإنسان علمًا بآيات الله ازداد تقىٰ، ولهذا يقال: من كان بالله

---

(١) يوسف: (٣).

(٢) يوسف (١١١).

(٣) المائدة (٥٠).

(٤) فاطر: (٢٨).

أعرف كان منه أخوف.

٣٨- ومنها: علو مرتبة التقوىٰ؛ لكون الآيات تبين للناس من أجل الوصول إليه اهـ.

٣٩- استعمال الكناية بدل التصريح فيما يستحي من ذكره حيث كنىٰ بالمباشرة عن الوطء.

٤٠- بيان الغاية من إنزال الشرائع ووضع الحدود التي هي تقوىٰ الله عز وجل[1].

* * *

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير تأليف/ أبي بكر جابر الجزائري المجلد الأول صـ١٦٨.

الباب الخامس

فقــه الصيــام

الفصل الأول: أحكام الصيام.

الفصل الثاني: فتاوى الصيام.

الفصل الأول
أحكام الصيام

صوم رمضان أحد أركان الإسلام وفروضه العظام، وهو معلوم من الدين بالضرورة[١].

تعريف الصيام:

الصيام لغة: هو الإمساك عن الفعل مطعمًا كان أو مشربًا أو مشيًا[٢].

وقيل: هو الإمساك وترك التنقل من حال إلىٰ حال، ويقال للصمت: صوم لأنه إمساك عن الكلام[٣] اهـ.

قال الله تعالىٰ مخبرًا عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا﴾. أي: سكوتًا عن الكلام[٤] اهـ.

بدليل قوله تعالىٰ: ﴿فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾[٥].

يقال: صامت الخيل: إذا أمسكت عن العلف والسير[٦]، ومنه قول الشاعر:

خيل صيام وخيل غير صائمة ... تحت العجاج وأخرىٰ تَعْلُكُ اللُّجُما[٧]

ومنه يقال: صام النهار: إذا ارتفعت الشمس وصارت في إبطاء السير

---

(١) الملخص الفقهي صـ ٢١٣، وتوضيح الأحكام من بلوغ المرام صـ ٥١٧.
(٢) ألفاظ مفردات القرآن للراغب الأصفهاني (١/ ٥٢).
(٣) انظر: تفسير القرطبي (٢/ ٤٤٩).
(٤) انظر: تفسير ابن عثيمين (٢/ ١٤١).
(٥) مريم: (٢٦).
(٦) انظر: تفسير السمعاني (١/ ١٢٣) ط دار الوطن الرياض ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
(٧) خيل صيام: أي ممسكة عن الجري والحركة والصهيل، وهذا البيت للنابغة من ديوانه صـ ١١٢.

كالواقفة، وذلك في وقت الهاجرة، ومنه قول الشاعر:

فدعها وسل النفس عنك بحسرة ذهول إذا صام النهار وهجرا

اهـ.

أي أبطأت الشمس عن الانتقال والسير فصارت بالإبطاء كالممسكة ومنه:

حتىٰ إذا صام النهار واعتدل وسال للشمس لعاب فنزل

وصامت الريح: إذا ركدت[(١)][(٢)].

وذم أعرابي قومًا، فقال: «يصومون عن المعروف ويقعون علىٰ الفواحش»[(٣)].

فالصيام في اللغة: الإمساك في الجملة[(٤)].

والصوم: مصدر صام يصوم صومًا[(٥)].

الصوم شرعًا: قال القرطبي في «تفسيره»: «هو الإمساك عن المفطرات مع اقتران النية به من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس، وتمامه وكماله باجتناب المحذورات وعدم الوقوع في المحرمات؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»[(٦)][(٧)].

---

(١) ركود الريح: هو إمساكها عن الهبوب.

(٢) انظر: تفسير الفخر الرازي (٣/ ٧٥).

(٣) انظر: تفسير النكت والعيون للماوردي (١/ ١٢٧).

(٤) انظر: تفسير زاد المسير لابن الجوزي (١/ ١٣٥).

(٥) القاموس المحيط، والمصباح المنير، ومختار الصحاح مادة [صوم] نقلًا من الموسوعة الكويتية (٢٨/ ٧).

(٦) تفسير ابن عثيمين (٢/ ١٤٦) باختصار وتصرف.

(٧) التفسير الكبير للرازي (١/ ٢٥١).

لماذا سمي رمضان؟

يقول العلامة الرازي: «اختلفوا في اشتقاقه على وجوه: ما نُقل عن الخليل: أنه من الرمضاء بسكون الميم، وهو مطر يأتي قبل الخريف يطهر وجه الأرض عن الغبار، والمعنى فيه: أنه كما يغسل المطر وجه الأرض ويطهرها، فكذلك شهر رمضان يغسل أبدان (أرواح) هذه الأمة من الذنوب ويطهر قلوبهم.

وقيل: إنه مأخوذ من الرمض، وهو حر الحجارة من شدة حر الشمس، فسمي هذا الشهر بهذا الاسم، إما لارتماضهم في هذا الشهر من حر الجوع أو مقاساة شدته.

وقيل: لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة، سموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام رمض الحر.

وقيل: سمي بهذا الاسم؛ لأنه يرمض الذنوب، أي: يحرقها.

وقيل: إن هذا الاسم مأخوذ من قولهم: رمضت النصل أرمضه رمضًا إذا دفعته بين حجرين ليدق، ونصل رميض ومرموض، فسمي هذا الشهر: رمضان لأنهم كانوا يرمضون فيه أسلحتهم ليقضوا منها أوطارهم، وهذا القول يُحكى عن الأزهري[1].

وقيل: لأن القلوب تحترق من الموعظة فيه والفكرة في أمر الآخرة، فالقلوب تأخذ فيه من حرارة الموعظة والفكرة في أمر الآخرة كما يأخذ الرمل والحجارة من حر الشمس[2].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٥٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ٦٦٧) بتصرف يسير.

هل يقال رمضان أو شهر رمضان؟

ذهب بعض العلماء إلىٰ كراهة إطلاقه من غير قرينة تدل علىٰ أن المراد به الشهر لأن الله تعالىٰ قال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ واحتج بعضهم بالحديث الذي رواه أبو معشر نجيح عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لَا تَقُولُوا: رَمَضَانُ. فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ، وَلَكِنْ قُولُوا: شَهْرُ رَمَضَانَ**» وهذا الحديث لا يثبت[(١)].

إذًا الصواب: أنه لا كراهة في قول «رمضان» مطلقًا؛ لأن الكراهة إنما تثبت بنهي الشرع ولم يثبت نهي، وإلىٰ هذا ذهب المحققون من أهل العلم[(٢)].

قال الإمام البخاري: «باب هل يقال: رمضان أو شهر رمضان، ومن رأىٰ كله واسعًا، وقال النبي ﷺ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ**» (١٨٠٢)، وقال: «**لَا تَقَدَّمُوا رَمَضَانَ**» (١٨١٥).

(١٧٩٩/ ١٨٠٠) حدثنا قتيبة، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن أبي سهيل، عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ**».

قال ابن حجر:

«أشار البخاري بهذه الترجمة إلىٰ حديث ضعيف، رواه أبو معشر نجيح المدني عن سعيد المقبري عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لَا تَقُولُوا: رَمَضَانَ. فَإِنَّ رَمَضَانَ اسْمٌ**

---

(١) أخرجه البيهقي في الكبرىٰ (٢/ ٢٠١)، وابن عدي في الكامل (٧/ ٥٣)، وأعله أبو حاتم كما في العلل (١/ ١٤٩- ١٥٠)، وضعفه ابن حجر في الفتح (٤/ ١٣٥)، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في الموضوعات (٢/ ٥٤٥)، وقال الجورقاني في الأباطيل والمناكير (٢/ ٨٨): هذا الحديث باطل.

(٢) انظر: شرح العمدة (١/ ٣١- ٣٤ الصيام) بدائع الفوائد (٢/ ١٠٤) الأذكار (٣٣١) للنووي، الإعلام (٥/ ١٤٠، ١٥٩) لابن الملقن، معجم المناهي اللفظية (صـ٦٤٤، صـ٦٤٥) لبكر أبو زيد، وذكر فيه مصادر أخرىٰ.

مِنْ أَسْمَـاءِ اللهِ، وَلَكِنْ قُولُوا: شَهْرُ رَمَضَانَ»[١]»[٢].

وقد ترجم النسائي لذلك أيضًا، فقال: «باب الرخصة في أن يقال لشهر رمضان: رمضان».

ونقل عن أصحاب مالك الكراهية، وعن ابن الباقلاني منهم وكثير من الشافعية إن كان هناك قرينة تصرفه إلىٰ الشهر، فلا يكره، والجمهور علىٰ الجواز.

* * *

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح الباري (٤/ ١٣٥-١٣٦) باختصار.

فضل صوم شهر رمضان(١)

يقول الإمام القرطبي رحمه الله:

«فضل الصوم عظيم وثوابه جسيم جاءت بذلك أخبار كثيرة صحاح وحسان ذكرها الأئمة في مسانيدهم، منها أن خصه الله تعالىٰ بالإضافة إليه، كما ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال مخبرًا عن ربه: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ..**»(٢).

وإنما خص الصوم بأنه له وإن كانت العبادات كلها له، لأمرين باين الصوم بهما سائر العبادات.

أحدهما:

أن الصوم يمنع من ملاذ النفس وشهواتها ما لا يمنع منه سائر العبادات.

الثاني:

أن الصوم سر بين العبد وبين ربه لا يظهر إلا له، فلذلك صار مختصًا به، وما سواه من العبادات ظاهر ربما فعله تصنعًا ورياء فلهذا صار أخص بالصوم من غيره، وقيل غير هذا(٣).

* * *

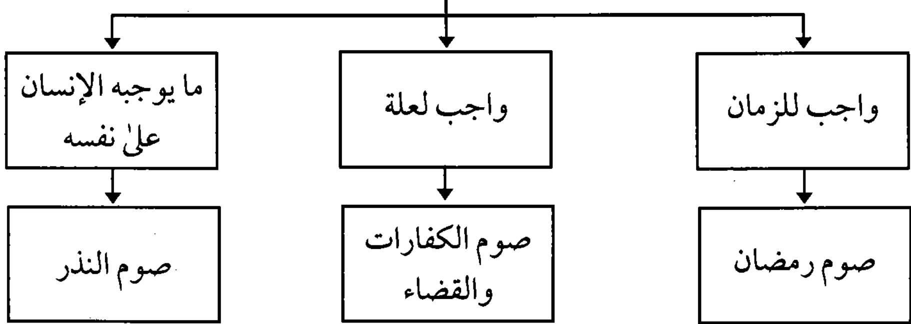
(١) بسطنا الحديث عن فضل الصيام في صـ١٦٢ فارجع إليه غير مأمور.

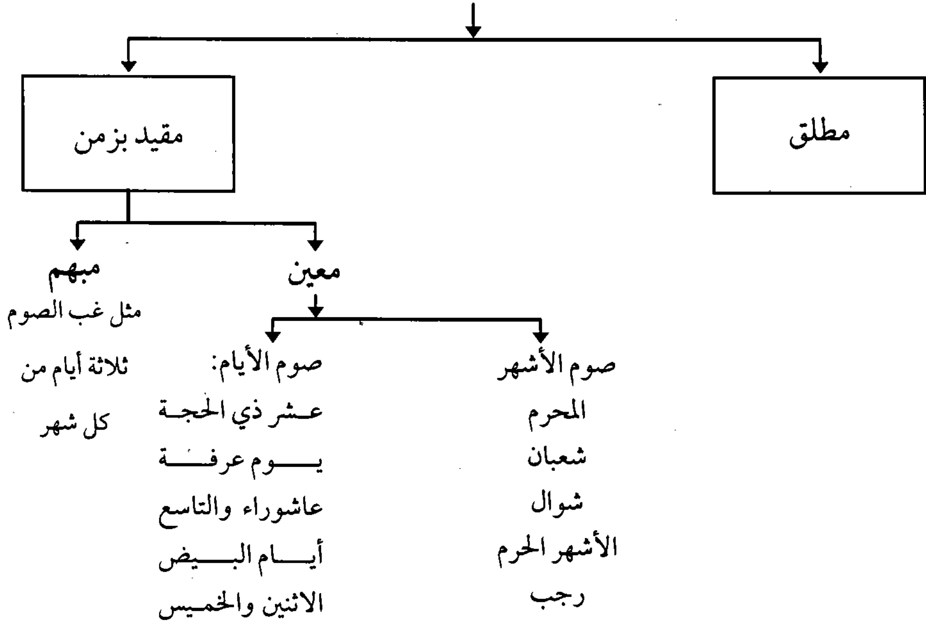
(٢) سبق تخريجه.

(٣) تفسير القرطبي (٢/ ٦٥٠).

أقسام الصوم[(١)]

الصوم ينقسم إلىٰ صوم واجب وصوم تطوع (المندوب).





(١) انظر: تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة للشيخ عادل بن يوسف العزازي (٢/ ١٣٥) بتصرف، ونداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان د/ سيد عفاني (١/ ٤٦٩).

حكم صوم رمضان

صوم رمضان واجب بالكتاب والسنة والإجماع، وهو رابع أركان الإسلام الخمس.

أدلة الوجوب:

١ – من الكتاب:

قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.

٢ – من السنة:

وردت أحاديث كثيرة تدل علىٰ وجوب صيام رمضان وفرضيته منها ثلاثة أحاديث ذكرها الإمام البخاري في «صحيحه» وبوب لها باب (وجوب صوم رمضان) ونذكر منها حديثًا واحدًا، وهو عن أبي سهيل عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله: أن أعرابيًّا جاء إلىٰ رسول الله ﷺ ثائِرَ الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة؟

فقال: «**الصَّلَوَاتِ الخَمْسَ إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا**».

فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الصيام؟

فقال: «**شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَّوَّعَ شَيْئًا**».

فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الزكاة؟

قال: فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام.

قال: والذي أكرمك بالحق، لا أتطوع شيئًا ولا أنقصُ مما فرض الله علي شيئًا».

فقال رسول الله ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ - أَوْ: دَخَلَ الجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ-»[(١)].

٣- الإجماع:

أجمعت الأمة علىٰ وجوب صيام رمضان، وأنه أحد أركان الإسلام التي عُلمت من الدين بالضرورة، وأن مُنكره كافر مرتد عن الإسلام، ولقد نقل الإجماع جماعة من أهل العلم منهم: الإمام النووي، وقد نقله في كتابه الماتع «المجموع»[(٢)].

* * *

(١) رواه البخاري كتاب الصوم باب وجوب الصوم حديث رقم (١٨٩١).

(٢) انظر: المجموع للنووي (٦/ ١٦٢).

حكمة مشروعية الصوم

ليس في مقدور هذه النبذة المختصرة أن تبين ذلك، وإنما أشير إلىٰ قليل من كثير ليعلم القارئ شيئًا من أسرار الله في شرعه، فيزداد إيمانًا ويقينًا في وقت تزعزعت فيه العقائد وضعضع فيه الإيمان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

فمن تلك الحكم السامية:

١- عبادة الله والخضوع له، فمن حكم الصوم أن الصائم يكون مقبلًا علىٰ الله تعالىٰ خاضعًا خاشعًا بين يديه حينما ينكر سلطان الشهوة فإن القوة تغذىٰ بالطغيان والبطر؛ قال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧﴾[1].

فليعلم أنه ضعيف فقير بين يدي الله حينما يرىٰ ضعفه وعجزه، فينكر في نفسه العظمة فيستكين لربه...[2].

٢- أن الصوم وسيلة إلىٰ شكر النعمة، إذ هو كف النفس عن الأكل والشرب والجماع وإنها من أجلّ النعم وأعلاها، والامتناع عنها زمانًا معتبرًا يعرف قدرها إذ النعم مجهولة، فإذا فقدت عرفت، فيحمله ذلك علىٰ قضاء حقها بالشكر.

وشكر النعم فرض عقلًا وشرعًا[3].

وإليه أشار الرب سبحانه وتعالىٰ بقوله في آية الصيام: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4].

٣- سكون النفس الأمارة وكسر شهوتها من الفضول المتعلقة بجميع الجوارح

---

(١) العلق ٦، ٧.

(٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام صـ ٣٥١.

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٨/ ٨، ٩).

(٤) البقرة: ١٨٥.

من العين والأذن والفرج، فالصيام يضعف هذه الجوارح، في محسوساتها فتتوقف عن اقتراف المعاصي.

٤- صفاء القلب من الكدر، فإن الموجب لكدرته فضول اللسان والعين وغيرهما، فبصفاء القلب تؤدىٰ المصالح وتتحقق الأخوة في الله وترقىٰ العبودية لله وحده وترفع الدرجات.

٥- الصيام جُنّة ووقاية روحية وصحية، به يسلم الجسد وترتقي الروح وتسمو وتعلو وتصفو من الكدر، وبذلك تسعد النفوس وتسلم الأبدان من أمراض الجسد والقلوب، فينال الصائمون رضوان ربهم في الآخرة، وفي الدنيا يحيون حياة طيبة.

٦- توكيد الرحمة في القلب والعطف علىٰ المساكين، ذلك لأن الصائم عندما يذوق ألم الجوع في أيام الصيام يكون ذلك دافعًا علىٰ إحساسه بمن هذا حاله في عموم الأوقات، فيسارع إلىٰ بذل المال لدفع هذا الألم عن غيره، والأثر عائد عليه بما سكن في قلبه من الرقة والرحمة علىٰ أولئك المحتاجين. أُثر عن يوسف عليه السلام أنه كان يكثر من الصيام، فلما سئل لماذا تكثر من الصيام وأنت علىٰ خزائن الأرض؟

قال: أخشىٰ أن أشبع فأنسىٰ الجائعين[1].

«كانت هذه نبذة يسيرة تشير إلىٰ شيء من حكم الله تعالىٰ وأسراره، واستقصاء ما يحيط به العقل البشري يحتاج إلىٰ تصانيف مستقلة فضلًا عما لا يعلمه إلا الله تعالىٰ من الأسرار الحكيمة الرشيدة»[2].

* * *

(١) من كتيب هذا صيامنا د/ فؤاد علي مخيمر صـ٨ - ١٠ باختصار وتصرف وزيادات.

(٢) تيسير العلام شرح عمدة الأحكام صـ ٣٥٢.

ما الحكمة من تأخير فرضه إلى الهجرة؟

لذلك حكم كثيرة، منها ما ذكره ابن القيم في «زاد المعاد» حيث قال[١]:

«لما كان فطم النفوس عن مألوفاتها وشهواتها من أشق الأمور وأصعبها، تأخر فرضه إلىٰ وسط الإسلام بعد الهجرة، لما توطنت النفوس علىٰ التوحيد والصلاة، وألفت أوامر القرآن، فنقلت إليه بالتدرج. اهـ.

ما هي مراحل فرضية صيام رمضان؟

للصوم - بعد نزول قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ...﴾ - ثلاث مراحل:

يقول ابن القيم في «زاد المعاد»[٢]:

«وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة، فتوفي رسول الله ﷺ وقد صام تسع رمضانات».

وكان للصوم رُتَب ثلاث:

إحداها: إيجابه بوصف التخيير: «أي من شاء صام ومن شاء أفطر وأطعم».

فرخص[٣] الله تعالىٰ لمطيقي الصيام والراغبين في الفطر أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكينًا.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ «كان يصوم، ويصوم يوم عاشوراء، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ

---

(١) انظر: زاد المعاد لابن القيم ٢/ ٣٠ط الرسالة والمنار.

(٢) زاد المعاد صـ ٣٠ - ٣١ بتصرف وزيادات.

(٣) انظر: نداء الريان د/ سيد عفاني (٢/ ٩).

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾.

فكان من شاء أن يصوم صام، ومن شاء أن يفطر ويطعم كل يوم مسكينًا أجزاه ذلك[1].

وعن أبي ليلىٰ[2] قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ: «نزل رمضان فشق عليهم، فكان من أطعم كل يوم مسكينًا ترك الصوم ممن يطيقه، ورخص لهم في ذلك، فنسختها: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فأمروا بالصوم».

أي: أن الله تعالىٰ رخص لمطيقي الصيام والراغبين في الفطر أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكينًا.

والثانية: تحتُّمه. لكن كان الصائم إذا نام قبل أن يَطْعَمَ حَرُمَ عليه الطعام والشراب إلىٰ الليلة القابلة، فنسخ ذلك بالرتبة الثالثة.

أخرج البخاري (٤/ ١١١) في «الصوم» عن البراء بن عازب رضي الله عنه، قال: كان أصحاب محمد ﷺ «إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار، فنام قبل أن يُفطر لم يأكل ليله ولا يومه حتىٰ يمسي، وإن قيس بن صِرمة الأنصاري[3] كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتىٰ امرأته، فقال لها: أعندك طعام. قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك. وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة لك.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٢٤٦)، وأبو داود في الصلاة باب كيف الأذان؟ (٥٠٧)، واللفظ له والحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٧٤)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٧٩)، وانظر جامع البيان للطبري (٣/ ٤١٤)، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر (١/ ٤٢٩).

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم ووصله أبو نعيم في المستخرج ومن طريقه البيهقي.

(٣) رواه البخاري وفي اسم قيس بن صرمة خلاف.

فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ...﴾.

ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ...﴾ الآية.

الرتبة الثالثة: هي التي استقر عليها الشرع والثابتة أحكامها إلىٰ يوم القيامة.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر، حدثنا المسعودي، حدثنا عمرو بن مُرّة، عنْ عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «أحيلت الصلاة ثلاثة أحوال، وأحيل الصوم ثلاثة أحوال».

فأما أحوال الصوم، فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وصام عاشوراء، ثم إن الله فرض عليه الصيام، وأنزل الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾، فكان من شاء صام، ومن شاء أطعم مسكينًا، فأجزأ ذلك عنه، ثم إن الله عز وجل أنزل الآية الأخرىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾، فأثبت الله صيامه علىٰ المقيم الصحيح ورخص فيه للمريض والمسافر، وثبت الإطعام للكبير الذي لا يستطيع الصيام، فهذان حالان...، قال: وكانوا يأكلون ويشربون ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، ثم إن رجلًا من الأنصار يقال له: قيس بن صرمة كان يعمل صائمًا حتىٰ أمسىٰ، فجاء إلىٰ أهله فصلىٰ العشاء ثم نام، فلم يأكل ولم يشرب، حتىٰ أصبح صائمًا، فرآه رسول الله ﷺ وقد جهد جهدًا شديدًا، فقال: «**مَا لِي أَرَاكَ قَدْ جَهَدْتَ جَهْدًا شَدِيدًا**» قال: يا رسول الله، إني عملت أمس فجئت حين جئت، فألقيت نفسي فنمت، فأصبحت حين أصبحت صائمًا، قال: وكان عمر قد أصاب من

النساء بعد ما نام، فأتىٰ النبي ﷺ، فذكر ذلك له، فأنزل الله عز وجل: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾».

وأخرجه أبو داود في «سننه»، والحاكم في «مستدركه»، من حديث المسعودي، به[(١)]، وقد أخرج البخاري ومسلم من حديث الزهري، عن عروة عن عائشة أنها قالت: «كان عاشوراء يصام، فلما نزل فرض رمضان كان من شاء صام ومن شاء أفطر» وروىٰ البخاري عن ابن عمر وابن مسعود، مثله[(٢)(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٦، ٢٤٧)، وأبو داود في كتاب الصلاة (١/ صـ ١٣٨ / ح ٥٠٦) من حديث شعبة عن عمرو بن مرة... به، وأيضًا برقم (٥٠٧) من طريق المسعودي عن عمرو بن مرة...به وابن خزيمة في صحيحه (١/ صـ١٩٨ - ٢٠٠/ ح٣٨٢ - ٣٨٤) من طرق عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ...به، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم باب (صيام يوم عاشوراء) (٤/ ص٢٨٧/ ح٢٠٠٢/ فتح) ومسلم في كتاب الصيام باب صوم يوم عاشوراء (٢/ ١١٣، صـ ٧٩٢)، والبخاري في التفسير (٨/ صـ٢٦/ ح٤٥٠١) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وأيضًا حديث رقم (٤٥٠٣) من كتاب «التفسير» من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر: تفسير القرآن الكريم للحافظ ابن كثير، المجلد الأول صـ ٤٥٧ - ٤٥٨ باختصار.

بما يثبت رمضان؟

يبدأ وجوب صوم شهر رمضان إذا عُلم دخوله، وللعلم بدخوله ثلاث طرق، وهي:

الطريقة الأولىٰ: رؤية الهلال، قال تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[(١)].

الطريقة الثانية: الشهادة علىٰ الرؤية أو الإخبار.

الطريقة الثالثة: إكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا وذلك حينما لا يُرىٰ الهلال ليلة الثلاثين من شعبان[(٢)].

وإليك التفصيل:

١- الطريقة الأولىٰ: رؤية الهلال:

أحكام رؤية الهلال:

يتبين شهر رمضان برؤية الهلال ولو من واحد عدل..[(٣)].

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «تراءىٰ الناس الهلال، فأخبرت رسول الله ﷺ أني رأيته، فصام وأمر الناس بصيامه»[(٤)].

فالرؤية هي المعتبرة في ثبوت الشهر.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ، لَا نَكْتُبُ وَلَا نَحْسُبُ، الشَّهْرُ هَكَذَا وَهَكَذَا** - يعني: مرة تسعة وعشرين ومرة ثلاثين -»[(٥)].

---

(١) البقرة: (١٨٥).

(٢) انظر: الملخص الفقهي لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله آل فوزان ط دار الغد الجديد صـ ٢١٤ باختصار.

(٣) فقه السنة (١/ ٥٠٢).

(٤) صحيح: رواه أبو داود والحاكم وابن حبان وصححاه، وانظر الإرواء (٩٠٨).

(٥) رواه البخاري (٣/ ١٩)، ومسلم (١٠٨٠).

والمقصود من الحديث:

أننا لا نحسب لثبوت الهلال بحساب النجوم، وأن المعتبر في ذلك الرؤية الشرعية، وهي رؤية العدل لا حساب النجوم.

وقد ثبت في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمُ الشَّهْرُ فَعُدُّوا ثَلَاثِينَ**»(١)(٢).

قال ابن القيم رحمه الله:

«من هديه ﷺ ألا يدخل في صوم رمضان إلا برؤية محققة أو بشهادة شاهد واحد»(٣).

وسُئل العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

ما هي الطريقة الشرعية التي يتبين بها دخول الشهر؟

وهل يجوز للمسلم أن يستعمل ما يسمىٰ (بالدربيل) في رؤية الهلال؟

فأجاب رحمه الله:

الطريقة الشرعية لثبوت دخول الشهر أن يتراءىٰ الناس الهلال ممن يوثق في دينهم وفي قوة نظرهم، فإذا رأوه وجب العمل بمقتضىٰ هذه الرؤية صومًا إن كان هلال رمضان، وإفطارًا إن كان الهلال هلال شوال، ولا يجوز اعتماد حساب المراصد الفلكية إذا لم يكن رؤية، فإن كان هناك رؤية ولو عن طريق المراصد الفلكية فإنه معتبرة لعموم قول النبي ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ**

---

(١) البخاري (١٩٠٩)، مسلم (١٠٨١).

(٢) تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (٢/ ١٣٩).

(٣) زاد المعاد (٢/ ٤٨).

فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ»(١).

أما مجرد الحساب فإنه لا يجوز العمل به ولا الاعتماد عليه، وأما استعمال ما يسمىٰ (بالدربيل) وهو المنظار المقرب في رؤية الهلال فلا بأس به، ولكن ليس بواجب؛ لأن الظاهر من السنة أن الاعتماد علىٰ الرؤية المعتادة لا علىٰ غيرها، ولكن لو استعمل فرآه من يوثق به، فإنه يعمل بهذه الرؤية، وقد كان الناس قديمًا يستعملون ذلك لما كانوا يصعدون (المنائر) في ليلة الثلاثين من شعبان أو ليلة الثلاثين من رمضان فيتراءونه بواسطة هذا المنظار.

علىٰ كل حال متىٰ ثبت رؤيته بأي وسيلة، فإنه يجب العمل بمقتضىٰ هذه الرؤية لعموم قوله ﷺ:

«إِذَا رَأَيْتُمُ الْهِلَالَ فَصُومُوا، وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا...»(٢)، وقوله ﷺ: **«لَا تَصُومُوا حَتَّىٰ تَرَوُا الْهِلَالَ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّىٰ تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ»**(٣).

وقال ﷺ: **«جَعَلَ اللهُ الْأَهِلَّةَ مَوَاقِيتَ لِلنَّاسِ، فَصُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا ثَلَاثِينَ يَوْمًا»**(٤).

إذًا رؤية الهلال هي المعتبرة شرعًا(٥).

الطريقة الثانية: الشهادة على الرؤية:

عدد الشهود المعتبر في رؤية هلال رمضان:

اختلف العلماء في عدد الشهود الذين يثبت بهم هلال رمضان علىٰ أقوال، وهي:

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه وابن حبان عن عمر.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم ومالك وغيرهم.

(٤) صحيح: رواه البيهقي في سننه وأحمد وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٩٣).

(٥) انظر: (٤٨ سؤالًا في الصيام) أجاب عليها فضيلة الشيخ / محمد بن صالح عثيمين صـ ٣٠/ ٣١.

القول الأول: قال أصحابه: يثبت هلال رمضان بشهادة شاهد عدل واحد.

القول الثاني: قال أصحابه: يشترط شهادة عدلين.

القول الثالث: قال أصحابه: إن كان بالسماء عِلة[(١)] يقبل شهادة الواحد، وإن لم يكن بالسماء علة[(٢)] لابد أن يكون الشهود جمعًا غفيرًا.

وإليك التفصيل:

القول الأول: يكتفىٰ بشهادة عدل واحد.

وقال بهذا القول ابن المبارك وأحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوليه. قال النووي: وهو الأصح. وبه قال المؤيد بالله...[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله: «كما صام ﷺ بشهادة ابن عمر وصام مرة بشهادة أعرابي، واعتمد علىٰ خبرهما ولم يكلفهما لفظ الشهادة، فإن كان ذلك إخبارًا فقد اكتفىٰ في رمضان بخبر الواحد، وإن كان شهادة فلم يكلف الشاهد لفظ الشهادة»[(٤)].

وقال الشافعي رحمه الله: «فإن لم تر العامة هلال شهر رمضان ورآه رجلٌ عدل رأيت أن أقبله للأثر والاحتياط...»[(٥)].

وقال الشافعية: «تثبت رؤية الهلال لرمضان أو شوال أو غيرهما بالنسبة إلىٰ عموم الناس برؤية شخص عدل، ولو مستور الحال سواء أكانت السماء مصحية أم لا، بشرط أن يكون الرائي عدلًا مسلمًا بالغًا عاقلًا حرًّا ذكرًا وأن يأتي بلفظ أشهد...»[(٦)].

---

(١) علة: أي غيم وغيره.

(٢) أي: كانت صافية والجو صحو.

(٣) انظر: نيل الأوطار شرح منتقىٰ الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، للإمام الشوكاني.ط مكتبة مصر. (٤/ ٢٦٣).

(٤) انظر: زاد المعاد (٢/ ٣٨).

(٥) انظر: الأم للإمام الشافعي (٢/ ١٧٨) ط المكتبة التوفيقية.

(٦) المهذب (١/ ١٧٩)، مغني المحتاج (١/ ٤٢٠).

وقال الحنابلة: «يقبل في إثبات هلال رمضان قول مكلف عدل واحد ظاهرًا وباطنًا ذكرًا أو أنثىٰ حرًّا أو عبدًا...»[(١)].

أدلة هذا الفريق:

استدلوا بأدلة منها هذا الحديث، وهو:

١- عن ابن عمر، قال: «تراءىٰ الناس الهلال، فأخبرتُ رسول الله ﷺ أني رأيته فصام وأمر الناس بصيامه»[(٢)].

٢- وحديث عكرمة عن ابن عباس، قال: «جاء أعرابي إلىٰ النبي ﷺ...»[(٣)].

وقالوا: يقبل شهادة العدل الواحد في هلال رمضان؛ لأنه خبر ديني وهو أحوط ولا تهمة فيه بخلاف آخر الشهر..

وقال النووي: «قال في (القديم) والجديد يقبل من عدل واحد، وهو الصحيح، لما روىٰ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «تراءىٰ الناس الهلال...» الحديث، ولأنه إيجابه عبادة فقُبل من واحد احتياطًا للفرض...»[(٤)].

القول الثاني: قال أصحابه: يشترط شهادة عدلين، وبه قال مالك، وقول للشافعية وغيرهم.

قال في «البويطي»: «لا تقبل إلا من عدلين لما روىٰ الحسين بن حُريث الجدلي (جديلة قيس) قال: [خطبنا أمير مكة الحارث بن حاطب، فقال: أمرنا رسول الله ﷺ

(١) انظر: كشاف القناع (٢/ ٣٥٢)، والمغني (٣/ ١٥٦).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود في الصوم (٢٣٤٢)، وصححه الحاكم في المستدرك (١/ ٤٢٣)، ووافقه الذهبي.

(٣) ولم أذكره لأنه ضعيف وسبب ضعفه أن مداره علىٰ سماك عن عكرمة ورواية سماك عن عكرمة مضطربة كما في التقريب.

(٤) انظر: المجموع للنووي (٦/ ١٨٤).

أن ننسك لرؤيته فإن لم نره فشهد شاهدان عدلان نسكنا بشهادتهما...»[١].

دليل هذا القول:

استدلوا بحديث عبد الرحمن بن زيد الآتي، وفيه: «**فَإِنْ شَهِدَ شَاهِدَانِ مُسْلِمَانِ فَصُومُوا وَأَفْطِرُوا**»[٢].

وبحديث أمير مكة السابق.

وظاهرهما اعتبار شاهدين وتأولوا الحديثين السابقين للفريق الأول باحتمال أن يكون قد شهد عند النبي ﷺ غيرهما وأجاب الأولون بأن التصريح بالاثنين غاية ما فيه المنع من قبول الواحد بالمفهوم.

وحديثا الباب يدلان علىٰ قبوله بالمنطوق ودلالة المنطوق أرجح، وأما التأويل بالاحتمال المذكور فتعسف وتجويزٌ لو صح اعتبار مثله لكان مفضيًا إلىٰ طرح أكثر الشريعة...[٣].

القول الثالث: إن كان بالسماء علة[٤] يقبل شهادة الواحد، وإن لم يكن بالسماء علة[٥]، فلابد أن يكون الشهود جمعًا غفيرًا، وهذا قول الحنفية.

دليل هذا القول:

أن التفرد من بين الجمع الغفير بالرؤية مع توجههم طالبين بما توجه هو إليه، مع فرض عدم المانع وسلامة الأبصار، وإن تفاوتت الأبصار في الحدة ظاهر في غلطه، قياسًا علىٰ تفرد ناقل من بين سائر أهل مجلس مشاركين في السماع، فإنها ترد

---

(١) انظر: المجموع للنووي ط دار عالم الكتب (٦/ ١٨٤) والحديث صحيح أخرجه أبو داود في الصوم (٢٣٣٨).

(٢) صحيح: «صحيح الجامع الصغير» (٣٨١١).

(٣) نيل الأوطار (٤/ ٢٦٣).

(٤) علة: أي من غيم وغيره.

(٥) أي: كانت صافية والجو صحو.

وإن كان ثقة[١].

واختار ابن القيم رحمه الله الرأي الأول، وهو أن هلال رمضان يتبين برؤية شاهد واحد عدل.

قال ابن القيم رحمه الله: «الصحيح قبول شهادة الواحد مطلقًا كما دل عليه حديثا ابن عمر وابن عباس، ولا ريب أن الرؤية كما تختلف بأسباب خارجية عن الرائي، فإنها تختلف بأسباب عن الرائين، كحدة البصر وكلاله، وقد شاهد الناس الجمع العظيم يتراءون الهلال، فيراه الآحاد منهم وأكثرهم لا يرونه ولا يعد انفراد الواحد بالرؤية من بين الناس كاذبًا»[٢].

ما يشترط في الشاهد:

١- الإسلام.

٢- العقل.

٣- العدالة.

قال النووي: «وأما الكافر والفاسق والمغفل فلا يقبل قولهم فيه بلا خلاف»[٣].

ما هو عدد الشهود في هلال شوال وسائر الشهور؟

جمهور أهل العلم وأكثرهم على أنه لا يُقبل في شهود هلال شوال إلا بشهادة رجلين، وأن شهادة رجل واحد غير مقبولة، ولم يخالف فيه إلا أبو ثور وابن حزم.

---

(١) البحر الرائق (٢/ ٤٦٥، ٤٦٨).

(٢) انظر: الطرق الحكمية صـ١٢٨.

(٣) المجموع (٦/ ١٨٦).

قال الترمذي:

«ولم يختلف أهل العلم في الإفطار أنه لا يقبل فيه إلا شهادة رجلين»[(١)].

قال النووي:

«وأما الفطر فلا يجوز بشهادة عدل واحد علىٰ هلال شوال عند جميع العلماء إلا أبا ثور فجوزه بعدل»[(٢)].

حكم من رأىٰ الهلال وحده هل يلزمه الصوم؟

اتفقت أئمة الفقه علىٰ أن من أبصر هلال الصوم وحده أن يصوم، وخالف عطاء، فقال: «لا يصوم إلا برؤية غيره معه»[(٣)].

وسُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(٤)]:

عن رجل رأىٰ الهلال وحده وتحقق الرؤية، فهل له أن يصوم وحده؟ وأن يفطر وحده؟ أو مع جمهور الناس؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحمد لله، إذا رأىٰ هلال الصوم، أو هلال الفطر وحده، فهل عليه أن يصوم برؤية نفسه؟ أو يفطر برؤية نفسه؟ أم لا يصوم ولا يفطر إلا مع الناس؟

علىٰ ثلاثة أقوال، هي ثلاث روايات عن أحمد:

أحدها: أن عليه أن يصوم، وأن يفطر سرًّا، وهو مذهب الشافعي.

والثاني: يصوم ولا يفطر إلا مع الناس، وهو المشهور من مذهب أحمد ومالك

---

(١) جامع الترمذي (٣/ ٧٥).

(٢) شرح مسلم للنووي (٣/ ١٩٠).

(٣) فقه السنة (١/ ٥٠٤).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٢٥/ ١١٤، ١١٥).

وأبي حنيفة.

والثالث: يصوم مع الناس ويفطر مع الناس، وهو أظهر الأقوال؛ لقول النبي ﷺ: «صَوْمُكُمْ يَوْمَ تَصُومُونَ، وَفِطْرُكُمْ يَوْمَ تُفْطِرُونَ، وَأَضْحَاكُمْ يَوْمَ تُضَحُّونَ»(١).

* * *

اختلاف المطالع

اختلف الفقهاء في وجوب الصوم وعدم وجوبه علىٰ جميع المسلمين في المشارق والمغارب في وقت واحد بحسب القول باتفاق مطالع القمر أو اختلاف المطالع علىٰ أقوال منها:

١- الأول - وهو رأي الجمهور -:

وفيه يوحد الصوم بين المسلمين ولا عبرة باختلاف المطالع.

٢- الرأي الثاني - وهو رأي الشافعية -(٢):

قالوا: إذا رئي الهلال ببلد لزم حكمه البلد القريب لا البعيد، بحسب اختلاف المطالع في الأصح، واختلاف المطالع لا يكون في أقل من أربعة وعشرين فرسخًا(٣).

وإليك التفصيل:

أولًا: مذهب جمهور أهل العلم.

---

(١) رواه أبو داود (٢٣٢٤)، والترمذي (٦٩٧)، وابن ماجه (١٦٦٠) من حديث أبي هريرة وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨٦٩).

(٢) المجموع (٦/ ٢٩٧)، مغني المحتاج (١/ ٤٢٢) نقلًا من كتاب الفقه الإسلامي وأدلته (٣/ ١٦٥٩).

(٣) الفرسخ: (٥٥٤٤م) وهذه المسافة تساوي ٥٥٤٤×٢٤= ١٣٣,٠٥٦كم، والفرسخ ثلاثة أميال والميل أربعة آلاف خطوة والخطوة ثلاثة أقدام والقدمان ذراع والذراع أربعة وعشرين إصبعًا معترضات.

انظر جدول المقاييس نقلًا من المرجع السابق.

ذهب جمهور أهل العلم إلىٰ أنه لا عبرة باختلاف المطالع، فمتىٰ رأىٰ الهلال أهل بلد وجب الصوم علىٰ جميع البلاد.

أدلة الجمهور: استدلوا بالسنة والقياس.

أما السنة: فهو حديث أبي هريرة وغيره: «**صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ**»(١).

وحديث: «**إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا...**»(٢).

قالوا: والخطاب عام لجميع المسلمين.

ومن المعلوم أنه لا يراد به رؤية كل إنسان بنفسه لأن هذا متعذر، وإنما المراد بذلك إذا رآه من يثبت برؤيته دخول الشهر، وهذا عام في كل مكان، فالصوم علىٰ كل المسلمين معلق بمطلق الرؤية، والمطلق يجري علىٰ إطلاقه - إذا لم يأت ما يقيده - فتكفي رؤية الجماعة أو الفرد المقبول الشهادة.

وأما القياس: فإنهم قاسوا البلدان البعيدة علىٰ المدن القريبة من بلد الرؤية، إذ لا فرق، والتفرقة تحكُّم، لا تعتمد علىٰ دليل، هذا... وقد ذكر ابن حجر في «الفتح» ستة أقوال في الموضوع(٣).

الرأي الثاني: ذهب أصحابه إلىٰ أنه إذا رئي الهلال ببلد لزم حكمه البلد القريب لا البعيد.

أدلتهم: استدلوا بأدلة من السنة والقياس والمعقول.

١ - السنة: استدلوا بحديثين أولهما: حديث كُرَيب، وثانيهما: حديث ابن عمر.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري (١٩٠٠)، ومسلم (١٠٨٠).

(٣) راجع فتح الباري (٤/ ١٤٧).

أ- حديث كريب: أن أم الفضل بعثته إلىٰ معاوية بالشام، فقال: «قدمت الشام واستهل عليّ هلال رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني ابن عباس ثم ذكر الهلال... فقال: متىٰ رأيتم الهلال؟

فقلت: رأيناه ليلة الجمعة.

فقال: أنت رأيته؟

فقلت: نعم، ورآه الناس وصاموا، وصام معاوية.

فقال: لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتىٰ نكمل ثلاثين أو نراه.

فقلت: ألا تكتفي برؤية معاوية وصيامه؟

فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله ﷺ»[(١)].

فدل علىٰ أن ابن عباس لم يأخذ برؤية أهل الشام وأنه لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر[(٢)].

وبوب الإمام النووي في «شرح مسلم» باب تحت عنوان: «بيان أن لكل بلد رؤيتهم وأنهم إذا رأوا الهلال ببلد لا يثبت حكمه لما بعد عنهم».

قال: «فيه حديث كريب، عن ابن عباس، وهو ظاهر الدلالة للترجمة، والصحيح عند أصحابنا أن الرؤية لا تعم الناس بل تختص بمن قرب علىٰ مسافة لا تقصر فيها الصلاة، وقال بعض أصحابنا: تعم الرؤية في موضع جميع أهل الأرض، فعلىٰ هذا نقول: إنما لم يعمل ابن عباس بخبر كريب؛ لأنه شهادة فلا تثبت بواحد لكن ظاهر حديثه أنه لم يردوه لهذا وإنما ردوه لأن الرؤية لم يثبت

---

(١) رواه الجماعة إلا البخاري وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط في مسند الإمام أحمد (٢٧٨٩).

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته (٣/ ١٦٦٠).

حكمها في حق البعيد»[(١)].

ب - حديث ابن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّمَا الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ، فَلَا تَصُومُوا حَتَّىٰ تَرَوْهُ، وَلَا تُفْطِرُوا حَتَّىٰ تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدِرُوا لَهُ**»[(٢)].

وهو يدل علىٰ أن وجوب الصوم منوط بالرؤية لكن ليس المراد رؤية كل واحد، بل رؤية البعض.

٢- القياس: قاسوا اختلاف مطالع القمر علىٰ اختلاف مطالع الشمس المنوط به اختلاف مواقيت الصلاة.

٣- المعقول: أناط الشرع إيجاب الصوم بولادة شهر رمضان، وبدء الشهر يختلف باختلاف البلاد وتباعدها، مما يقتضي اختلاف حكم بدء الصوم تبعًا لاختلاف البلدان[(٣)].

الرأي الثالث: ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن الأمر لولي الأمر في هذه المسألة، فمتىٰ رأىٰ وجوب الصوم أو الفطر مستندًا بذلك إلىٰ مستند شرعي، فإنه يعمل بمقتضاه لئلا يختلف الناس ويتفرقوا تحت ولاية واحدة، واستدل هؤلاء بعموم الحديث: «**الصَّوْمُ يَوْمَ يَصُومُ النَّاسُ، وَالْفِطْرُ يَوْمَ يُفْطِرُ النَّاسُ**»[(٤)].

وهناك أقوال أخرىٰ ذكرها أهل العلم الذين ينقلون الخلاف في هذه المسألة.

---

(١) شرح مسلم للنووي (٣/ ١٤١).

(٢) رواه مسلم وأحمد.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته (٣/ ١٦٦٠/ ١٦٦١).

(٤) رواه الترمذي (٦٩٧)، وحسنه، وانظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله (٢٢٤)، وانظر فتاوىٰ اللجنة الدائمة رقم (٣١٣) حيث قررت أن حكم الحاكم في هذه المسألة يرفع الخلاف، فإن أخذ بأحد هذه الآراء فعلىٰ الناس أن يتبعوه حتىٰ تتحد كلمة الأمة.

ولقد رجح الإمام الألباني القول الأول:

وهو: وجوب الصيام علىٰ جميع المسلمين إذا رئي الهلال في بلد واحد حيث قال: «أخذًا بعموم الحديث الصحيح وبخاصة أنه مذهب الجمهور، وقد اختاره كثير من العلماء المحققين مثل شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوىٰ» المجلد (٢٥)، والشوكاني في «نيل الأوطار» (المجلد الرابع ص ٤٧٤)، وصديق حسن خان في «الروضة الندية» (١/ ٢٢٤، ٢٢٥) وغيره، فهو الحق الذي لا يصح سواه، ولا يعارضه حديث ابن عباس لأمور ذكرها الشوكاني رحمه الله، ولعل الأقوىٰ أن يقال: إن حديث ابن عباس ورد فيمن صام علىٰ رؤية بلده، ثم بلغه في أثناء رمضان أنهم رأوا الهلال في بلد آخر قبله بيوم، ففي هذه الحالة يستمر في الصيام مع أهل بلده حتىٰ يكملوا ثلاثين، أو يروا هلالهم.

وبذلك يزول الإشكال ويبقىٰ حديث أبي هريرة رضي الله عنه وغيره علىٰ عمومه، يشمل كل من بلغه رؤية الهلال من أي بلد أو إقليم من غير تحديد مسافة أصلًا كما قال ابن تيمية في «الفتاوىٰ» (٢٥/ ١٠٧)، وهذا أمر متيسر اليوم للغاية كما هو معلوم «وخاصة مع انتشار وسائل الاتصالات الحديثة ذات التقنية العالية مثل الإنترنت والهواتف الجوالة والفاكس وغيرها»[(١)].

ولكنه يتطلب شيئًا من اهتمام الدول حتىٰ تجعله حقيقة واقعية - إن شاء الله تبارك وتعالىٰ -.

«لأن في ذلك توحيدًا للعبادة بين المسلمين ومنعًا من الاختلاف غير المقبول في عصرنا، ولأن إيجاب الصوم معلق بالرؤية دون تفرقة بين الأقطار، والعلوم

(١) هذه الزيادة من عندي.

الفلكية تؤيد توحيد أول الشهر الشرعي بين الحكومات الإسلامية؛ لأن أقصىٰ مدة بين مطلع القمر في أقصىٰ بلد إسلامي وبين مطلعه في أقصىٰ بلد إسلامي آخر هو نحو تسع ساعات، فتكون بلاد الإسلام كلها مشتركة في أجزاء من الليل تمكنها من الصيام عند ثبوت الرؤية والتبليغ بها برقيًّا أو هاتفيًّا اهـ[1].

وإلىٰ أن تجتمع الدول الإسلامية علىٰ ذلك، فإني أرىٰ علىٰ المسلمين[2] في كل دولة أن يصوموا مع دولتهم، ولا ينقسمون علىٰ أنفسهم فيصوم بعضهم معها وبعضهم مع غيرها تقدمت في صيامها أو تأخرت، لما في ذلك من توسيع دائرة الخلاف في البلد الواحد كما وقع في بعض الدول العربية منذ بضع سنين[3]، والله والمستعان.

الطريقة الثالثة: التي يثبت بها صوم رمضان: إكمال عدة شعبان ثلاثين يومًا.

فإن تعذر علىٰ الناس رؤية الهلال أكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا؛ لقوله ﷺ: **«صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ يَوْمًا»**[4].

قال ابن عبد البر:

«إن الله تعبد عباده في الصوم برؤية الهلال لرمضان أو باستكمال شعبان

---

(١) هذا ليس كلام العلامة الألباني وإنما هو من كتاب الشيخ / محمد أبو العلا البنا مدرس الفلك بكلية الشريعة بالأزهر، المشار إليه في بحث الشيخ محمد السايس رحمه الله في بحوث المؤتمر الثالث لمجمع البحوث الإسلامية صـ ٩٩ وما بعدها نقلًا من كتاب الفقه الإسلامي وأدلته (٣/ ١٦٦٢) باختصار.

(٢) كانت في الأصل (كل شعب).

(٣) انظر: تمام المنة في التعليق علىٰ فقه السنة صـ ٣٩٨ الطبعة الثالثة المكتبة الإسلامية بزيادات وتصرف نقلًا من كتاب نداء الريان (٢/ ٢٩).

(٤) سبق تخريجه.

ثلاثين يومًا»[(١)].

وهو قول الإمام أبي حنيفة والإمام مالك والإمام الشافعي والإمام أحمد[(٢)].

س: ماذا يقول من رأى الهلال؟

ج: يقول: «اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ، وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ، وَالتَّوْفِيقِ لِمَا يُحِبُّ رَبُّنَا وَيَرْضَىٰ، رَبُّنَا وَرَبُّكَ اللهُ»[(٣)].

* * *

(١) انظر: التمهيد (٢/ ٣٩).

(٢) انظر: البحر الرائق ومواهب الجليل وتحفة المحتاج وشرح منتهىٰ الإرادات.

(٣) رواه الترمذي (٥/ ٥٠٤)، والدارمي بلفظه (١/ ٣٣٦)، وانظر صحيح الترمذي (٣/ ١٥٧).

البشارة(١) بقدوم رمضان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عز وجل عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، للهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»(٢).

هذا الحديث أصلًا في تبشير وتهنئة الناس بعضهم بعضًا بقدوم شهر رمضان.

قال ابن رجب:

«كيف لا يُبشر المؤمن بفتح أبواب الجنة، كيف لا يبشر المذنب بغلق أبواب النار، كيف لا يبشر العاقل بوقت يُغل فيه الشيطان»(٣).

* * *

(١) **قال الزجاج:** البشارة لغة معنىٰ يبشرك، أي: يسرك ويفرحك، وبشرت الرجل أبشره إذا أفرحته وبشر يبشر إذا فرح.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) لطائف المعارف (٢٧٩).

شروط وجوب الصوم

أجمع العلماء علىٰ أنه يجب الصيام علىٰ المسلم العاقل البالغ الصحيح المقيم، ويجب أن تكون المرأة طاهرة من الحيض والنفاس[١].

١ - الإسلام[٢]:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾﴾[٣].

قال ابن جرير الطبري[٤]: «يقول تعالىٰ ذكره: وما منع هؤلاء المنافقين، يا محمد أن تقبل منهم نفقاتهم التي ينفقونها في سفرهم معك وفي غير ذلك من السبل إلا لأنهم كفروا بالله ورسوله».

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٥]: «وما منعهم من أن تقبل منهم نفقاتهم إلا كفرهم».

وقال ابن كثير[٦]: «لأنهم كفروا بالله وبرسوله، أي: والأعمال إنما تفتح بالإيمان».

قال السعدي: «والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم، ولا عمل صالح لهم»[٧].

---

(١) فقه السنة (١/ ٥٠٦).

(٢) هذا الشرط باتفاق الأئمة، انظر: المبسوط (٣/ ٥٤) الزخيرة (٢/ ٤٩٤) المجموع (٦/ ٢٥٤) الإنصاف (٣/ ٢٨٠).

(٣) التوبة: (٥٤).

(٤) انظر: جامع البيان (١٤/ ٢٩٤).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٤/ ٩٢).

(٦) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٦٥).

(٧) تفسير الكريم الرحمن (٣/ ٢٤٨).

فالكافر الأصلي لا يطالب بفعل الصوم في حال كفره بلا خلاف، ولو صام في كفره لم يصح بلا خلاف سواء أسلم بعد ذلك أم لا، وإذا أسلم لا يجب عليه القضاء، وهو قول الشافعي وأحمد وقتادة والشعبي ومالك والأوزاعي وأبو ثور وأصحاب الرأي.

وإذا أسلم الكافر في شهر رمضان صام ما يستقبله من شهره بلا خلاف، فأما الذي أسلم فيه، استحب له إمساك بقية النهار لحرمة الوقت عند الشافعي ولا يقضيه، وعند أحمد يلزمه إمساكه ويقضيه، وبه قال ابن الماجشون وإسحاق، وقال مالك وأبو ثور وابن المنذر: لا قضاء عليه.

والمرتد لا يطالب بفعل الصوم في حال ردته ويأثم بترك الصوم في حال ردته وهو واجب عليه، وإذا أسلم لزمه قضاؤه.

وقال أبو حنيفة: لا يلزمه قضاء مدة الردة إذا أسلم(١).

٢- البلوغ:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْـمَجْنُونِ حَتَّىٰ يُفِيقَ، وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّىٰ يَـحْتَلِمَ**»(٢).

قال النووي:

«فلا يجب صوم رمضان علىٰ الصبي ولا يجب عليه قضاء ما فات قبل البلوغ بلا خلاف»(٣).

---

(١) انظر: نداء الريان (٢/ ١١) بتصرف يسير.

(٢) صحيح الجامع (٣٥١٢) وأحمد (٥٠/ ٢٦٤، ٢٦٥/ ٩) سنن النسائي (١٣٢، ١٣٣/ ٤).

(٣) المجموع (٦/ ١٦٥)، وانظر الزخيرة (٢/ ٤٩٤) كشاف القناع (٢/ ٣٠٨).

وقال السبكي:

«قوله: «رُفِعَ الْقَلَمُ» كناية عن عدم التكليف»[١].

وإن كان الصيام غير واجب علىٰ الصبي إلا أنه ينبغي لولي أمره أن يأمره به ليعتاده من الصغر ما دام مستطيعًا له وقادرًا عليه.

وبوب الإمام البخاري في «صحيحه» باب «صوم الصبيان»:

وقال عمر رضي الله عنه لنشوان في رمضان: ويلك وصبياننا صيام. فضربه.

وفسر ابن حجر كلمة نشوان: بسكران.

أي قال عمر لإنسان سكران، وهذا الأثر وصله سعيد بن منصور والبغوي في «الجعديات» من طريق عبد الله بن الهذيل: «أن عمر بن الخطاب أتي برجل شرب الخمر في رمضان، فلما دنا منه جعل يقول: للمنخرين والفم.

وفي رواية البغوي: «فلما رفع إليه عثر، فقال عمر: علىٰ وجهك ويحك وصبياننا صيام. ثم أمر به فضرب ثمانين سوطًا ثم سيره إلىٰ الشام».

في رواية البغوي: «فضربه الحد».

وكان إذا غضب علىٰ إنسان سيره إلىٰ الشام، فسيره إلىٰ الشام[٢].

وقال ابن حجر:

«الجمهور علىٰ أنه لا يجب علىٰ من دون البلوغ، واستحب جماعة من السلف منهم ابن سيرين والزهري، وبه قال الشافعي: أنهم يؤمرون به للتمرين عليه إذا أطاقوه، وحدَّه أصحابه بالسبع والعشر كالصلاة، وحدَّه إسحاق باثنتي عشرة سنة، وأحمد في رواية بعشر سنين.

(١) عون المعبود (١٢/ ٧٢).

(٢) انظر: فتح الباري ٤/ ٢٣٦ - ٢٣٧ ط الريان.

وقال الأوزاعي:

«إذا أطاق صوم ثلاثة أيام تباعًا لا يضعف فيهن حُمِل علىٰ الصوم».

والمشهور عند المالكية: أنه لا يشرع في حق الصبيان.

وقد تلطف البخاري في التعقيب عليهم بإيراد أثر عمر في صدر الترجمة لأن أقصىٰ ما يعتمدونه في معارضة الأحاديث دعوىٰ عمل أهل المدينة علىٰ خلافها، ولا عمل يستند إليه أقوىٰ من العمل في عهد عمر مع شدة تحريه ووفور الصحابة في زمانه[(١)].

وعن ذكوان عن الربيع بنت معوذ، قالت: أرسل النبي ﷺ غداة عاشوراء إلىٰ قرىٰ الأنصار «مَنْ أَصْبَحَ مُفْطِرًا فَلْيُتِمَّ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ وَمَنْ أَصْبَحَ صَائِمًا فَلْيَصُمْ».

قالت: فكنا نصومه بعدُ ونُصومُ صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن، فإذا بكىٰ أحدهم علىٰ الطعام أعطيناه ذاك حتىٰ يكون عند الإفطار[(٢)].

وعند مسلم: «أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتىٰ يتموا صومهم».

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... علىٰ ما كان عوده أبوه

فائدة:

انظر كيف ربىٰ الصحابة ﷺ أبناءهم فخرجت أجيال مسلمة تنشر الخير في ربوع العالم، وعاشت بالإسلام وللإسلام أما أن نترك أبناءنا وبناتنا يقضون أوقاتهم في الطرقات وفي منابت السوء ينشأون علىٰ الفاسد من الأخلاق والذميم من الأفعال، فيشتد عودهم علىٰ ذلك وتشحن قلوبهم بغير الإسلام، ثم نريدهم

---

(١) المرجع السابق صـ ٢٣٧.

(٢) رواه البخاري.

بعد بلوغهم سن الرشد مسلمين يعملون بالإسلام ويدعون إليه، فإنهم لا يستجيبون لنا، ولا يلقون بالًا لحديثنا، وهل يجنىٰ من الشوك العنب[١].

٣ - العقل:

فلا يجب الصوم علىٰ المجنون لأنه غير مكلف ولأن مناط التكليف هو العقل وهو مسلوب العقل.

قال ابن قدامة:

«والمجنون غير مكلف ولا يلزمه قضاء ما ترك في حال جنونه إلا أن يفيق في وقت الصلاة فيصير كالصبي يبلغ، ولا نعلم في ذلك خلافًا، وقد قال ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ»... الحديث.

وقال النووي:

«المجنون لا يلزمه الصوم في الحال بالإجماع» للحديث والإجماع، وإذا أفاق لا يلزمه قضاء ما فاته في الجنون، سواء قل أو كثر، سواء أفاق بعد رمضان أو في أثنائه[٢].

٤ - القدرة على الصوم وأن يكون مقيمًا:

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٣].

قال ابن كثير:

«أي المريض والمسافر لا يصومان في حال المرض والسفر لما في ذلك من المشقة عليهما بل يفطران ويقضيان بعده ذلك من أيام أخر»[٤].

---

(١) انظر: كتاب الصوم في ضوء الكتاب والسنة الشيخ عمر الأشقر صـ ٢٣ بتصرف نقلًا من كتاب نداء الريان (٢/ ١٢).

(٢) انظر: المجموع (٦/ ١٦٥)، وانظر مجمع الأنهر (١/ ٢٥٣).

(٣) البقرة: (١٨٤).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٣).

٥- طهارة المرأة من الحيض والنفاس[١]:

أما عدم وجوبه على الحائض والنفساء، فلحديث أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ فَذَلِكَ نُقْصَانُ دِينِهَا»[٢].

فإن صامت الحائض أو النفساء لم يجزئها؛ لأن من شروط الصوم الطهارة من الحيض والنفاس ويجب عليها القضاء.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:

«كما يحرم على الحائض الصلاة والصيام بالنص والإجماع، ومس المصحف عند عامة العلماء».

وكذلك قراءة القرآن في أحد قولي العلماء...[٤].

* * *

---

(١) الوجيز صـ ١٩٨.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري في كتاب الحيض باب ترك الحائض الصوم رقم (٣٠٤)، واللفظ له ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات رقم (٧٩).

(٣) صحيح: صحيح سنن الترمذي (٦٣٠) ومسلم (٣٣٥/ ٢٦٥/ ١) سنن أبي داود (٢٥٩، ٢٦٠/ ٤٤٤/ ١) ت (٧٨٤/ ١٤١/ ٢) سنن النسائي (١٩١/ ٤).

(٤) مجموع الفتاوىٰ (٢٦/ ١٧٧).

ركنا الصيام

للصوم ركنان أساسيان وهما:

الركن الأول: النية[١]:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[٢].

وقال النبي ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...»[٣].

تعريف النية:

«القصد: وهو اعتقاد القلب فعل شيء وعزمه عليه من غير تردد، والمراد بها هنا: قصد الصوم، فمتىٰ خطر بقلبه في الليل أن غدًا من رمضان وأنه صائم فيه فقد نوىٰ».

«ومحل النية القلب، ولا تكفي باللسان قطعًا ولا يشترط التلفظ بها قطعًا»[٤].

س/ هل يشترط تبييت النية ليلًا؟

ج/ يرىٰ جمهور العلماء[٥] إلىٰ أنه لا يصح صوم رمضان إلا بنية من الليل[٦] واستدلوا بحديث حفصة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) وقيل: شرط وليست ركنًا إذا أجزنا تقدم النية علىٰ العبادة كانت شرطًا، وإذا قلنا بوجوب مقارنتها لأول العبادة كانت ركنًا، أما القول بتقدم النية في العبادة كالصوم ثم عدها في هذه الحالة ركنًا، فهذا خطأ بين، انظر «مقاصد المكلفين» للشيخ عمر الأشقر صـ ٣٤٢.

(٢) البينة: (٥).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مغني المحتاج (١/ ٤٢٣) نقلًا من الفقه الإسلامي وأدلته.

(٥) منهم مالك وأحمد والشافعي وإسحاق وغيرهم من السلف والخلف.

(٦) المجموع للنووي (٦/ ٣٣٧)، والمغني لابن قدامة (٣/ ١١).

«مَنْ لَـمْ يُـجْمِعِ الصِّيَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَلَا صِيَامَ لَهُ»(١).

وهذا خاص بصيام الفرض.

قلت: ومن رحمته تعالىٰ علينا أنه لا يشترط التلفظ بالنية، وإنما يكفي أن ينوي الإنسان بقلبه فضلًا علىٰ أن قيامه للسحور يعتبر نية، والحمد لله علىٰ ذلك.

س/ هل يشترط تبييت النية في صوم التطوع؟

ج/ اختلف العلماء في ذلك علىٰ قولين:

القول الأول: هو مذهب جمهور العلماء: لا يشترط تبييت النية في صوم التطوع، واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها قالت:

دخل النبي ﷺ ذات يوم، فقال: «**هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟**».

قلنا: لا، قال: «**فَإِنِّي إِذًا صَائِمٌ**».

ثم أتانا يومًا آخر، فقلنا: يا رسول الله، أهدي إلينا حيس(٢)، فقال: «**أَرِينِيهِ، فَلَقَدْ أَصْبَحْتُ صَائِمًا**»، فأكل(٣).

القول الثاني: «رأي المالكية»(٤).

اشترطوا تبييت النية في صوم التطوع، والراجح هو رأي الجمهور، والله أعلم.

س/ ولكن ما مدىٰ الوقت الذي يجوز له أن يحدث نية صوم التطوع نهارًا؟

ج/ اختلف العلماء على قولين:

فذهب الحنفية، والشافعي في القديم: إلىٰ جواز ذلك حتىٰ وقت الزوال، وذهب

---

(١) صحيح: صحيح سنن الترمذي (٥٧٣).

(٢) حيس: تمر يخلط بسمن وأقط فيعجن عجنًا شديدًا ويُجعل فيه سويق.

(٣) صحيح: رواه مسلم (١١٥٤) في الصيام.

(٤) انظر: حاشية الدسوقي (١/ ٥٣٠).

الحنابلة والشافعي في الجديد إلىٰ جوازه في أي وقت من النهار سواء كان قبل الزوال، أو بعد الزوال.

وهذا هو الراجح لعدم وجود دليل يفرق بين ما قبل الزوال وما بعد الزوال[١]، والله أعلم.

س / هل يشترط النية لصوم كل يوم من أيام رمضان؟

ج/ اختلف العلماء في هذه المسألة على رأيين:

الرأي الأول: وهو رأي الجمهور:

قالوا بوجوب نية مستقلة لصيام كل يوم من أيام رمضان علىٰ حدة؛ لأن صوم كل يوم عبادة علىٰ حدة غير متعلقة باليوم الآخر، دليلهم علىٰ ذلك أن فساد بعض الأيام لا يوجب فساد الأخر فيشترط لكل يوم نية مستقلة.

الرأي الثاني: هو رأي المالكية[٢]:

قالوا: تجزئ نية واحدة لصيام رمضان كله، أي يصح عندهم أن ينوي المسلم في أول يوم من رمضان صيام الشهر كله بنية واحدة.

س / ما حكم نقض النية؟

ج/ المقصود بنقض النية هو أن ينوي الفطر بعد ما نوىٰ الصيام فحكم ذلك فساد الصوم وإن لم يتناول مفطرًا، وذلك لأن النية ركن واستصحاب حكمها شرط صحة[٣].

---

(١) تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (٢/ ١٤٥).

(٢) المغني (٣/ ٩٣) بداية المجتهد (١/ ٢٨٢).

(٣) والمقصود باستصحاب حكمها، أي: أن يكون عزم الإمساك عن المفطرات مصاحبًا له في جميع أجزاء النهار.

فمتىٰ نقضها متعمدًا فقد انفسخت نيته وبطل صومه[(١)].

الركن الثاني من أركان الصيام:

٢- الإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر إلىٰ غروب الشمس: قال تعالىٰ: ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾[(٢)].

والمراد بالخيط الأبيض بياض النهار والخيط الأسود سواد الليل، لما رواه البخاري من حديث عدي بن حاتم، قال: لما نزلت: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ﴾.

عمدت إلىٰ عقال أسود وإلىٰ عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فغدوت علىٰ رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك، فقال: **«إِنَّمَا ذَلِكَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ»**[(٣)].

حكم من أكل أو شرب ناسيًا:

قال ﷺ: **«إِذَا نَسِيَ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ»**[(٤)].

وقال ﷺ: **«مَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا فَلَا يُفْطِرْ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ»**[(٥)].

معنىٰ ذلك أن من أكل أو شرب ناسيًا يكمل الصيام، ولكن السؤال: هل عليه قضاء يوم آخر؟

---

(١) تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (٢/ ١٤٥) بتصرف وزيادات.

(٢) البقرة: (١٨٧).

(٣) البخاري (١٩١٦)، ومسلم (١٠٩٠).

(٤) رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

(٥) صحيح.

قال ابن القيم رحمه الله:

«كان من هديه ﷺ إسقاط القضاء عمن أكل وشرب ناسيًا، وأنَّ الله سبحانه هو الذي أطعمه وسقاه، فليس هذا الأكل والشرب يُضاف إليه فيفطرُ به، فإنما يفطر بما فعله، وهذا بمنزلة أكله وشربه في نومه إذ لا تكليف بفعل النائم ولا بفعل الناسي»[1].

* * *

(١) زاد المعاد (٢/ ٥٩).

ما يستحب للصائم «آداب الصيام»

يستحب للصائم مندوبات كثيرة منها:

١ - تناول السحور:

لما رواه البخاري ومسلم والخمسة إلا أبو داود من حديث أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»(١).

وظاهر الأمر يقتضي الوجوب، ولكن صرفه عنه إلىٰ الندب قوله ﷺ: «فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً».

روي بفتح السين وهو ما يأكل من الطعام، وروي بضمها وهو المصدر والفعل.

أ- فالسحور هو الغذاء المبارك، قال ﷺ: «هَلُمَّ إِلَىٰ الْغِذَاءِ الْمُبَارَكِ - يعني السحور -»(٢).

وقال ﷺ: «عَلَيْكُم بِهَذَا السَّحُورِ، فَإِنَّهُ هُوَ الْغِذَاءُ الْـمُبَارَكُ»(٣).

ب - والله تعالىٰ وملائكته يصلون علىٰ المتسحرين.

قال النبي الأمين عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الْمُتَسَحِّرِينَ»(٤).

جـ - فيه مخالفة لأهل الكتاب؛ لقوله ﷺ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان عن العرباض وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٠٤٣).

(٣) رواه أحمد والنسائي عن المقدام وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٠٨١).

(٤) حسن: رواه ابن حبان والطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية عن ابن عمر، وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٨٤٤).

الْكِتَابِ أَكْلَةُ السُّحُورِ»[١].

د - السحور من أخلاق النبوة، قال ﷺ: «ثَلَاثٌ مِنْ أَخْلَاقِ النُّبُوَّةِ: تَعْجِيلُ الْإِفْطَارِ، وَتَأْخِيرُ السُّحُورِ، وَوَضْعُ الْيَمِينِ عَلَىٰ الشِّمَالِ فِي الصَّلَاةِ»[٢].

ويستحب تأخير السحور اقتداء بالحبيب الرسول ﷺ.

قال ﷺ: «إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ أُمِرْنَا أَنْ نُعَجِّلَ إِفْطَارَنَا، وَنُؤَخِّرَ سُحُورَنَا، وَنَضَعَ أَيمَانِنَا عَلَىٰ شَمَائِلِنَا فِي الصَّلَاةِ»[٣].

فعن أنس، وعن زيد بن ثابت، قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلىٰ الصلاة، قلت: كم كان بينهما؟

قال: «قدر خمسين آية»[٤].

وعن ابن عمر قال: كان لرسول الله ﷺ مؤذنان بلالٌ وابن أم مكتوم، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بِلَالًا يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ».

قال: ولم يكن بينهما إلا أن ينزل هذا ويرقىٰ هذا»[٥].

والسحور يتحقق ولو بجرعة ماء، قال ﷺ: «تَسَحَّرُوا وَلَوْ بِجَرْعَةِ مَاءٍ»[٦].

وقال ﷺ: «السُّحُورُ بَرَكَةٌ فَلَا تَدَعُوهُ وَلَوْ أَنْ يَجْرَعَ أَحَدُكُمْ جَرْعَةً مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّ اللهَ

---

(١) رواه مسلم (١٠٩٦)، والترمذي (٧٠٨)، وأبو داود (٢٣٤٣)، والنسائي (٤/ ١٤٦).

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٣٨).

(٣) صحيح: رواه الطيالسي والطبراني في الكبير عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٢٨٦).

(٤) رواه البخاري (٤/ ١١٨، ١١٩)، ومسلم (١٠٩٧)، وانظر مجمع الزوائد (٣/ ١٥٤، ١٥٥) باب تعجيل الإفطار وتأخير السحور.

(٥) رواه البخاري ومسلم.

(٦) صحيح: رواه أبو يعلىٰ وأحمد، وابن حبان، وانظر صحيح الجامع (٢٩٤٥).

وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الْمُتَسَحِّرِينَ»[(١)].

٢- تعجيل الفطر:

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ»[(٢)].

وقال ﷺ: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْإِفْطَارَ»[(٣)].

قال ابن القيم رحمه الله:

«كان ﷺ يعجل الفطر ويحض عليه، وكان يحض علىٰ الفطر بالتمر، فإن لم يجد، فعلىٰ الماء، هذا من كمال شفقته علىٰ أمته ونُصْحِهم، فإن إعطاء الطبيعة الشيء الحلو مع خُلُو المعدة أدعىٰ إلىٰ قبوله وانتفاع القوىٰ، وأما الماء فإن الكبد يحصل لها بالصوم نوع يبس، فإذا رطبت بالماء كمل انتفاعها بالغذاء بعده وبهذا كان الأولىٰ بالظمآن الجائع أن يبدأ قبل الأكل بشرب قليل من الماء ثم يأكل بعده هذا مع ما في التمر والماء من الخاصية التي لها تأثير في صلاح القلوب لا يعلمُها إلا أطباء القلوب»[(٤)].

٣- تقديم الفطر علىٰ صلاة المغرب:

قال ابن القيم رحمه الله:

«وكان رسول الله ﷺ يُفطِر قبل أن يُصلي وكان فطره علىٰ رطبات إن وجدها، فإن لم يجدها فعلىٰ تمرات فإن لم يجد فعلىٰ حسوات من ماء»[(٥)].

---

(١) حسن: رواه أحمد عن أبي سعيد وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٦٨٣).

(٢) بخاري (٤/ ١٧٣)، ومسلم (١٠٩٨)، وصحيح سنن الترمذي (٥٦٣).

(٣) رواه أحمد عن أبي ذر وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٢٨٤).

(٤) زاد المعاد (٢/ ٥٠) باختصار يسير.

(٥) المرجع السابق (٢/ ٥١).

فعن أنس قال: «كان رسول الله ﷺ يفطر قبل أن يُصلي علىٰ رُطبات فإن لم تكن رُطبات فتمرات، فإن لم تكن تميرات، حسا حسوات من ماء»(١).

ويستطيع المسلم أن يفطر قبل الصلاة وبعد الغروب علىٰ شيء خفيف - تمرات أو جرعة ماء - ثم يُصلي المغرب ثم يأكل بعد ذلك ما يشاء»(٢).

٤- الدعاء عند الفطر:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا أفطر قال: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ**»(٣).

والدعاء عند الإفطار لا يرد، قال ﷺ: «**إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَدُّ**»(٤).

٥- صيام الجوارح عن الآثام: «ملازمة التقوى»:

أي: صيامها عن كل ما حرم الله تعالىٰ؛ لأنه لا فائدة في الصيام مع عبث الجوارح وارتكاب الآثام.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الجُوعُ وَالْعَطَشُ وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ**»(٥).

---

(١) صحيح: صحيح سنن الترمذي (٥٦٠).

(٢) فقه العبادات في الإسلام (١٨٠).

(٣) حسن: رواه أبو داود (٢٣٥٧)، والدارقطني (٢/ ١٨٥)، والحاكم (١/ ٤٢٢)، وابن السني (٤٧٩) ومروان بن سالم المقفع، وثقه ابن حبان وحسن حديثه الدارقطني وابن حجر وباقي رجاله ثقات.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١٧٥٣) في الصيام باب في الصائم لا ترد دعوته، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وفي سنده إسحاق بن عبيد الله، ذكره ابن حبان في الثقات وباقي رجاله علىٰ شرط البخاري، ويشهد له حديث أنس عند الضياء المقدسي في المختارة «**ثَلَاثُ دَعَوَاتٍ لَا تُرَدُّ: دَعْوَةُ الْوَالِدِ لِوَلَدِهِ، وَدَعْوَةُ الصَّائِمِ، وَدَعْوَةُ الْـمُسَافِرِ**» وحديث أبي هريرة عند الترمذي (٣٥٩٥)، وابن ماجه (١٧٥٢) بلفظ «**ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَالصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَدَعْوَةُ الْـمَظْلُومِ**» وصححه ابن حبان (٢٤٠٨)، وحسنه الحافظ ابن حجر.

(٥) صحيح: صحيح سنن ابن ماجه (١٣٨٠).

٦- الجود ومدارسة القرآن:

ففي «الصحيحين» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتىٰ ينسلخ، يعرض عليه النبي ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة»(١).

فكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات وخاصة الجود، ومدارسة القرآن الكريم، فكان يخص رمضان من العبادات بما لا يخص غيره من الشهور.

٧- تجديد التوبة:

فالصوم دعوة إلىٰ التوبة والانتباه والرجوع إلىٰ الله تعالىٰ.

٨- رفع الهمة وزيادة التعبد في العشر الأواخر:

ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وشد المئزر».

٩- الاعتكاف في العشر الأواخر:

تأسيًا بالرسول ﷺ.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٩٩)، ومسلم (٢٣٠٧).

ما يباح للصائم في رمضان

من رحمة الله بعباده ورفعًا للحرج عن أمة خليله ﷺ أباح الشارع للصائم فعل أشياء منها:

١- نزول الماء والانغماس فيه والتبرد به:

وذلك لرفع الحدث الأكبر أو لتخفيف حدة العطش من شدة الحر.

ذكر الإمام أحمد أنه ﷺ: «كان يصب الماء علىٰ رأسه وهو صائم»(١).

بوب البخاري في «صحيحه»: «باب اغتسال الصائم».

«وبلّ ابن عمر رضي الله عنهما ثوبًا فألقاه عليه وهو صائم، ودخل الشعبي الحمام وهو صائم، وقال الحسن: لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم»(٢).

٢- المضمضة والاستنشاق من غير مبالغة:

فعن لَقِيط بن صبرة قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني عن الوضوء، قال: «**أَسْبغِ الْوُضُوءَ، وَخَلِّلْ بَيْنَ الْأَصَابِعِ، وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**»(٣).

٣- استعمال السواك:

قال ابن خزيمة(٤) في «صحيحه»: إخبار النبي ﷺ: «**لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٧٦، ٣٨٠، ٤٠٨، ٤٣٠) وأبو داود (٢٣٦٥) من حديث رجل من الصحابة أنه رأىٰ رسول الله ﷺ يصب علىٰ رأسه الماء وهو صائم من العطش أو من الحر، وإسناده صحيح. انظر زاد المعاد (٢/ ٦١).

(٢) صححه ابن حجر في الفتح (٤/ ١٨٢ - ١٨٣).

(٣) صحيح: صحيح سنن الترمذي (٦٤٧) وصححه ابن خزيمة (١٥٠)، وابن حبان (١٥٩)، والحاكم (١/ ١٤٧ - ١٤٨)، والذهبي وابن القطان والنووي وابن حجر.

(٤) صحيح ابن خزيمة (٣/ ٢٤٧).

«لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»(١). ولم يستثن مفطرًا دون صائم فيها دلالة على أن التسوك للصائم عند كل صلاة فضيلة كما هو للمفطر اهـ.

فاستعمال السواك مستحب في كل الأوقات للصائم وغيره، ويجوز للصائم بعد الزوال كما يجوز قبله ولا يتعارض استعماله مع قول النبي ﷺ: «لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

لأن السواك لا يذهب الخلوف، لأن خلوف فم الصائم ليس في الأسنان إنما هو في المعدة، هذا مع التحفظ من ابتلاع عصارات السواك أثناء الصوم، أما استعمال فرشاة الأسنان والمعجون، فالأظهر كراهة ذلك - أثناء الصوم - خشية تحلل المعجون وابتلاعه مع الريق، ولذلك يكره استعمال العلك «اللبان» لنفس السبب(٢).

وقال ﷺ: «لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ وُضُوءٍ»(٣).

قال الحافظ ابن حجر: «يقتضي إباحته في كل وقت وعلىٰ كل حال»(٤).

قال ابن عمر: يستاك أول النهار وآخره.

قال الحافظ ابن حجر: روىٰ الطبراني بإسناد جيد عن عبد الرحمن بن غنم، قال: سألت معاذ بن جبل أأتسوك وأنا صائم؟ قال: نعم.

قلت: أي النهار.

قال: غدوة أو عشية.

قلت: إن الناس يكرهونه عشية، ويقولون: إن رسول ﷺ قال: «لَخُلُوفُ فَمِ

---

(١) أخرجه البخاري.

(٢) الفقه الميسر صـ١٩٦ بتصرف يسير.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) انظر: فتح الباري (٤/ ١٨٨).

الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

قال: «سبحان الله، لقد أمرهم بالسواك، وما كان بالذي يأمرهم أن ييبسوا بأفواههم عمدًا، ما في ذلك من الخير شيء بل فيه شر»[١].

٤- استعمال الطيب والروائح العطرية:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا كان صوم أحدكم فليصبح دهنيًّا مترجلًا»[٢].

قال الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله تعالىٰ -: «لا بأس أن يستعملها في نهار رمضان وأن يستنشقها إلا البخور لا يستنشقه؛ لأن له جرمٌ يصل إلىٰ المعدة، وهو الدخان»[٣].

٥- القبلة لمن قدر على ضبط نفسه:

فيباح للصائم تقبيل زوجته إن استطاع أن يضبط نفسه؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك وهو صائم.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي ﷺ يقبل ويباشر[٤]، وهو صائم وكان أملككم لإربه[٥]»[٦].

قال المازري:

«ينبغي أن يعتبر حال المقبل، فإن أثارت منه القبلة الإنزال حرمت عليه؛ لأن

---

(١) تلخيص الحبير (٢/ ٢٠٢).

(٢) رواه البخاري معلقًا بصيغة الجزم.

(٣) فتاوىٰ الصيام جمع/ محمد المسند (٤٣).

(٤) المباشرة: لمس أي جزء من جسمه أي حزء من جسمها ولا تعني به الجماع.

(٥) المراد: أقدر منكم علىٰ ضبط نفسه.

(٦) متفق عليه: بخاري (١٩٢٧/ ١٤٩/ ٤) مسلم (١١٠٦ - ٦٥ - / ٧٧٧/ ٢)، والترمذي (٧٢٥/ ١١٦/ ٢) سنن أبي داود (٢٣٦٥/ ٧١٩).

الإنزال يُمنع منه الصائم، فكذلك ما أدىٰ إليه، وإن كان عنها المذي فمن رأىٰ القضاء منه، قال: يحرم في حقه. ومن رأىٰ أن لا قضاء، قال: يكره. وإن لم تؤد القبلة إلىٰ شيء فلا معنىٰ للمنع إلا علىٰ القول بسد الذريعة»(١).

٦- الاكتحال والقطرة ونحوهما مما يدخل العين:

والأصل في إباحة هذه الأشياء البراءة الأصلية، ولو كانت مما يحرم علىٰ الصائم لبينه الله ورسوله ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾(٢).

فعن عائشة رضي الله عنها **قالت:** «اكتحل رسول الله ﷺ وهو صائم»(٣).

٧- جماع الزوجة ليلة الصيام:

لقوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾(٤).

٨- الحائض والنفساء:

إذا انقطع الدم من الليل جاز لهما تأخير الغسل إلىٰ الصبح، وأصبحتا صائمتين، ثم عليهما أن تتطهرا للصلاة(٥).

٩- ابتلاع ما لا يمكن الاحتراز منه:

نحو بلع الريق وغبار الطريق وغربلة الدقيق، كل ذلك لا يفطر، أما إذا تعمد ابتلاع دقيق الطحين ونحو ذلك مما يدخل الفم اضطرارًا، فإن ذلك يفطره والنخامة إذا ابتلعها (اختيارًا) ففيها رأيان، «وكذلك يقال في البلغم الذي يخرج

---

(١) فتح الباري (٤/ ١٨٠، ١٨١).

(٢) مريم: (٦٤).

(٣) صحيح: صحيح سنن ابن ماجه (١٣٦٩).

(٤) البقرة: (١٨٧).

(٥) فقه السنة (١/ ٥٣٠).

من الصدر»، رأي بفساد الصوم، ورأي بأنه لا يفسد[(١)].

١٠ - تذوق الطعام وهذا مقيد بعدم دخوله الحلق:

عن عطاء عن ابن عباس قال: «لا بأس أن يذوق الخل والشيء يريد شراءه»[(٢)].

وعن ابن عباس قال: «لا بأس أن يتطاعم الصائم العسل والسمن ونحوه يمجه»[(٣)].

* * *

(١) من الدين الخالص، للشيخ / محمود خطاب السبكي نقلًا من كتاب الفقه الميسر.

(٢) حسن: رواه أحمد والبخاري معلقًا ووصله ابن أبي شيبة وحسن الألباني إسناده في إرواء الغليل رقم (٩٣٧).

(٣) رواه البيهقي وسكت عنه الحافظ في الفتح، وحسن سنده الألباني في إرواء الغليل (٤/ ٨٦).

مكروهات الصوم

يكره للصائم[١] أمور من شأنها الإفضاء إلىٰ فساد الصوم، وإن كانت في حد ذاتها لا تفسد الصوم، منها:

١- المبالغة في المضمضة والاستنشاق عند الوضوء:

لقوله ﷺ: «وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا»[٢].

فقد كره له ﷺ المبالغة في الاستنشاق خشية أن يصل إلىٰ جوفه شيء من الماء فيفسد صومه.

٢- القُبلة:

إذا لم يقدر علىٰ ضبط نفسه وحركت القبلة شهوته، ولا فرق في ذلك بين الشاب والشيخ، فالاعتبار بتحريك الشهوة وخوف الإنزال أو الجماع، فإن حركت شهوة شاب أو شيخ قوي كرهت، وإن لم تحركها لشاب أو شيخ ضعيف لم تكره، ولكن الأولىٰ تركها، ثم إن الكراهة في حق من تحرك القُبلة شهوته كراهة تحريم عند بعض العلماء وكراهة تنزيه عند البعض الآخر وإذا قبل ولم ينزل لم يبطل صومه سواء كانت القبلة تحرك شهوته أم لا، وأما إذا قبل فأنزل فإن صومه يبطل في الحال ويلزمه القضاء سواء كانت القبلة تحرك شهوته أم لا.

والمعانقة واللمس باليد وغيرهما كالقبلة في جميع ما تقدم من الأحكام، إذ قد تثير شهوة تجر إلىٰ إفساد الصوم بخروج المني أو الجماع حيث تجب الكفارة.

---

(١) منهاج المسلم صـ ٢٦٩، ٢٧٠.

(٢) أصحاب السنن وابن خزيمة وصححه.

ومثلها إدامة النظر بشهوة إلىٰ الزوجة والتفكير في شأن الجماع[١] .

٣- صوم الوصال:

وهو ألا يفطر بين اليومين بأكل وشرب وهو مكروه عند أكثر العلماء[٢] ومحرم عند الشافعية[٣] .

* * *

(١) انظر: الصيام فضائله وأحكامه الشيخ عبد الفتاح القاضي صـ ١٢٠، ١٢١ باختصار وزيادات.

(٢) المغني (٣/ ١٧١)، كشاف القناع (٢/ ٣٩٩).

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته (٣/ ١٦٨٩).

ما يبطل الصوم

مفسدات الصيام قسمان:

١- ما يفسد الصوم ويوجب القضاء فقط.

٢- ما يفسد الصوم ويوجب القضاء والكفارة.

* * *

أ- أما ما يفسد الصوم ويوجب القضاء فقط.

١، ٢- الأكل والشرب عامدًا:

فإن أكل أو شرب ناسيًا سواء كان في فرض أو نفل فلا قضاء عليه ولا كفارة[١]؛ للحديث السابق: «**مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ**».

أي: إذا أدخل طعامًا أو شرابًا، أو ما في حكمهما إلىٰ جوفه قل أو كثر فسد صومه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾[٢].

وقد ضبط العلماء ما يدخل جوف الصائم فيبطل صومه بقولهم: «وصول عين يمكن التحرز عنها إلىٰ جوف الصائم من منفذ مفتوح انفتاحًا ظاهرًا يحس، مع العمد والعلم بالتحريم والاختيار».

فقولهم: «وصول عين» خرج به وصول الأثر فلا يضر وصول الرائحة[٣] بالشم، وقولهم: «يمكن التحرز عنها» معناه يمكن تجنبها والابتعاد عنها وخرج به العين التي لا يستطاع تجنبها ولا البعد عنها، مثل: «غبار الطريق والذباب

---

(١) كما بينا سابقًا.

(٢) البقرة: (١٨٧).

(٣) إلا البخور ففيه كلام للعلماء.

والبعوض»، فإذا دخل شيء منها جوف الصائم فلا يبطل صومه لعسر التحرز عنها.

ولا يقال: يمكن اجتناب هذه الأشياء بإطباق فمه وأنفه لأنا نقول: إن في إطباق فمه وأنفه من المشقة ما لا قبل له باحتماله، فلا يكلف به، والله تعالىٰ قال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وقال: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾.

وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

ومنها أيضًا ريق الصائم، فلا يضر بلعه ووصوله إلىٰ جوفه، لما في طرحه من فمه دائمًا من المشقة

وقول العلماء في الضابط السابق: «من منفذ مفتوح انفتاحًا ظاهرًا يحس»، خرج به ما يدخل جوف الصائم من غير ذلك كالدهن الذي يدخل جوف الصائم بواسطة تشرب مسام الجلد فلا يبطل الصوم، وكوضع الكحل في العين.

وقولهم: «مع العمد»: خرج به ما لو دخل في جوف الصائم شيء مما ذكرنا وهو ناسي للصوم غافل عنه، سواء قل الداخل أم كثر فلا يبطل به الصوم.

وقولهم: «والعلم بالتحريم»: خرج به الجهل بالتحريم، فمن تعاطىٰ مفطرًا وهو جاهل بالتحريم، فلا يبطل صومه لعذره بالجهل إن كان قريب عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة بحيث يخفىٰ عليه كون هذا مفطرًا لم يفطر، وإن كان مخالطًا للمسلمين بحيث لا يخفىٰ عليه تحريمه أفطر؛ لأنه مقصر حينئذ بعدم تعلمه، ومن علم تحريم الأكل مثلًا وجهل كونه مفطرًا فأكل بطل صومه؛ لأنه لا يعذر بجهله إذ كان عليه أن يمتنع عن الأكل حيث علم تحريمه.

وقولهم: «والاختيار» خرج به ما لو أكره علىٰ تناول طعام أو شراب مثلًا فتناوله، فلا يبطل صومه عند الشافعي، وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد: يبطل.

وعند الشافعية: «إذا فعل به غيره بأن أجبر علىٰ الطعام قهره أو رُبطت المرأة وجومعت أو جومعت وهي نائمة، فلا فطر في ذلك، وكذا لو استدخلت ذكره نائمًا أفطرت هي دونه»[١].

وقال الإمام النووي مستدلًّا علىٰ عدم بطلان الصوم بأنه: بالإكراه سقط أثر فعله، ولهذا لا يأثم بالأكل لأنه صار مأمورًا بالأكل لا منهيًّا عنه كالناسي، بل أولىٰ منه بأن لا يفطر؛ لأنه مخاطب بالأكل لدفع ضرر الإكراه عن نفسه بخلاف الناسي، فإنه ليس مخاطبًا بأمر ولا نهي[٢].

٣، ٤ - الحيض والنفاس:

يفسد الصوم بالحيض والنفاس ولو في اللحظة الأخيرة من النهار بالإجماع، واتفق الفقهاء علىٰ أنه يجب الفطر علىٰ الحائض والنفساء، ويحرم عليهما الصيام، وإذا صاما لا يصح صومهما ويقع باطلًا، وعليهما قضاء ما فاتهما.

روىٰ البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كنا نحيض علىٰ عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة».

٥ - القيء عمدًا:

من تعمد القيء - وهو صائم - فسد صومه، وعليه القضاء، أما من غلبه القيء فصومه صحيح فلا قضاء عليه ولا كفارة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ ذَرَعَهُ[٣] الْقَيْءُ فَلَا قَضَاءَ عَلَيْهِ، وَمَنِ اسْتَقَاءَ فَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ»**[٤].

---

(١) المجموع (٦/ ٣٥٣ - ٣٥٥).

(٢) انظر: الصيام فضائله وأحكامه للشيخ عبد الفتاح القاضي صـ ٦٥ - ٩٥ باختصار وزيادات.

(٣) ذرعه القيء: أي سبقه وغلبه في الخروج.

(٤) صحيح: صحيح سنن ابن ماجه (١٣٦٨).

وقال ﷺ: «مَنْ ذَرَعَهُ قَيْءٌ وَهُوَ صَائِمٌ فَلَيْسَ عَلَيْهِ قَضَاءٌ وَإِن اسْتَقَاءَ فَلْيَقْضِ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: «إذا قاء فلا يفطر إنما يخرج ولا يولج».

وقال ابن عباس وعكرمة: «الصوم مما دخل وليس مما خرج».

قال ابن حجر في «الفتح»:

«أما القيء فذهب الجمهور إلىٰ التفرقة بين من سبقه، فلا يفطر، وبين من تعمده، فيفطر» ونقل ابن المنذر «الإجماع علىٰ بطلان الصوم بتعمد القيء»(٢).

٦- تعمد إنزال المني:

من تعمد إنزال المني بسبب تقبيل أو ملاعبة أو ملامسة واحتكاك - دون جماع -، أو استمنىٰ بالكف أو بالتفخذ - أثناء صومه -، فسد صومه وعليه قضاء هذا اليوم(٣)، أما من احتلم في نومه - في نهار رمضان - فصومه صحيح لأنه غير مختار(٤).

٧- نية الفطر «رفض نية الصوم في أثنائه»:

من نوىٰ الصيام وجب عليه دوام النية، فإن قطعها في وقت من أوقات الصيام بأن نوىٰ الإفطار وعزم عليه، فإن الصوم يفسد عند الأئمة الثلاثة: «مالك والشافعي وأحمد» ويرىٰ داود الظاهري وابن حزم بطلان أي عبادة إذا رفضت النية في أثنائها(٥).

---

(١) حسن: رواه أبو داود وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٧٤٢).

(٢) فتح الباري (٤/ ٢٠٦) باختصار.

(٣) من العلماء من لا يرىٰ أنه يفطر ولا قضاء عليه ولا كفارة، وقال بذلك الشوكاني وابن حزم والصنعاني، والألباني، انظر المحلىٰ لابن حزم (٤/ ٣٣٥) وتمام المنة (٤١٨ - ٤٢٠)، وسبل السلام (٢/ ٢٢٦) ط دار الحديث.

(٤) الفقه الميسر صـ ١٩٩.

(٥) المحلىٰ (٦/ ١٧٤) الخطاب، علي خليل (١/ ٢٤٠)، وهو مذهب بعض المالكية وكثير من الأحناف.

لأن النية شرط في العبادات كلها، وإذا فقد الشرط فقد المشروط والأعمال بالنيات.

وقد خالف الإمام أبو حنيفة ذلك، فقال بعدم البطلان(١).

ونية الإفطار غير التردد بين الإفطار والصيام، فالتردد لا يفطر أما العزم فهو الذي يقطع الصوم ويفسده، وعليه القضاء بسبب ذلك(٢).

* * *

ب - ما يفسد الصوم ويوجب القضاء والكفارة:

من أفسد صوم يوم من رمضان بجماع تام أثم به ولزمته الكفارة، وبهذا قال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأحمد وداود والعلماء كافة(٣)، وأجمعت الأمة علىٰ ذلك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله هلكت. قال: «**مَا لَكَ؟**».

قال: وقعت علىٰ امرأتي وأنا صائم.

فقال رسول الله ﷺ: «**هَلْ تَجِدُ رَقَبَةً تُعْتِقُهَا؟**» قال: لا.

قال: «**هَلْ تَجِدُ إِطْعَامَ سِتِّينَ مِسْكِينًا؟**».

قال: لا. فمكث النبي ﷺ، فبينما نحن علىٰ ذلك أُتي النبي ﷺ بعَرَقٍ فيها تمرٌ - والعرقُ المكتلُ -.

قال: «**أَيْنَ السَّائِلُ؟**».

فقال: أنا.

---

(١) المجموع (٣/ ٢٥٠).

(٢) فقه العبادات في الإسلام (١٩١).

(٣) إلا الشعبي وسعيد بن جبير والنخعي وقتادة فإنهم قالوا: لا كفارة عليه كما لا كفارة عليه بإفساده الصلاة، وهذا رأي مرجوح لورود الحديث الصحيح في ذلك، ولأن الصوم يخالف الصلاة، فإنه لا مدخل للمال في جبرانها.

قال: «خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ».

فقال الرجل: علىٰ أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها - يريد الحرتين - أهل بيت أفقر من أهل بيتي. فضحك النبي ﷺ حتىٰ بدت أنيابه، ثم قال: «أَطْعِمْهُ أَهْلَكَ»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن رجلًا أتىٰ النبي ﷺ، فقال إنه احترق، قال: «مَا لَكَ؟».

قال: أصبت أهلي في رمضان، فأتي النبي ﷺ بمكتل يُدعىٰ العرق، فقال: «أَيْنَ الْمُحْتَرِقُ؟» قال: أنا.

قال: «تَصَدَّقْ بِهَذَا»(٢).

قال الإمام النووي:

«أجمعت الأمة علىٰ تحريم الجماع في القبل والدبر علىٰ الصائم، وعلىٰ أن الجماع يبطل صومه للآيات الكريمة وللأحاديث الصحيحة، ولأنه مناف للصوم فأبطله كالأكل، وسواء أنزل أم لا، فيبطل صومه في الحالين بالإجماع لعموم الآية والأحاديث ولحصول المنافي»(٣) اهـ.

وإذا نوىٰ الصيام من الليل ثم جامع زوجته ولم يغتسل وأصبح وهو جنب جاز صومه؛ لأن الله تعالىٰ لما أذن في المباشرة إلىٰ طلوع الفجر بقوله تعالىٰ: ﴿فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٣٦ - ١٦٣/ ٤)، ومسلم (١١١١/ ٧٨١ / ٢)، والترمذي (٧٢٠/ ١١٣/ ٢)، وابن ماجه (١٦٧١/ ٥٣٤ / ١) أبو داود (٢٣٧٣/ ٢٠/ ٧).

(٢) رواه البخاري واللفظ له، رواه مسلم مطولًا.

(٣) النووي (٦/ ٣٤٨ - ٣٥٠).

﴿ٱلْفَجْرِ﴾[(١)].

ثم أمر بالصوم دل ذلك علىٰ أنه يجوز أن يصبح صائمًا وهو جنب إذ يلزم من إباحة المباشرة إلىٰ طلوع الفجر أن يصبح جنبًا.

وهو قد نوىٰ الصيام من الليل فيصير في النهار صائمًا جنبًا، وروت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالتا: «كان رسول الله ﷺ يصبح جنبًا من جماع غير احتلام ثم يصوم»[(٢)].

وقولهما: «من جماع غير احتلام» ذكرتا الجماع لئلا يتوهم أحد أن الجنابة كانت من احتلام والمحتلم معذور؛ لأنه قد يدركه الصبح وهو نائم محتلم بخلاف المجامع، فبينتا أن هذه الجنابة من جماع ثم أكدتا بقولهما: «غير احتلام» فدل ذلك علىٰ صحة الصوم مع الجنابة.

قال ابن القيم رحمه الله[(٣)]:

«وكان من هديه ﷺ أن يُدركه الفجر وهو جنبٌ من أهله، فيغتسِلُ بعد الفجر ويصوم»[(٤)].

والكفارة هي:

ما يكفر به الذنب المترتب علىٰ المخالفة للشارع، وهي هنا:

١- عتق رقبة، فإن لم يجد...

٢- فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع...

(١) آية (١٨٧) من سورة البقرة.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

(٣) انظر: زاد المعاد (٢/ ٥٧).

(٤) أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٢٩١)، والبخاري (٤/ ١١٢٣)، ومسلم (١١٠٩) (٧٨) من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

٣- فإطعام ستين مسكينًا.

وهذه الكفارة علىٰ الترتيب، وهذا قول الجمهور، وهو الراجح - إن شاء الله تعالىٰ - ولقد رجح ابن رشد قول الجمهور ورجحه أيضًا ابن العربي شيخ المالكية فيقول:

«إن النبي ﷺ نقله[1] من أمر بعد عدمه لأمر آخر وليس هذا شأن التخيير»[2].

وقال ابن حجر العسقلاني:

«والمراد بالإطعام الإعطاء لا اشتراط حقيقة الإطعام من وضع المطعوم في الفم، بل يكفي الوضع بين يديه بلا خلاف، وفي إطلاق الإطعام ما يدل علىٰ الاكتفاء بوجود الإطعام من غير اشتراط مناولة، وفي ذكر الإطعام ما يدل علىٰ وجود طاعمين فيخرج الطفل الذي لم يطعم كقول الحنفية، ونظر الشافعي إلىٰ النوع فقال: يسلم لوليه»[3].

- **الحكمة من تحديد هذه الأصناف في كفارة الجماع:**

قال ابن حجر في «فتح الباري»:

«**وذكر في حكمة هذه الخصال من المناسبة:**

١- أن من انتهك حرمة الصوم بالجماع، فقد أهلك نفسه بالمعصية فناسب أن يعتق رقبة فيفدي نفسه، وقد صح إن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوًا منه من النار.

٢- وأما الصيام فمناسبته ظاهرة؛ لأنه كالمقاصة بجنس الجناية، وأما كونه

---

(١) أي الأعرابي الذي جامع زوجته في نهار رمضان في الحديث السابق.

(٢) انظر: فتح الباري (٤/ ١٩٨).

(٣) انظر: فتح الباري (٤/ ١٩٧).

شهرين فلأنه لما أمر بمصابرة النفس في حفظ كل يوم من شهر رمضان على الولاء، فلما أفسد منه يومًا كان كمن أفسد الشهر كله من حيث أنه عبادة واحدة، بالنوع فكلف بشهرين مضاعفة على سبيل المقابلة لنقيض قصده.

٣- وأما الإطعام فمناسبته ظاهرة؛ لأنه مقابلة كل يوم بإطعام مسكين ثم إن هذه الخصال جامعة لاشتمالها على حق الله وهو الصوم وحق الأحرار بالإطعام وحق الأرقاء بالعتق وحق الجاني بثواب الامتثال، وفيه دليل على إيجاب الكفارة بالجماع خلافًا لمن شذ»[1].

الحكمة في الكفارة:

«والحكمة في الكفارة هي صون الشريعة من التلاعب بها، وانتهاك حرمتها، كما إنها تطهر نفس المسلم من آثار ذنب المخالفة التي ارتكبها بلا عذر، ومن هنا كان ينبغي أن يؤدي الكفارة على النحو الذي شرعت عليه كمية وكيفية، حتى تنجح في أداء مهتمها بإزالة الذنب ومحو آثاره من على النفس، والأصل في الكفارة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[2].

وقول الرسول ﷺ: **«اتَّقِ اللهِ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ»**[3]»[4].

س/ هل تجب الكفارة على زوجته إذا طاوعته في الجماع؟

ج/ إذا تعمد الرجل والمرأة الجماع مختارين في نهار رمضان بطل صومهما،

---

(١) انظر: فتح الباري (٤/ ١٩٧) ط الريان.

(٢) هود (١١٤).

(٣) رواه الترمذي وهو صحيح.

(٤) انظر: منهاج المسلم للشيخ أبي بكر الجزائري صـ٢٧٣.

ووجب عليهما القضاء - يعني قضاء يوم مكان هذا اليوم -، ووجوب الكفارة عليهما معًا عند جمهور العلماء.

وقال الشافعي والأوزاعي: «الكفارة تجب علىٰ الرجل فقط، فإذا كفَّر أجزأ عنه وعن امرأته»[١].

قال ابن رشد:

«ذهب الشافعي وأحمد وداود إلىٰ أنه لا كَفَّارة عليها، وذهب أبو حنيفة وأصحابه إلىٰ وجوب الكفارة عليها، وهو قول الجمهور»[٢].

❋ ❋ ❋

---

(١) سُبل السلام (٢/ ٢٣٥) ط دار الحديث نقلًا من كتاب الفقه الميسر صـ ٢٠٠.

(٢) انظر: بداية المجتهد (٢/ ١٨٣).

حكم القُبلة للصائم

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كان ﷺ يُقبل بعض أزواجه وهو صائم في رمضان[(١)] وشبَّه قُبلة الصائم بالمضمضة بالماء[(٢)]»[(٣)].

أقوال العلماء في القُبلة للصائم:

قال الترمذي:

«رأىٰ بعض أهل العلم أن للصائم إذا ملك نفسه أن يقبل، وإلا فلا ليسلم له صومه»[(٤)].

قال النووي:

«مذهبنا كراهته - أي: كراهة تحريمية - لمن حركت شهوته ولا تكره لغيره، والأولىٰ تركها فإن قبل من تحرك شهواته ولم ينزل لم يبطل صومه»[(٥)].

وحكىٰ الخطابي عن سعيد بن المسيب: «أن من قبل في رمضان قضىٰ يومًا مكانه، وقال:

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٣٠ - ١٣١)، ومسلم (١١٠٦) في الصيام باب بيان أن القبلة في الصوم ليست بمحرمة علىٰ من لم تحرك شهوته، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيه: وكان أملككم لأربه، (والأرب): وطر النفس وحاجتها.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٨٥) من حديث عمر قال: هَشِشْتُ فقبلتُ وأنا صائمٌ، فقلت: يا رسول الله صنعتُ اليوم أمرًا عظيمًا، قبلت وأنا صائم. قال: «أَرَأَيْتَ لَوْ مَضْمَضْتَ مِنَ الْـمَاءِ وَأَنْتَ صَائِمٌ» قال: فقلت: لا بأس به، قال النبي ﷺ: «فَمَهْ؟». وإسناده صحيح وصححه ابن خزيمة (١٩٩٩)، وابن حبان (٩٠٥)، والحاكم (١/ ٤٣١)، ووافقه الذهبي.

(٣) زاد المعاد (٢/ ٥٧).

(٤) المرجع السابق (٢/ ٥٧).

(٥) انظر: المجموع (٦/ ٣٩٧ - ٣٩٨).

وسائر الفقهاء أن القبلة لا تفطر إلا أن يكون معها إنزال، فإن أنزل معها أفطر ولزمه القضاء دون كفارة»[١].

وقال الحافظ في «الفتح»:

«واختلف إذا باشر أو قبل، أو نظر، فأنزل وأمذىٰ، فقال الكوفيون والشافعي: يقضي إذا أنزل في غير النظر، ولا قضاء في الإمذاء، وقال مالك وإسحاق: يقضي في كل ذلك ويكفِّر إلا في الإمذاء فيقضي فقط. وقال ابن قدامة: إن قبل فأنزل أفطر بلا خلاف»[٢].

* * *

(١) إرشاد المسترشد صـ ٣١٠.

(٢) فتح الباري (٤/ ١٣١).

أحكام الصيام في الحالات الخاصة

١- المريض. ٢ - المسافر. ٣ - الهرم. ٤ - الحامل والمرضع.
٥- المستحاضة. ٦ - أصحاب الأعمال الشاقة. ٧ - الإكراه.

أولاً: أحكام صيام المريض

قال تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾[١].

يعني مرضًا يشق به الصوم أو يتأخر به البرء أو يفوت به العلاج.

كما لو قال الطبيب خذ حبوب كل أربع ساعات، وما أشبه ذلك...[٢].

قال ابن حجر رحمه الله:

«اختلف في الحد الذي إذا وجده المكلف جاز له الفطر، والذي عليه الجمهور أنه المرض الذي يبيح له التيمم مع وجود الماء، وهو إذا خاف علىٰ نفسه لو تمادىٰ علىٰ الصوم - أو علىٰ عضو من أعضائه - أو زيادة في المرض الذي بدأ به وتماديه»[٣].

ويمكن تقسيم المريض إلى قسمين:

أحدهما: من كان مرضه لازمًا مستمرًّا لا يُرجىٰ زواله.

---

(١) البقرة: (١٨٤).

(٢) تفسير العلامة ابن عثيمين (٢/ ١٤٣).

(٣) فتح الباري (٨/ ٢٨).

مثل: «السرطان - ومرض القلب الشديد - والسل (التدرن) - والتهابات الرئة - والورم الرئوي - والتهاب الكلى الحاد - وتصلب الشرايين - والقرحة الاثنىٰ عشرية - والأمراض الخبيثة - والإنتانية في الجهاز الهضمي - والأمراض الكبدية المزمنة مثل تشمع الكبد - وأمراض سوء الامتصاص - وحالات الإسهال الشديدة - والتهاب البنكرياس الحاد...».

فمن كان مريضًا بمثل هذه الأمراض فلا يلزمه الصوم؛ لأنه ليس له حال يُرجىٰ فيها أن يقدر عليه، ولكن يُطعم عن صيام كل يوم مسكينًا إما بأن يجمع مساكين بعدد الأيام فيعشيهم أو يغديهم كما كان أنس بن مالك ﵁ يفعل حين كبر، وإما بأن يفرق طعامًا علىٰ مساكين بعدد الأيام، لكل مسكين ربع صاع نبوي - أي: ما يزن نصف كيلو وعشرة جرامات - من البُر الجيد ويحسن أن يجعل معه ما يأدمه من لحم أو دهن.

ومثل ذلك الكبير العاجز عن الصوم فيطعم عن كل يوم مسكينًا[1].

الثاني: من كان مرضه طارئًا غير ميؤس من زواله كمن به (جرب) أو وجع ضرس أو إصبع أو دمل ونحو..

وله ثلاث حالات:

الحال الأولىٰ: ألا يشق عليه الصوم ولا يضره فيجب عليه الصوم؛ لأنه لا عذر له.

الحال الثانية: أن يشق عليه الصوم ولا يضره فيكره له الصوم لما فيه من العدول علىٰ رخصة الله تعالىٰ مع الإشفاق علىٰ نفسه.

الحال الثالثة: أن يضره الصوم، فيحرم عليه أن يصوم لما فيه من جلب الضرر علىٰ نفسه، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[2].

(١) فصول في الصيام والتراويح والزكاة، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين صـ ١٣ بتصرف وزيادات.

(٢) البقرة: (١٩٥).

وفي الحديث عن النبي ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»[١].

ويُعرف ضرر الصوم علىٰ المريض إما بإحساسه بالضرر بنفسه، وإما بخبر طبيب موثوق به، ومتىٰ أفطر المريض في هذا القسم، فإنه يقضي عدد الأيام التي أفطرها إذا عوفي، فإن مات قبل معافاته سقط عنه القضاء؛ لأن فرضه أن يصوم عدة من أيام أُخر ولم يدركها[٢].

فائدة:

اختلف العلماء في من مات وعليه صيام، وكان قد تمكن من القضاء ولم يقضه حتىٰ مات، علىٰ النحو التالي:

١ - الرأي الأول:

ذهبوا إلىٰ أن من مات وعليه صوم صام عنه وليه، سواء كان صومه عن فرض رمضان أو صوم نذر ونحوه.

واستدلوا بأحاديث منها:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها؟ فقال ﷺ: «**لَوْ كَانَ عَلَىٰ أُمِّكَ دَيْنٌ أَكُنْتَ قَاضِيَهُ عَنْهَا؟**».

قال: نعم.

قال: «**فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ أَنْ يُقْضَىٰ**»[٣].

٢ - الرأي الثاني:

ذهب فريق من العلماء إلىٰ أنه لا يُصام عنه إلا صوم النذر، وأما صوم

---

(١) أخرجه ابن ماجه والحاكم، وقال النووي: وله طرق يقوي بعضها بعضًا.

(٢) المرجع السابق صـ ١٤، ١٥.

(٣) البخاري (١٩٥٣)، ومسلم (١١٤٨).

رمضان، فيكفي في ذلك الإطعام عنه.

واستدلوا بأدلة منها:

بما ورد في بعض طرق حديث ابن عباس السابق، وفيه قول السائل: إن أمي قد ماتت وعليها صوم نذر.

فقالوا:

هذا خاص بالنذر، وهذا مذهب أحمد والليث وإسحاق وأبي عُبيد.

٣- الرأي الثالث:

ذهبوا إلىٰ أنه لا يُصام عن الميت لا نذر ولا غيره، وهذا ما ذهب إليه أبو حنيفة ومالك.

الترجيح: والرأي الراجح هو الرأي الأول لعموم قول الرسول ﷺ «**فَدَيْنُ اللهِ أَحَقُّ بِالْأَدَاءِ**».

وهذا ما رجحه ابن حجر والنووي(١).

قال النووي رحمه الله:

«وهذا القول هو الصحيح المختار الذي نعتقده وهو الذي صححه محققو أصحابنا الجامعون بين الفقه والحديث لهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة».

* * *

ثانيًا: أحكام صيام المسافر

حكم الصوم في السفر:

يقول العلامة ابن عثيمين رحمه الله:

«والمسافر على قسمين:

أحدهما: من يقصد بسفره التحيل علىٰ الفطر، فلا يجوز له الفطر لأن التحيل

(١) فتح الباري (٤/ ١٥٤)، وشرح النووي علىٰ صحيح مسلم (٨/ ٢٥).

علىٰ إسقاط فرائض الله لا يسقطها.

الثاني: من لا يقصد ذلك، فله ثلاث حالات:

الحال الأول: أن يشق عليه الصوم مشقة شديدة فيحرم عليه أن يصوم لأن النبي ﷺ: كان في غزوة الفتح صائمًا، فبلغه أن الناس قد شق عليهم الصيام وأنهم ينظرون فيما فعل، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشربه والناس ينظرون، فقيل له أن بعض الناس قد صاموا، فقال: «**أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ**»[1].

الحال الثانية: أن يشق عليه الصوم مشقة غير شديدة فيكره له الصوم لما فيه من العدول عن رخصة الله تعالىٰ مع الإشقاق علىٰ نفسه.

الحال الثالثة: أن لا يشق عليه الصوم فيفعل الأيسر عليه من الصوم والفطر لقوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ والإرادة هنا بمعنىٰ المحبة، فإن تساويا فالصوم أفضل لأنه فعل النبي ﷺ.

كما في «صحيح مسلم»، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في رمضان في حر شديد حتىٰ إن كان أحدنا ليضع يده علىٰ رأسه من شدة الحر، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة».

والمسافر علىٰ سفر من حين يخرج من بلده حتىٰ يرجع إليها ولو أقام في البلد التي سافر إليها مدة فهو علىٰ سفر ما دام علىٰ نية أنه لن يقيم فيها بعد انتهاء غرضه الذي سافر إليها من أجله فيترخص برخص السفر ولو طالت مدة إقامته؛ لأنه لم يرد عن النبي ﷺ تحديد مدة ينقطع بها السفر، والأصل بقاء السفر وثبوت أحكامه حتىٰ يقوم الدليل علىٰ انقطاعه وانتفاء أحكامه.

---

(١) رواه مسلم.

ولا فرق في السفر الذي يترخص فيه بين السفر العارض كحج وعمرة، وزيارة قريب وتجارة ونحوه، وبين السفر المستمر كسفر أصحاب سيارات الأجرة والتاكسي أو غيرها من السيارات الكبيرة، فإنهم متىٰ خرجوا من بلدهم فهم مسافرون يجوز لهم ما يجوز للمسافرين الآخرين، من الفطر في رمضان، وقصر الصلاة الرباعية إلىٰ ركعتين، والجمع عند الحاجة إليه بين الظهر والعصر وبين المغرب والعشاء، والفطر أفضل لهم من الصيام إذا كان أسهل لهم، ويقضونه في أيام الشتاء؛ لأن أصحاب هذه السيارات لهم بلد ينتمون إليها، فمتىٰ كانوا في بلدهم فهم مقيمون، لهم ما للمقيمين وعليهم ما عليهم، ومتىٰ سافروا فهم مسافرون، لهم ما للمسافرين وعليهم ما علىٰ المسافرين[1].

* * *

ثالثًا: الهَرِم

يجوز إجماعًا الفطر للشيخ الفاني والعجوز الفانية العاجزين عن الصوم في جميع فصول السنة، ولا قضاء عليهما، لعدم القدرة، وعليهما عن كل يوم فدية طعام مسكين، وتستحب الفدية فقط عند المالكية[2] لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍۖ﴾.

قال البخاري:

حدثنا إسحاق، أخبرنا روحٌ، حدثنا زكريا بن إسحاق، حدثنا عمر بن دينار، عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٌ طَعَامُ مِسۡكِينٍۖ﴾.

---

(١) فصول في الصيام والتراويح والزكاة فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين. صـ ١٥: ١٧.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته (٣/ ١٧٠١).

قال ابن عباس:

«ليست منسوخة، هو للشيخ والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان كل يوم مسكينًا»[1].

* * *

رابعًا: أحكام صيام الحامل والمرضع

يُباح للحامل والمرضع الفطر في رمضان، لما ثبت في الحديث: «**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ وَعَنِ الْحَامِلِ أَوْ الْمُرْضِعِ الصَّوْمَ**»[2].

واختلف أهل العلم ماذا عليهما لو أفطرتا، هل تطعم أو تقضي أو تطعم وتقضي[3]؟

وإليك التفصيل:

أقوال العلماء في الحامل والمرضع إذا أفطرتا ماذا عليهما؟

هذه المسألة فيها أربعة مذاهب للعلماء:

القول الأول: أنهما يطعمان ولا قضاء عليهما، وهو مروي عن ابن عمر وابن عباس وسعيد بن جبير.

الثاني: أنهما يقضيان فقط ولا يطعمان، وهو مقابل الرأي الأول، قال به عطاء بن أبي رباح والحسن والضحاك والنخعي، والزهري وربيعة والأوزاعي وأبو حنيفة والثوري وأبو عبيد وأبو ثور وأصحاب الرأي، قال ابن المنذر: وبقول عطاء أقول.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير باب ٢٥ حديث رقم (٤٥٠٥).

(٢) حسن: رواه أبو داود (٢٤٠٨)، والترمذي (٧١٥)، وابن ماجه (١٦٦٧).

(٣) تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (٢/ ١٦٥).

الثالث: أنهما يقضيان ويفديان - يطعمان - وهو قول الشافعي وأحمد، وروي عن مجاهد.

والقول الرابع: أن الحامل تفطر وتقضي ولا فدية، والمرضع تفطر وتقضي وتفدي، وبه قال مالك ورواية عن الشافعي(١).

وسبب اختلافهم تردد شبههما بين الذي يجهده الصوم وبين المريض.

فمن شبههما بالمريض: قال: عليهما القضاء فقط.

ومن شبههما بالذي يجهده الصوم قال: عليهما الإطعام فقط بدليل قراءة من قرأ: (يطوَّقونه فدية طعام مسكين).

وأما من جمع عليهما الأمرين فيشبه أن يكون رأىٰ فيهما من كل واحد شبهًا، فقال: عليهما القضاء من جهة ما فيهما من شبه المريض، وعليهما الفدية من جهة ما فيهما من شبه الذين يجهدهم الصوم.

ويشبه أن يكون شبههما بالمفطر الصحيح، لكن يضعف هذا، فإن الصحيح لا يباح له الفطر.

ومن فرق بين الحامل والمرضع ألحق الحامل بالمريض وأبقىٰ حكم المرضع مجموعًا من حكم المريض وحكم الذي يجهده الصوم، أو شبهها بالصحيح، ثم قال ابن رشد:

«ومن أفرد لها أحد الحكمين أولىٰ - والله أعلم - ممن جمع كما أن من أفردهما بالقضاء أولىٰ ممن أفردهما بالإطعام فقط، لكون القراءة غير متواترة فتأمل هذا فإنه بيّن»(٢).

---

(١) نداء الريان (٢/ ١٢٩).

(٢) بداية المجتهد (٢/ ١٧٦ - ١٧٧).

قال ابن قدامة:

«قال ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهم ولا مخالف لهما من الصحابة: لا قضاء عليهما لأن الآية تناولتهما، وليس فيها إلا الإطعام»(١).

ولأن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنِ الحَامِلِ أَوْ المُرْضِعِ الصَّوْمَ»(٢).

ولنا أنهما يطيقان القضاء، فلزمهما كالحائض والنفساء، والآية أوجبت الطعام ولم تتعرض للقضاء فأخذناه من دليل آخر.

والمراد بوضع الصوم وضعه في مدة عذرهما ولا يشبهان الشيخ الهَرِم؛ لأنه عاجز عن القضاء وهما يقدران.

قال أحمد:

«أذهب إلىٰ حديث أبي هريرة، يعني: ولا أقول بقول ابن عباس وابن عمر في منع القضاء».

قال النووي(٣): «إذا أوجبنا الفدية علىٰ المرضع إذا أفطرت للخوف علىٰ ولدها، فلو استؤجرت لإرضاع ولد غيرها، فالصحيح بل الصواب الذي قطع به القاضي حسين في فتاويه وصاحب التتمة وغيرهما أنه يجوز لها الإفطار وتفدي كما في ولدها».

بل قال القاضي حسين:

«يجب عليها الإفطار إن تضرر الرضيع بالصوم»، واستدل صاحب التتمة

---

(١) المغني لابن قدامة (٤/ ٣٩٥).

(٢) فعن أنس بن مالك الكعبي، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنِ الْمُسَافِرِ شَطْرَ الصَّلَاةِ، وَالصَّوْمَ عَنِ الْمُسَافِرِ وَعَنِ الْمُرْضِعِ وَالْحَامِلِ**» أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود وابن ماجه والبغوي وأحمد، وقال الألباني: إسناده جيد في مشكاة المصابيح (١/ ٦٢٩).

(٣) المجموع للنووي (٦/ ٢٧٤).

بالقياس علىٰ السفر، فإنه يستوي في جواز الإفطار به من سافر لغرض نفسه وغرض غيره وغيرها.

وشذ الغزالي في فتاويه فقال:

«ليس عليها أن تفطر ولا خيار لأهل الصبي». وهذا غلط ظاهر.

قال القاضي حسين:

«وعلىٰ من تجب فدية فطرها في هذا الحال؟ فيه احتمالان أصحهما وجوبها علىٰ المرضع».

قال القاضي: «ولو كان هناك نسوة مراضع فأرادت واحدة أن تأخذ صبيًّا ترضعه تقربًا إلىٰ الله تعالىٰ، جاز لها الفطر للخوف عليه، وإن لم يكن مستعينًا عليها».

مسألة: لو كانت الحامل أو المرضع مريضة أو سافرت، فأفطرت بنية الرخصة في السفر أو المرض.

فليس عليها فدية بلا خلاف بين أهل العلم.

* * *

خامسًا: أحكام صيام المستحاضة(١)

المستحاضة لها ثلاث حالات:

الأولىٰ: أن تكون لها عادة معروفة لديها قبل إصابتها بالاستحاضة بأن كانت قبل الاستحاضة تحيض خمسة أيام أو ثمانية أيام مثلًا في أول الشهر أو وسطه، فتعرف عددها ووقتها، فهذه تجلس قدر عادتها وتدع الصيام وتعتبر لها أحكام

---

(١) الاستحاضة لغة: استفعال من الحيض وهو دم غالب ليس بالحيض. انظر المصباح المنير (١/ ١٥٩).

وشرعًا: سيلان الدم واستمراره في غير زمن الحيض من مرض وفساد من عِرقٍ فمُه في أدنىٰ الرحم يقال له: العازل. فتح الباري (١/ ٤٠٩).

الحيض، فإذا انتهت عادتها اغتسلت وصامت واعتبرت الدم الباقي دم استحاضة لقوله ﷺ لأم حبيبة: «امْكُثِي قَدْرَ مَا كَانَتْ تَحْبِسُكِ حَيْضَتُكِ، ثُمَّ اغْتَسِلِي وَصَلِّي»[(١)].

الثانية: إذا لم يكن لها عادة معروفة لكن دمها متميز بعضه يحمل صفة الحيض بأن يكون أسود أو ثخينًا أو له رائحة وبقيته لا تحمل صفة الحيض، بأن يكون أحمر ليس له رائحة ولا ثخينًا، ففي هذه الحالة تعتبر الدم الذي يحمل صفة الحيض حيضًا.

فتجلس وتدع الصيام وتعتبر ما عداه استحاضة تغتسل عند نهاية الذي يحمل صفة الحيض وتصلي وتصوم وتعتبر طاهرًا لقوله ﷺ لفاطمة بنت حُبيش:

«إِذَا كَانَ دَمُ الحَيْضِ فَإِنَّهُ أَسْوَدُ يُعْرَفُ، فَأَمْسِكِي عَنِ الصَّلَاةِ فَإِذَا كَانَ الْآخَرُ فَتَوَضَّئِي وَصَلِّي»[(٢)].

الثالثة: إذا لم يكن لها عادة تعرفها ولا صفة تميز بها الحيض من غيره فإنها تجلس غالب الحيض ستة أيام أو سبعة أيام من كل شهر؛ لأن هذه عادة غالب النساء.

لقوله ﷺ لحمنة بنت جحش: «إِنَّمَا هِيَ رَكْضَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ فَتَحَيَّضِي سِتَّةَ أَيَّام أَوْ سَبْعَةَ أَيَّامٍ فِي عِلْمِ اللهِ، ثُمَّ اغْتَسِلِي، فَإِذَا رَأَيْتِ أَنَّكِ قَدْ طَهُرْتِ وَاسْتَنْقَأْتِ فَصَلِّي أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً وَأَيَّامَهَا، وَصُومِي وَصَلِّي، فَإِنَّ ذَلِكِ يُجْزِئُكِ، وَكَذَلِكِ فَافْعَلِي كَمَا تَحِيضُ النِّسَاءُ»[(٣)].

والحاصل مما سبق أن المعتادة ترد إلىٰ عادتها، والمميزة ترد إلىٰ العمل بالتمييز، والفاقدة لهما تحيض ستًّا أو سبعًا، وفي هذا جمع بين السنن الثلاث الواردة عن

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حسن: صحيح سنن أبي داود (٢٦٣).

(٣) حسن: صحيح سنن الترمذي (٢٦٧).

النبي ﷺ في المستحاضة[١].

حكم صوم المستحاضة:

المستحاضة صومها صحيح على كل حال، فلا تمنع عن الصوم لأن حكمها حكم الطاهرات.

* * *

سادسًا: أحكام صيام أصحاب الأعمال الشاقة

قال أبو بكر الآجري[٢]: من صنعته شاقة، فإن خاف بالصوم تلفًا أفطر وقضى إن ضره ترك الصنعة، فإن لم يضره تركها أثم بالفطر، وإن لم ينتف التضرر بتركها فلا إثم عليه بالفطر للعذر.

وقرر جمهور الفقهاء أنه يجب على صاحب العمل الشاق كالحصاد والخباز والحداد وعمال المناجم أن يتسحر وينوي الصوم، فإن حصل له عطش شديد أو جوع شديد يخاف منه الضرر جاز له الفطر وعليه القضاء، فإن تحقق الضرر وجب الفطر لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۝٢٩﴾[٣].

* * *

سابعًا: حكم صيام المُكره

يباح الفطر للمستكره وعليه عند الجمهور القضاء وعند الشافعية لا يفطر المستكره.

وإذا وطئت المرأة مكرهة أو نائمة فعليها القضاء[٤].

---

(١) تنبيهات على أحكام تختص بالمؤمنات للشيخ صالح الفوزان (١٧، ١٨) نقلًا من كتاب الفقه الميسر للشيخ سعد يوسف أبو عزيز صـ ٦٢، ٦٣.

(٢) كشاف القناع (٢/ ٣٦١)، وغاية المنتهى (١/ ٣٢٣) نقلًا من كتاب الفقه الإسلامي وأدلته (٣/ ١٧٧٢).

(٣) النساء: (٢٩).

(٤) المرجع السابق (٣/ ١٧٠٢).

الفصل الثاني
فتاوى الصيام

س١: سُئل سماحة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين - عليه رحمة الله -، عن رجل نوىٰ صيام اليوم الثلاثين من شعبان وقال: «إن كان غدًا من رمضان فهو فرضي» فهل يصح صيام هذا اليوم مع أن نيته معلقة؟

الجواب: اختلف العلماء في ذلك، فمنهم من أجازه وقالوا: إن تبين أن هذا اليوم من رمضان فصومه صحيح.

وقال آخرون: صومه لا يصح؛ لأنه لم يجزم.

والظاهر أن بالجواز والصحة أقرب للصواب؛ لأنه هذا هو غاية قدرته، وقد قال سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[1].

وكثير من الناس ينامون في ليلة الثلاثين من شعبان علىٰ هذه النية[2].

التهنئة بقدوم رمضان:

س٢: سئل فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله - حفظه الله -:

عندما يحل شهر رمضان نسمع كثيرًا من الناس يباركون علىٰ بعضهم بقدومه بقولهم: «مبروك عليك شهر رمضان»، فهل لذلك أصل في الشرع؟ أفتونا مأجورين:

فأجاب: التهنئة بدخول شهر رمضان لا بأس بها؛ لأن النبي ﷺ كان يبشر أصحابه بقدوم شهر رمضان، ويحثهم علىٰ الاجتهاد فيه بالأعمال الصالحة، وقد قال الله تعالىٰ:

---

(١) التغابن: (١٦).

(٢) دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي، لفضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين رحمه الله صـ ٨٤٧ ط دار ابن الجوزي ت/ ١٤٢١هـ.

﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾[١].

فالتهنئة بهذا الشهر والفرح بقدومه يدلان علىٰ الرغبة في الخير، وقد كان السلف يبشر بعضهم بعضًا بقدوم شهر رمضان؛ اقتداء بالنبي ﷺ: كما جاء ذلك في حديث سلمان الطويل الذي فيه أن النبي ﷺ قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ! قَدْ أَظَلَّكُمْ شَهْرٌ عَظِيمٌ مُبَارَكٌ**» إلىٰ آخر الحديث[٢].

الأهلة واختلاف المطالع وحساب الفلك:

س٣: سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء[٣].

هل يجوز للمسلم الاعتماد في بدء الصوم ونهايته علىٰ الحساب الفلكي أو لابد من رؤية الهلال؟

ج٣ فأجابت: الشريعة الإسلامية شريعة سمحة، وهي عامة، شاملة أحكامها جميع الثقلين الإنس والجن، علىٰ اختلاف طبقاتهم: علماء وأميين أهل الحضر وأهل البادية، فلهذا سهَّل الله عليهم الطريق إلىٰ معرفة أوقات العبادات، فجعل لدخول أوقاتها وخروجها أمارات يشتركون في معرفتها، جعل زوال الشمس أمارة علىٰ دخول وقت المغرب وخروج وقت العصر، وغروب الشفق الأحمر أمارة علىٰ دخول وقت العشاء مثلًا، وجعل رؤية الهلال بعد استتاره آخر الشهر أمارة علىٰ ابتداء شهر قمري جديد وانتهاء الشهر السابق، ولم يكلفنا معرفة بدء الشهر القمري بما لا يعرفه إلا النزر اليسير من الناس، وهو علم النجوم، أو علم الحساب الفلكي.

وبهذا جاءت نصوص الكتاب والسنة بجعل رؤية الهلال ومشاهدته أمارة علىٰ

---

(١) يونس: (٥٨).

(٢) المنتقىٰ من فتاوىٰ الشيخ صالح فوزان (٣/ ١٢٣).

(٣) فتوىٰ رقم (٣٨٦) فتاوىٰ اللجنة الدائمة ١٠/ ١٠٤ ط مكتبة العبيكان.

بدء صوم المسلمين شهر رمضان، والإفطار منه برؤية هلال شوال، وكذلك الحال في ثبوت عيد الأضحىٰ ويوم عرفات، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[1].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[2].

وقال النبي ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَصُومُوا وَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَأَفْطِرُوا، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ**» فجعل - عليه الصلاة والسلام - الصوم لثبوت رؤية هلال شهر رمضان، والإفطار منه لثبوت رؤية هلال شوال، ولم يربط ذلك بحساب النجوم وسير الكواكب، وعلىٰ هذا جرىٰ العمل زمن النبي ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين والأئمة الأربعة والقرون الثلاثة التي شهد لها النبي ﷺ بالفضل والخير، فالرجوع في إثبات الشهور القمرية إلىٰ علم النجوم في بدء العبادات والخروج منها دون الرؤية من البدع التي لا خير فيها، ولا مستند لها من الشريعة، وإن المملكة العربية السعودية متمسكة بما كان عليه النبي ﷺ والسلف الصالح من إثبات الصيام والإفطار والأعياد وأوقات الحج ونحوها برؤية الهلال، والخير كل الخير في اتباع من سلف في الشئون الدينية، والشر كل الشر في البدع التي أحدثت في الدين.

حفظنا الله وإياك وجميع المسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن

وبالله التوفيق، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	رئيس اللجنة
عبد الله بن منيع	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

---

(١) البقرة: (١٨٥).

(٢) البقرة: (١٨٩).

وسئل فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين - حفظه الله -:

هل يجوز الاعتماد على الحساب في رؤية شهر رمضان؟

فأجاب: جاءت الشريعة بالاعتماد على الرؤية لا على الحساب.

لقوله ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ لَا نَحْسُبُ وَلا نَكْتُبُ، صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا الْعِدَّةَ».

وفي رواية: «فَأَقْدِرُوا لَهُ».

فأخذ العلماء من قوله ﷺ: «إِنَّا أُمَّةٌ أُمِّيَّةٌ...» أنه لا يجوز الاعتماد في شهر شعبان ورمضان إلا على الرؤية فقط.

ولكن قال بعضهم: إذا وُجد زمان قد زالت فيه الأمية التي ذكرها النبي ﷺ، فإنه يصح أن يعتمد الحساب، وهو: أنهم يجعلون شهرًا تامًّا ثلاثين يومًا، وشهرًا ناقصًا تسعة وعشرين يومًا، وهذا في السنة البسيطة، أما في السنة الكبيسة: فيكون سبعة أشهر تامة وخمسة ناقصة.

أما الجمهور، فيقولون: إن الحكم باقٍ ولو زالت الأمية، وصار الناس يحسبون ويكتبون؛ لأنه جعله حكمًا عامًّا، وما كان للنبي ﷺ وصحابته فهو باقٍ لمن بعدهم[1].

وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله:

س٥: إذا رأيت هلال رمضان وتقدمت للإفادة بذلك، ولم يؤيّدني أحد، فهل أصوم أم لا؟

جـ ٥ فأجاب: إذا تقدم الإنسان وذكر للقاضي أو المسؤول أنه رأى هلال رمضان

---

(١) فتاوى الصيام، لابن جبرين (ص٢١).

ولم يُقْبَل منه ولم يُعْمَل برؤيته.

فهذا فيه خلاف بين العلماء:

فقد ذهب الأكثرون إلىٰ أنه يصوم؛ لأنه ثبت الشهر في حقه برؤيته، فيصوم ويسبق الناس بيوم ويفطر معهم إذا أفطروا.

وذهب آخرون من أهل العلم إلىٰ أنه لا يصوم إذا لم يعمل برؤيته؛ لقول النبي ﷺ: «**الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ وَالْفِطْرُ يَوْمَ تُفْطِرُونَ وَالْأَضْحَىٰ يَوْمَ تُضَحُّونَ**»، وهذا اليوم لم يصمه المسلمون فلا يصومه هو، وهذا هو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وجماعة من أهل العلم، وهو أظهر في الدليل؛ لقول النبي ﷺ: «**الصَّوْمُ يَوْمَ تَصُومُونَ**»، والمسلمون لم يصوموا فتصبح شهادته لاغية في حقه وحق غيره فلا يصوم، هذا هو الأرجح[1] والله ولي التوفيق.

صوم يوم الشك:

سئل الشيخ / ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ:

س٦: وقع اشتباه في صيام اليوم الأول من رمضان، فبعض الناس صامه والبعض الآخر صام إلىٰ نصف النهار وأفطر عندما رأىٰ الآخرين مفطرين، وعندما تأكد للمسئولين أن هذا اليوم أول أيام رمضان، وأمروا بقضاء هذا اليوم، فهل صيام من أتم صيام هذا اليوم جائز أم يقضي هذا اليوم؟

جـ ٦ فأجاب: الذي ينبغي، أن تقضي هذا اليوم لأنك صمت علىٰ غير أساس، ومن صام علىٰ غير أساس فإنه لا يجزئ صومه، فهو صام بدون أن يثبت الهلال، ومن كان كذلك فإنه يجب عليه أن يقضي هذا اليوم عند أكثر أهل العلم،

---

(١) مجموع فتاوىٰ سماحة الشيخ / عبد العزيز بن باز (٣/ ١٧٦، ١٧٧).

والأمر هين في ذلك ولله الحمد، فما هو إلا يوم واحد، والله الموفق[(١)].

جماع الزوجة يوم الشك:

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ:

س٧: رجل جامع زوجته في يوم الشك، ولم يعلما أنه أول يوم من رمضان إلا بعد صدور الفتوىٰ بذلك، فما عليهما؟

ج٧ فأجاب: ليس عليهما إثم ولا كفارة لأنهما غير عالمين بأن هذا اليوم من الشهر، والأصل بقاء شعبان حتىٰ يتبين دخول شهر رمضان، وعليه فإن من جامع زوجته في الثلاثين من شعبان ثم بعد ذلك تبين أنه من رمضان فإنه لا شيء عليه، أي: لا شيء عليه من الكفارة، وأما القضاء فأمره هين، والله الموفق[(٢)].

وسئلت اللجنة الدائمة[(٣)]:

س٨: هل نية صوم رمضان تجب ليلًا أو نهارًا كما إذا قيل لك في وقت الضحىٰ: إن هذا اليوم من رمضان تقضيه أم لا؟

جـ ٨: يجب تبييت نية صوم شهر رمضان ليلًا قبل الفجر، ولا يجزئ بدون نية صومه من النهار، فمن علم وقت الضحىٰ أن هذا اليوم من رمضان فنوىٰ الصوم وجب عليه الإمساك إلىٰ الغروب، وعليه القضاء؛ لما رواه ابن عمر عن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ فَلَا صِيَامَ لَهُ**»[(٤)].

(١، ٢) فقه العبادات لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين صـ ١٨٥.

(٣) فتاوىٰ اللجنة الدائمة فتوىٰ رقم (٤٣٥٢) (ج ١٠/ ٢٤٤).

(٤) أحمد (٦/ ٢٨٧)، وأبو داود (٢/ ٨٢٣ - ٨٢٤) برقم (٢٤٥٤)، والترمذي (٣/ ١٠٨) برقم (٧٣٠)، والنسائي (٤/ ١٩٦ - ١٩٨) برقم (٢٣٣١ - ٢٣٤٣)، وابن ماجه (١/ ٥٤٢) برقم (١٧٠٠)، والدارمي (٢/ ٧)، والدارقطني (٢/ ١٧٢، ١٧٣)، وابن خزيمة (٣/ ٢١٢) برقم (١٩٣٣)، والطحاوي بشرح معاني الآثار (٢/ ٥٤)، =

رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن وابن خزيمة وابن حبان وصححاه مرفوعًا. هذا في الفرض، أما في النفل فتجوز نية صومه نهارًا إذا لم يكن أكل أو شرب أو جامع بعد الفجر؛ لأنه ثبت عن النبي ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أنه دخل عليها ذات يوم ضحىً، فقال: «هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟» فقالت: لا. فقال: «إِنِّي إِذًا صَائِمٌ». [خرجه مسلم في «صحيحه»] وبالله التوفيق - وصلِّ اللهم علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

سُئل فضيلة الشيخ/ ابن عثيمين - عليه رحمة الله -:

س٩: هل ورد عن الرسول ﷺ دعاء خاص يقوله من رأىٰ الهلال؟ وهل يجوز لمن سمع خبر الهلال أن يدعو به ولو لم ير الهلال؟

جـ٩: نعم يقول: الله أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام، والتوفيق لما تحبه وترضاه، ربي وربك الله، هلال خير ورشد. فقد جاء في ذلك حديثان عن رسول الله ﷺ فيهما مقال قليل، وظاهر الحديث أنه لا يدعىٰ بهذا الدعاء إلا حين رؤية الهلال، أما من سمع به ولم يره فإنه لا يشرع له أن يقول ذلك[1].

وسئلت اللجنة الدائمة[2]:

س١٠: عن رجل رأىٰ هلال رمضان في بلده وبدأ الصوم، ثم سافر إلىٰ بلد آخر، ودخل عليه ٢٨ رمضان وأهل تلك البلدة رأوا هلال شوال، فهل يصلي معهم العيد مع أن مدة صيامه ٢٨ يومًا؟

=

والبيهقي (٤/ ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٢١) والبغوي في شرح السنة (٦/ ٢٦٨) برقم (١٧٤٤).

(١) ٤٨ سؤال في الصيام أجاب عليها فضيلة الشيخ / ابن عثيمين صـ٣٦، ٣٧.

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة فتوىٰ رقم (٣٥٩٤) مجلد (١٠) صـ١٢٨.

جـ ١٠: العبرة في بدء صيام رمضان برؤية الهلال في مطلعه بجهته يوم كان في بلده، وكذلك الحال في الفطر فتعتبر رؤية هلال شوال في البلد الذي سافر إليه، وعلىٰ ذلك يجب أن يفطر ويصلي العيد مع من في البلد الذي رئي فيه هلال شوال، وهو بين أظهرهم، ويقضي ما نقص من أيام صومه حتىٰ يكون ما صامه تسعة وعشرين يومًا؛ لأن الشهر يكون ٢٩ أحيانًا و٣٠ أحيانًا.

وبالله التوفيق وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبدالله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

كل مسلم يصوم ويفطر مع مسلمي بلده:

سُئل فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله - حفظه الله -[(١)]:

س١١: إذا ثبت دخول رمضان في إحدىٰ الدول الإسلامية كالمملكة مثلًا، في بلاد أخرىٰ لم يعلن دخوله: فما الحكم؟ هل نصوم مع المملكة؟ وما الأمر إذا اختلف الأمر في الدولتين؟

جـ ١١: فأجاب: كل مسلم يصوم ويفطر مع المسلمين الموجودين في بلده، وعلىٰ المسلمين أن يهتموا برؤية الهلال في قطرهم الذي هم فيه، ولا يصوموا برؤية قطر آخر يبعد عن قطرهم؛ لأن المطالع تختلف، وإذا قدِّر أن بعض المسلمين في دولة غير إسلامية، وليس حولهم من المسلمين من يهتم برؤية الهلال فلا بأس أن

---

(١) المنتقىٰ من فتاوىٰ الشيخ صالح بن فوزان (٣/ ١٢٤).

يصوموا مع المملكة العربية السعودية.

راكب الطائرة متى يفطر؟

وسُئلت اللجنة الدائمة(١):

س١٢: الصائم إذا كان في الطائرة واطلع بواسطة الساعة وبالتليفون عن إفطار البلد القريب منه فهل له الإفطار؟ علمًا بأنه يرىٰ الشمس بسبب ارتفاع الطائرة أم لا؟ ثم كيف الحكم إذا أفطر بالبلد ثم أقلعت به الطائرة فرأىٰ الشمس؟

جـ ١٢: إذا كان الصائم في الطائرة واطلع بواسطة الساعة والتليفون عن إفطار البلد القريبة منه وهو يرىٰ الشمس بسبب ارتفاع الطائرة فليس له أن يفطر؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾(٢)، وهذه الغاية لم تتحقق في حقه ما دام يرىٰ الشمس، وأما إذا أفطر بالبلد بعد انتهاء النهار في حقه فأقلعت الطائرة ثم رأىٰ الشمس فإنه يستمر مفطرًا؛ لأن حكمه حكم البلد التي أقلع منها، وقد انتهىٰ النهار وهو فيها.

وبالله التوفيق وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

سئلت اللجنة الدائمة:(٣) المذي هل يفسد الصيام؟

س١٣: في أحد أيام رمضان كنت جالسًا بجوار زوجتي ونحن صيام حوالي

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة الفتوىٰ رقم (١٦٩٣) (١٠/ ١٣٦، ١٣٧).

(٢) البقرة: (١٨٧).

(٣) فتاوىٰ اللجنة الدائمة فتوىٰ رقم (٩٢٢٢) (١٠/ ٢٧٣).

نصف ساعة وكنا نمزح، وبعد أن ابتعدت عنها وجدت علىٰ سروالي نقطة مبتلة خارجة من الذكر، وقد تكررت مرة ثانية أرجو إفادتي هل علي كفارة؟

جـ ١٣: إذا كان الواقع كما ذكرت، فليس عليك قضاء ولا كفارة مراعاة للبقاء مع الأصل إلا أن يثبت أن ذلك البلل مني، فعليك الغسل والقضاء دون كفارة.

وبالله التوفيق وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

استمناء الصائم:

وسئلت اللجنة الدائمة(١):

س١٤: إذا تحركت شهوة المسلم في نهار رمضان ولم يجد طريقًا إلا أن يستمني، فهل يبطل صومه، وهل عليه قضاء أو كفارة في هذه الحالة؟

جـ ١٤: الاستمناء في رمضان وغيره حرام، لا يجوز فعله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝﴾(٢)، وعلىٰ من فعله في نهار رمضان وهو صائم أن يتوب إلىٰ الله، وأن يقضي صيام ذلك اليوم الذي فعله فيه، ولا كفارة؛ لأن الكفارة إنما وردت في الجماع خاصة.

---

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (ج١٠ص٢٥٦) فتوىٰ رقم (٢١٩٢).

(٢) سورة المعارج، الآيات: (٢٩ - ٣١).

سئل فضيلة الشيخ/ ابن عثيمين - عليه رحمة الله - [١]:

س١٥: ما حكم الحقنة الشرجية التي يحقن بها المريض وهو صائم؟

جـ ١٥ فأجاب: الحقنة الشرجية التي يحتقن بها المرضىٰ عند الإمساك اختلف فيها أهل العلم، فذهب بعضهم إلىٰ أنها مفطرة بناءً علىٰ كل ما يصل إلىٰ الجوف فهو مفطر.

وقال بعضهم: إنها ليست مفطرة، وممن قال بذلك شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: «إن هذا ليس أكلًا ولا شربًا ولا بمعنىٰ الأكل والشرب».

والذي رأىٰ أن ينظر إلىٰ رأي الأطباء في ذلك، فإذا قالوا: إن هذا كالأكل والشرب وجب إلحاقه به وصار مفطرًا.

وإذا قالوا: إنه لا يعطي الجسم ما يعطي الأكل والشرب، فإنه لا يكون مفطرًا.

وسئل رحمه الله:

س١٦: هل الإبر والحقن العلاجية في نهار رمضان تؤثر علىٰ الصيام؟

جـ١٦: فأجاب: الإبر العلاجية قسمان:

أحدهما: ما يقصد به التغذية ويستغنىٰ به عن الأكل والشرب، لأنها بمعناه فتكون مفطرة؛ لأن نصوص الشرع إذا وجد المعنىٰ الذي تشمل عليه صورة من الصور حكم علىٰ هذه الصورة بحكم ذلك النص.

أما القسم الثاني: وهو الإبر التي لا تغذي أي لا يستغنىٰ بها عن الأكل والشرب فهذه لا تفطر؛ لأنه لا ينالها النص لفظًا ولا معنىٰ، فهي ليست أكلًا ولا شرابًا ولا بمعنىٰ الأكل والشرب، والأصل صحة الصيام حتىٰ يثبت ما يفسده

---

(١) دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي صـ ٨٥٢.

بمقتضىٰ الدليل الشرعي.

وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ:

س١٧: ما حكم استعمال الصائم للروائح العطرية في نهار رمضان؟

جـ ١٧: فأجاب: لا بأس أن يستعملها في نهار رمضان وأن يستنشقها إلا البخور لا يستنشقه؛ لأن له جرم يصل إلىٰ المعدة وهو الدخان.

وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ:

س١٨: هل يجوز وضع الحناء للشعر أثناء الصيام والصلاة لأني سمعت بأن الحناء تفطر الصائم؟

جـ ١٨: فأجاب: هذا لا صحة له، فإن وضع الحناء أثناء الصيام لا يفطر ولا يؤثر علىٰ الصائم شيئًا كالكحل وكقطرة الأذن وكالقطرة في العين، فإن ذلك كله لا يضر الصائم ولا يفطره.

وأما الحناء أثناء الصلاة فلا أدري كيف يكون هذا السؤال إذ أن المرأة التي تصلي لا يمكن أن تتحنا، ولعلها تريد أن الحناء هل يمنع صحة الوضوء إذا تحنت المرأة؟ والجواب: أن ذلك لا يمنع صحة الوضوء؛ لأن الحناء ليس له جرم يمنع وصول الماء وإنما هو لون فقط، والذي يؤثر علىٰ الوضوء هو ما يكون له جسم يمنع وصول الماء، فإنه لا بد من إزالته حتىٰ يصح الوضوء.

الأكل نسيانًا!

وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ:

س١٩: ما حكم من أكل أو شرب ناسيًا، وهل يجب علىٰ من رأه يأكل أو يشرب ناسيًا أن يذكره بصيامه؟

جـ١٩ فأجاب: من أكل أو شرب ناسيًا وهو صائم فإنَّ صيامه صحيح لكن

إذا تذكر يجب عليه أن يقلع حتىٰ إذا كانت اللقمة أو الشربة في فمه فإنه يجب عليه أن يلفظها، ودليل تمام صومه قول النبي ﷺ فيما ثبت عنه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ نَسِيَ وَهُوَ صَائِمٌ فَأَكَلَ أَوْ شَرِبَ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ»(١). ولأن النسيان لا يؤاخذ به المرء في فعل محظور؛ لقوله تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾(٢) فقال الله تعالىٰ: «قَدْ فَعَلْتُ».

أما من رآه فإنه يجب عليه أن يذكره؛ لأن هذا من تغيير المنكر، وقال ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»(٣)، ولا ريب أن أكل الصائم وشربه حال صيامه من المنكر، ولكنه يعفىٰ عنه حال النسيان لعدم المؤاخذة، أما من رآه فإنه لا عذر له في ترك الإنكار عليه(٤).

ابتلاع النخامة هل يفطر الصائم؟

س٢٠: سُئل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين - حفظه الله - ما حكم ابتلاع النخامة؟ ومتىٰ يفطر الصائم إذا ابتلعها؟

جـ ٢٠ فأجاب: يحرم علىٰ الصائم بلع النخامة وذلك لاستقذارها والنخامة تارة تنزل من الرأس إلىٰ الحلق وتارة تخرج من الصدر، وفي كلا الحالتين: فإنه يحرم علىٰ الصائم ابتلاعها.

فإن اخرجها من صدره مثلًا ثم وصلت إلىٰ فمه، ثم أعادها، ففي هذه الحالة تكون مفطرة؛ لأنه قد ابتلع شيئًا له جرم مع التمكن من إلقائها ومع كراهة

---

(١) صحيح: أخرجه البخاري (٤/ ١٩٣٣)، ومسلم (١١٥٥).

(٢) البقرة: (١٨٦).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) فقه العبادات لفضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين صـ ٢١٥، ٢١٦.

ابتلاعها حتىٰ لغير الصائم فهي مستقذرة طبعًا.

أما إن نزلت إلىٰ حلقه وابتلعها مع ريقه فلا يفطر بها مع تحريم ابتلاعها في الصيام[١].

صيام المريض الذي لا يرجى برؤه:

س٢١: وسئل فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين - حفظه الله -: هل يجب الصيام علىٰ المريض الذي لا يرجىٰ برؤه؟

جـ٢١: فأجاب: المريض الذي لا يرجىٰ برؤه يفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا.

قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[٢].

يقول بعض العلماء: إن هذه الآية في الشيخ الكبير والمريض الذي لا يرجىٰ بُرْؤُه، فيفطر ويطعم عن كل يوم مسكينًا.

وقد نُقِل ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم كابن عباس وغيره من الصحابة، وفعل ذلك أنس في آخر حياته.

فدل ذلك علىٰ أن عندهم فيه دليلًا، فإن أنسًا لما كبر سنه، قبل موته بسنتين أو بثلاث صعب عليه الصوم، فكان إذا دخل رمضان جمع ثلاثين مسكينًا وأطعمهم حتىٰ يشبعوا واكتفىٰ بذلك عن الصوم[٣].

س٢٢: وسئل فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبد الله - حفظه الله -: الدكتور الذي يأمر بالإفطار، هل يسمع أي دكتور كان أو يشترط فيه أن يكون مسلمًا؟

جـ٢٢: فأجاب: إذا كان الطبيب متخصصًا في المهنة وصادقًا فيها، وقال

---

(١) فتاوىٰ الصيام لابن جبرين (٨٧).

(٢) البقرة: (١٨٤).

(٣) فتاوىٰ الصيام لابن جبرين (٨١، ٨٢).

للمريض إن الصوم يضرك فإنه يفطر ولو كان الطبيب غير مسلم - إذا لم يوجد غيره - وخصوصًا إذا كان المريض بحاجة إلىٰ الفطر [١].

متى يسقط صيام رمضان عن الكبير؟

س٢٣: وسئل فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين - حفظه الله - [٢]: متىٰ يسقط صيام رمضان عن الكبير؟

جـ ٢٣ فأجاب: متىٰ عجز الكبير عن الصيام سقط عنه وانتقل إلىٰ الإطعام، وعليه يُحْمَل قوله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [٣] فإن بلغ سنًّا لا عقل ولا معرفة لديه سقط عنه علىٰ الصحيح إلىٰ غير بدل لإلحاقه بمن رُفِعَ عنه القلم، فهو أولىٰ بالسقوط عن الصغير.

س٢٤: وسئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله: يوجد عندنا امرأة كبيرة السن لا تطيق الصوم فماذا تفعل؟

جـ ٢٤: فأجاب: عليها أن تطعم مسكينًا عن كل يوم نصف صاع من قوت البلد من تمر أو أرز أو غيرهما، مقداره بالوزن كيلو ونصف علىٰ سبيل التقريب كما أفتىٰ بذلك جماعة من أصحاب النبي ﷺ، ومنهم ابن عباس - رضي الله عنه وعنهم - فإن كانت فقيرة لا تستطيع الإطعام فلا شيء عليها وهذه الكفارة يجوز دفعها لواحد أو أكثر في أول الشهر أو وسطه أو آخره.

وبالله التوفيق [٤]

---

(١) المنتقىٰ من فتاوىٰ الشيخ صالح بن فوزان (١/ ٣٤).

(٢) فتاوىٰ الصيام لابن جبرين صـ ٨٠.

(٣) البقرة: (١٨٤).

(٤) مجموع فتاوىٰ سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز (٣/ ٢٣٥، ٢٣٦).

وسُئلت اللجنة الدائمة[١]:

س٢٥: إني مريض بالسكر والصيام يؤثر علي وعمري اثنتان وسبعون سنة، وعندي بعض السهو في الصلاة ويجوز أن يكون من تأثير السكر والتفكير؟

ج ٢٥: إن كنت عرفت بالتجربة أن الصيام يزيد مرضك أو يؤخر برءك منه أو أخبرك طبيب مسلم مأمون حاذق بأن الصيام يضرك فأفطر، وعليك القضاء بعد الشفاء، وإن استمر بك المرض - لا قدر الله - ولم تستطع معه القضاء وغلب علىٰ ظنك أنه لا يزول، فأطعم عن كل يوم أفطرته مسكينًا نصف صاع من بر أو تمر أو أرز أو نحوها من الأطعمة التي تطعمها أهلك، نسأل الله لنا ولك التوفيق والشفاء.

وسُئلت أيضًا[٢]:

س٢٦: أسأل فضيلتكم عن الإطعام للعاجز في رمضان كالشيخ العاجز والمرأة العاجزة من كبر، ثم المريض الذي لا يشفىٰ، ثم الحامل والمرضع التي إذا صامت نشف لبنها عن ابنها.

ج٢٦: **أولًا**: من عجز عن صوم رمضان لكبر سن كالشيخ الكبير والمرأة العجوز أو شق عليه الصوم مشقة شديدة رخص له في الفطر، ووجب عليه أن يطعم عن كل يوم مسكينًا، نصف صاع من بر أو تمر أو أرز أو نحو ذلك مما يطعمه أهله، وكذا المريض الذي عجز عن الصوم أو شق عليه مشقة شديدة ولا يرجىٰ برؤه؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٣]، وقوله: ﴿وَمَا جَعَلَ

---

(١) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١٠) (١٨٣) فتوىٰ رقم (٢١٤٣).

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١٠/ ١٦٠، ١٦١) فتوىٰ رقم (٢٧٧٢).

(٣) سورة البقرة، الآية: (٢٨٦).

عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[(١)]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾[(٢)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «نزلت رخصة في الكبير والمرأة الكبيرة وهما لا يطيقان الصيام أن يفطرا ويطعما عن كل يوم مسكينًا»[(٣)] اهـ.

والمريض الذي يعجز عن الصوم أو يشق عليه مشقة شديدة، ولا يرجىٰ برؤه حكمه حكم الشيخ الكبير الذي لا يقوىٰ علىٰ الصوم.

ثانيًا: أما الحامل التي تخاف ضررًا علىٰ نفسها أو علىٰ حملها من الصوم، والمرضع التي تخشىٰ ضررًا علىٰ نفسها أو رضيعها من الصوم، فعليهما فقط أن يقضيا ما أفطرتا فيه من الأيام كالمريض الذي يرجىٰ برؤه إذا أفطر.

وبالله التوفيق وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

سئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

س٢٧: ما حكم استعمال التحاليل في نهار رمضان إذا كان صاحبه مريضًا؟

جـ ٢٧: فأجاب: لا بأس بها، لا بأس أن يستعمل الإنسان التحاليل التي

---

(١) سورة الحج، الآية: (٧٨).

(٢) سورة البقرة، الآية: (١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري بلفظ قريب منه (٥/ ١٥٥)، وأبو داود (٢/ ٧٣٨)، برقم (٢٣١٨)، والدارقطني (٢/ ٢٠٥) ورواه بلفظ أطول ابن جرير في التفسير (٣/ ٤٢٥) برقم (٢٧٥٢، ٢٧٥٣) (ط: شاكر) وابن الجارود (غوث المكدود...) (٢/ ٣٣ - ٣٤)، برقم (٣٨١)، والبيهقي (٤/ ٢٣٠)، وانظر إرواء الغليل (٤/ ١٧ - ٢٥) برقم(٩١٢).

تكون من دبره إذا كان مريضًا، لأن هذا ليس أكلًا ولا شربًا ولا بمعنىٰ الأكل والشرب، والشارع إنما حرم علينا الأكل والشرب، فما كان قائمًا مقام الأكل والشرب يعطىٰ حكم الأكل والشرب، وما ليس كذلك فإنه لا يدخل في الشرب لفظًا ولا معنًىٰ فلا يثبت له حكم الأكل والشرب[1].

وسئل فضيلته - عليه رحمة الله -:

س٢٨: بعض الناس مصاب بالربو ويحتاج إلىٰ استعمال البخاخة أثناء صيامه فما حكم ذلك؟

جـ ٢٨: فأجاب: اختناق النفس يصيب بعض الناس - نسأل الله لنا ولهم العافية - فيستعمل دوائين، دواء يسمىٰ (كبسولات) يستعملها فهذه تفطر؛ لأنه دواء ذو جرم يدخل إلىٰ المعدة ولا يستعمله الصائم في رمضان إلا في حالة الضرورة، وإذا استعمله في حال الضرورة فإنه يكون مفطرًا يأكل ويشرب بقية يومه، ويقضي يومًا بدله، وإذا قدر أن هذا المرض مستمر دائمًا معه، فإنه يكون كالشيخ الكبير أن يطعم عن كل يوم مسكينًا ولا يجب عليه الصوم.

والنوع الثاني من دواء الربو غاز ليس فيه إلا هواء يفتح مسام الشرايين حتىٰ يتنفس بسهولة، فهذا لا يفطر ولا يفسد الصوم، وللصائم أن يستعمله وصومه صحيح[2].

سئل سماحة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله[3].

س٢٩: يقول الرسول ﷺ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ

(١) فتاوىٰ الحرم المكي صـ٨٦٨.

(٢) دروس وفتاوىٰ الحرم المكي صـ٨٦٩.

(٣) فقه العبادات صـ٢٠٩.

أَبْوَابُ النَّارِ»، فهل معنىٰ ذلك أن من يموت في رمضان يدخل الجنة بغير حساب؟

جـ ٢٩: فأجاب: ليس الأمر كذلك، بل معنىٰ هذا أن أبواب الجنة تفتح تنشيطًا للعاملين ليتسنىٰ لهم الدخول، وتغلق أبواب النار لأجل انكفاف أهل الإيمان عن المعاصي حتىٰ لا يلجوا هذه الأبواب، وليس معنىٰ ذلك أن من مات في رمضان يدخل الجنة بغير حساب، إنما الذين يدخلون الجنة بغير حساب هم الذي وصفهم الرسول ﷺ في قوله: «**هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَكْتَوُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**»، مع قيامهم بما يجب عليهم من الأعمال الصالحة.

تناول الحبوب:

وسُئل رَحِمَهُ اللَّهُ:

س٣٠: تعمد بعض النساء أخذ حبوب في رمضان لمنع الدورة الشهرية - الحيض - والرغبة في ذلك حتىٰ لا تقضي فيما بعد، فهل هذا جائز؟ وهل في ذلك قيود حتىٰ تعمل بها هؤلاء النساء؟

جـ٣٠: فأجاب: الذي أراه في هذه المسألة ألا تفعله المرأة وتبقىٰ علىٰ ما قدره الله عَزَّوَجَلَّ وكتبه علىٰ بنات آدم، فإن هذه الدورة الشهرية لله تعالىٰ حكمة في إيجادها، هذه الحكمة تناسب طبيعة المرأة، فإذا منعت هذه العادة فإنه لاشك يحدث منها رد فعل ضار علىٰ جسم المرأة، وقد قال النبي ﷺ: «**لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ**»[1]، هذا بقطع النظر عما تسببه هذه الحبوب من أضرار علىٰ الرحم كما ذكر

(١) صحيح: روي من حديث عبادة بن الصامت، وابن عباس، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وجابر، وعائشة، وثعلبة بن أبي مالك، وأبي لبابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم. انظر الإرواء (٨٩٦).

ذلك الأطباء، فالذي أرىٰ في هذه المسألة أن النساء لا يستعملن هذه الحبوب، والحمد لله علىٰ قدره وعلىٰ حكمته إذا أتاها الحيض تمسك عن الصوم والصلاة، وإذا طهرت تستأنف الصيام والصلاة وإذا انتهىٰ رمضان تقضي ما فاتها من الصوم.

الحامل والمرضع:

وسئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

س٣١: ماذا علىٰ الحامل أو المرضع إذا أفطرتا في رمضان؟ وماذا يكفي إطعامه من الأرز؟

جـ٣١: فأجاب: لا يحل للحامل أو المرضع أن تفطر في نهار رمضان إلا للعذر، فإن أفطرتا للعذر وجب عليهما قضاء الصوم؛ لقوله تعالىٰ في المريض: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1] وهما بمعنىٰ المريض.

وإن كان عذرهما الخوف علىٰ المولود، فعليهما مع القضاء إطعام مسكين لكل يوم، من البر أو الأرز أو التمر أو غيرهما من قوت الآدميين.

وقال بعض العلماء: ليس عليهما سوىٰ القضاء علىٰ كل حال لأنه ليس في إيجاب الإطعام دليل من الكتاب والسنة.

والأصل براءة الذمة حتىٰ يقوم الدليل علىٰ شغلها، وهذا مذهب أبي حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو قوي.

لم تقض خوفاً على رضيعها:

وسُئل رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

س٣٢: امرأة وضعت في رمضان، ولم تقض بعد رمضان لخوفها علىٰ

---

(١) البقرة: (١٨٥).

رضيعها، ثم حملت وأنجبت في رمضان القادم، هل يجوز لها أن توزع نقودًا بدل الصوم؟

جـ ٣٢: فأجاب: الواجب علىٰ المرأة أن تصوم بدل الأيام التي أفطرتها ولو بعد رمضان الثاني؛ لأنها إنما تركت القضاء بين الأول والثاني للعذر، ولا أدري هل يشق عليها أن تقضي في زمن الشتاء يومًا بعد يوم، وإن كانت ترضع فإن الله يقويها ولا يؤثر ذلك عليها ولا علىٰ لبنها، فلتحرص ما استطاعت علىٰ أن تقضي رمضان الذي مضىٰ قبل أن يأتي رمضان الثاني، فإن لم يحصل لها فلا حرج عليها أن تؤخره إلىٰ رمضان الثاني[(١)].

سئلت اللجنة الدائمة[(٢)]:

س٣٣: أيهما أفضل الصوم في السفر أو الفطر؟

جـ٣٣: لقد دلت الأحاديث الكثيرة الصحيحة من أقواله وأفعاله ﷺ علىٰ أن الفطر للمسافر أفضل من الصوم وجدت مشقة أو لم توجد، وإن الصيام في حقه جائز؛ لما روىٰ الإمام مسلم رحمه الله عن حمزة بن عمرو الأسلمي أنه قال: يا رسول الله، أجد فِيَّ قوة علىٰ الصيام في السفر، فهل علي من جناح؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللهِ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ»**[(٣)].

---

(١) فقه العبادات صـ٢١٨، صـ٢١٩.

(٢) فتاوىٰ اللجنة الدائمة (١٠/ ٢٠٩) فتوىٰ رقم (٢٣٧٦).

(٣) رواه بهذا اللفظ مسلم (٢/ ٧٩٠) برقم (١١٢١)، والنسائي (٤/ ١٨٧) برقم (٢٣٠٣)، والدارقطني (٢/ ١٨٩ - ١٩٠)، وابن حبان (٨/ ٣٣٢) برقم (٣٥٦٧)، وابن خزيمة (٣/ ٢٥٨ - ٢٥٩) برقم (٢٠٢٦)، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٢/ ٧١) والطبري في التفسير (٣/ ٧٢) برقم (٢٨٩١) ت شاكر، والطبراني (٣/ ١٧٢) برقم (٢٩٨٠)، والبيهقي (٤/ ٢٤٣).

الاعتكاف وشروطه:

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ[١]:

س٣٤: هل الاعتكاف في شهر رمضان سنة مؤكدة؟ وما شروطه في غير رمضان؟

جـ٣٤: فأجاب: الاعتكاف في رمضان سنة، فعله النبي ﷺ في حياته واعتكف أزواجه من بعده، وحكىٰ أهل العلم إجماع العلماء علىٰ أنه مسنون، ولكن الاعتكاف ينبغي أن يكون علىٰ الوجه الذي من أجله شرع، وهو أن يلزم الإنسان مسجدًا لطاعة الله سبحانه وتعالىٰ بحيث يتفرغ من أعمال الدنيا إلىٰ طاعة الله بعيدًا عن شؤون دنياه، ويقوم بأنواع الطاعة من صلاة وذكر وغير ذلك، وكان رسول الله ﷺ يعتكف ترقبًا لليلة القدر، والمعتكف يبعد عن أعمال الدنيا، فلا يبيع ولا يشتري ولا يخرج من المسجد ولا يتبع جنازة ولا يعود مريضًا، وأما ما يفعله بعض الناس من كونهم يعتكفون ثم يأتي إليهم الزوار أثناء الليل وأطراف النهار، وقد يتخلل ذلك أحاديث محرمة فذلك مناف لمقصود الاعتكاف.

ولكن إذا زاره أحد من أهله وتحدث عنده فذلك لا بأس به، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه زارته صفية وهو معتكف فتحدثت عنده[٢].

المهم أن يجعل الإنسان اعتكافه تقربًا إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

زكاة الفطر تتبع الإنسان أينما كان:

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ:

س٣٥: هل يجوز للإنسان أن يخرج زكاة الفطر في بلده علمًا بأنه الآن في مكة،

---

(١) فقه العبادات صـ٢٢٤.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري (٤/ ٢٠٣٨)، ومسلم (٣١٧٥).

وقد حان وقت إخراجها؟

جـ٣٥: فأجاب: زكاة الفطر تتبع الإنسان، فإذا جاء وقت الفطر وأنت في بلد فأدِّ زكاة الفطر وأنت في ذلك البلد، فإذا كنت مثلًا من أهل المدينة وجاء عليك العيد وأنت في مكة فأخرج زكاة الفطر في مكة، وإذا كنت من أهل مكة وجاء العيد وأنت في المدينة، فأخرج زكاة الفطر في المدينة، وكذلك لو كنت من أهل مصر مثلًا أو الشام أو العراق، وجاء العيد وأنت في مكة فأخرج الزكاة في مكة، وإذا كنت من أهل مكة وجاء الفطر في مصر أو الشام أو العراق، فأخرج الزكاة في تلك البلاد[1].

هل يجوز إخراج زكاة الفطر لحمًا؟

وسئل رَحِمَهُ اللَّهُ:

س٣٦: بعض أهل البوادي ليس عندهم طعام يخرجونه لزكاة الفطر، فهل يجوز لهم الذبح من المواشي وتوزيعها علىٰ الفقراء؟

جـ٣٦: فأجاب: لا يصح ذلك؛ لأن النبي ﷺ فرضها صاعًا من طعام واللحم يوزن ولا يكال، قال ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر وصاعًا من شعير».

وقال أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «كنا نخرجها في زمن النبي ﷺ صاعًا من طعام، كان طعامنا التمر والشعير والزبيب والأقط».

ولهذا كان القول الراجح من أقوال أهل العلم أن زكاة الفطر لا تجزئ من الدراهم ولا من الثياب ولا من الفرش.

---

(١) فتاوىٰ الشيخ محمد الصالح العثيمين (١/ ٤٦٨).

ولا عبرة بقول من قال من أهل العلم: إن زكاة الفطر تجزئ من الدراهم؛ لأنه ما دام بين أيدينا نص عن النبي ﷺ فإنه لا قول لأحد بعده ولا استحسان للعقول في إبطال الشرع، والله عز وجل لا يسألنا عن قول فلان وفلان يوم القيامة، وإنما يسألنا عن قول الرسول ﷺ؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾(1).

فتصور نفسك واقفًا بين يدي الله يوم القيامة، وقد فرض عليك على لسان رسوله ﷺ أن تؤدي زكاة الفطر من الطعام، فهل يمكنك إذا سئلت يوم القيامة: ماذا أجبت رسول الله ﷺ في فرض هذه الصدقة؟ فهل يمكنك أن تدافع عن نفسك وتقول: والله هذا مذهب فلان وهذا قول فلان؟

الجواب: لا. ولو أنك قلت ذلك لم ينفعك.

فالصواب بلا شك: أن زكاة الفطرة لا تجزئ إلا من الطعام وأن أي طعام يكون قوتًا للبلد فإنه مجزئ، وإذا رأيت أقوال أهل العلم في هذه المسألة وجدت أنها طرفان ووسط:

فطرف يقول: أخرجها من الطعام، وأخرجها من الدراهم، وطرف آخر يقول: لا تخرجها من الدراهم ولا تخرجها من الطعام إلا من خمسة أصناف فقط وهي البر والتمر والشعير والزبيب والأقط وهذان القولان متقابلان.

وأما القول الوسط فيقول: أخرجها من كل ما يطعمه الناس ولا تخرجها مما لا يطعمه الناس، فأخرجها من البر والتمر والأرز والذرة، إذا كنت في مكان يقتات الناس فيه الذرة وما أشبه ذلك، حتى لو فرض أننا في أرض يقتات أهلها اللحم فإننا نخرجها من اللحم.

---

(1) القصص: (٦٥).

وبناءً علىٰ ذلك، يتبين أن ما ذكره السائل من إخراج أهل البوادي للحم بدلًا عن زكاة الفطر فلا يجزئ عن زكاة الفطر [1].

والله ولي التوفيق

* * *

(١) فتاوىٰ الشيخ محمد الصالح العثيمين (١/ ٤٦٥ - ٤٦٧).

الباب السادس

جدول أعمال المسلم في رمضان

جدول أعمال المسلم في رمضان

«حسن نظام العمل يحقق نيل الأمل» وحتىٰ نحافظ علىٰ كل لحظة من لحظات رمضان، لابد أن نضع بنود نسير عليها في أيام وليالي رمضان من خلال:

«جدول أعمال المسلم الصائم في رمضان».

واعلموا أن رسول الله ﷺ قال: «**أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ**»[(١)].

وكان من هديه ﷺ في شهر رمضان الإكثار من أنواع العبادات، فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يُدارسه القرآن في رمضان، وكان إذا لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

«وكان أجود الناس وأجود ما يكون في رمضان»[(٢)] وكان ﷺ يُكثر فيه من الصدقة والإحسان وتلاوة القرآن والصلاة والذكر والاعتكاف، وكان يخص رمضان من العبادة بما لا يخص غيره به من الشهور، حتىٰ إنه كان ليواصل فيه أحيانًا؛ ليُوفر ساعات ليله ونهاره علىٰ العبادة، وكان ينهىٰ أصحابه عن الوصال فيقولون له إنك تواصل فيقول: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ إِنِّي أَبِيتُ**- وفي رواية: **إِنِّي أَظَلُّ - عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي**»[(٣)].

أسأل الله أن يتقبل مني ومنكم صالح الأعمال وأن يرزقنا وإياكم الإخلاص والقبول، واسمحوا لي أن أذكر لكم جدول أعمال المسلم الصائم في رمضان من

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦١٠٠) مسلم (٧٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (٤/ ٩٩) ومسلم (٢٣٠٧) من حديث عبد الله بن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ١٧٩) في الصوم باب (التنكيل لمن أكثر الوصال)، ومسلم (١١٠٣) (٥٨) في الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم من حديث أبي هريرة أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٠١) في الصيام باب النهي عن الوصال في الصيام.

الاستيقاظ إلىٰ النوم، وهو برنامج يومي حياتي يصلح للمسلم في رمضان وبعد رمضان.

أيها الإخوة:

إننا بحاجة إلىٰ تحديد الأهداف التي نعيش بها في رمضان ثم رسم الطريق لتحقيق هذه الأهداف، ثم وضع خطة للتقويم - تقويم العمل - ثم متابعة تحصيل الثمار.

إن الناس اليوم إذا أراد أحدهم أن يقوم بمشروع يستثمر فيه أمواله فإنه قبل كل شيء لابد أن يقوم بعمل دراسة جدوىٰ، وقبل أن يجتمع المجتمعون في أي اجتماع ذي شأن لابد أن يضعوا برنامج عمل، أو «جدول أعمال» هذا في عرف أهل الدنيا هذا أصل عندهم، أفلا يكون هذا أصلًا عند أهل الآخرة لا سيما وهم يطلبون أغلىٰ شيء وهو الجنة؟ فهم أولىٰ:

نعم، والله أهل الآخرة أحق أن يقوموا بعمل «جدول أعمال» لرمضان يطبقون بنوده بجدية وصدق وإخلاص، ويقفون كل ليلة في رمضان مع أنفسهم؛ لأن لله تعالىٰ في كل ليلة عتقاء من النار، فلابد أن يكون في كل ليلة وقفة، هل أنا في هذا اليوم كنت ممن أعتق وماذا أفعل لأتدارك ما فات من عتق ومغفرة؟ اللهم اعتق رقابنا من النار. اهـ[(١)].

وإليكم جدول الأعمال بالتفصيل:

١ - الاستيقاظ قبل الفجر بساعتين:

قال تعالىٰ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[(٢)].

---

(١) نقلًا من أسرار المحبين صـ ٩٧ - ٩٨ بتصرف.

(٢) الذاريات: (١٧ - ١٨).

وقال تعالىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾[١].

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[٢].

أيها الحبيب كفانا نوم:

فـــما أطـــال النـــوم عمـــر ... ولا قصر في الأعـمار طـول الـسهر[٣]

يـــا نـــائمًا بالليـــل كـــم ترقـــد ... قـــم يـــا حبيـــب قـــد دنـــا الموعـــد

وخـــذ مـــن الليـــل وأوقاتـــه ... وردًا إذا مـــا هجـــع الرُقـــد

مـــن نـــام حتـــىٰ ينقـــضي ليلـــه ... لم يبلـــغ المنـــزل أو يجهـــد

اهـ

قال رجل لإبراهيم بن أدهم: «إني لا أقدر علىٰ قيام الليل فصف لي دواء فقال: لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل، فإن وقوفك بين يديه بالليل من أعظم الشرف والعاصي لا يستحق ذلك الشرف»[٤] اهـ.

٢- الدعاء عند الاستيقاظ:

قال ﷺ: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ»[٥].

ويقول: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ»[٦].

---

(١) السجدة: (١٦).

(٢) الزمر: (٩).

(٣) لطائف المعارف صـ ٤٢ ابن رجب طبع دار الدعوة الإسكندرية نقلًا من كتاب رهبان الليل صـ ١٦٢ المجلد الثاني.

(٤) تنبيه المغترين صـ ٣٤ نقلًا من رهبان الليل صـ ٢٢٤ المجلد الثاني.

(٥) حديث حسن.

(٦) متفق عليه: بخاري (١١/ ٩٧) في الدعوات ومسلم (١/ ٢٧) في الذكر.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَارَّ - التعار: اليقظة علىٰ الصوت - مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ للهِ وَسُبْحَانَ اللهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»(١).

ويقول: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، رَبِّ اغْفِرْ لِي»(٢).

وقال ابن عباس عنه ﷺ ليلة مبيته عنده: إنه لما استيقظ رفع رأسه إلىٰ السماء وقرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة «آل عمران» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾ إلىٰ آخرها(٣).

ثم قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالْبَعْثُ حَقٌّ وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ»(٤).

---

(١) رواه البخاري.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٣/ ١٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (٨/ ١٧٦، ١٧٧) في التفسير ومسلم (٧٦٣) (١٩١) في صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه من حديث ابن عباس.

(٤) أخرجه البخاري (١١٢٠) في أول التهجد و(١٣/ ٣١٥) في التوحيد باب قول الله تعالىٰ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ

٣- غسل اليدين عند الاستيقاظ من النوم وقبل الوضوء:

قال ﷺ: «وَإِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلْيَغْسِلْ يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُدْخِلَهُمَا فِي وَضُوئِهِ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ يَدَاهُ»[(١)].

٤- الاستنثار ثلاثًا:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَنَامِهِ فَلْيَسْتَنْثِرْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَبِيتُ عَلَىٰ خَيَاشِيمِهِ»[(٢)].

٥- قراءة خواتيم «آل عمران» وهم عشر آيات:

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه رقد عند رسول الله ﷺ: فاستيقظ فتسوك وتوضأ وهو يقول[(٣)]: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٤)].

نقرأ هذه الآيات حتىٰ ختام السورة... الحديث.

٦- التسوك بالسواك:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»[(٥)]،

=

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ و٢٩١ فيه أيضًا باب قوله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ ومسلم (٧٦٩) في صلاة المسافرين وأحمد (١/ ٣٥٨) من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قام من الليل يقول... وقوله: «قَيِّمُ السَّمَوَاتِ» وفي رواية «قَيَّامُ السَّمَوَاتِ» قال قتادة: القيام: القائم بنفسه بتدبير خلقه المقيم لغيره، وقوله: «أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي منورهما وبك يهتدي من فيهما ومثله قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

(١) جزء من حديث صحيح رواه الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١٦٢).

(٢) صحيح مسلم (٢٣/ ٢٣٨).

(٣) صحيح: رواه الإمام مسلم.

(٤) آل عمران: (١٩٠).

(٥) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد في مسنده عن حذيفة والإسناد عند البخاري كله كوفيون.

قال في «الفتح»: الشوص بالفتح: الغسل والتنظيف.

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ «كان لا يتعار من الليل إلا أجرىٰ السواك علىٰ فيه».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ «كان لا ينام إلا والسواك عند رأسه، فإذا استيقظ بدأ بالسواك»(١).

قالت عائشة رضي الله عنها: «كُنا نعد له سواكه وطهوره، فيبعثه الله ما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ويتوضأ»(٢).

قال الإمام النووي رحمه الله:

«قولها: «كنا نعد له سواكه وطهوره»: فيه استحباب ذلك والتأهب بأسباب العبادة قبل وقتها، والاعتناء بها، قولها: «فيتسوك ويتوضأ»: فيه استحباب السواك عند القيام من النوم»(٣).

وهناك أحاديث كثيرة جدًّا في فضل السواك، ولأهمية السواك في حياة المسلم سوف نقف مع هذه الفوائد:

الفائدة الأولى: تعريف السواك:

لغة السواك: مأخوذ من ساك إذا دلك يقال: «ساك فاه يسوكه سوكًا».

ويقال: استاك وتسوك واستن وشاص فاه.

وفي الاصطلاح: استعمال عود أو نحوه في الأسنان ليذهب الصفرة وغيرها اتباعًا لسنة النبي ﷺ.

ويطلق السواك علىٰ الفعل وعلىٰ العود الذي يُستاك به، ويستحب أن يكون

---

(١) حسن: رواه أحمد وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٤٧٤٨).

(٢) رواه مسلم.

(٣) انظر: شرح أحاديث عمدة الأحكام الحديث التاسع عشر نقلًا من موقع صيد الفوائد.

السواك من شجر الأراك[١].

الثانية: من فوائد استعمال السواك:

١- الفائدة العظمىٰ لاستعمال السواك هي أنه من سنته ﷺ: التي أمر بها وحض عليها، بل وواظب عليها، فكان ﷺ يُحب السواك، وكان يستاك مفطرًا وصائمًا، ويستاك عند الانتباه من النوم وعند الوضوء وعند الصلاة وعند دخول المنزل، بل ويستاك حتىٰ في آخر لحظات حياته ﷺ[٢].

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، قالت عائشة رضي الله عنها: «إن الله جمع بين ريقي وريقه ﷺ عند الموت، دخل عليَّ عبد الرحمن وبيده سواك، وأنا مسندة رسول الله ﷺ إلىٰ صدري، فرأيته ينظر إلىٰ السواك وأنا أعرف أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك يا رسول الله، فأشار برأسه - أن نعم - فتناولته فأخذته ومضغته، ثم لينته، ثم طيبته، ثم أعطيته لرسول الله ﷺ، فاستاك به جيدًا، فلما انتهىٰ أخذت السواك وأخذت امتص من السواك ريق رسول الله ﷺ، فكان هذا هو آخر عهدي بريق المصطفىٰ ﷺ ...» الحديث.

وفي رواية قالت رضي الله عنها: «دخل عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما ومعه سواك رطب، فنظر إليه أي رسول الله ﷺ فظننت أن له فيه حاجة، قالت: فأخذته فمضغته ونفضته وطيبته ثم دفعته إليه، فاستن كأحسن ما رأيته مستنًا قط، ثم

---

(١) شجرة الأراك تشبه شجرة الرمان وهي جميلة دائمة الخضرة طوال العام، وهي قصيرة يتراوح طولها ما بين مترين وخمسة أمتار، والأراك هو الشجر الذي يؤخذ السواك من فروعه وجذوره، يقول صاحب لسان العرب: «الأراك شجر معروف وهو شجر السواك يستاك بفروعه» وقال ابن شميل: «الأراك شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الورق والأغصان خوارة العود تنبت بالغور تتخذ منها المساويك» ابن منظور المصري لسان العرب ج (١٠) صفحة (٣٨٩) ط (١) دار صادر بيروت.

(٢) زاد المعاد (١/ ١٧٤) باختصار.

ذهب يرفعه إليّ فسقط من يده»[١].

فاستعمال السواك فيه اتباع لرسول الله ﷺ، وأنت تعلم أيها الحبيب أن محبة الله تعالىٰ منوطة باتباع الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾[٢]، فالواجب علينا معاشر المسلمين اتباعه ﷺ في جميع ما يحبه ويرضاه، قال الصنعاني - صاحب سبل السلام -:

«فوا عجبًا لسنة تأتي فيها الأحاديث الكثيرة ثم يهملها كثير من الناس هذه خيبة عظيمة».

٢- رضا الرب جل في علاه، فعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «**السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ**»[٣].

٣- السواك من خصال الفطرة: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**عَشْرٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ الْمَاءِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ**[٤]**، وَنَتْفُ الإِبِطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ**» يعني الاستنجاء، قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون «**الْمَضْمَضَةُ**»[٥]، وذكر ابن القيم رحمه الله عدة منافع في السواك وهي: «يطيب الفم ويشد اللثة، ويقطع البلغم ويجلو البصر، ويصح المعدة ويصفي الصوت، ويعين علىٰ هضم الطعام ويسهل مجاري الكلام، وينشط للقراءة والذكر والصلاة،

---

(١) رواه البخاري (٤٠٩٤) (١٣/ ٣٥٩)، وأحمد (٢٣٠٨٣) - (٨٩/ ٢٣٩)، واللفظ لأحمد.

(٢) آل عمران: (٣١).

(٣) رواه البخاري معلقًا في باب السواك الرطب واليابس للصائم (٧/ ١٨)، ورواه النسائي (٥) (١/ ١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٩٥).

(٤) البراجم: جمع برجمة وهي عقد الأصابع ومفاصلها كلها.

(٥) حسن: صحيح مسلم (٢٦١ - ٢٢٣/ ١).

ويطرد النوم ويرضي الرب، ويعجب الملائكة ويكثر الحسنات».

ولقد أكدت الأبحاث المخبرية الحديثة أن السواك يحتوي علىٰ فوائد طبية مهمة جدًّا، فالسواك غني بالمواد المطهرة والمنظفة والقابضة والمانعة للنزيف الدموي والعفونة والقاتلة للجراثيم، وهو يحتوي علىٰ مواد عديدة ومفيدة لا توجد بأي معجون، وأن المواد التي ثبت وجودها في السواك أكثر من ٢٥ مادة طبيعية لا غنىٰ عنها في سلامة الأسنان وصحتها ونضارتها، ومن أجل هذه الفوائد الموجودة في السواك عمدت بعض الشركات إلىٰ إنتاج معجون أسنان بمواد مستخلصة من السواك.

الثالثة: مواضع تأكد السواك:

والسواك مستحب في كل حال، ويتأكد استحبابه في المواضع الآتية:

١- عند الوضوء: عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **«لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ الْوُضُوءِ»**[(١)].

٢- عند الصلاة: عن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: **«لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي لَأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»**[(٢)].

وقوله ﷺ: **«عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»** «صلاة» نكرة فتفيد العموم فيدخل في ذلك صلاة الفرض والنفل وسواء توضأ الإنسان أو تيمم لعدم وجود الماء أو لتعذر استعماله.

٣- عند قراءة القرآن الكريم: عن علي ﵁ قال: أمرنا بالسواك وقال: **«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ يُصَلِّي أَتَاهُ مَلَكٌ فَقَامَ خَلْفَهُ يَسْتَمِعُ الْقُرْآنَ وَيَدْنُو، فَلَا يَزَالُ يَسْمَعُ**

---

(١) صحيح: انظر صحيح الجامع الصغير (٥٣١٦)، وأحمد (الفتح الرباني) (١٧١/ ٢٩٤/ ١).

(٢) متفق عليه: بخاري (٨٨٧/ ٣٧٤/ ٢)، ومسلم (٢٥٢/ ٢٢٠/ ١)، وفي الحديث شدة شفقته ﷺ بأمته وحرصه عليهم.

وَيَدْنُو حَتَّىٰ يَضَعَ فَاهُ عَلَىٰ فِيهِ، فَلَا يَقْرَأُ آيَةً إِلَّا كَانَتْ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ، فَطَهِّرْ»[1].

وفي رواية: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا تَسَوَّكَ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَامَ الْمَلَكُ خَلْفَهُ فَتَسَمَّعَ لِقِرَاءَتِهِ فَيَدْنُو مِنْهُ - أو كلمة نحوها - حَتَّىٰ يَضَعَ فَاهُ عَلَىٰ فِيهِ، فَمَا يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا صَارَ فِي جَوْفِ الْمَلَكِ، فَطَهِّرُوا أَفْوَاهَكُمْ لِلْقُرْآنِ»[2].

٤- عند دخول البيت: عن المقدام بن شريح عن أبيه قال: «سألت عائشة قلت: بأي شيء كان يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته؟ قالت: بالسواك» وهذا الحديث فيه أدب نبوي يتمثل فيه حسن معاشرة الأهل، فيبدأ بالسواك أول ما يدخل بيته ﷺ...

٥- عند الاستيقاظ من النوم: للأحاديث السابق ذكرها.

وكذلك عند النوم لأن الإنسان إذا نام وفي أسنانه شيء من بقايا الطعام أو الشراب أثر ذلك عليه وتسبب في نمو بعض البكتريا والجراثيم...إلخ، وبعد الأكل لتنظيف الأسنان من بقايا الطعام حتىٰ لا تسبب الروائح الكريهة للفم، وكذلك يتأكد استعماله عند اصفرار الأسنان وعند الامتناع عن التدخين...إلخ.

وللصائم أن يتسوك في أي وقت فلا يكره السواك للصائم.

٧- عليك بالطيب لقيام الليل:

عن أنس قال: «كان للنبي ﷺ إناء يعرض عليه سواكه، فإذا قام من الليل خلا واستنجىٰ واستاك وتوضأ ثم تطلب الطيب في رباع نسائه»[3].

---

(١) حديث صحيح لغيره: انظر الصحيحة (١٢١٣)، والبيهقي (٣٨/ ١).

(٢) رواه البزار وقال الهيثمي: رجاله ثقات، ورواه ابن المبارك في الزهد، والحديث أورده الألباني في الصحيحة تحت رقم (١٢١٣).

(٣) مختصر قيام الليل صـ ٤٨ نقلًا من رهبان الليل المجلد الأول صـ ٢٤٣.

٨- إيقاظ الأهل والأحبة:

قال تعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[(١)].

عن أم سلمة زوج النبي ﷺ: أن رسول الله ﷺ استيقظ ليلة فزعًا يقول: **«سُبْحَانَ اللهِ مَاذَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ الخَزَائِنِ، وَمَاذَا أُنْزِلَ مِنَ الْفِتَنِ؟ مَنْ يُوقِظُ صَوَاحِبَ الحُجُرَاتِ - يُرِيدُ أَزْوَاجَهُ ﷺ - لِكَيْ يُصَلِّينَ؟ رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الْآخِرَةِ»**[(٢)].

وقال ﷺ: **«رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّىٰ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَإِنْ أَبَىٰ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ المَاءَ»**[(٣)].

إن عباد الرحمن[(٤)] لا يكفيهم أنهم يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا فحسب، بل ويرجون ذرية تسير علىٰ نهجهم، وأن تكون لهم أزواجًا من نوعيتهم، فتقر بهم أعينهم وتطمئن لهم قلوبهم، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِىٍٕ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾﴾[(٥)].

وتأمل معي قول الرسول الكريم ﷺ: **«مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»**[(٦)] اهـ.

وكان عمر بن الخطاب يصلي من الليل ما شاء الله حتىٰ إذ كان نصف الليل

---

(١) طه: (١٣٢).

(٢) صحيح البخاري (٧٠٦٩).

(٣) صحيح: رواه أبو داود وغيره.

(٤) انظر: أسرار المحبين للشيخ/ محمد حسين يعقوب صـ ٢١٧ باختصار.

(٥) الطور: (٢١).

(٦) أخرجه أبو داود (١٤٥١)، وصححه الألباني (١٢٨٨) في صحيح أبي داود.

أيقظ أهله للصلاة ثم يقول لهم: الصلاة الصلاة ويتلو:

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١).

٩- الوضوء:

قال ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ» قالوا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَىٰ الْمَكَارِهِ...**»(٢).

وعلىٰ المسلم أن يستشعر معاني الوضوء الجميلة، فالوضوء الصحيح يكون سببًا لغسل الخطايا والذنوب بإذن الله تعالىٰ.

فعن عبد الله الصنابحي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا تَوَضَّأَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ فَتَمَضْمَضَ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ فِيهِ، فَإِذَا اسْتَنْثَرَ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ أَنْفِهِ، فَإِذَا غَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجْتِ الخَطَايَا مِنْ وَجْهِهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَشْفَارِ عَيْنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ يَدَيْهِ، حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ يَدَيْهِ، فَإِذَا مَسَحَ بِرَأْسِهِ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ رَأْسِهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ أُذُنَيْهِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتِ الخَطَايَا مِنْ رِجْلَيْهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أَظْفَارِ رِجْلَيْهِ، ثُمَّ كَانَ مَشْيُهُ إِلَىٰ الْمَسْجِدِ وَصَلَاتُهُ نَافِلَةً لَهُ**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ:

«**إِنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ فَلْيَفْعَلْ**»(٤).

---

(١) طه: (١٣٢).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه مالك والنسائي وابن ماجه والحاكم، وقال: صحيح علىٰ شرطهما.

(٤) رواه البخاري ومسلم.

صفة وضوء النبي ﷺ:

عن حُمران مولىٰ عثمان، أن عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوء فتوضأ، فغسل كفيه ثلاث مرات ثم مضمض واستنثر ثم غسل وجهه ثلاث مرات، ثم غسل يده اليمنىٰ إلىٰ المرفق ثلاث مرات، ثم غسل يده اليسرىٰ مثل ذلك، ثم مسح رأسه ثم غسل رجله اليمنىٰ إلىٰ الكعبين ثلاث مرات، ثم غسل اليسرىٰ مثل ذلك، ثم قال: رأيت سول الله ﷺ توضأ نحو وضوئي هذا، ثم قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

قال ابن شهاب:

«وكان علماؤنا يقولون: هذا الوضوء أسبغ ما يتوضأ به أحد للصلاة».

ولا ننس التسمية في أوله فهي من شروط صحته ولا يشرع التلفظ بها لعدم ثبوته عن النبي ﷺ.

قال ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَا وُضُوءَ لَهُ وَلَا وُضُوءَ لِـمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ**»(٢).

ولا ننس الدعاء بعده، قال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ الْوُضُوءَ ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ**»(٣).

وزاد الترمذي: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ**»(٤).

---

(١) متفق عليه: البخاري (١/ ١٦٤/ ٢٦٦) مسلم، (١/ ٢٠٤/ ٢٢٦).

(٢) حسن: صحيح ابن ماجه صـ ٣٢٠.

(٣) صحيح مسلم صـ ١٤٣ مختصر.

(٤) صحيح الترمذي (٤٨).

١٠ - أن تصلي ما تيسر لك من الصلاة ركعتين ركعتين:

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾[(١)].

قال ﷺ: «**أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ المَكْتُوبَةِ قِيَامُ اللَّيْلِ**»[(٢)].

أيها الأحبة: قيام الليل عبادة جليلة وقربة عظيمة وشريعة ربانية وسنة نبوية وخصلة حميدة ومدرسة إيمانية وخلوة برب البرية، ففيه قُرب الرب من عبده القائم، قال ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**»[(٣)].

وفيه شهود لنزول الرحمن: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[(٤)].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[(٥)].

يورث «قيام الليل» جنات ونهرًا في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

عن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَغُرَفًا يُرَىٰ ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا**» فقام: إليه أعرابي، فقال لمن هي يا رسول الله - ﷺ -؟

قال: «**هِيَ لِـمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّىٰ للهِ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ**»[(٦)].

---

(١) الفرقان: (٦٤).

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الترمذي بسند صحيح.

(٤) الشورىٰ: (١١).

(٥) متفق عليه.

(٦) رواه الترمذي بسند حسن.

وقال ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(١).

قيام الليل سبب لتثبيت القرآن في الصدر:

عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا قَامَ صَاحِبُ الْقُرْآنِ فَقَرَأَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ذَكَرَهُ، وَإِذَا لَمْ يَقُمْ بِهِ نَسِيَهُ»(٢).

قال ﷺ: «مَنِ اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ»(٣).

وقال ﷺ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَىٰ قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّىٰ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ»(٤).

فحافظ أيها الحبيب علىٰ قيام الليل فهو مدرسة الإخلاص، قال قتادة: «كان يقال: قلما سهر الليل منافق».

وهو شرف المؤمن: «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل».

من ثمرات قيام الليل:

دعوة تُستجاب، وذنب يُغفر، ومسألة تُقضىٰ، وزيادة في الإيمان والتلذذ

---

(١) رواه ابن ماجه بسند صحيح.

(٢) رواه مسلم.

(٣) صحيح.

(٤) رواه البخاري.

بالخشوع للرحمن، وتحصيل للسكينة ونيل الطمأنينة، واكتساب الحسنات ورفعة الدرجات، والظفر بالنضارة والحلاوة والمهابة وطرد الأدواء من الجسد.

فمن منا مستغن عن مغفرة الله وفضله، ومن منا لا تضره الحاجة؟

ونستطيع أن نلخص فوائد قيام الليل بالآتي(١):

١- أن الإنسان عندما يقوم الليل يكون هذا أخلص لربه جل وعلا؛ لأنه يكون في وقت سر لا يطلع عليه أحد.

٢- أنه أشق على النفس، ولذلك يكون الأجر أكثر، فالأجر على قدر المشقة.

٣- مع خلو البال من مشاغل الحياة، وسكون الليل والفراغ من الدنيا والكد فيها، يكون القلب أكثر مواطأة وموافقة للسان في الذكر.

٤- أن الليل موطن لتنزل الرحمات ولنزول رب الأرض والسموات، فعظمت العبادة فيه.

٥- أن قيام الليل عبادة جامعة لطهارة القلب. اهـ.

وتتميمًا للفائدة: هذه بعض الأسباب المفيدة - إن شاء الله تعالى - على قيام الليل:

أولاً: الأسباب الظاهرة(٢):

١- قلة الطعام وعدم الإكثار منه: حاول أن تقلل من كمية الطعام، فقلة الطعام سحاب، وإذا قل الأكل مُطِرَ القلب الحكمة، أما يرعبك حديث رسول الله ﷺ:

«أَقْصِرْ مِنْ جُشَائِكَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شِبَعًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرُهُمْ جُوعًا فِي الْآخِرَةِ»(٣).

---

(١) انظر: أسرار المحبين للشيخ / محمد حسين يعقوب صـ٢١٨ باختصار وتصرف.

(٢) المرجع السابق صـ٢١٩ إلى ٢٢٥ باختصار وتصرف وزيادات.

(٣) أخرجه الحاكم (٤/ ١٣٥)، وحسنه الألباني (١١٧٩) في صحيح الجامع.

رأي معقل بن حبيب قومًا يأكلون كثيرًا، فقال: «ما نرىٰ أصحابنا يريدون يصلون الليلة».

وقال وهب بن منبه: «ليس من بني آدم أحب إلىٰ شيطانه من الأكول النوام».

وقال أبو سليمان الداراني: «من شبع دخلت عليه ست آفات: فقد حلاوة المناجاة، وتعذر عليه حفظ الحكمة، وحرمان الشفقة علىٰ الخلق، وثقل العبادة وزيادة الشهوات، وإن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد، والشباعون يدورون حول المزابل».

٢- ألا تتعب نفسك بالنهار بما لا فائدة فيه، وعليك بالاقتصاد في الكد نهارًا، فلا تتعب نفسك بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب، فإن ذلك مجلبة للنوم، وعليك بالقصد في هذه الأعمال وأن تتجنب فضول الكلام وفضول المخالطة التي تشتت القلوب.

٣- ألا تترك القيلولة بالنهار بما لا فائدة فيه، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قِيلُوا فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ**»[(١)].

٤- ألا ترتكب الذنوب والأوزار بالنهار فتحرم القيام بالليل.

قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد، إني أبيت معافىٰ وأحب قيام الليل، وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك.

وقال الثوري: حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته، قيل: وما هو؟ قال: رأيت رجلًا يبكي، فقلت في نفسي: هذا مراءٍ.

رحمهم الله، قلت ذنوبهم، فعلموا من أين أتوا، ونحن كثرت ذنوبنا فلم ندر

---

(١) أخرجه الطبراني (١/ ١٣) في الأوسط، وحسنه الألباني (١٦٤٧) في السلسلة الصحيحة.

من أين أتينا.

وقال الفضيل بن عياض: «إذا لم تقدر علىٰ قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مكبل كبلتك خطيئتك».

٥- طيب المطعم: قال بعض العلماء: «إذا صمت يا مسكين، فانظر عند من تفطر، وعلىٰ أي شيء تفطر، فإن العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود إلىٰ حالته الأولىٰ، فالذنوب كلها تورث قساوة القلب، وتمنع من قيام الليل، وأخصه بالتأثير تناول الحرام».

ولذلك قال بعضهم: «كم من أكلة منعت قيام الليل، وإن العبد ليأكل أكلة فيحرم قيام الليل سنة».

٦- عدم المبالغة في حشو الفراش: فإن مما يعين علىٰ قيام الليل عدم المبالغة في حشو الفراش؛ لأنه سبب لكثرة النوم والغفلة ومجلبة للكسل والدعة، ولقد كان فراش رسول الله ﷺ من الحصير الذي خطَّ في جنبه، وكانت وسادته التي ينام عليها ليلًا من أدم حشوها ليف.

فلا تتدثر بالبطاطين وتضع المدفأة إلىٰ جوارك علىٰ سرير وثير مريح، فأنت بذلك تستعد لنوم طويل لن تستطيع الاستيقاظ منه أبدًا، تعمد أن يكون نومك غير مريح حتىٰ تستطيع القيام بسهولة.

٧- النوم علىٰ الجانب الأيمن والوضوء والتسوك قبل النوم وأذكار النوم، هذه سنة النبي ﷺ والأحاديث فيها محفوظة مشهورة فاعمل ولا تكسل.

أما الميسرات الباطنة للقيام فهي:

١- الإخلاص: إذا اطلع الخبير علىٰ ما في الضمير فلم يجد غير الخبير أقامك بين يديه في الدياجي، فإن قيامك في الليل علامة من علامات المحبة لله، وهي

عبادة عنوانها وتاجها الإخلاص.

يا أخي... كم من سراج قد أطفأته الريح، وكم من عبادة أفسدها العجب، وساعة يزري العبد فيها علىٰ نفسه خير له من عبادة يدل فيها بعمله، وأضر الطاعات علىٰ العبد ما أنسته مساويه وذكرته حسناته.

٢- يقينك أن الكبير المتعال هو الذي يدعوك للقيام: إنها دعوة من السماء ويكفي أنها من الله لتلبي وتنفذ، كفاك جزاء علىٰ الطاعة أن رضيك لها أهلًا، انظر إلىٰ حديث رسول الله ﷺ: «**يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[1].

قف بوادي الذل.. وقل في الدياجي: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾.

٣- نعم الرجل إن كان يقوم من الليل: قال رسول الله ﷺ: «**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللهِ إِنْ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ**»[2].

فمن كان يصلي من الليل يوصف بكونه نعم الرجل، وهذه شهادة غالية عالية من الحبيب محمد ﷺ، وقد ساق إليك عشرات الأحاديث في فضائل المتهجدين، فكيف تضيع علىٰ نفسك أن تكون منهم!!

٤- يقينك أنك بعين الله: الله يسمع ويرىٰ صلاتك بالليل، هان سهر الحراس لما سمعوا أن أصواتهم بسمع الملك، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّـٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[3].

---

(١) أخرجه البيهقي وصححه الألباني (٨٠٢١) في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه أحمد وصححه الألباني (٦٧٧١) في صحيح الجامع.

(٣) الشعراء: (٢١٨-٢١٩).

٥- نبيك ﷺ قام، وأنت تنام!!: كان ﷺ يقوم الليل حتىٰ تتفطر قدماه، وكان لا يترك القيام وهو مريض ولا في سفر، وأنه ﷺ ما ترك القيام في وقت الجهاد، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكيف بك وقد ضج الليل من نومك وفجت الأرض من معاصيك.

٦- وضع الجنة نصب عينيك، ويقينك بأن التهجد يورثك أعلىٰ الجنان وتفكرك فيما أعد الله للمتهجدين في الغرف من نعيم الجنة ووقوفك طويلًا مع أخبار المتهجدين في ليلهم ونومهم مع الحور العين.

٧- وضع النار وعذابها وأغلالها وأنكالها نصب عينيك أيضًا، فمن سهر هنا في طاعة الله متهجدًا باكيًا مناجيًا، لا يسعر في النار مع الضريع والزقوم والغسلين، وسهر الليل بالقيام أهون من مقامع الحديد وشرب الصديد.

٨- النوم علىٰ نية القيام للتهجد.

٩- سؤال المولىٰ عز وجل ودعاؤه أن يمن عليك بالقيام.

١٠- علمك بمدىٰ اجتهاد الصحابة الكرام في القيام.

١١- معرفة مدىٰ اجتهاد نساء السلف في القيام: لك بالرجال أسوة؟!!... أتسبقك وأنت رجل نسوة؟!!

١٢- الشيطان يمنعك من القيام أتطيعه؟!!

١٣- سلامة القلب من الحقد علىٰ المسلمين ومن البدع وعن فضول الدنيا.

١٤- أن تعرف فضل قيام الليل.

١٥- خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل.

١٦- دوام محاسبة النفس وتوبيخها علىٰ قيام الليل إن فرطت فيه.

١٧- النبي ﷺ كان يتفقد أصحابه ويوقظهم للقيام.

١٨- علمك ببكاء السلف وتحسرهم علىٰ فوات القيام.

١٩- اتهام النفس بالتقصير في القيام وقولك لها: قومي يا مأوىٰ كل سوء، فلأنت أحق بالضرب من شر الدواب، أيظن أصحاب محمد أن يستأثروا به دوننا.. كان الرجل من السلف لا يأتي فراشه إلا زحفًا، ومع هذا يعاتب نفسه علىٰ التقصير في حق ربه.

٢٠- معاقبة النفس علىٰ ترك القيام ومنعها من لذاتها أيامًا والتصدق بالمال، نام الصحابي تميم الداري ليلة فلم يقم للتهجد، فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع.

٢١- الزهد في الدنيا، فمن زهد في الدنيا وتقلل منها، وصحب الدنيا ببدنه صارت روحه معلقة بالملأ الأعلىٰ، وعلق قلبه بالآخرة، صفىٰ وقته بمناجاة ربه في القيام، واتخذ القرآن دثارًا وشعارًا، ومن عرف قيمة الدنيا وقلة المقام بها أمات فيها الهوىٰ طلبًا لحياة الأبد، فاستيقظ من نوم الغفلة واسترجع بالقيام ما انتهبه العدو منه في زمن البطالة، ومن لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه.

٢٢- علمك بأن الطيور والحيوانات تذكر ربها وأنت نائم!! لماذا تسبح الحيوانات ربها في السحر؟ وهي التي لم تقترف ذنبًا ولم ترتكب جناية وأنت في نومك وغطيطك!! وتجتهد الديوك في عبادة الله وأنت في لعبك وتفريطك، أما تستحي؟!!

٢٣- كثرة ذكر الموت: كان النبي ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ، مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللهِ الْجَنَّةُ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ**»(١).

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٤٣)، وحسنه الألباني (٩٥٤) في السلسلة الصحيحة.

٢٤- قراءة تراجم المتهجدين والعيش معهم، والتربية بالقدوة خير وسيلة تعين علىٰ القيام، والحكايات عن الصالحين المتهجدين وكيف أنهم ما كانوا يريدون العيش في الدنيا إلا للتهجد، لما أتىٰ معاذ بن جبل الموتُ قال: «مرحبًا بالموت مرحبًا زائر مُغِبّ وحبيب جاء علىٰ فاقة، لا أفلح من ندم، اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لغرس الأشجار ولا لكري الأنهار ولا لجني الثمار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب في حلق العلم».

هذه الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب من يريدون سلوك طريق التهجد فيمقت العبد نفسه، وهو يرىٰ أناسًا مصيرهم ومصيره إلىٰ الله واحد، ومع هذا سهرت عيونهم ونامت عينه!

ما ذاقت أعينهم غمضًا وهو ينام وله غطيط!! بكوا تحت ستر الليل وهو لاعب! خافوا وهم قد نصبوا أقدامهم حتىٰ تورمت ومالوا في الأسحار إلىٰ الاستغفار وهو الآمن الغافل النائم!

فإذا أراد أن يلحق بالمتهجدين السادة فليترك مخاللة الفراش والوسادة

اهـ.

أسأل الله أن يتقبل مني ومنكم، وأن يرزقنا دمعتين في ركعتين قبل الفجر بساعتين، آمين... آمين...

* * *

١١- الاستغفار والدعاء وقت السحر:

قال تعالىٰ: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾[1].

---

(١) الذاريات: (١٧-١٨).

من أوقات إجابة الدعاء وقت السحر، وهو الثلث الأخير من الليل، فعليك ألا تضيع هذه الفرصة الغالية.

قال رسول الله ﷺ: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»(١).

وقفة مع هذا الحديث(٢):

هذا الحديث حديث عظيم ذكر بعض أهل العلم أنه بلغ حد التواتر عن النبي ﷺ، ولا شك أنه حديث مستفيض مشهور وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بكتاب مستقل لما فيه من الفوائد العظيمة، ففيه ثبوت النزول لله سبحانه وتعالىٰ لقوله: «يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا»، والنزول من صفات الله تعالىٰ الفعلية؛ لأنه فعل، وهذا النزول نزول الملك جل في علاه حقيقة؛ لأن الرسول ﷺ أضافه إلىٰ الله ونحن نعلم أن الرسول ﷺ أعلم الناس بالله.

ونعلم كذلك أن الرسول ﷺ أفصح الخلق، ونعلم كذلك أن الرسول ﷺ أصدق الخلق فيما يخبر به ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾.

وهذا الحديث متواتر أو مشهور عن أهل السنة، فلذلك نقول: إن الله تعالىٰ يقول هذا فينبغي أن تشعر بأن الله ينادي يقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ» فتدعو الله تعالىٰ وأنت موقن بهذا.

والدعاء أن تقول: يا رب. فهذا الدعاء وقوله: «مَنْ يَسْأَلُنِي» أي: من يطلب

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) انظر: فتاوىٰ العقيدة لفضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين مراجعة وتخريج د/ عماد علي عبد السميع، طباعة مكتبة الإيمان بالمنصورة باختصار وتصرف يسير صـ ١١٨ صـ ١٢٥ صـ ١٢٦.

مني شيئًا مثل: أن تقول: يا رب أسألك الجنة، فهذا السؤال، واجتمع في قول القائل: يا رب أسألك الجنة الدعاء والسؤال.

وقوله: «مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ». أي: من يطلب مني المغفرة، مثل أن تقول: يا رب اغفر لي، فهذا استغفار، وإذا قال القائل: اللهم إني أسألك الجنة.

فقوله: اللهم. دعاء؛ لأن أصلها «يا الله» وقوله: أسألك الجنة. هذا سؤال فيكون فيه سؤال ودعاء.

وفي حديث أبي بكر الذي علمه إياه النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»(١).

فهذا متضمن لثلاثة:

الدعاء في قوله: «اللَّهُمَّ»، والاستغفار في قوله: «فَاغفِرْ لِي»، وفي قوله: «وَارْحَمْنِي» دعاء بالرحمة وهو دعاء مسألة.

وقوله: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» «مَنْ». هنا اسم استفهام، والمراد به التشويق وليس المراد به الاستخبار؛ لأن الله عز وجل يعلم، لكن المراد به التشويق، يشوق سبحانه وتعالىٰ عباده أن يسألوه وأن يدعوه وأن يستغفروه.

وفي هذا غاية الكرم والجود من الله سبحانه وتعالىٰ أنه هو الذي يشوق عباده إلىٰ سؤاله ودعائه ومغفرته، كقوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢).

(١) رواه البخاري (٨٣٤)، ومسلم (٧٠٥).

(٢) الصف: (١٠).

انظر إلىٰ هذا الخطاب الرقيق الشيق ففيه التشويق، وهذا من كرمه تعالىٰ.

فهذا الحديث وأمثاله فيه من كرم الله عز وجل ما هو ظاهر لمن تأمله، وفيه مسألة من مسائل الصفات الثابتة، وهي مسألة النزول فيجب أن نؤمن بها كما آمن بها سلفنا الصالح بلا تكييف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تجسيم ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾(١) وعلينا أن نقول: سمعنا وآمنا واتبعنا وأطعنا. اهـ.

من فوائد الحديث(٢):

١- إثبات العلو لله من قوله: «يَنْزِلُ».

٢- إثبات الأفعال الاختيارية التي هي الصفات الفعلية من قوله: «يَنْزِلُ حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ».

٣- إثبات القول لله من قوله: «يَقُولُ».

٤- إثبات الكرم لله تعالىٰ من قوله: «مَنْ يَدْعُونِي... مَنْ يَسْأَلُنِي... مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي...».

وفيه من الناحية المسلكية:

أنه ينبغي للإنسان أن يغتنم هذا الجزء من الليل، فيسأل الله تعالىٰ ويدعوه ويستغفره، ما دام الرب سبحانه يقول: «مَنْ يَدْعُونِي... مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي...».

و«مَنْ» للتشويق، فينبغي لنا أن نستغل هذه الفرصة؛ لأنه ليس لك من العمر إلا ما أمضيته في طاعة الله، وستمر بك الأيام، فإذا نزل بك الموت، فكأنك ولدت تلك الساعة وكل ما مضىٰ ليس بشيء اهـ.

وللسحر والدعاء فيه والاستغفار شأن عظيم عند الله تعالىٰ، قال تعالىٰ:

---

(١) الشورىٰ: (١١).

(٢) شرح العقيدة الواسطية لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين صـ ٣٠٥ ط مكتبة الإيمان.

﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾[(١)].

وهو أفضل ساعات الليل ولنسيم السحر عطر فواح يملأ أنفاس المستغفرين ويعطر قلوب الساجدين لله رب العالمين.

١٢- الاستعداد للسحور:

قال ﷺ: «**تَسَحَّرُوا، فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**»[(٢)].

وبركة السحور المراد بها البركة الشرعية والبركة البدنية.

البركة الشرعية:

١- في السحور استجابة لأمر الرسول ﷺ حين قال: «**تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً**».

وعن عمر بن ميمون قال:

«كان أصحاب محمد ﷺ أعجل الناس إفطارًا وأبطأهم سحورًا»[(٣)]، قال تعالىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[(٤)].

وفيه المتابعة لرسول الله ﷺ فبركة السنة لا يعادلها بركة.

٢- فيه مخالفة لأهل الكتاب، قال ﷺ: «**فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ أَكْلَةُ السُّحُورِ**»[(٥)].

٣- تناوله في حد ذاته عبادة: إذا تناوله الإنسان بنية التقوىٰ علىٰ الصيام، وعلىٰ طاعة الله تعالىٰ، قال ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ...**» الحديث.

---

(١) آل عمران: (١٧).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البيهقي بسند صحيح.

(٤) النساء: (٨٠).

(٥) رواه مسلم (١٠٩٦).

٤- ساعة السحور تكون في الثلث الأخير من الليل، فالمستحب تأخيره لما ورد في «الصحيحين» من حديث أنس عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «تسحرنا مع رسول الله ﷺ ثم قمنا إلىٰ الصلاة، قلت - أي: أنس -: كم كان بين الأذان والسحور؟ قال: قدر خمسين آية»(١).

وقال ﷺ: «**لَا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الْفِطْرَ، وَأَخَّرُوا السُّحُورِ**»(٢).

وفي هذه الساعة ينزل ربنا إلىٰ سماء الدنيا نزولًا يليق به جل في علاه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(٣)، ففي هذه الساعة - ساعة السَّحَرِ - ينزل الخير الإلهي ويزداد الأجر، وهذا هو غاية البركة.

٥- وهو قريب من أذان الفجر وفي إجابة المؤذن أجر كبير.

٦- أنه سبب للاستيقاظ لصلاة الفجر في جماعة.

أما البركة البدنية:

١- ففي طعام السحور إعانة علىٰ الصيام في النهار.

٢- فيه تجديد لنشاط المسلم وتقوية علىٰ استمرار الصيام.

فكن حريصًا يا أخي الحبيب علىٰ السحور حتىٰ تطبق السنة، وتتحصل علىٰ هذه البركة - إن شاء الله تعالىٰ -.

١٣- الاستعداد لصلاة الفجر:

أيها الحبيب: احذر أن تفوتك صلاة الفجر في جماعة، فقد حذر ﷺ من ذلك، فقد ذكر عند النبي ﷺ رجل نام ليلة حتىٰ أصبح قال ﷺ: «**ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ**

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٥٧)، ومسلم (١٠٩٨).

(٣) الشورىٰ: (١١).

الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ - أو قال: في أُذُنِهِ -»[١].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ الْبَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[٢] [البردان: الصبح والعصر].

وحاول أن تصلي السنة في البيت إن أمكن، قال رسول الله ﷺ: «**صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ، فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلَاةِ صَلَاةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ**»[٣].

وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ للهِ تَعَالَىٰ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً غَيْرَ الْفَرِيضَةِ بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ**»[٤].

١٤- الذهاب إلى المسجد لصلاة الفجر في جماعة:

دعاء الخروج إلى المسجد:

وكان[٥] إذا خرج ﷺ من بيته يقول: «**بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ أَوْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**»[٦].

وقال ﷺ: «**مَنْ قَالَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِسْمِ اللهِ تَوَكَّلْتُ عَلَىٰ اللهِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ. يُقَالُ لَهُ: هُدِيتَ وَكُفِيتَ وَوُقِيتَ. وَتَنَحَّىٰ عَنْهُ الشَّيْطَانُ**»[٧].

وقال ابن عباس عنه ليلة مبيته عنده: إنه خرج إلىٰ صلاة الفجر وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا،**

---

(١) بخاري.

(٢) بخاري ومسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) صحيح.

(٥) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية صـ٣٦٨- ٣٦٩.

(٦) صحيح.

(٧) حسن.

وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ تَحْتِي نُورًا وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَاجْعَلْ أَمَامِي نُورًا وَاجْعَلْ خَلْفِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لِي نُورًا»(١).

وقال رسول ﷺ: «مَنْ غَدَا إِلَىٰ المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ»(٢).

وقال ﷺ: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَضَىٰ إِلَىٰ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ كَانَتْ خُطُوَاتُهُ إِحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالْأُخْرَىٰ تَرْفَعُ دَرَجَةً»(٣).

وعند دخولك المسجد برجلك اليمنىٰ تذكر هذا الحديث.

ذكر أبو داود عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال: «أَعُوذُ بِاللهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»(٤).

وقال ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ فَلْيُسَلِّمْ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ. فَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»(٥).

ولا تجلس في المسجد حتىٰ تصلي ركعتين تحية المسجد، قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه البخاري (١١/ ٩٨، ٩٩) في الدعوات باب الدعاء إذا انتبه من الليل، ومسلم (٧٦٣)، ١٩١ في صلاة المسافرين: باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه من حديث ابن عباس.

(٢) متفق عليه.

(٣) مسلم (٦٦٦).

(٤) رواه أبو داود رقم (٤٦٦) في الصلاة: باب فيما يقوله الرجل عند دخول المسجد، وإسناده صحيح وحسنه النووي وابن حجر.

(٥) أخرجه أبو داود (٤٦٥)، وأبو عوانة وابن ماجه (٧٧٢) من حديث أبي حميد أو أبي أسيد وسنده قوي، ورواه مسلم رقم (٧١٣) في صلاة المسافرين: باب ما يقوله إذا دخل المسجد بلفظ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ الـمَسْجِدَ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ. وَإِذَا خَرَجَ فَلْيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ».

«إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّىٰ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ»(١).

واحرص علىٰ الدعاء بين الأذان والإقامة، فالدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد كما ورد عن النبي ﷺ.

قال ﷺ: «الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ»(٢).

وأنت تنتظر إقامة الصلاة تذكر قول الرسول ﷺ: «لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ»(٣).

وتذكر قول الرسول ﷺ:

«الْمَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»(٤).

واحرص علىٰ إدراك تكبيرة الإحرام، فلو أقيمت الصلاة وأنت تصلي النافلة اقطعها وادخل في الفريضة بلا تسليم، قال ﷺ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ»(٥).

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ للهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَىٰ كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ»(٦).

وعليك أن تخشع في الصلاة، قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه أبو داود والترمذي.

(٣) البخاري ومسلم.

(٤) البخاري ومسلم.

(٥) صحيح.

(٦) صحيح.

خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [(١)]، وبعد السلام من الصلاة احرص على أذكار الصلاة.

١٥- أذكار الصلاة:

عن ثوبان قال: كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر الله ثلاثًا، وقال: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلَامُ وَمِنْكَ السَّلَامُ تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» [(٢)].

وروي عنه ﷺ أنه كان إذا فرغ من الصلاة وسلم، قال: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» [(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «**مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَحَمِدَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ**» [(٤)].

ولا تنس قراءة سورة الإخلاص والمعوذتين وآية الكرسي، قال رسول ﷺ «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ**» [(٥)].

١٦- المكث في المسجد من بعد صلاة الفجر إلى بعد طلوع الشمس:

قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ، ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، ثُمَّ**

---

(١) المؤمنون: (١-٢).

(٢) صحيح.

(٣) البخاري ومسلم.

(٤) صحيح.

(٥) صححه الألباني في صحيح الجامع.

صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ، كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ»[١].

فاحرص علىٰ ذلك ولا تضيع الفرصة، وإياك والكسل والخمول والوهن، وتجنب وأنت جالس في المسجد أن تتحدث مع الناس في كلام ليس فيه فائدة، واحذر الغيبة والنميمة.

وتستطيع أن تستغل هذا الوقت في عمل أمور كثيرة من الخير منها:

- أذكار الصباح.
- قراءة القرآن.
- طلب العلم أو تعليمه.

إلىٰ غير ذلك من أمور الخير.

* * *

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[٢].

المحافظة على الأذكار، ومنها:

١٧ - أذكار الصباح[٣]:

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[٤].

قال أهل اللغة: «الآصال» جمع أصيل وهو ما بين العصر والمغرب.

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾[٥].

---

(١) حديث حسن.

(٢) الأحزاب: (٤١-٤٢).

(٣) ملحوظة هذه أذكار الصباح والمساء.

(٤) الأعراف: (٢٠٥).

(٥) طه: (١٣٠).

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾[(١)].

قال أهل اللغة: «العشي» ما بين زوال الشمس وغروبها.

وقال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾[(٣)].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾[(٤)].

فعن أُبي بن كعب رضي الله عنه أنه كان له جُرن من تمر فكان ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة شبه الغلام المحتلم، فسلم عليه فرد عليه السلام.

فقال: ما أنت؟ جنيّ أم إنسي؟ قال: جني؟

قال: فناولني يدك. فناوله يده، فإذا يده يد كلب وشعره شعر كلب.

قال: هذا خلق الجن؟ قال: قد علمت الجن أن ما فيهم رجلًا أشد مني.

قال: فما جاء بك؟ قال: بلغني أنك تحب الصدقة، فجئنا نصيب من طعامك.

قال: فما ينجينا منكم؟ قال: هذه الآية التي في سورة «البقرة» ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا

---

(١) غافر: (٥٥).

(٢) النور: (٣٦- ٣٧).

(٣) ص: (١٨).

(٤) البقرة: (٢٥٥) آية الكرسي.

﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾.

من قالها حين يمسي أُجير منا حتىٰ يصبح ومن قالها حين يصبح أُجير منا حتىٰ يمسي، فلما أصبح أتىٰ رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «صَدَقَ الخَبِيثُ»(١).

وعن عبد الله بن خُبيب - بضم الخاء المعجمة - رضي الله عنه، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «اقْرَأْ ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ مِائَةَ مَرَّةٍ لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ»(٣).

وعنه قال: جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما لقيت من عقرب لدغني البارحة. قال:

«أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ. لَمْ تَضُرَّكَ»(٤).

وعنه عن النبي ﷺ: أنه كان يقول إذا أصبح: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ». وإذا أمسىٰ يقول: «اللَّهُمَّ بِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»(٥).

وعنه أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله، مرني بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: «قُلِ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ

---

(١) رواه النسائي والطبراني وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٤١٨).

(٢) أبو داود (٥٠٨٢)، والترمذي (٣٥٧٥).

(٣) مسلم (٢٦٩٢).

(٤) مسلم: (٢٧٠٩).

(٥) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن [أبو داود ٥٠٦٨ - الترمذي ٣٣٩١].

وَالشَّهَادَةِ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ».

قال: «قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجَعَكَ»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسىٰ، قال: «أَمْسَيْنَا وَأَمْسَىٰ الْمُلْكُ للهِ وَالحَمْدُ للهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ». قال الراوي: أراه قال فيهن: «لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكَسَلِ وَسُوءِ الْكِبَرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ وَعَذَابٍ فِي الْقَبْرِ. وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أَيْضًا: أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ»(٢).

- وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ إِلَّا لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ»(٣).

وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا. كَانَ حَقًّا عَلَىٰ اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ»(٤).

وقال ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلَائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. أَعْتَقَ اللهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَعْتَقَ اللهُ نِصْفَهُ،

---

(١) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. [أبو داود ٥٠٦٧ - الترمذي ٣٣٩٢].

(٢) رواه مسلم (مسلم ٢٧٢٣).

(٣) رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. [أبو داود ٥٠٨٨ - الترمذي ٣٣٨٨]..

(٤) صححه الترمذي والحاكم.

وَمَنْ قَالَهَا ثَلَاثًا أَعْتَقَ اللهُ ثَلَاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللهُ مِنَ النَّارِ»[(١)].

وقال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ. فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَ يَوْمِهِ. وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّىٰ شُكْرَ لَيْلَتِهِ»[(٢)].

وكان يدعو ﷺ حين يصبح وحين يمسي بهذه الدعوات: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللَّهُمَّ احْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي»[(٣)].

وقال ﷺ: «إِذَا أَصْبَحَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ فَتْحَهُ وَنَصْرَهُ وَنُورَهُ وَبَرَكَتَهُ وَهُدَاهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِيهِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهُ، ثُمَّ إِذَا أَمْسَىٰ فَلْيَقُلْ مِثْلَ ذَلِكَ»[(٤)].

وذكر أبو داود عنه أنه قال لبعض بناته[(٥)]: «قُولِي حِينَ تُصْبِحِينَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، مَا شَاءَ اللهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا، فَإِنَّهُ مَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُصْبِحُ حُفِظَ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَمَنْ قَالَهُنَّ حِينَ يُمْسِي حُفِظَ حَتَّىٰ يُصْبِحَ».

وقال لرجل من الأنصار: «أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللهُ هَمَّكَ وَقَضَىٰ عَنْكَ دَيْنَكَ؟».

---

(١) حديث حسن.

(٢) حديث حسن.

(٣) صححه الحاكم.

(٤) حديث حسن.

(٥) رواه أبو داود (٥٠٧٥) في الأدب باب ما يقول إذا أصبح وفي سنده مجاهيل.

قلت: بلىٰ يا رسول الله، قال: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ».

قال: فقلتهن، فأذهب الله همي، وقضي عني ديني [(١)].

وكان إذا أصبح ﷺ قال:

«أَصْبَحْنَا عَلَىٰ فِطْرَةِ الإِسْلَامِ وَعَلَىٰ كَلِمَةِ الإِخْلَاصِ وَعَلَىٰ دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ وَعَلَىٰ مِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» [(٢)].

ويذكر عنه ﷺ: أنه قال لفاطمة ابنته: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ: أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِكَ أَسْتَغِيثُ، فَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي، وَلَا تَكِلْنِي إِلَىٰ نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ» [(٣)].

ويذكر عنه أنه كان إذا أصبح قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا» [(٤)].

ويذكر عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَالَ فِي كُلِّ يَوْمٍ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. سَبْعَ مَرَّاتٍ

---

(١) رواه أبو داود (١٥٥٥) في الصلاة: باب في الاستعاذة من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وفي سنده غسان بن عوف، وهو لين الحديث، وفي الصحيحين من حديث أنس قوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْـهَمِّ، وَالْـحَزَنِ، وَالْعَجْزِ، وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ، وَالْـجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ».

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦، ٤٠٧) من حديث عبد الرحمن بن أبزي وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٥) وابن السني رقم (٤٨) من حديث أنس بن مالك، وفي سنده «عثمان بن موهب» وليس «عثمان بن عبد الله بن موهب» كما في المستدرك، قال أبو حاتم: صالح الحديث وباقي رجاله ثقات فهو حسن.

(٤) رواه ابن ماجه (٩٢٥) من حديث أم سلمة رضي الله عنها قال البوصيري في الزوائد: رجال إسناده ثقات خلا مولىٰ أم سلمة فإنه لم يسمع ولم أر أحدًا ممن صنف في المبهمات ذكره، ولا أدري ما حاله، ورواه كذلك ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٥٣)، وللحديث شاهد عند الطبراني في «معجمه الصغير» بسند صحيح، فالحديث حسن به.

كَفَاهُ اللهُ مَا أَهَمَّهُ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[(١)] .

وقال ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. مَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(٢)] .

و«مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ. مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أَوْ زَادَ عَلَيْهِ»[(٣)] .

وقال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ عَشْرَ مَرَّاتٍ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَكَانَتْ كَعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ، وَأَجَارَهُ اللهُ يَوْمَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَإِذَا أَمْسَىٰ فَمِثْلُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُصْبِحَ»[(٤)] .

١٨ - مداومة الذكر والدعاء طوال اليوم[(٥)]:

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾[(٦)] .

---

(١) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة (٧٠) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وسنده صحيح.

(٢) رواه البخاري (١١/ ٨٣-٨٤).

(٣) رواه البخاري (١١/ ١٧٣)، ومسلم (٢٦٩٢) في الذكر والدعاء باب (فضل التهليل والتسبيح و الدعاء)، وأبو داود (٥٠٩١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو داود (٥٠٧٧) في الأدب وابن ماجه (٣٨٦٧) في الدعوات وأحمد (٤/ ٦٠) من حديث أبي عياش الزرقي وإسناده صحيح.

(٥) وقد بسطنا الكلام عن الذكر في باب فضائل رمضان صـ٩٤ فراجعه غير مأمور.

(٦) الأحزاب (٤١، ٤٢).

١٩- تعطير أفواه الصائمين بالصلاة على النبي الأمين عليه أفضل الصلوات والتسليم:

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[١].

هذه الآية شرف الله بها رسوله ﷺ حياته وموته وذكر منزلته منه[٢].

ففيها تنبيه علىٰ كمال رسول الله ﷺ ورفعة درجته وعلو منزلته عند الله وعند خلقه ورفع ذكره حيًّا وميتًا ﷺ[٣]، والمقصود من هذه الآية أن الله سبحانه وتعالىٰ أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه ﷺ عنده في الملأ الأعلىٰ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين، وأن الملائكة تصلي عليه، ثم أمر تعالىٰ أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعًا[٤].

والمعنىٰ: أنه إذا كان الله وملائكته يصلون علىٰ رسوله ﷺ فصلوا أنتم أيضًا عليه، فأنتم أحق بأن تصلوا عليه وتسلموا تسليمًا لما نالكم ببركة رسالته ويُمن سفارته من خير شرف الدنيا والآخرة[٥].

وإن في صلاتكم عليه اقتداءً بربكم وملائكته وتكميلًا لإيمانكم ومحبة وتعظيم وإكرامًا لنبيكم وزيادة في حسناتكم وتكفيرًا لسيئاتكم[٦].

---

(١) الأحزاب: (١٥٦).

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٥٣١٤) ط الريان.

(٣) تفسير العلامة السعدي (٦٧١) بتصرف يسير.

(٤) ابن كثير (٦/ ٤٧٧).

(٥) انظر: جلاء الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام للإمام ابن قيم الجوزي من كتاب البحر الرائق في الزهد والرقائق د/ أحمد فريد صـ ١٤٠.

(٦) تفسير العلامة السعدي صـ ٦٧١ باختصار وتصرف.

معنى الصلاة على الرسول ﷺ:

قال المبرد: «وأصل الصلاة التراحم، فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالىٰ»(١).

وقال البخاري: قال أبو العالية: «صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء»(٢)، وقال ابن عباس: يصلون أي يباركون(٣).

وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة علىٰ من جلس ينتظر الصلاة «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ**»(٤).

فهذا دعاء، وقال أبو بكر القشيري: «الصلاة من الله تعالىٰ لمن دون النبي ﷺ رحمة وللنبي ﷺ تشريف وزيادة تكرمة».

فيا أيها الحبيب الصائم أوصيك ونفسي بالإكثار من الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام وخاصة في رمضان، وأن تستجيب لأمر الرحمن حتىٰ تنعم بالسعادة والرضوان وإليك:

بعض الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة والسلام على سيد البريات ﷺ:

١ - امتثال أمره تعالىٰ؛ لأنه هو الذي أمرنا بالصلاة علىٰ رسول الله ﷺ.

٢- موافقته جل وعلا في الصلاة عليه ﷺ، فالله تعالىٰ يصلي علىٰ الرسول، وإن اختلفت الصلاتان، فصلاتنا عليه دعاء، وصلاة الله عليه ثناء وتشريف.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ للقاضي عياض صـ ٧٢.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٧٧).

(٣) ذكره البخاري في كتاب «التفسير» معلقًا باب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ (٨/ صـ٣٩٢) انظر المرجع السابق.

(٤) صحيح: رواه البخاري في صحيحه كتاب الأذان حديث (٦٥٩) باب من جلس ينتظر الصلاة (٢/ ١٤٢)، ورواه مسلم في صحيحه كتاب المساجد حديث (٢٧٢) باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة (١/ ٤٥٩) عن أبي هريرة ضمن حديث طويل.

٣- موافقة الملائكة في الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ.

٤- حصول عشر صلوات من الله تعالىٰ علىٰ المصلي عليه مرة ورفعه عشر درجات وكتابة عشر حسنات له ومحو عشر سيئات عنه.

٥- أن يُرجىٰ إجابة دعائه إذا قدمها أمامه.

٦- أنها سبب لشفاعته ﷺ إذا قرنها سؤال الوسيلة له أو أفردها، وأنها سبب لقرب العبد منه ﷺ.

٧- أنها سبب لتمام الكلام الذي ابتدئ بحمد الله تعالىٰ والصلاة علىٰ رسوله ﷺ.

٨- أنها سبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وذلك عقد من عقود الإيمان لا يتم إلا به، لأن العبد كلما أكثر من ذكر المحبوب واستحضار محاسنه ومعانيه الجالبة لحبه تضاعف حبه له، وتزايد شوقه إليه، واستولىٰ علىٰ جميع قلبه، وإذا أعرض عن ذكره وإحضار محاسنه بقلبه نقص حبه من قلبه، ولا شيء أقر لعين المحب من رؤية محبوبه ولا أقر لقلبه من ذكره، وإحضار محاسنه، فإذا قوي هذا في قلبه جرىٰ لسانه بمدحه والثناء عليه وذكر محاسنه، وتكون من زيادة ذلك ونقصانه بحسب زيادة الحب ونقصانه في قلبه، والحي شاهد بذلك.

٩- أنها سبب لهداية العبد وحياة القلب، فإنه كلما أكثر الصلاة عليه وذكره ﷺ استولت محبته علىٰ قلبه حتىٰ لا يبقىٰ في قلبه معارضة لشيء من أوامره ﷺ.

١٠- أنها متضمنة لذكر الله تعالىٰ وشكره ومعرفة إنعامه علىٰ عبيده بإرساله ﷺ، فالمصلي عليه ﷺ قد تضمنت صلاته عليه ذكر الله تعالىٰ وذكر رسوله ﷺ وسؤاله أن يجزيه بصلاته عليه ما هو أهله كما عرفنا ربنا وأسماءه وصفاته وهدانا إلىٰ طريق مرضاته، وعرفنا ما لنا بعد الوصول إليه والقدوم عليه، فالصلاة علىٰ الرسول ﷺ متضمنة لكل الإيمان بل هي متضمنة للإقرار بوجوب إفراد الرب المدعو وعلمه

وسمعه وقدرته وإرادته وصفاته وكلامه وإرسال رسله، وتصديقه في أخباره كلها وكمال محبته، ولا ريب أن هذه هي أصول الإيمان.

فالصلاة عليه ﷺ متضمنة لعلم العبد ذلك وتصديقه ومحبته له، فكانت من أفضل الأعمال[(١)] اهـ.

الروائح الزكية في فضل الصلاة على خير البرية:

الصلاة علىٰ الرسول ﷺ قربة من أجل القربات يتحصل بها المسلم علىٰ أعلىٰ الدرجات، وهي رضا رب البريات، وإليكم بعض الأحاديث عن رسول رب الأرض والسموات ﷺ:

١- قال ﷺ: «**مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ**»[(٢)].

٢- عن الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ فأتبعته حتىٰ دخل نخلًا فسجد، فأطال السجود حتىٰ خفتُ أو خشيتُ أن يكون الله قد توفاه أو قبضه، قال: فجئت أنظر فرفع رأسه، فقال: «**مَا لَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟**».

قال: فذكرت ذلك له.

قال: فقال: «**إِنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ؟ إِنَّ اللهَ** عز وجل **يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ**» زاد في رواية: «**فَسَجَدْتُ للهِ شُكْرًا**»[(٣)].

---

(١) من كتاب الفوائد والثمرات الحاصلة بالصلاة علىٰ النبي ﷺ نقلًا من كتاب ترغيب المؤمن التقي في الإكثار من الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ، لشيخنا الحبيب أبي بكر الحنبلي بتصرف واختصار.

(٢) رواه أحمد والنسائي واللفظ له، وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٥٧/ ٢حـ٢) ص٢٨٨.

(٣) رواه أحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٥٨/ ٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ للهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ، إِلَّا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»(٢).

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»(٣).

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». فقالوا: يا رسول الله وكيف تُعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْت - صرت رميًا: قال: يقول: بليت -. قال: «إِنَّ اللهَ عز وجل حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»(٤).

وعن علي بن الحسين قال: أخبرني أبي عن جدي أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا حَيْثُمَا كُنْتُمْ فَسَيَبْلُغُنِي سَلَامُكُمْ وَصَلَاتُكُمْ»(٥).

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ

---

(١) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه وصححه الألباني وفي صحيح الترغيب والترهيب (١٦٦٤/ ٩).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والطبراني في الأوسط (٤/ ٨٤/ ٣١١٦)، والبيهقي في الشعب (٢/ ٢١٧/ ١٥٨١)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (١٦٦٦/ ١١).

(٣) رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه كلاهما من رواية موسىٰ عن يعقوب الزمعي وصححه العلامة الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب (١٦٦٨/ ١٣).

(٤) رواه أبو داود وغيره من حديث أوس رضي الله عنه ، وهذا الحديث أخرجه أحمد، وصححه ابن حبان والحاكم ووافقه الذهبي، وهو كما قالوا، وقال فضيلة الشيخ شعيب الأرنؤوط في تحقيقه رياض الصالحين، حديث رقم ١٣٩٩ هكذا.

(٥) رواه أبو داود (٢٠٢٦) المناسك وأحمد (٢/ ٣٦٧)، وحسنه الحافظ، وقال الألباني: صحيح بطرقه وشواهده.

الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ»[١].

فعليك يا أخي أن تكثر من الصلاة والسلام عليه ولا تكن بخيلًا؛ لأن الرسول ﷺ قال:

«الْبَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[٢].

وقد وردت أحاديث في ذم من لم يصل علىٰ النبي ﷺ، منها أنه ﷺ صعد المنبر فقال: «آمِينَ»، ثم صعد، فقال: «آمِينَ»، ثم صعد، فقال: «آمِينَ» فسأله معاذ عن ذلك، فقال: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَنْ سُمِّيتَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْ: آمِينَ. فَقُلْتُ: آمِينَ».

وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات فدخل النار مثل ذلك، ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار مثله[٣].

حكم الصلاة عليه والتسليم:

اعلم أن الصلاة علىٰ النبي ﷺ واجبة[٤] علىٰ الجملة لأمر الله تعالىٰ بالصلاة عليه في قوله تعالىٰ: ﴿صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

فحمل كثير من الأئمة والعلماء الأمر علىٰ الوجوب وأجمعوا عليه.

---

(١) صحيح: رواه مسلم في صحيحه كتاب الصلاة حديث / ٣٨٤.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٦) عن الحسن في الدعوات، وقال: حسن غريب صحيح. والحاكم (١/ ٥٤٩) الدعاء، وقال الألباني: صحيح.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٦٤٦)، والترمذي في الدعوات (٣٥٤٥)، وأحمد في مسنده (٢/ ٢٥٤)، وابن حبان في صحيحه (٩٠٧)، وابن خزيمة في صحيحه (١٨٨٨)، والبزار في مسنده (٣١٦٩).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ للقاضي عياض صـ٧٤ بتصرف.

قال القاضي أبو بكر بن بكير: «افترض الله علىٰ خلقه أن يصلوا علىٰ نبيه ويسلموا تسليمًا، ولم يجعل ذلك لوقت معلوم، فالواجب أن يكثر المرء منها ولا يغفل عنها».

وقال القاضي أبو محمد بن نصر:

«الصلاة علىٰ النبي واجبة في الجملة».

وقال أصحاب الشافعي:

«الفرض منها الذي أمر الله تعالىٰ به ورسوله ﷺ، وهو في الصلاة».

كيفية الصلاة على الرسول ﷺ:

عن أبي مسعود الأنصاري قال: أتانا رسول الله ﷺ في مجلس سعد بن عبادة، فقال له بشير بن سعد:

أمرنا الله أن نصلي عليك يا رسول الله، فكيف نُصلي عليك؟ قال: فسكت رسول الله حتىٰ تمنينا أنه لم يسأله، ثم قال رسول الله ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَـمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. وَالسَّلَامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**»[(١)].

المواطن التي يستحب فيها الصلاة والسلام على النبي ﷺ ويُرغب:

الموطن الأول:

وهو أهم المواطن علىٰ الإطلاق في الصلاة في آخر التشهد، فقد أجمع المسلمون علىٰ مشروعيته، وعند كثير من العلماء علىٰ أنه ركن لا تصح الصلاة إلا به وعند بعضهم سنة، وعند بعضهم واجب.

---

(١) رواه مسلم (٤٠٥) الصلاة، ومالك في الموطأ (١/ ١٦٥/ ١٦٦)، والترمذي (١٢/ ٩٥) التفسير، وأبو داود (٩٦٧) السهو، والنسائي (٣/ ٤٥، ٤٦).

عن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلِ: التَّحِيَّاتُ للهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَىٰ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ. فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ للهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ»(١).

الموطن الثاني: عند الدعاء:

فعن عمرو بن مالك الجنبي، أنه سمع فضالة عن عبيد: يقول سمع النبي ﷺ رجلًا يدعو في صلاته فلم يصل علىٰ النبي، فقال ﷺ:

«عَجِلَ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ فَقَالَ لَهُ وَلِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ثُمَّ لْيُصَلِّ عَلَىٰ النَّبِيِّ ثُمَّ لْيَدْعُ بِمَا شَاءَ»(٢).

الموطن الثالث:

عند ذكره ﷺ وقد اختلف في وجوبها كلما ذكر اسمه ﷺ فقال الطحاوي والحليمي: تجب الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر اسمه، وقال غيرهما: ذلك مستحب وليس بفرض يأثم تاركه. ولكني أقول لك يا أخي: صل عليه الآن، وإذا ذكر اسمه ﷺ.

وذلك لأن جبريل عليه السلام أتىٰ النبي ﷺ وقال: «رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتَ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ»(٣). يعني: إذا سمعت ذكر المصطفىٰ ﷺ فقل: اللهم صل وسلم عليه، فإن له حقًّا عليك.

---

(١) صحيح: رواه البخاري في صحيحه كتاب الأذان حديث ٨٣١ باب التشهد في الآخرة (٢/ ٣١١)، ومسلم في صحيحه كتاب الصلاة حديث ٤٠٢ باب التشهد في الصلاة (١/ ٣٠١).

(٢) صحيح: رواه أبو داود في سننه كتاب الصلاة حديث (١٤٨١) باب الدعاء (٢/ ٧٨)، والترمذي في سننه كتاب الدعوات حديث (٣٤٧٧) باب جامع الدعوات (٥/ ٥١٧)، وقال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) جزء من حديث: صحيح الأدب المفرد برقم (٦٤٦).

الموطن الرابع:

من مواطن الصلاة والسلام عليه في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية.

الموطن الخامس:

عند دخول المسجد، وعند الخروج منه:

عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرىٰ قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد صلىٰ علىٰ محمد وسلم، وقال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وإذا خرج صلىٰ علىٰ محمدٍ وسلم، وقال: «رَبِّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»[(١)].

الموطن السادس:

عقب سماع الأذان: وذلك لما صح عنه عليه الصلاة والسلام: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ»[(٢)].

الموطن السابع:

يوم الجمعة: فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْهَا»، قال: قلت: وبعد الموت؟ قال: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَنَبِيُّ اللهِ

---

(١) رواه الترمذي (٣١٤) الصلاة وابن ماجه (٧٧٨) المساجد، صحيح دون جملة المغفرة، تخريج فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ (٨٢- ٨٤) تخريج الكلم الطيب، تمام المنة (٢٩٠).

(٢) سبق تخريجه.

حَيٌّ يُرْزَقُ»[(١)].

ومن[(٢)] مواطن الصلاة عليه:

والتي مضىٰ عليها عمل الأمة ولم تنكرها: الصلاة عليه وآله في الرسائل، وما يكتب بعد البسملة وفي الخطب، كخطبة الجمعة والعيدين والاستسقاء وعند القيام من المجلس إلىٰ غير ذلك، فأكثر من الصلاة علىٰ رسول الله ﷺ:

فعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أكثر الصلاة فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: «مَا شِئْتَ». قال: فقلت: الربع؟ قال: «مَا شِئْتَ». قال: فقلت الثلث؟ قال: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قال: قلت: النصف؟ قال: «مَا شِئْتَ وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: «إِذَنْ يُكْفَىٰ هَمُّكَ وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ»[(٣)].

والمراد بالصلاة في الحديث: الدعاء.

فالصلاة في اللغة: الدعاء، والله تعالىٰ قال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادعُ لهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(٤)].

فهذا أبي بن كعب[(٥)] سيد القراء الذي جمع القرآن في حياة النبي ﷺ وعرضه علىٰ النبي ﷺ وحفظ عنه علمًا مباركًا، وكان رأسًا في العلم والعمل رضي الله عنه.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ» قال: آلله سمَّاني لك؟

---

(١) رواه ابن ماجه بإسناد جيد وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٧٢-١٧).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ صـ٨٢ بتصرف وزيادات.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد والترمذي وغيرهما وقال الترمذي: حسن صحيح.

(٤) التوبة: (١٠٣).

(٥) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/ ٣٩٠).

قال: «اللهُ سَمَّـاكَ لِي». قال: فجعل أبي يبكي[١].

هذا الصحابي الفقيه رضي الله عنه كان يكثر من الصلاة، أي: الدعاء.

ومعنىٰ الحديث: أنه سأل النبي ﷺ: هل يجعل ربع دعائه أو نصفه أو كله صلاة علىٰ الرسول ﷺ يعني يستبدل الدعاء الذي كان يدعو به بالصلاة علىٰ النبي ﷺ؟

فكان الجواب من الحبيب ﷺ: أنه إذا جعل دعاءه كله صلاة علىٰ النبي ﷺ أنه يكفىٰ همه ويغفر ذنبه؛ لأن من صلىٰ علىٰ رسول الله ﷺ صلاة واحدة صلىٰ الله عليه بها عشر صلوات، ومن صلىٰ عليه فقد كفاه همه وغفر له ذنبه.

فعلينا أن نكثر من الصلاة والسلام عليه ﷺ.

* * *

٢٠ - المواظبة على حضور دروس العلم الشرعي:

وهذا من أهم بنود جدول أعمال المسلم الصائم في رمضان؛ لأن رمضان شهر العبادات ولابد للمسلم أن يتفقه في دينه حتىٰ لا يعبد ربه علىٰ جهل، قال ابن القيم: «الجهل رأس كل بدعة وضلالة ونقص، والعلم أصل كل خير وهدىٰ وكمال»[٢].

وقال أيضًا: «العلم وسيلة لكل فضيلة»[٣].

وقال: «الأنفس الزكية الطالبة للمراتب العلية لم تزل تدأب في تحصيل العلوم الشرعية، وكيف لا وقد قال رب البرية[٤]:

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك.

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٥١).

(٣) السير (٦/ ٩٠).

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ٧٤).

﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١).

فالله تعالىٰ عدد أهل العلم وزكاهم وقرن شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة الكرام.

والله تعالىٰ لم يأمر نبيه ﷺ أن يزداد من أي شيء إلا العلم، قال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٢).

فاحرص علىٰ طلب العلم الشرعي حتىٰ تنال الدرجات العلية في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾(٣)، فأهل العلم محل الثناء كلما ذكروا أثنىٰ الناس عليهم، وهذا رفع لدرجاتهم في الدنيا، وأما في الآخرة، فإنهم يرتفعون درجات بحسب ما قاموا به من الدعوة إلىٰ الله عز وجل والعمل بما علموا، ولا طريق إلىٰ معرفة الله تعالىٰ والوصول إلىٰ رضوانه والفوز بجناته إلا بالعلم النافع الذي بعث الله به محمدًا ﷺ.

فإن(٤) العابد حقًّا هو الذي يعبد ربه علىٰ بصيرة ويتبين له الحق، وهذه سبيل النبي ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾(٥).

فالمسلم الذي يتطهر وهو يعلم أنه علىٰ طريق شرعي، هل هو كالذي يتطهر من أجل أنه رأىٰ أباه وأمه يتطهران أيهما أبلغ في تحقيق العبادة، رجل يتطهر لأنه

(١) آل عمران: (١٨).

(٢) طه: (١١٤).

(٣) المجادلة: ١١.

(٤) انظر: كتاب العلم للشيخ ابن عثيمين صـ ٩-١٠ باختصار وزيادات.

(٥) يونس: (١٠٨).

علم أن الله أمر بالطهارة وأنها هي طهارة النبي ﷺ فيتطهر امتثالًا لأمر الله واتباعًا لسنة رسول الله ﷺ، أم رجل آخر يتطهر، لأن هذا هو المعتاد عنده؟

فالجواب: بلا شك أن الأول هو الذي يعبد الله علىٰ بصيرة، فهل يستوي هذا وذاك، وإن كان فعل كل منهما واحدًا، لكن هذا عن علم وبصيرة، يرجو الله عز وجل ويحذر الآخرة ويشعر بأنه متبع للرسول ﷺ.

وأقف عند هذه النقطة وأسأل: هل نستشعر عند الوضوء بأننا نمتثل لأمر الله سبحانه وتعالىٰ في قوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾[1] هل الإنسان عند وضوئه يستحضر هذه الآية وأنه يتوضأ امتثالًا لأمر الله تعالىٰ؟

هل يستشعر أن هذا وضوء الرسول ﷺ وأنه يتوضأ اتباعًا لرسول الله ﷺ:

الجواب: نعم، الحقيقة أنا منا من يستحضر ذلك وهو من منَّ الله عليه بطلب العلم الشرعي، ومنا من لم يستحضر ذلك وهو من عبد الله علىٰ جهل - والعياذ بالله تعالىٰ -. فبركة تعلم العلم الشرعي يفعل المسلم العبادات ممتثلًا لأمر الله تعالىٰ فيتحقق بذلك إخلاص العبادة لله جل وعلا متبعًا لرسول الله ﷺ اهـ.

وصدق من قال:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم ... علىٰ الهدىٰ لمن استهدىٰ أدلاء
وقدر كل امرئ ما كان يحسنه ... والجاهلون لأهل العلم أعداء
ففز بعلم تعش حيًّا به أبدًا ... الناس موتىٰ وأهل العلم أحياء

---

(١) المائدة: (٦).

وإذا أردت أن تعرف الطريق الذي يوصلك إلىٰ الجنة، فاسلك طريق العلم حتىٰ يسهل الله لك طريق الجنة.

قال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّىٰ الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَفَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»(١).

وعن أبي أمامة الباهلي قال: ذُكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما عابد والآخر عالم، فقال عليه الصلاة والسلام:

«فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَىٰ الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ»، ثم قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرَضِينَ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرَ»(٢).

وأجر العلم يبقىٰ حتىٰ بعد الموت، قال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»(٣).

والعالم نور يهتدي به الناس بإذن الله تعالىٰ في أمور دينهم ودنياهم، وكلنا يعرف قصة الرجل الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل علىٰ عابد، فسأله: هل لي من توبة؟

---

(١) حسن: صحيح الترغيب (٦٨)، رواه أبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢) في العلم والترمذي (٢٦٨٣، ٢٦٨٤)، ورواه أحمد وابن ماجه والدارمي، وابن حبان في صحيحه وغيرهم.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وصححه العلامة الألباني في صحيح الترغيب (٧٨).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم في الوصية (١٦٣١) عبد الباقي.

فقال العابد: لا، وأغلق العابد بجهله باب التوبة المفتوح الذي لا يغلق إلا في ساعة الغرغرة، وساعة طلوع الشمس من المغرب، أغلقه بجهالة أمام هذا الرجل المذنب العاصي القاتل الذي أراد التوبة وهو صادق فيها، فقتله الرجل فأتم به المائة.

ثم ذهب الرجل القاتل إلىٰ عالم فسأله فأخبره أن له توبة، وأنه لا شيء يحول بينه وبين التوبة ثم دله علىٰ بلد أهله صالحون، ليخرج إليها فخرج فأتاه الموت في أثناء الطريق، والقصة معروفة ومشهورة للناس.

والشاهد:

الفرق بين العالم والجاهل وفضل العلم والعلماء وأنهما نور وضياء للناس، فاحرص أيها المسلم الصائم علىٰ حضور دروس العلم الشرعي خاصة في المساجد، وإياك والإعراض عن دروس العلم.

ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم من حديث أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلىٰ رسول الله ﷺ وذهب واحد، قال: فوقفا علىٰ رسول الله ﷺ، فأما أحدهما فرأىٰ فُرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهبًا، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَىٰ إِلَىٰ اللهِ عز وجل فَآوَاهُ اللهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ، فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ**»[1] .

س: ما حكم طلب العلم الشرعي؟

ج: طلب العلم الشرعي فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١/ ١٤٣، ١٤٤) في العلم ومسلم رقم (٢١٧٦) في السلام والموطأ (٢/ ٩٦٠، ٩٦١)، والترمذي في الاستئذان.

الآخرين سنة، وقد يكون واجبًا علىٰ الإنسان عينًا - أي فرض عين - وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة، وكيف يقوم بهذه المعاملة، وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية، وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي[(١)].

٢١- الحرص على الصلاة في جماعة:

قال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾[(٢)].

النور الطليق، الشائع في السموات والأرض، الفائض في السموات والأرض يتجلىٰ في بيوت الله التي تتصل فيها القلوب بعلام الغيوب، تتطلع إليه وتذكره وتخشاه وتتجرد له علىٰ كل مغريات الحياة[(٣)].

من هذه المساجد ينطلق نشيد السماء العلوي المقدس «الله أكبر» هذا الدعاء الذي تتجاوب أصداؤه بين الجوارح المؤمنة، فتهتز له حبات القلوب الخاشعة مع كل صلاة، بل مع كل خفقة من خفقات الأفئدة «الله أكبر» نداء الملك من فوق هامات المآذن حين تصبح وحين تظهر وحين تمسي[(٤)] اهـ.

---

(١) انظر: كتاب العلم للشيخ ابن العثيمين رحمه الله صـ ١٤.

(٢) النور الآيات (٣٦-٣٨).

(٣) الظلال (٤/ ٢٥٢٠).

(٤) ترطيب الأفواه (١/ ٣١٣).

فالصلاة أول ما أوجبه لله تعالىٰ من العبادات، وهي أول ما يحاسب عليه العبد، وهي آخر وصية وصىٰ بها الرسول ﷺ أمته عند موته، فقال: «**الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**»(١).

وتوعد تعالىٰ من ضيع الصلاة، فقال تعالىٰ: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾(٢).

والغي: واد في جهنم بعيد القعر خبيث الطعم جعله الله لمن أضاع الصلاة واتبع الشهوات، فاحرص علىٰ الصلاة في جماعة في المسجد فهي فريضة وواجبة، قال تعالىٰ: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾(٣).

وفي «صحيح مسلم» أن رجلًا أعمىٰ قال: يا رسول الله، ليس لي قائد يقودني إلىٰ المسجد، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي فقال له النبي ﷺ: «**هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ لِلصَّلَاةِ**» قال: نعم. قال: «**فَأَجِبْ**»(٤).

وانظر(٥) إلىٰ حرصه الشديد ﷺ علىٰ حضور صلاة الجماعة في المسجد وهو في مرض الموت، روىٰ البخاري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: دخلت علىٰ عائشة رضي الله عنها فقلت: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟

قالت: بلىٰ، ثقل النبي ﷺ فقال: «**أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟**».

---

(١) صحيح الجامع (٣٨٧٣).

(٢) مريم: (٥٩).

(٣) البقرة: (٤٣).

(٤) مسلم (٦٥٣).

(٥) ترطيب الأفواه بذكر من يظلهم الله د/ سيد عفاني (١/ ٣١٦/ ٣١٧).

قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْـمِخْضَبِ[1]» قالت: ففعلنا، فاغتسل فذهب لينوء[2] فأغمي عليه ثم أفاق ﷺ فقال: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: «ضَعُوا لِي مَاءً فِي الْـمِخْضَبِ». قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟».

قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: «أَصَلَّىٰ النَّاسُ؟».

فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عكوف في المسجد ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي ﷺ إلىٰ أبي بكر رضي الله عنه بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول، فقال: إن رسول ﷺ يأمرك أن تصلي بالناس. فقال أبو بكر رضي الله عنه - وكان رجلًا رقيقًا -: يا عمر صلِّ بالناس. فقال عمر رضي الله عنه: أنت أحق بذلك. فصلىٰ أبو بكر تلك الأيام... الحديث.

فانظر - رحمك الله - إلىٰ أي مدىٰ كان رسول الله ﷺ حريصًا علىٰ حضور صلاة الجماعة، وكيف أنه يغشىٰ عليه ثلاث مرات ثم إذا أفاق اغتسل ليتمكن من الذهاب إلىٰ المسجد لصلاة الجماعة، فيجد نفسه غير قادر علىٰ الذهاب إلىٰ المسجد، فيرسل إلىٰ الصديق كي يصلي بالناس، ولما وجد في نفسه خفة يخرج إلىٰ المسجد... فكيف كانت الخفة؟

قالت عائشة رضي الله عنها: «.. فوجد النبي ﷺ من نفسه خفة فخرج يهادىٰ بين رجلين، كأني أنظر رجليه تخطان[3] من الوجع».

---

(١) المخضب: الإجانة.

(٢) لينوء: أي ليقوم وزنًا ومعنىً.

(٣) أي: لم يكن يقدر علىٰ رفعهما من الأرض بأبي هو وأمي.

لم يكن ﷺ يتمكن من المشي إلا اعتمادًا على رجلين، وحتى بعد ذلك لم يكن يقدر على تمكين رجليه على الأرض نظرًا لشدة ألمه ﷺ، لكنه مع هذا كله خرج إلى صلاة الجماعة في المسجد اهـ.

فصلاة الجماعة فرض عين(١) على كل مصلٍّ إلا من عذر، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرْقًا(٢) سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ(٣)**

---

(١) هذا هو الراجح من أقوال أهل العلم، وعليه أدلة كثيرة، اختلف العلماء في حكم صلاة الجماعة على أقوال ثلاثة:

١- أنها سنة إن قام بها الإنسان أثيب على ذلك، وإن تركها فلا إثم عليه.

٢- أنها واجبة يجب على الإنسان أن يصلي مع الجماعة، فإن لم يفعل فهو آثم وصلاته صحيحة.

٣- أن الجماعة شرط لصحة الصلاة، وإنه إذا لم يُصلِّ مع الجماعة فصلاته باطلة ولا تقبل منه، وهذا رأى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ورواية عن الإمام أحمد، والراجح أنها واجبة، والأدلة على وجوبها كثيرة جدًّا منها:

١- قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٤٢ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ۝٤٣﴾.

قال سعيد بن المسيب رحمه الله:

«كانوا يسمعون «حي على الصلاة حي على الفلاح» فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون».

٢- قال تعالى ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ﴾[النساء: ١٠٢].

وجه الدلالة من هذه الآية أن الله أوجب أداء الصلاة في الجماعة في حالة الحرب، ففي حالة السلم أولى.

ولو كان أحد يسامح في ترك صلاة الجماعة لكان المرابطون المجاهدون المصافون لأعداء الله تعالى المهددون بهجومهم عليهم أولى بأن يعذروا بتركها.

ومن السنة: عن عبد الله، وقيل: عمرو بن قيس المعروف بابن أم مكتوم المؤذن رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله إن المدينة كثيرة الهوامِّ والسباع.

فقال رسول الله ﷺ: «**تَسْمَعُ حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، فَحَيَّهَلَا**» رواه أبو داود بإسناد حسن، ومعنى «**حَيَّهَلَا**»: تعالَ.

[البخاري (٦٤٤)، ومسلم (٦٥١)].

(٢) **عرقًا**: العرق العظم بما عليه من بقايا اللحم.

(٣) **مرماتين**: المرماة: ما بين ظلفي الشاة.

حَسَنَتَيْنِ لَشَهِدَ الْعِشَاءَ»(١).

وعن عبد الله بن مسعود قال: «من سره أن يلقىٰ الله غدًا مسلمًا فليحافظ علىٰ هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدىٰ، وإنهن من سنن الهدىٰ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلىٰ المسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة، ويرفعه بها درجة، ويحط عنه بها سيئة، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان الرجل يؤتىٰ به يهادىٰ بين الرجلين حتىٰ يقام في الصف»(٢).

فضل صلاة الجماعة:

اتفق العلماء علىٰ أن صلاة الجماعة من أفضل العبادات وأجل الطاعات، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: **«صَلَاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً»**(٣).

وقال الإمام مسلم بن حجاج رحمه الله: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وأبو كريب جميعًا عن أبي معاوية، قال أبو كريب: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ وَصَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ دَرَجَةً، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ - لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ - فَلَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ،

---

(١) متفق عليه: البخاري (٦٤٤/ ١٢٥/ ٢)، واللفظ له ومسلم (٦٥١/ ٤٥١/ ١) بنحوه.

(٢) صحيح: صحيح ابن ماجه (٦٣١)، ومسلم (٦٥٤-٢٥٧/ ٤٥٣/ ١).

(٣) متفق عليه: البخاري (٦٤٥)، مسلم (٦٥٠).

وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّىٰ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ. مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ»(١).

فصلاة الجماعة لها أجر عظيم وفضل كبير لا ينبغي للمسلم العاقل أن يفرط فيه، وخاصة في شهر الصيام الذي تتضاعف فيه الأجور، فالخطوة الواحدة إلىٰ صلاة الجماعة بفائدتين:

١- أنك ترفع بها درجة.

٢- وأنه يحط عنك بها خطيئة.

فهذا نداء لإخواني المسلمين الذين يتركون هذا الفضل العظيم، وهذا المكسب المضمون - إن شاء الله تعالىٰ -، ويصلون في البيوت أو المحلات - نسأل الله العافية -، مع أن ربح الدنيا مع قلته زائل ونعيم الآخرة نعيم مقيم دائم.

فلنحرص علىٰ الصلاة في جماعة خاصة صلاة الصبح والعشاء، فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«مَنْ صَلَّىٰ الْعِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صَلَّىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا حَبْوًا»(٣).

---

(١) الحديث رواه الشيخان وأصحاب السنن وأحمد بن حنبل، البخاري كتاب الصلاة باب الصلاة في مسجد السوق، وباب فضل صلاة الجماعة، ومسلم كتاب الصلاة باب فضل الصلاة المكتوبة في جماعة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه: البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧).

وهناك أحاديث كثيرة جدًّا حث فيها النبي ﷺ الأمة علىٰ صلاة الجماعة مبينًا ثوابها العظيم، وخيرها العميم الذي يعود علىٰ من داوم عليها، ومن ذلك:

قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ لله أَرْبَعِينَ يَوْمًا فِي جَمَاعَةٍ يُدْرِكُ التَّكْبِيرَةَ الْأُولَىٰ، كُتِبَتْ لَهُ بَرَاءَتَانِ: بَرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَبَرَاءَةٌ مِنَ النِّفَاقِ».

ولقد ضرب علماء السلف الصالح وعُبّاده أروع وأنصع الأمثلة لحرصهم علىٰ صلاة الجماعة في المسجد، فعن عثمان بن حكيم قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: «ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد»(١). قال الذهبي: إسناده جيد.

وأنا أهمس في آذان أحبابي الصائمين أن يحرصوا علىٰ صلاة الجماعة، فهناك من الناس من يجلس علىٰ مائدة الإفطار، ويترك صلاة المغرب إلىٰ قرب صلاة العشاء، ومنهم من يطيل السهر بالليل، فيضيع صلاة الفجر، ومنهم من ينام بعد الفجر فيضيع صلاة الظهر، وهذا أمر خطير جدًّا يجب التنويه عليه، وإلىٰ هؤلاء أهدي إليهم هذا المشهد الفريد عن عطاء بن السائب قال:

دخلنا علىٰ أبي عبد الرحمن السلمي وهو يقضي - أي ينزع(٢) في المسجد -، فقلنا له: لو تحولت إلىٰ الفراش فإنه أوثر، قال: حدثني فلان أن النبي ﷺ قال: «لَا يَزَالُ أَحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ»(٣).

قال أبو عبد الرحمن السلمي: «فأريد أن أموت وأنا في مسجدي»(٤).

---

(١) الحلية (٢/ ١٦٣).

(٢) أي: يحتضر.

(٣) الزهد لابن المبارك (١٤١-١٤٢)، والحديث صحيح سبق تخريجه.

(٤) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٦/ ١٧٤-١٧٥).

وأختم هذا البند المهم من بنود جدول أعمال المسلم الصائم في رمضان بهذا الحديث المبارك.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا**»[(١)].

وعند مسلم: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا فِي الصَّفِّ الْـمُقَدَّمِ لَكَانَتِ الْقُرْعَةُ**».

٢٢- المحافظة على السنن الرواتب:

صلاة ثنتي عشرة ركعة ببيت في الجنة:

عن أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ تَعَالَىٰ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَتَي عَشْرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيْرَ فَرِيضَةٍ إِلَّا بَنَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُ بَيْتًا فِي الْـجَنَّةِ - أو: إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الْـجَنَّةِ -**»[(٢)].

وزاد الترمذي: «**أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْغَدَاةِ**». ومعنىٰ الغداة: أي صلاة الصبح.

ركعتا الفجر (سُنة صلاة الصبح):

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «**رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا**».

رواه مسلم والترمذي، وفي رواية مسلم: «**... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا**».

أربعًا قبل الظهر وأربعًا بعده:

عن أم حبيبة رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَنْ حَافَظَ عَلَىٰ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**»[(٣)].

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما، وانظر صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٧٧).

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

وفي رواية للنسائي: «فَلَا تَـمَسُّ وَجْهَهُ النَّارُ أَبَدًا».

أربعًا قبل العصر:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «رَحِمَ اللهُ امْرَأً صَلَّىٰ قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعًا»(١).

وعن ابن عمر، قال: حفظت عن النبي ﷺ: عشر ركعات: «ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها، وركعتين بعد العشاء، وركعتين قبل صلاة الصبح»، وكانت ساعة لا يدخل علىٰ النبي ﷺ فيها، فحدثتني حفصة أنه كان إذا أذن المؤذن وطلع الفجر صلىٰ ركعتين(٢).

سُنة المغرب:

عن عائشة رضي الله عنها قالت:

«كان النبي ﷺ يُصلي في بيتي قبل الظهر أربعًا ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين ويصلي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلي ركعتين»(٣).

وعن عبد الله بن مُغفَّل رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «صَلُّوا قَبْلَ الْـمَغْرِبِ». قال في الثالثة: «لِـمَنْ شَاءَ»(٤).

سُنة العشاء:

في حديث عائشة السابق: «ويصلي بالناس العشاء ويدخل بيتي فيصلي ركعتين».

٢٣- لا تنس صلاة الضحى (صلاة الأوابين):

صلاة الضحىٰ: هي صلاة الأوابين، وهي فعلها يسير وفضلها كبير وثوابها

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما.

(٢) صحيح: الإرواء (٤٤)، والبخاري (٨٠، ١٨١/ ٥٨/ ٣)، وهذا لفظه، والترمذي (٤٣١/ ٢٧١/ ١) بنحوه.

(٣) رواه مسلم [مسلم ٧٣٠].

(٤) رواه البخاري [البخاري: ١١٨٣].

جزيل، ولو لم يكن لها فضل إلا أنها تجزئ عن الصدقة التي تصبح علىٰ مفاصل الإنسان كل يوم لكفاها فضلًا وازداد المرء عليها حرصًا.

فعن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلَامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ: رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ**»(١).

السُّلامىٰ: بضم السين وتخفيف اللام والميم المفصل وفي كل إنسان (٣٦٠) مفصل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أوصاني خليلي ﷺ «بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحىٰ، وأن أوتر قبل أن أرقد»(٢).

وقت صلاة الضحىٰ: عند ارتفاع الشمس قدر رمح إلىٰ قبيل الزوال، وارتفاع الشمس قدر رمح يكون بمقدار ربع ساعة أو نحوها بعد طلوع الشمس، ثم يبدأ وقت صلاة الضحىٰ إلىٰ أن يبقىٰ علىٰ الزوال عشر دقائق أو قريب منها(٣).

أفضل وقت تُصلىٰ فيه: «**عِنْدَمَا تَرْمَضُ الْفِصَالُ**».

قال النووي رحمه الله:

«ترمض: بفتح التاء والميم، والرمضاء: الرمل الذي اشتدت حرارته من الشمس أي حين يبول الفصلان من شدة الحر في أخفافها»، والفصال: أولاد الإبل.

---

(١) رواه مسلم (٧٢٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (١٩٨١)، مسلم (٧٢١).

(٣) انظر: رياض الصالحين شرح ابن عثيمين (جـ٣/ صـ٣٠٣).

قال ﷺ: «صَلَاةُ الْأَوَّابِينَ حِينَ تَرْمَضُ الْفِصَالُ»(١).

حكمها:

ذهب الجمهور إلىٰ أنها سنة مؤكدة، منهم الأئمة الثلاثة: (مالك والشافعي وأحمد)، وعند أبي حنيفة مندوبة.

عدد ركعاتها:

أقلها ركعتان، أفضلها: أربع ركعات مثنىٰ مثنىٰ، وأكثرها: ثماني ركعات مثنىٰ مثنىٰ، وقيل: اثنتا عشرة ركعة، وقيل: لا حد لها، وهذا هو الصواب - إن شاء الله - أنه لا حد لها.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ «يصلي من الضحىٰ أربع ركعات ويزيد ما يشاء»(٢) ولم تحدد.

وأخرج البخاري في «صحيحه» بسنده، قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ يقول: «ما حدثنا أحد أنه رأىٰ النبي ﷺ يصلي الضحىٰ غير أم هانئ، فإنها قالت: إن النبي ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة فاغتسل وصلىٰ ثمان ركعات»(٣).

وهذا الحديث لا يدل علىٰ أن صلاته ﷺ الضحىٰ ثمان ركعات أن هذا أعلاها، فهذا ليس فيه دليل علىٰ الحصر.

صفات صلاة الضحى:

كان رسول الله ﷺ يخفف فيها القراءة مع إتمام الركوع والسجود، فهي صلاة قصيرة خفيفة، فعن أم هانئ رضي الله عنها في وصفها لصلاته ﷺ: «فلم أر قط أخف منها

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه بسنده.

(٣) البخاري في التهجد باب صلاة الضحىٰ في السفر رقم (١١٧٦).

غير أنه يتم الركوع والسجود»[١].

* * *

٢٤- التأسي[٢] بهديه ﷺ في يوم الجمعة:

قال ﷺ: **«سَيِّدُ الْأَيَّامِ يَوْمُ الْـجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ أُدْخِلَ الْـجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا يَوْمَ الْـجُمُعَةِ»**[٣].

كان من هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره.

ما يستحب من الأذكار والأدعية يوم الجمعة:

١- الإكثار من الصلاة والسلام على النبي ﷺ، فعن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ»**. قالوا: يا رسول، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت[٤]؟ فقال: **«إِنَّ اللهَ عز وجل حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»**[٥].

٢- قراءة سورة الكهف:

عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ، قال: **«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِي يَوْمِ**

---

(١) البخاري في التهجد رقم (١١٧٦).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد المجلد الأول، والوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز، لفضيلة الشيخ / عبد العظيم بدوي، بتصرف.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (١/ ٢٧٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أي: بليت.

(٥) **صحيح**: صحيح سنن ابن ماجه (٨٨٩) وأبو داود (١٠٣٤/ ٣٧٠/ ٣) سنن ابن ماجه (١٨٥/ ٣٤٥/ ١)، وسنن النسائي (٩١/ ٣).

الْـجُمُعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الْـجُمُعَتَيْنِ»(١).

٣- الإكثار من الدعاء رجاء أن يصادف ساعة الإجابة:

عن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: **«يَوْمُ الْجُـمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً لَا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ عز وجل شَيْئًا إِلَّا آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالْتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ»**(٢).

وقفة مع صلاة الجمعة:

صلاة الجمعة هي من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه، وأفرضه سوىٰ مجمع عرفة، ومن تركها تهاونًا طبع علىٰ قلبه.

فشهود الجمعة فرض عين علىٰ كل مسلم إلا خمسة: عبد مملوك أو امرأة أو صبي أو مريض أو مسافر.

قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾(٣).

وعن طارق بن شهاب، عن النبي ﷺ قال: **«الْـجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ فِي جَمَاعَةٍ إِلَّا أَرْبَعَةً: عَبْدٌ مَمْلُوكٌ، أَوِ امْرَأَةٌ، أَوْ صَبِيٌّ، أَوْ مَرِيضٌ»**(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، قال: **«لَيْسَ عَلَىٰ الْـمُسَافِرِ جُمُعَةٌ»**(٥).

---

(١) صحيح: الإرواء (٦٢٦) صحيح الجامع (٦٤٧٠)، ومستدرك الحاكم (٣٦٨/ ٢)، البيهقي (٢٤٩/ ٣).

(٢) صحيح: رواه أبو داود والنسائي واللفظ له والحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم. صحيح الترغيب (٧٠٥).

(٣) الجمعة: (٩).

(٤) صحيح سنن أبي داود (٩٤٢) الجامع الصغير (٣١١١).

(٥) الدارقطني (٤/ ٤/ ٢).

الحث عليها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «مَنِ اغْتَسَلَ ثُمَّ أَتَىٰ الجُمُعَةَ، فَصَلَّىٰ مَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ أَنْصَتَ حَتَّىٰ يَفْرُغَ الخَطِيبُ، ثُمَّ يُصَلِّي مَعَهُ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الْأُخْرَىٰ وَفَضْلُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ»(١).

التحذير من التهاون بها:

عن ابن عمر وأبي هريرة أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول علىٰ أعواد منبره: «لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ»(٢).

ودعهم: أي تركهم.

ومعنىٰ الختم: التغطية والطبع والعياذ بالله.

ما يستحب لها:

١ - الأمر بالاغتسال:

في يومها وهو أمرٌ مؤكد جدًّا، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال: «غُسْلُ الْـجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُـحْتَلِمٍ»(٣).

٢ - التطيب فيه:

وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الأسبوع، قال ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الْإِمَامُ،

---

(١) صحيح: صحيح الجامع الصغير (٦٠٦٢)، مسلم (٨٥٧/ ٥٨٧/ ٢).

(٢) صحيح: صحيح الجامع الصغير (٥٤٨٠) ومسلم (٨٦٥/ ٥٩١/ ٢).

(٣) متفق عليه: البخاري (٨٧٩/ ٢/ ٣٥٧)، ومسلم (٨٤٦/ ٥٨٠/ ٢).

إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الْأُخْرَىٰ»[١].

٣- السواك.

٤- لبس أحسن الثياب:

روىٰ الإمام أحمد في «مسنده» من حديث أبي أيوب، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«مَنِ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ وَمَسَّ مِنْ طِيبٍ إِنْ كَانَ لَهُ، وَلَبِسَ أَحْسَنَ ثِيَابِهِ ثُمَّ خَرَجَ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ المَسْجِدَ، ثُمَّ يَرْكَعُ إِنْ بَدَا لَهُ، وَلَمْ يُؤْذِ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْصَتَ إِذَا خَرَجَ إِمَامُهُ حَتَّىٰ يُصَلِّيَ كَانَتْ كَفَّارَةً لِـمَا بَيْنَهُمَا»[٢].

وفي «سنن أبي داود» عن عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول علىٰ المنبر في يوم الجمعة: «مَا عَلَىٰ أَحَدِكُمْ لَوِ اشْتَرَىٰ ثَوْبَيْنِ لِيَوْمِ الْـجُمُعَةِ سِوَىٰ ثَوْبَيْ مِهْنَتِهِ»[٣].

٥- التبكير للصلاة.

٦- أن يشتغل بالصلاة والذكر والقراءة حتى يخرج الإمام.

٧- الإنصات للخطبة:

إذا سمعها وجوبًا في أصح القولين، فإن تركه كان لاغيًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِذَا قُلْتَ لِصَاحِبِكَ: أَنْصِتْ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَقَدْ لَغَوْتَ»[٤].

---

(١) رواه البخاري (٢/ ٣٠٨، ٣٠٩) في الجمعة باب الدهن للجمعة وباب لا يفرق بين اثنين.

(٢) رواه أحمد في المسند (٥/ ٤٢٠)، وإسناده حسن، وصححه ابن خزيمة (١٧٧٥).

(٣) رواه أبو داود (١٠٧٨) في الصلاة باب اللبس للجمعة، وابن ماجه (١٠٩٥) في إقامة الصلاة باب (ما جاء في الزينة، واللفظ له، وإسناده صحيح كما قال البوصيري في الزوائد.

(٤) أخرجه البخاري (٢/ ٣٤٣) ومسلم (٨٥١)، والموطأ (١/ ١٠٣).

وقال ﷺ: «مَنْ غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَأَنْصَتَ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا صِيَامُ سَنَةٍ وَقِيَامُهَا، وَذَلِكَ عَلَىٰ اللهِ يَسِيرٌ» (١).

٨- يستحب تجمير المسجد:

فقد ذكر سعيد بن منصور عن نعيم بن عبد الله المُجمر، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أمره أن يُجمّر مسجد المدينة كل جمعة حين ينتصف النهار».

٩- الصلاة قبل الجمعة وبعدها:

من جاء قبل صلاة الجمعة فليصل ما شاء من غير حصر، حتىٰ يخرج الإمام، أما ما يعرف اليوم بسنة الجمعة القبلية فمما لا أصل له، فإن من المعلوم: «أن النبي ﷺ كان إذا فرغ بلال من الأذان أخذ في الخطبة ولم يقم أحد يركع ركعتين البتة، ولم يكن إلا أذان واحد، فمتىٰ كانوا يصلون السنة، وأما بعدها فإن شاء صلىٰ أربعًا أو اثنتين».

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمُ الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعًا» (٢).

وعن ابن عمر: أن النبي ﷺ «كان لا يصلي بعد الجمعة حتىٰ ينصرف فيصلي ركعتين في بيته» (٣).

* * *

٢٥- «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» (٤):

إن الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ من أهم المهمات وأوجب الواجبات، وأعظم القربات

(١) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٨) من حديث أوس بن أوس وإسناده صحيح، وصححه ابن خزيمة (١٧٥٨).

(٢) صحيح: الإرواء (٦٢٥)، صحيح الجامع (٦٤٠)، ومسلم (٨٨٢/ ٦٠٠/ ٢)، وهذا لفظه.

(٣) متفق عليه: مسلم (٨٢٢- ٧١/ ٦٠٠/ ٢) بخاري (٩٣٧/ ٤٢٥/ ٢)، وليس عنده «في بيته».

(٤) تفسير العلامة السعدي، كتاب دروس العام لفضيلة الشيخ/ عبد الملك القاسم - وكتاب دروس رمضان لفضيلته، ومحاضرة العمل للدين مسئولية الجميع، لفضيلة الشيخ / عبد الوهاب الطريدي، بزيادات وتصرف.

بها يستقيم أمر الفرد ويصلح حال المجتمع، قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

هذا استفهام بمعنىٰ النفي المتقرر: أي لا أحد أحسن قولًا: أي كلامًا وطريقة وحالة ﴿مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بتعليم الجاهلين ووعظ الغافلين والمعرضين ومجادلة المبطلين بالأمر بعبادة الله بجميع أنواعها.

فعلىٰ المسلم الصائم أن يعلم شرف الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وليعلم أن مسارب الدعوة بعدد الأنفاس وأسبابها سهلة ميسورة، وطرقها متعددة متنوعة، فلقد تيسر لنا في هذا الزمن ما لم يتيسر لغيرنا من وسائل الدعوة ورخص ثمنها وتنوعها وسهولتها، ومن وسائل الدعوة:

أولًا: النصيحة الشخصية مهاتفة أو مشافهة أو مراسلة، ويلتزم فيها الداعي إظهار المحبة والحرص علىٰ الدعوة، ويذكر ما في المدعو من الخير وينبهه إلىٰ المخالفات التي يقع فيها.

والرسائل الشخصية عمومًا من أجدىٰ الوسائل وأكثرها تأثيرًا ولا عذر لأحد، فهناك الهواتف النقالة والإنترنت وغيرهما.

الوسيلة الثانية:

الكتيب والشريط الإسلامي وهما متوفران وثمنهما ميسر، فاستشعر عظم الأجر مع قلة التكلفة، وأطلق بصرك لترىٰ الرعيل الأول كيف كانوا ينفقون لأجل الدعوة ونشرها وإعلاء كلمة الله ورفعها.

فهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنفق ماله كله.

---

(١) فصلت: (٣٣).

وعمر رضي الله عنه أنفق نصف ماله، وغيرهما كثير.

فلماذا تبخل بالقليل من المال الذي أنت مؤتمن عليه؟

واعلم أن أفضل الأموال هي التي تستثمرها للآخرة.

ومن وسائل الدعوة المتيسرة - والحمد لله -: الإحسان إلىٰ الناس بالهدية، أو تفريج الكربة، وقضاء الحوائج.

قال ﷺ: **«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**(١).

وهذه الخدمة الخالصة التي تقدمها لوجه الله تعالىٰ تفتح لك قلب المدعو وتجعله يستمع إليك ويرضىٰ بتوجيهك ويقبل نصحك.

أحسن إلىٰ الناس تستعبد قلوبهم ... فطالما استعبد الإنسان إحسان

واعلم أن أعظم دعوة يقوم بها المسلم هي دعوة نفسه، فيبدأ بها يُلزمها الطاعة ويجنبها المعصية، ويجاهد نفسه في ذلك حتىٰ تستقيم له، ثم يبدأ بمن هم تحت يده والأقرب له لمن دعوتهم فرض عين من زوجة وأولاد وخادم وغيرهم، لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾(٢).

قام رسول ﷺ، فقال: **«يَا فَاطِمَةُ ابْنَةَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ ابْنَةَ عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْـمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»**(٣).

وينبغي لك أيها الحبيب الغالي أن يكون كلامك هينًا لينًا ووجهك منبسطًا

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) الشعراء: (٢١٤).

(٣) رواه مسلم (٢٠٥) من حديث عائشة رضي الله عنها

طلقًا، فإن تليين القول مما يكسر ثورة عناد العتاة ويلين عريكة الطغاة، فالداعي أيًّا كانت منزلته وأيًّا كان عقله وعلمه ليس بأفضل من موسىٰ وهارون، ومن وجهت إليه الدعوة ليس بأخبث من فرعون!

وقد أمرهما الله جل جلاله باللين معه في قوله تعالىٰ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[(١)] فرعون الذي كان يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الله تعالىٰ أمر موسىٰ وهارون أن يقولا له قولًا لينًا، فما بالك بالمسلم الذي يقول في سجوده: «سبحان ربي الأعلىٰ».

قال رسول الله ﷺ: «**وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**»[(٢)].

وقال بعض السلف:

بنــــي إن البــــر شيء هــــينٌ وجــــه طليــــق وكــــلام لــــينٌ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية:

وينبغي أن يكون الداعي حليمًا صبورًا علىٰ الأذىٰ، فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وعلىٰ الداعي أن يستحضر الإخلاص في عمله والصدق مع الله في دعوته حتىٰ تثمر، ويكتب لها القبول، ويثبت بها الأجر، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[(٣)].

وقد جمعت هذه الآية العظيمة: الإخلاص وشرط البصيرة والعلم، واحذر من اليأس والقنوط في أمر الدعوة، فإن هذه أمراض مهلكة لدعوتك.

ولا تقل: دعوته مرة وثانية فلم يستجب لي.

تأمل في دعوة الرسول ﷺ وهو يمضي في طريق دعوته سنوات طويلة ولم

(١) طه: (٤٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٠٢٢ تحفة) وقال: حسن غريب. والحديث صححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠٨).

(٣) يوسف: (١٠٨).

ييأس، ولم يتخاذل ويتكاسل حتىٰ أشرقت الأرض بنور ربها وفي كل مرة تحاول وتعاود الدعوة أنت مأجور مثاب لأن الهداية من الله عز وجل.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾.

فعليك - أخي المسلم الصائم - القيام بالدعوة وليس لك تتبع النتائج وحصد الثمرة، فالدعوة جهاد وصبر واحتساب ومعاودة وتكرار واستغلال للفرص والأحداث، فاستصحب الصبر علىٰ الدعوة والمدعوين وعلىٰ التضحية بوقتك ومالك وجهدك.

وليس عليك وحشة فأنت تسير علىٰ الخطىٰ وتقتفي الأثر في طريق غير موحشة؛ لأن أقدام الأنبياء عليهم - صلوات الله وسلامه - والصالحين عليهم رحمة الله تعالىٰ - وطأته وتغبرت في طريقه.

وكلما أظلت سحابة الفتور في سمائك استشعر عظم الأجر وجزيل المثوبة وتأمل في من دعوتهم إن صلوا فلك مثل أجر صلاتهم، وإن صاموا فلك مثل أجر صيامهم، وإن قاموا الليل فلك مثل أجر قيامهم.

فلا تبخل علىٰ إخوانك المسلمين بالكلمة الطيبة أو إهداء بعض الأشرطة أو الكتيبات أو باستخدام التقنية ووسائل الاتصالات الحديثة في خدمة دين الله تعالىٰ.

فتستطيع مثلًا إيقاظ عشرة من أصدقائك وأحبابك لصلاة الفجر في جماعة وكل واحد من العشرة يتصل هاتفيًا علىٰ عشرة وهلم جرًا، وكل ذلك في ميزان حسناتك.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا؛ وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ**

كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(١).

وقال ﷺ حاثًّا علىٰ أمر الدعوة ومبينًا فضلها: «لِأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»(٢).

وقال عليه الصلاة والسلام: «مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ»(٣).

وهذا أيها الصائم الحبيب فضل عظيم وأجر واسع وباب مفتوح لمن أراد الخير وسعىٰ له، وقد جاءت الآيات الكثيرة، والأحاديث الشهيرة بالحث علىٰ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وبيان وجوبها وما فيها من الأجر العظيم والآيات القرآنية الدالة علىٰ الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ أكثر من آيات الصوم والحج اللذين هما ركنان من أركان الإسلام الخمسة.

فالدعوة إلىٰ الله من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصولها.

والدعوة إلىٰ الله عمل الأنبياء والمرسلين والدعاة والمصلحين ومن سار علىٰ نهجهم واقتفىٰ أثرهم إلىٰ يوم الدين، فلا بد أن يكون لك دور، ألا رأيت ذاك الطائر الأعجم - الهدهد - الذي كان يعيش في كنف سليمان عليه السلام، ذاك الرسول وذاك الملك الذي سخر الله له الريح، وسخر له الجن، وآتاه ملكًا لم يؤته أحدًا من العالمين، لم يقل الهدهد: ما دوري أنا بجانب هذا الرسول؟ ما دوري أنا بجانب هذه الإمكانات؟

ماذا أفعل؟ يكفي أن أبقىٰ طائرًا في حاشية الملك، كلا، لقد جاء هذا الطائر إلىٰ نبي الله سليمان عليه السلام يخاطبه بكل ثقة يقول: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ ثم

---

(١) رواه مسلم.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه مسلم.

يصف إنجازه وعمله في الدعوة للدين فيقول: ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ما هي المشكلة التي حركت الدماء في عروق الهدهد، ذالكم الطائر الأعجم، قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾، ثم يلقي خطابًا استنكاريًّا فيقول: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

وأنا أقول لك: إن كان الهدهد قد وجد له دورًا في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ أفتعجز أنت؟ بما آتاك الله من ملكات وقدرات وإمكانات من أن تجد لك دورًا في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ وخاصة في هذا الشهر المبارك.

جعلنا الله وإياكم ممن يقومون بالدعوة إلىٰ الله عز وجل علىٰ علم وبصيرة.

واجعلنا اللهم من المخلصين الذين يصومون رمضان ويقومونه إيمانًا واحتسابًا.

واجعلنا اللهم ممن يقومون بهذا الدين ويدعون له ويذبون عنه يا أرحم الراحمين.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

* * *

٢٦- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]:

لابد للمسلم الصائم أن يجعل في جدول أعماله: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» فمنزلته عظيمة وقد قدمه الله تعالىٰ علىٰ الإيمان، فقال تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[٢].

---

(١) شرح رياض الصالحين للعلامة ابن عثيمين، المجلد الأول، ومواقف إيمانية جمع وترتيب د/ أحمد فريد، ودروس العام للشيخ/ عبد الملك القاسم.

(٢) آل عمران: (١١٠).

وقدمه الله تعالىٰ في سورة «التوبة» علىٰ إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال تعالىٰ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

وفي هذا التقديم إيضاح لعظم شأن هذا الواجب وبيان لأهميته في حياة الأفراد والمجتمعات والشعوب، وبتحقيقه والقيام به تصلح الأمة ويكثر فيه الخير ويضمحل الشر ويقل المنكر وبإضاعته تكون العواقب الوخيمة والكوارث العظيمة والشرور الكثيرة، وتتفرق الأمة وتقسو القلوب أو تموت وتظهر الرذائل وتنتشر ويظهر صوت الباطل ويفشو المنكر.

ولقد اتفقت الأمة علىٰ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجمهور علىٰ أنه فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين.

بعض فضائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- أنه من مهام وأعمال الرسل عليهم السلام، قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[2].

٢- أنه من صفات المؤمنين، كما قال تعالىٰ: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾[3]، علىٰ عكس أهل الشر والفساد.

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ

---

(١) التوبة: (٧١).

(٢) النحل: (٣٦).

(٣) التوبة: (١١٢).

وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾[(١)].

٣- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصال الصالحين، قال تعالىٰ: ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾[(٢)].

٤- من خيرية هذه الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[(٣)].

٥- عظم فضل القيام به، كما قال تعالىٰ: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾[(٤)].

٦- أنه من أسباب تكفير الذنوب كما قال ﷺ: «**فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَنَفْسِهِ وَوَلَدِهِ وَجَارِهِ، يُكَفِّرُهَا الصِّيَامُ وَالصَّلاَةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْـمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْـمُنْكَرِ**»[(٥)].

٧- في القيام به حفظ للضرورات الخمس، وهي: «الدين والنفس والعقل والنسل والمال».

وهناك فضائل أخرىٰ كثيرة لا يسع المقام لسردها.

---

(١) التوبة: (٦٧).

(٢) آل عمران: (١١٣-١١٤).

(٣) آل عمران: (١١٠).

(٤) النساء: (١١٤).

(٥) رواه البخاري ومسلم.

قواعد مهمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - العلم:

لابد من العلم بالمعروف الذي تدعو إليه والمنكر الذي تنهىٰ عنه، وكذا حال من تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر.

٢ - الرفق:

قال تعالىٰ لموسىٰ وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[1]. وقال ﷺ: «مَا كَانَ الرِّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا كَانَ الْعُنْفُ فِي شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[2].

قال سفيان الثوري:

«لا يأمر بالمعروف ولا ينهىٰ عن المنكر إلا من كان فيه ثلاث خلال: رفيق بما يأمر، رفيق بما ينهىٰ، عدل بما يأمر، عدل بما ينهىٰ، عالم بما يأمر، عالم بما ينهىٰ».

٣ - الصبر:

قال لقمان لولده: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾[3].

٤ - النظر إلى المصالح والمفاسد:

لا بد من نظر الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في المصالح والمفاسد.

أ - إذا حصلت مصلحة أعظم من المفسدة وجب الأمر والنهي عليه.

ب - إذا كانت المفسدة أعظم من المصلحة لم يجب عليه بل قد يحرم.

ج - إذا حصل التساوي والتكافؤ بين المعروف والمنكر لم يؤمر بالمعروف ولم

---

(١) طه: (٤٤).

(٢) رواه مسلم (١٦/ ١٤٦) البر والصلة وأبو داود (٢٤٦١) الجهاد.

(٣) لقمان: (١٧).

ينه عن المنكر، لأن درء المفاسد مقدم علىٰ جلب المنافع.

د - اختلاط المعروف بالمنكر عند ذلك يدعىٰ إلىٰ المعروف دعوة مطلقة وينهىٰ عن المنكر نهيًا مطلقًا[(١)].

٥- الاستطاعة:

قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

وقال ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(٢)].

فدل علىٰ أن الإنكار بحسب القدرة والاستطاعة، وفي هذا الحديث المراتب الثلاث لتغير المنكر.

٦- أن لا يزول المنكر إلى ما هو أعظم منه:

فإن كان هذا المنكر لو نهينا عنه زال إلىٰ ما هو أعظم منه، فإنه لا يجوز أن ننهىٰ عنه درءًا لكبرىٰ المفسدتين بصغراهما؛ لأنه إذا تعارض عندنا مفسدتان وكانت إحداهما أكبر من الأخرىٰ فإننا نتقي الكبرىٰ بالصغرىٰ.

٧- أن لا تنهى عن المنكر بمنكر:

* * *

٢٧- إفشاء السلام:

قال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[(٣)].

---

(١) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (٤٦٢- ٤٦٤) نقلًا من كتاب مواقف إيمانية صـ ١٢٧.

(٢) رواه مسلم (٢/ ٢٢-٢٥) الإيمان والترمذي (٩/ ١٨، ١٩).

(٣) النور: (٢٧).

وقال تعالىٰ: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾[(٢)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ﴾[(٣)].

لقد شرع الإسلام للمجتمع المسلم تحية خاصة لتعميق أواصر الإخوة بين أفراد المجتمع من ناحية أخرىٰ ليتميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات الأخرىٰ، ومن ثم كان من حق المسلم علىٰ أخيه أن يسلم عليه إذا لقيه.

كما قال ﷺ: «**حَقُّ الْـمُسْلِمِ عَلَىٰ الْـمُسْلِمِ سِتٌّ**» قيل: وما هن يا رسول الله؟ قال: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَسَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»[(٤)].

وإفشاء السلام من أسباب تحصيل الحسنات ودخول الجنات، قال سيد البريات ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[(٥)].

(١) النور: (٦١).

(٢) يونس: (١٠).

(٣) النساء: (٨٦).

(٤) أخرجه مسلم (٢١٦٢) كتاب السلام.

(٥) رواه مسلم (٩٣) الإيمان باب: أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن صحبة المؤمنين من الإيمان.

ومن الحديث المتفق عليه أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ، عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[١].

معنى السلام:

السلام: هو التحية التي شرعها النبي ﷺ لأمته، ومعناه الدعاء بالسلامة من كل آفة، فإذا قلت لشخص: السلام عليكم. فهذا يعني أنك تدعو له بأن الله يسلمه من كل آفة، يسلمه من المرض، ومن الجنون، يسلمه من شر الناس، يسلمه من المعاصي، وأمراض القلوب، يسلمه من النار.

فهو لفظ عام معناه الدعاء للمُسَلَّم عليه بالسلامة من كل آفة.

والسلام من سنن الرسل والملائكة أيضًا، فهؤلاء الملائكة الكرام الذين جاءوا إبراهيم عليه الصلاة والسلام: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ﴾، أي: عليكم السلام.

وفي إشاعة السلام إحياء لسنة النبي ﷺ، فعن الطفيل بن أُبي بن كعب أنه كان يأتي عبد الله بن عمر فيغدو معه إلىٰ صاحب بيعه ولا مسكين ولا أحد إلا سلم عليه، قال الطفيل: فجئت عبد الله بن عمر يومًا فاستتبعني إلىٰ السوق، فقلت له: ما تصنع بالسوق وأنت لا تقف علىٰ البيع ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها ولا تجلس في مجالس السوق، قال: وأقول: اجلس بنا ههنا نتحدث. فقال: يا أبا بُطْن - وكان الطفيل ذا بطن - إنما نغدو من أجل السلام نسلم علىٰ من لقيناه[٢].

ففي هذا دليل علىٰ حرص الصحابة رضي الله عنهم علىٰ إفشاء السلام وكسب الحسنات.

وإفشاء السلام هو مفتاح القلوب، فإذا أردت أن تفتح لك قلوب العباد فسلم عليهم إذا لقيتهم، وابتسم في وجوههم وكن سباقًا لهذا الخير يزرع الله محبتك في

(١) رواه مسلم.

(٢) روه مالك في الموطأ بإسناد صحيح (الموطأ ١٧٩٣).

قلوب الناس وييسر لك طريقًا إلىٰ الجنة، كما قال ﷺ:

«لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

«ثلاث يُصفين لك ودَّ أخيك: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتوسع له في المجلس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه».

* * *

٢٨- عيادة المريض:

فضل عيادة المريض:

١- عن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ»(١) [الخريفُ: التمر المخرُوف، أي: المجتنىٰ].

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِنَّ اللهَ عز وجل يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا بْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي. قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ...»(٢) الحديث.

الرسول ﷺ الأسوة يعود المريض:

لم يكتف ﷺ بحث المسلمين علىٰ عيادة المريض بل كان وهو الذي تحمل هموم

---

(١) حديث حسن رواه الترمذي برقم (٩٦٩)، وقال: حسن غريب.

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٩) في البر والصلة باب: فضل عيادة المريض، وانظر رياض الصالحين.

العالم يعود المرضىٰ ويخفف عنهم.

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: عادني رسول الله ﷺ فقال: «**اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا**»[1].

آداب عيادة المريض:

١- أن ينوي الإنسان بها امتثال أمر النبي ﷺ.

٢- أن ينوي الإحسان إلىٰ أخيه بعيادته.

٣- أن يلتزم بالآداب العامة للزيارة كأن يطرق الباب برفق، وألا يبهم نفسه، وأن يغض بصره، وألا يقابل الباب عند الاستئذان.

٤- أن تكون العيادة في وقت مناسب ولا تكون في وقت عورة.

٥- أن يستغل الفرصة في توجيه المريض إلىٰ ما ينفعه فيحثه علىٰ التوبة والاستغفار والخروج من حقوق الناس.

٦- أن يوسع العائد للمريض في الأمل ويشير عليه بالصبر ويحذره من اليأس والجزع.

٧- إن كان العائد طالب علم فعليه أن يسأل المريض عن طهارته وصلاته أو ما أشبه ذلك، وعليه أن يخبره عما ينبغي أن يقوم به من طهارة وصلاة وغير ذلك من العبادات.

٨- ألا يطيل في العيادة.

٩- أن يتذكر نعمه الله عليه بالعافية.

١٠- أن يدعو العائد للمريض بما ورد عن النبي ﷺ من أدعية.

---

(١) رواه مسلم (١٦٢٨)، والبخاري (١٢٩٦).

١١- ومنها ما يرجىٰ من دعاء المريض للعائد، فدعاء المريض حَرِيٌّ بالإجابة.

فاللهم اشف مرضانا ومرضىٰ المسلمين

اللهم اجعل شفاءهم سهلًا ميسورًا آمين... آمين

يارب العالمين

* * *

٢٩- اتباع الجنائز والصلاة عليها:

اتباع الجنائز حق من حقوق المسلم علىٰ أخيه، وهو واجب كفائي إن قام به البعض سقط الوجوب عن الباقين، وإن لم يقم به أحد أثم كل من علم، قال ﷺ: «**حَقُّ الْـمُسْلِمِ عَلَىٰ الْـمُسْلِمِ خَمْسٌ...**». ذكر منها: «**وَاتِّبَاعُ الْـجَنَائِزِ**».

فضل اتباع الجنائز:

١- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ شَهِدَ الْـجَنَازَةَ حَتَّىٰ يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّىٰ تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانِ**» قيل: وما القيراطان؟ قال: «**مِثْلُ الْـجَبَلَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ**»[1]. ففي الحديث برواياته الحث علىٰ تشييع الجنازة إلىٰ قبرها.

* * *

٣٠- الإحسان إلى الجار:

لقد اهتم القرآن والسنة بحقوق الجار اهتمامًا عظيمًا، فالإسلام وضع حق الجار مع حق الله تعالىٰ وحق الوالدين والأرحام، قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ

(١) متفق عليه: البخاري (١٣٢٥) مسلم (٩٤٥) وللبخاري بلفظ: «شَيَّعَ»، ولمسلم بلفظ: «مَنْ خَرَجَ... ثُمَّ تَبِعَهَا حَتَّىٰ تُدْفَنَ».

وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾[1].

قال القرطبي:

«﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾: أي القريب ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾: أي القريب، قاله ابن عباس وكذلك هو في اللغة... إلىٰ أن قال: وقال نوف الشامي: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ المسلم ﴿وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ اليهودي والنصراني»[2].

أيها الأحبة:

رمضان شهر الترابط وشهر التواصي وشهر التقارب وشهر المودة، ورسول الله ﷺ أوصانا بالجار وصيانة عرضه وستر عورته وغض البصر عن محارمه.

أيها الصائم الحبيب:

الجار هو من جاورك جوارًا شرعيًّا سواء كان مسلمًا أو كافرًا أو بارًّا أو فاجرًا، صديقًا أو عدوًّا، محسنًا أو مسيئًا، نافعًا، أو ضارًّا، قريبًا أم أجنبيًّا، تستطيع تقسيم هؤلاء إلىٰ الأقسام الآتية:

١- جار مسلم ذو رحم، وهذا له ثلاثة حقوق: حق الإسلام - حق الرحم - حق الجوار.

٢- جار مسلم، وهذا له حقان: حق الإسلام وحق الجوار.

٣- جار كافر ذو رحم، وهذا له حقان: حق الرحم وحق الجوار.

٤- جار كافر ليس له رحم، وهذا له حق واحد هو حق الجوار.

---

(١) النساء: (٣٦).

(٢) تفسير القرطبي (جـ٥/ صـ١٨٣).

وإليك بعض الأحاديث الشريفة التي أوصت بالجار:

١- عن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ»[1].

٢- وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الْأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيْرُ الْجِيرَانِ عِنْدَ اللهِ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ»[2].

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[3].

وللجار حقوق كثيرةٌ جداً منها:

١- أن يحفظ الجار جاره في حال غيابه.

٢- ستره وصيانة عرضه وكف الأذىٰ عنه وعدم تتبع عورته.

٣- رد السلام وإجابة دعوته.

قال الإمام الغزالي في «الإحياء»:

«وجملة حق الجار أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر السؤال عن حاله؛ لأن ذلك يحرجه، ويعوده في المريض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، ويهنئه في الفرح، ويظهر المشاركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلىٰ عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع علىٰ جداره، ولا يصب الماء أمام داره، ولا يضيق طريقه إلىٰ داره، ويستر ما ينكشف له من عيوبه

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه الترمذي وقال: حديث غريب. وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما والحاكم وقال: صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وأخطائه، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يسمع عليه كلامًا، ويغض بصره عن حريمه، ولا يديم النظر إلىٰ خصوصياته، ويتلطف مع أولاده في الكلام، ويرشدهم إلىٰ ما يجهلونه من أمور الدين، ولهم مع ذلك جميع الحقوق التي هي لعامة المسلمين وستأتي...

هذه خلاصة ما قاله الغزالي، وابن حجر، والقرطبي بتصرف قليل، وَيَعْظُم حق الجار إن كان مسكينًا أو أرملة أو يتيمًا أو مسنًّا»[1].

* * *

٣١- بر الوالدين وصلة الأرحام:

أيها الحبيب نحن في أيام فضل وخير، فعلينا أن نهتم بحق الوالدين، وهو الحق الذي يأتي مباشرة بعد حق الله تعالىٰ وحق الرسول ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[3].

وبرهما يكون بالإحسان إليهما، وبفعل الخير وإتمام الصلة وحسن الصحبة، فلا ينبغي لابن أن يتضجر منهما ولو بكلمة ﴿أُفٍّ﴾، بل يجب الخضوع لأمرهما وخفض الجناح لهما ومعاملتهما باللطف والتوقير.

فضل البر:

١- سبب لدخول الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ، رَغِمَ أَنْفُهُ**» قيل: مَنْ يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ**

---

(١) انظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام صـ٢٥٨.

(٢) الإسراء: (٢٣).

(٣) النساء: (٣٦).

أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْـجَنَّةَ»(١).

وبر الأم مقدم على بر الأب، عن أبي هريرة ﵁ قال: جاء رجل للنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، من أحق بحسن صحابتي؟ قال: «**أُمُّكَ**» قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «**أُمُّكَ**». قال: ثمَّ مَنْ؟ قال: «**أُمُّكَ**». قال: ثم مَنْ؟ قال: «**ثُمَّ أَبُوكَ**»(٢).

٢- كونه من أحب الأعمال إلى الله تعالى، عن عبد الله بن مسعود ﵁ قال: سألت النبي ﷺ: أي الأعمال أحب إلى الله تعالى؟ قال: «**الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا**».

قلت: ثم أي؟ قال: «**بِرُّ الْوَالِدَيْنِ**». قلت: ثم أي؟ قال: «**الْـجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»(٣).

٣- رضا الرب من رضا الوالدين، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ عن النبي ﷺ قال: «**رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدَيْنِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدَيْنِ**»(٤).

الخلاصة:

أن سعادة الدارين في بر الوالدين، فعلى المسلم الصائم أن يبر والديه، وليحذر من عقوق الوالدين، فهو من أكبر الكبائر.

قال ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ**» وكان متكئًا فجلس فقال: «**أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّورِ**» فما زال يرددها حتى قلنا: ليته سكت(٥).

وقال ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُمْ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا** - يعني: فرضًا ولا نفلًا،

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) البخاري في ٧٨- كتاب الأدب ٢: باب من أحق الناس بحسن الصحبة.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه الترمذي وصححه ابن حبان والحاكم.

(٥) متفق عليه.

أي: خاب وخسر -: **مَنْ عَقَّ وَالِدَيْهِ وَالْـمَنَّانُ، وَالْـمُكَذِّبُ بِالْقَدَرِ»**[١].

وعلىٰ المسلم الصائم أن يصل رحمه فصلة الأرحام لها فضل كبير، قال ﷺ: **«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»**[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ أنه قال: **«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ»**[٣].

فمن وصل رحمه وصله الله بالخير والإحسان، ومن قطع رحمه قطعه الله.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **«خَلَقَ اللهُ الْـخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ. قَالَتْ: بَلَىٰ، يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكِ»**.

فمن ذا الذي يصله، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾﴾[٤].

* * *

٣٢- العمرة في رمضان:

أفضل زمان تؤدىٰ فيه العمرة رمضان؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: **«عُمْرَةٌ**

---

(١) حسنه الألباني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه مسلم.

(٤) أخرجه البخاري في ٦٥- كتاب التفسير، ٤٧- سورة محمد ﷺ، ١- باب ﴿وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾، انظر اللؤلؤ والمرجان صـ١٨٨.

فِي رَمَضَانَ كَحَجَّةٍ مَعِي».

أخي الحبيب الغالي:

هل استشعرت عظمة هذا الوعد النبوي الصادق، وهو أنك إذا اعتمرت في رمضان عمرة صادقة بنية خالصة، وعلىٰ منهج النبي المصطفىٰ ﷺ الذي قال: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» كأنك حججت معه ﷺ، يا لها من عمرة!

إنها الغنيمة الباردة، إنها ركضة إلىٰ الفردوس الأعلىٰ، وما عليك الآن إلا أن تخلص النية، وتصدق مع الله، وتدعوه بصدق أن يكتب لك ولي العمرة في رمضان هذا العام.

اللهم آمين يا رب العالمين.

من فوائد العمرة في رمضان:

١- صحبة الرسول عليه الصلاة والسلام في حجه.

٢- أنها سبب لتكفير الذنوب، قال ﷺ: «الْعُمْرَةُ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِـمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ»[1].

٣- اجتمع فيها أفضل الأعمال في أشرف الأزمان مع شرف المكان.

٤- الرحلة إلىٰ الله.

٥- الفرار إلىٰ الله.

٦- الهجرة إلىٰ الله.

٧- التبتل والانقطاع والتفرغ لله تعالىٰ[2].

٨- فرصة عظيمة لتحري ليلة القدر، والاستفادة من العشر الأواخر من رمضان.

(١) رواه البخاري في العمرة (١٧٧٣)، ومسلم في الحج (١٣٤٩)..

(٢) أسرار المحبين في رمضان صـ ٢٨٣ إلىٰ صـ٢٨٥ باختصار وتصرف وزيادات.

صفة العمرة لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - عليه رحمة الله تعالى -

فهذه نبذة مختصرة عن أعمال مناسك العمرة وإلى القارئ بيان ذلك[١]:

١- إذا وصل من يريد العمرة إلىٰ الميقات استحب له أن يغتسل ويتنظف، وهكذا تفعل المرأة ولو كانت حائضًا أو نفساء، غير أنها لا تطوف بالبيت حتىٰ تطهر وتغتسل.

ويتطيب الرجل في بدنه دون ملابس إحرامه، فإن لم يتيسر الاغتسال في الميقات فلا حرج، ويستحب أن يغتسل إذا وصل مكة قبل الطواف إذا تيسر ذلك.

٢- يتجرد الرجل من جميع الملابس المخيطة ويلبس إزارًا ورداء، ويستحب أن يكونا أبيضين نظيفين، أما المرأة فتحرم في ملابسها العادية[٢] التي ليس فيها زينة ولا شهرة.

٣- ثم ينوي الدخول في النسك بقلبه، ويتلفظ بلسانه قائلًا: «لبيك عمرة» أو «اللهم لبيك عمرة»، وإن خاف المحرم ألا يتمكن من أداء نسكه لكونه مريضًا أو خائفًا من عدو ونحوه شرع له أن يشترط عند إحرامه، فيقول: «**فَإِنْ حَبَسَنِي حَابِسٌ فَمَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي**» لحديث ضباعة بنت الزبير رضي الله عنها، ثم يلبي بتلبية النبي ﷺ وهي: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**»، ويكثر من هذه التلبية، ومن ذكر الله سبحانه ودعائه حتىٰ يصل إلىٰ البيت «الكعبة».

٤- فإذا وصل إلىٰ المسجد الحرام قدم رجله اليمنىٰ عند الدخول، وقال: بسم الله والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم

(١) نبذة مختصرة من أعمال مناسك العمرة صدرت من مكتب سماحته في ١٣/ ٢/ ١٤١٦هـ.

(٢) ما عدا النقاب والبرقع والقفازين فتخلعها وتغطي وجهها وكفيها عن الرجال غير المحارم بغيرها من الملابس.

وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، اللهم افتح لي أبواب رحمتك.

٥- فإذا وصل إلىٰ البيت قطع التلبية ثم قصد الحجر الأسود واستقبله ثم يستلمه بيمينه ويقبله إن تيسر ذلك، ولا يؤذي الناس بالمزاحمة، ويقول عند استلامه: «بسم الله والله أكبر».

فإن شق عليه التقبيل استلمه بيده أو بعصا أو نحوها وقبل ما استلمه به، فإن شق استلامه أشار إليه وقال: «الله أكبر» ولا يقبل ما يشير به، ويشترط لصحة الطواف أن يكون الطائف علىٰ طهارة من الحدث الأصغر والأكبر؛ لأن الطواف مثل الصلاة غير أنه رخص فيه في الكلام.

٦- يجعل البيت عن يساره ويطوف به سبعة أشواط، وإذا حاذىٰ الركن اليماني استلمه بيمينه إن تيسر، ويقول: «بسم الله والله أكبر» ولا يقبله، فإن شق عليه استلامه تركه ومضىٰ في طوافه ولا يشير إليه ولا يكبر؛ لأن ذلك لم ينقل عن النبي ﷺ، أما الحجر الأسود فكلما حاذاه استلمه وقبله كما ذكرنا سابقًا، وإلا أشار إليه وكبر، ويستحب الرمل - وهو الإسراع في المشي مع تقارب الخطىٰ - في الثلاثة الأشواط الأولىٰ من طواف القدوم للرجل خاصة، كما يستحب للرجل أن يضطبع في طواف القدوم في جميع الأشواط، والاضطباع: أن يجعل وسط ردائه تحت منكبه الأيمن، وطرفيه علىٰ عاتقه الأيسر، ويستحب الإكثار من الذكر والدعاء بما تيسر في جميع الأشواط، وليس في الطواف دعاء مخصوص ولا ذكر مخصوص، بل يدعو ويذكر الله بما تيسر من الأذكار والأدعية، ويقول بين الركنين: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ في كل شوط؛ لأن ذلك ثابت عن النبي ﷺ، ويختم الشوط السابع باستلام الحجر الأسود وتقبيله إن تيسر، أو الإشارة إليه مع التكبير حسب التفصيل المذكور آنفًا،

وبعد فراغه من هذا الطواف يرتدي بردائه فيجعله علىٰ كتفيه، وطرفيه علىٰ صدره.

٧- ثم يصلي ركعتين خلف المقام إن تيسر، فإن لم يتمكن من ذلك صلاهما في أي موضع من المسجد، يقرأ فيهما بعد الفاتحة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ في الركعة الأولىٰ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في الركعة الثانية، هذا هو الأفضل وإن قرأ بغيرهما فلا بأس، ثم بعد أن يسلم من الركعتين يقصد الحجر الأسود إن تيسر ذلك.

٨- ثم يخرج إلىٰ الصفا فيرقاه أو يقف عنده، والرقي أفضل إن تيسر، ويقرأ قوله تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [1].

ويستحب أن يستقبل القبلة ويحمد الله ويكبره ويقول:

«لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو علىٰ كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده»، ثم يدعو بما تيسر رافعًا يديه ويكرر هذا الذكر والدعاء ثلاث مرات، ثم ينزل فيمشي إلىٰ المروة حتىٰ يصل إلىٰ العلم الأول، فيسرع الرجل في المشي إلىٰ أن يصل إلىٰ العلم الثاني، أما المرأة فلا يشرع لها الإسراع؛ لأنها عورة، ثم يمشي فيرقىٰ المروة أو يقف عندها، والرقي أفضل إن تيسر، ويقول ويفعل علىٰ المروة كما قال وفعل علىٰ الصفا.

ثم ينزل فيمشي في موضع مشيه ويسرع في موضع الإسراع حتىٰ يصل إلىٰ الصفا، يفعل ذلك سبع مرات ذهابه شوط ورجوعه شوط، وإن سعىٰ راكبًا فلا حرج ولا سيما عند الحاجة.

ويستحب أن يكثر في سعيه من الذكر والدعاء بما تيسر، وأن يكون متطهرًا

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٥٨).

من الحدث الأكبر والأصغر، ولو سعىٰ علىٰ غير طهارة أجزأه ذلك.

٩- فإذا كمل السعي يحلق الرجل رأسه أو يقصره، والحلق أفضل، وإذا كان قدومه مكة قريبًا من وقت الحج، فالتقصير في حقه أفضل ليحلق بقية رأسه في الحج، أما المرأة فتجمع شعرها وتأخذ منه قدر أنملة فأقل، فإذا فعل المحرم ما ذكر، فقد تمت عمرته - والحمد لله - وحل له كل شيء حرم عليه بالإحرام.

وفقنا الله وسائر إخواننا المسلمين للفقه في دينه، والثبات عليه، وتقبل من الجميع إنه سبحانه جواد كريم.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله نبينا محمد، وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلىٰ يوم الدين.

* * *

٣٣- كثرة الصدقة والجود في رمضان:

عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال كان رسول الله ﷺ أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيدارسه القرآن فرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة. فينبغي للمسلم أن يقتدي بالأسوة ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ...﴾[1].

وللصدقة فضائل كثيرة لا تحصىٰ، فهي تطفئ غضب الرب، وتطفئ الخطيئة، قال ﷺ:

«الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْـخَطِيئَةَ، كَمَا يُطْفِئُ الْـمَاءُ النَّارَ»[2].

---

(١) الأحزاب: (٢١).

(٢) صحيح.

وتدفع السوء وتدل علىٰ الإيمان بالله تعالىٰ، والثقة به وإحسان الظن بالله عز وجل، وهي دليل علىٰ الرحمة، والشعور بالآخرين، وهي سبب لنزول البركات وسبب الاستظلال في ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله، وللصدقة منزلة خاصة في رمضان.

منزلة الصدقة في رمضان:

الصدقة في رمضان أفضل من الصدقة في غيره؛ لأن النبي ﷺ سماه شهر المواساة.

«وكان ﷺ أجود ما يكون في شهر رمضان حين يلقاه جبريل، كان أجود بالخير من الريح المرسلة».

وقال ﷺ:

«مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ، وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ، وَكَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا»(١).

ولم أجد قوله: **«كَانَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِهِ وَعِتْقَ رَقَبَتِهِ مِنَ النَّارِ»**.

ولا سيما وأنه شهر الصيام، ويحصل للمحتاجين فيه جوع وعطش مع قلة ما بأيديهم، فإذا جاء عليهم المحسنون في هذا الشهر كان في ذلك إعانة لهم علىٰ طاعة الله سبحانه وتعالىٰ في هذا الشهر، إضافة إلىٰ أن الطاعات عمومًا تضاعف في الزمان الفاضل، والمكان الفاضل، فتضاعف الأعمال لشرف الزمان.

كما أن الأعمال تضاعف لشرف المكان كما في مسجدي مكة والمدينة، فإن الصلاة في مسجد مكة بمائة ألف صلاة فيما سواه، والصلاة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة بألف صلاة فيما سواه وذلك لشرف المكان وكذلك شرف الزمان تضاعف فيه الحسنات،

---

(١) انظر: سنن الترمذي (٣٤٩)، وسنن ابن ماجه (٥٥٥/ ١)، وسنن الدارمي (٢٤).

وأعظم ذلك شهر رمضان الذي جعله الله موسمًا للخيرات ورفعة للدرجات.

من هديه ﷺ في الصدقة:

وكان من هديه ﷺ أنه لا يسأل شيئًا فيقول: لا. وفي «صحيح مسلم» عن أنس بن مالك قال: «ما سُئل رسول الله ﷺ علىٰ الإسلام شيئًا إلا أعطاه، فجاء رجل فأعطاه غنمًا بين جبلين فرجع إلىٰ قومه، فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدًا ﷺ يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفاقة»(١).

وعن سهل بن سعد، قال: «جاءت امرأة إلىٰ النبي ﷺ ببردة، فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه؟ فأخذها النبي صلىٰ الله عليه وسلم وعلىٰ آله، محتاجًا إليها فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه فاكسينها. فقال: «**نَعَمْ**».

فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه. فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها»(٢).

هذه بعض المواقف للصحابة رضوان الله عليهم في كثرة الصدقة والجود:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال:

أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك مالًا عندي، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا، فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**». قلت: مثله. قال: وأتىٰ أبو بكر بكل ما عنده، فقال له رسول الله ﷺ: «**مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟**».

---

(١) رواه مسلم (١٥/ ١٠٤) الفضائل.

(٢) رواه البخاري (٣/ ١٧٠، ١٧١) الجنائز.

قال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلىٰ شيء أبدًا[١].

فقد كان الصحابة يتسابقون في الصدقة والجود والعطاء مقتدين ومتأسين بسيد العالمين ﷺ، وكان أبو بكر أجود الصحابة الكرام وأسبقهم إلىٰ كل خير، وكان عمر رضي الله عنه يقول: أبو بكر سيدنا وأعتق بلالًا سيدنا.

أبـــو بكـــر حبًّـــا في الله كـــالا وأعتـــق في محبتـــه بـــلالا

وقـــد واســـىٰ النبـــي بكـــل فـــضل وأسرع في إجابتـــــه بـــلا لا

فالصحابة رضي الله عنهم سبقوا إلىٰ كل خير، وتسابقوا في الخيرات عملًا بقول الله عز وجل: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[٢].

ولذا اشتهر عن أصحاب المنهج السلفي - إذا عرض لهم أمر ولم يفعله السلف رضي الله عنهم - قولهم: لو كان خيرًا لسبقونا إليه[٣].

قال الحافظ: روىٰ أحمد البغوي والحاكم من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلًا قال: يا رسول الله، إن لفلان نخلة وأنا أقيم حائطي بها.

فقال له النبي ﷺ: «**أَعْطِهِ إِيَّاهَا بِنَخْلَةٍ فِي الْـجَنَّةِ**» فأبىٰ.

قال: فأتاه أبو الدحداح، فقال: بعني نخلتك بحائطي، قال: ففعل، فأتىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله ابتعت النخلة بحائطي، فاجعلها له فقد أعطيتكها، فقال: «**كَمْ مِنْ عِذْقٍ رَدَاحٍ لأَبِي الدَّحْدَاحِ فِي الْـجَنَّةِ**» قالها مرارًا، قال: فأتىٰ امرأته، فقال: يا أم الدحداح اخرجي من الحائط، فإني قد بعته بنخلة في الجنة.

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٧٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والدارمي (١/ ٣٩١/ ٣٩٢)، وابن أبي عاصم في السنة (١٢٤٠).

(٢) البقرة: (١٤٨).

(٣) مواقف إيمانية د/ أحمد فريد صـ٣٣٢.

فقالت: ربح البيع. أو كلمة تشبهها[١].

وهناك مواقف أخرىٰ كثيرة لسلفنا الصالح لا يسع المقام لذكرها، فهيا أيها الحبيب الصائم أكثر من الصدقة والجود حتىٰ تحشر مع أصحاب الرسول.

قال ﷺ: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...**»، وذكر منهم: «**...وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**».

وعلينا أن نتق النار ولو بشق تمرة كما صح عن النبي ﷺ في الحديث الصحيح.

وقال تعالىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾[٢].

وقال ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»[٣].

وعن البراء بن عازب قال: «أمرنا رسول الله ﷺ بعيادة المريض، واتباع الجنازة وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصرة المظلوم، وإجابة الدعوة، وإفشاء السلام»[٤].

* * *

٣٤- صلاة القيام «التراويح»:

أيها الحبيب: احرص علىٰ صلاة التراويح، فقد كان ﷺ يرغب في قيام رمضان، قال ﷺ: «**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٥].

---

(١) الإصابة (٧/ ٥٧، ٥٨) لابن حجر العسقلاني ط. دار الكتب العلمية نقلًا من مواقف إيمانية د/ أحمد فريد صـ٣٣٦، ٣٣٧.

(٢) الشعراء: (٨٨، ٨٩).

(٣) صحيح.

(٤) رواه الشيخان.

(٥) أخرجه أصحاب الكتب الستة، ومالك وأحمد والدارمي وغيرهم.

تعريف صلاة التراويح:

التراويح جمع ترويحة، وهي مأخوذة من الراحة بمعنىٰ زوال المشقة والتعب، والترويحة في الأصل اسم للجلسة مطلقة، وسميت الجلسة التي بعد أربع ركعات في ليالي رمضان بالترويحة لاستراحة القوم بعد كل أربع ركعات، ولقيام رمضان فضل كبير عند الله تعالىٰ.

جاء رجل إلىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت أن شهدت أن لا إلهٰ إلا الله وأنك رسول الله، وصليت الصلوات الخمس، وأديت الزكاة، وصمت رمضان وقمته فمِمَّنْ أنا؟ قال: «**مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ**»(١).

والمراد بقيام رمضان صلاة التراويح.

فضل صلاة التراويح في جماعة:

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: «صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان، فلم يقم بنا شيئًا من الشهر حتىٰ بقي سبع(٢) فقام بنا(٣) حتىٰ ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة(٤) لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة(٥) قام بنا حتىٰ ذهب شطر الليل.

فقلت: يا رسول الله، لو فعلنا قيام هذه الليلة.

قال: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّىٰ مَعَ الْإِمَامِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ حُسِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**».

قال: فلما كانت الرابعة(٦) لم يقم، فلما كانت الثالثة(٧) جمع أهله ونساءه والناس،

---

(١) صحيح: رواه البزار وغيره، وصححه الألباني في صحيح الترغيب رقم (٩٩٣).

(٢) سبع: أي سبع ليال.

(٣) أي: الليلة الثالثة والعشرون.

(٤) أي: ما بقي وهي الليلة الرابعة والعشرون.

(٥) وهي: الليلة الخامسة والعشرون.

(٦) أي: من الباقية وهي الليلة السادسة والعشرون.

(٧) أي: من الباقية وهي ليلة السابع والعشرون.

فقام بنا حتىٰ خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بنا بقية الشهر(١).

ولقد مرت صلاة التراويح بمراحل عدة نلخصها في الآتي:

قال الشيخ عطية محمد سالم - عليه رحمة الله - في كتابه «التراويح أكثر من ألف عام في مسجد النبي عليه الصلاة والسلام» صـ٢٠(٢).

أولًا: بدأت بالترغيب فيها دون أن يعزم عليها.

ثانيًا: انتقلت إلىٰ السنة والندب مقرونة بفريضة الصيام.

ثالثًا: أديت بالفعل أداها أوزاع من الناس.

رابعًا: تسلل الناس إلىٰ مصلاه ﷺ فائتموا به ﷺ وهو لا يشعر بهم وهو لا يقر علىٰ الباطل.

خامسًا: تقريره صلوات الله وسلامه عليه لمن يصلي بالناس سواء في المسجد أو البيت.

سادسًا: صلاته هو ﷺ بالفعل بأهل بيته.

سابعًا: صلاته هو ﷺ بالفعل بالناس عدة ليال متفرقة.

عدد ركعاتها:

١- صلىٰ ﷺ أربع ركعات استغرقه الليل كله.

٢- صلىٰ ثمان ركعات.

٣- صلىٰ إحدىٰ عشرة ركعة لا تسل عن حسنهن وطولهن.

٤- وصلىٰ عشر ركعات.

---

(١) سنده صحيح: صححه الترمذي، وغيره، وقال الألباني: سنده صحيح. انظر: رهبان الليل (٢/ صـ٣٦٣).

(٢) من كتاب رهبان الليل د/ سيد العفاني المجلد الثاني صـ ٣٩٥.

بعض المخالفات في صلاة التراويح:

١- الصراخ والعويل عند البكاء والتكلف ورفع الصوت وخاصة في ليلة السابع والعشرين، وليس هذا من هدي السلف رضي الله عنهم، بل كان قدوتنا ﷺ إذا بكى سمع له أزيز كأزيز المرجل.

فأنا أحذر إخواني الأئمة والمؤمومين من التكلف والعويل، فهو مدعاة للرياء، وفيه إزعاج للمصلين إلا من غلبه ذلك، فهو معذور، ولكن عليه أن يجاهد نفسه وخير الهدي هدي محمد ﷺ.

٢- التأثر بكلام البشر وعدم التأثر من كلام رب البشر، وذلك بالبكاء من الدعاء فقط وأما القرآن فلا، والله تعالىٰ يقول: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1].

٣- حضور بعض النساء متعطرات، قال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ فَمَرَّتْ عَلَىٰ قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**»[2].

وحضور بعضهن غير مرتديات للحجاب الإسلامي الكامل، والله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾[3].

٤- إحضار الأطفال المزعجين، وتركهم يعبثون ويصرخون في المسجد يشوشون علىٰ المصلين وانشغال المصلين بهم.

وبعد أن من الله عليك بصلاة التراويح إياك والمعاصي، كالتسكع في الأسواق

---

(١) الحشر: (٢١).

(٢) رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

(٣) الأحزاب: (٥٩).

والاختلاط بالنساء، والذهاب إلىٰ أماكن اللهو كالمقاهي، وإياك وصحبة السوء وإذا عدت إلىٰ بيتك فاحذر من مشاهدة قنوات الدش التي تعرض الأفلام والأغاني والمسلسلات والمسرحيات والفوازير، فهؤلاء قطاع طريق يقطعون عنك الطريق إلىٰ الجنة فاحذرهم يرحمك الله.

* * *

٣٥- آداب النوم:

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾[(١)].

أيها الحبيب عليك باتباع سنة الحبيب ﷺ، فهو القدوة والأسوة الحسنة حتىٰ في نومك لقد كان له ﷺ هدي في النوم من الأقوال والأفعال.

وأنت تنام حوالي ٨ ساعات في اليوم تقريبًا أي حوالي ثلث العمر، فاليوم ٢٤ ساعة، فإن اقتديت به ﷺ في ذلك يكون ثلث عمرك اقتداء برسول الله ﷺ.

وإليك بعض آداب النوم:

أولاً: الوضوء والدعاء والنوم على الشق الأيمن:

عن البراء بن عازب، قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ. فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ» قال: فرددتها علىٰ النبي ﷺ فلما بلغت: «اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ» قلت:

---

(١) الروم: (٢٣).

«ورسولك». قال: «لَا: وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»(١).

ثانيًا: نفض الفراش والدعاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ:

«إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ، فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ»(٢).

معاني كلمات الحديث:

بداخلة: الداخلة طرف الإزار الذي يلي الجسم.

ما خلفه عليه: أي أحدث بعده فيه.

إن أمسكت نفسي فارحمها: الإمساك كناية عن الموت، فالرحمة والمغفرة تناسبه.

إن أرسلتها فاحفظها: الإرسال كناية عن استمرار البقاء والحفظ يناسبه.

ثالثًا: التوبة من جميع الذنوب:

عليك إذا أويت إلىٰ فراشك أن تنوي التوبة من جميع الذنوب وهي طهارة الباطن.

عن الزهري قال: أخبرنا أنس بن مالك قال:

كنا جلوسًا مع رسول الله ﷺ، فقال: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد تعلق نعليه في يده الشمال، فلما كان الغد، قال النبي ﷺ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولىٰ، فلما كان اليوم الثالث، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرجل علىٰ مثل حاله الأولىٰ.

---

(١) متفق عليه: اللؤلؤ والمرجان (١٧٣٤).

(٢) صحيح البخاري (٦٣٢٠).

فلما قام النبي ﷺ تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إني لاحيت أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تؤويني إليك حتىٰ تمضي فعلت. قال: نعم.

قال أنس: وكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالي الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار وتقلب علىٰ فراشه، ذكر الله عز وجل وكبر حتىٰ يقوم لصلاة الفجر.

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيرًا.

فلما مضت الثلاث ليال وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، إني لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجر، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك ثلاث مرات: «**يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملت فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ؟

فقال: ما هو إلا ما رأيت.

قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشًّا، ولا أحسد أحدًا علىٰ خير أعطاه الله إياه.

فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق [١].

رابعًا: قراءة أواخر سورة «البقرة»:

عن أبي مسعود الأنصاري، قال: قال النبي ﷺ: «**الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَ بِهِمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ**».

(١) مسند الإمام أحمد (١٢٦٣٣).

قراءة آية الكرسي:

وعن أبي هريرة، قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: والله لأرفعنك إلىٰ رسول الله ﷺ قال: إني محتاج وعلي عيال ولي حاجة شديدة.

قال: فخليت عنه، فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ**». قال: قلت: يا رسول الله، شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمته فخليت سبيله. قال: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**». فعرفت أنه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنه سيعود، فرصدته، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلىٰ رسول الله ﷺ قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ**» قلت: يا رسول الله - ﷺ -: شكا حاجة شديدة وعيالًا فرحمته فخليت سبيله. قال: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**» فرصدته الثالثة، فجاء يحثو من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلىٰ رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات إنك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها. قلت: ما هي؟

قال: إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ...﴾ حتىٰ تختم الآية، فإنك لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتىٰ تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةَ؟**».

قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها، فخليت سبيله.

قال: «**مَا هِيَ؟**». قلت: قال لي: إذا أويت إلىٰ فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتىٰ تختم الآية ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ...﴾.

وقال لي: لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتىٰ تصبح. فقال

النبي ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ».

قال: لا.

قال: «ذَاكَ شَيْطَانٌ»[١].

قراءة سورة «الكافرون»:

عن عروة بن نوفل أنه أتىٰ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، علمني شيئًا أقوله إذا أويت إلىٰ فراشي.

قال: «اقْرَأْ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فَإِنَّهَا بَرَاءَةٌ مِنَ الشِّرْكِ»[٢].

قراءة سورة «الإخلاص» و«المعوذتين»:

كان ﷺ «يجمع كفيه ثم ينفث فيهما، فيقرأ فيهما الإخلاص والمعوذتين ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما علىٰ رأسه ووجهه، وما أقبل من جسده «يفعل ذلك ثلاث مرات»[٣].

خامسًا: استحضار نية قيام الليل عند النوم:

قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ»، فإذا وضعت رأسك علىٰ الوسادة، فعليك أن تنوي بقلبك وبصدق قيامَ الليل.

عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَتَىٰ فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّىٰ أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَىٰ، وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ

---

(١) صحيح البخاري (٣٢٧٥).

(٢) صحيح: صحيح سنن الترمذي للألباني (٣٤٠٣).

(٣) البخاري مع الفتح (٩/ ٦٢)، ومسلم (٤/ ١٧٢٣).

رَبِّهِ عز وجل»[(١)].

سادسًا: الدعاء عند الفزع أثناء النوم:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَأَنْ يَحْضُرُونِ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»[(٢)].

وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم

❊ ❊ ❊

٣٦- ما يستجد من أعمال:

﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾[(٣)].

❊ ❊ ❊

---

(١) صحيح: صحيح الترغيب والترهيب للمنذري تحقيق الألباني (٦٠١/ ٥).

(٢) حسن: صحيح سنن الترمذي للألباني (٣٥٢٨).

(٣) الحجر: (٩٩).

الباب السابع
فضل العشر الأواخر من رمضان

فضل الاعتكاف وأحكامه

العشر الأواخر من رمضان

يـــا أيهـــا الراقـــد كـــم ترقـــد   قـم يـا حبيبنـا قـد دنـا الموعـد
وخـــذ مـــن الليـــل وســـاعاته   حظًـــا إذا هجـــع الرقـــد

أيها الإخوة الأحباب:

هذه العشر الأواخر خلاصة رمضان وزبده وتاجه تدق علىٰ أبواب القلوب، ها هي أعظم ليالي العام علىٰ الإطلاق، والتي فيها الليلة الزاهية البهية، ليلة العتق والمباهاة، ليلة القرب والمناجاة، ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، قال تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾.

أيها الحبيب الغالي:

أدعوك دعوة المحب لحبيبه والناصح لأخيه أن تعتبر هذه العشر الفرصة الأخيرة التي لا تعوض، فرسول الله ﷺ القدوة والأسوة، والذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، كان يجتهد فيها ما لا يجتهد في غيرها من الليالي والأيام.

ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها، قالت:

«كان رسول الله ﷺ إذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله»[1].

وفي رواية لمسلم عنها رضي الله عنها قالت:

«كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره».

ومعنىٰ «أحيا ليله»: أي استغرقه بالسهر في الصلاة والذكر وغيرهما من العبادة.

ومعنىٰ «شد مئزره»: أي اعتزل نسائه ﷺ، وقال الخطابي: «يحتمل أن يريد به

---

(١) هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم «أحيا الليل وأيقظ الأهل وشد المئزر» جزء من حديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه.

الجد في العبادة كما يقال: شددت لهذا الأمر مئزري، أي: تشمرت له، ويحتمل أن يراد التشمير والاعتزال معًا، ويحتمل أن يراد الحقيقة والمجاز.

كمن يقول: «طويل النجاد» لطويل القامة وهو طويل النجاد حقيقة، فيكون المراد شد مئزره حقيقة فلم يحله، واعتزل النساء، وشمر للعبادة».

قال ابن حجر:

«وقد وقع في رواية عاصم بن ضمرة المذكورة «شد مئزره واعتزل النساء»، فعطفه بالواو فيتقوىٰ الاحتمال الأول.

قوله: «وأحيا ليله»، أي: سَهِرَه فأحياه بالطاعة وأحيا نفسه بسهره فيه؛ لأن النوم أخو الموت، وأضافه إلىٰ الليل اتساعًا؛ لأن القائم إذا حيىٰ باليقظة أحيا ليله بحياته، وهو نحو قوله: «لَا تَـجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا».

أي: لا تناموا، فتكونوا كالأموات فتكون بيوتكم كالقبور.

وقوله: «وأيقظ أهله»: أي للصلاة.

وروىٰ الترمذي، ومحمد بن نصر من حديث زينب بنت أم سلمة: «لم يكن النبي ﷺ إذا بقي من رمضان عشرة أيام يدع أحدًا من أهله يطيق القيام إلا أقامه»[(١)].

وذلك من حرصه ﷺ علىٰ أن يدرك أهله فضائل هذه الليالي.

وما ذاك إلا شفقة ورحمة بهم حتىٰ لا يفوتهم هذا الخير في هذه الليالي العشر.

والخلاصة:

أن النبي ﷺ كان يخص العشر الأواخر من رمضان بأعمال لا يعملها في بقية الشهر، منها:

١ - إحياء الليل: (كله أو غالبه).

---

(١) فتح الباري (٤/ ٣١٦).

أي: يظل طيلة الليل يتعبد لمولاه، وكان يصلي حتىٰ تتورم قدماه ﷺ.

٢- إيقاظ أهله للصلاة: وقد قال ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّىٰ، وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْـمَـاءَ، وَرَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ، وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فَصَلَّىٰ، فَإِنْ أَبَىٰ نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْـمَـاءَ»[1].

٣- كان ﷺ يشد المئزر كناية عن اعتزال النساء.

٤- ومنها تأخيره للفطور إلىٰ السحور.

في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

نهىٰ رسول الله ﷺ عن الوصال في الصوم، فقال له رجل من المسلمين: إنك تواصل يا رسول الله؟

فقال: «وَأَيُّكُمْ مِثْلِي إِنِّي أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي»[2].

٥- اغتساله ﷺ بين العشاءين.

٦- الاعتكاف.

ففي «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتىٰ توفاه الله.

وإنما كان يعتكف ﷺ في هذه العشر التي يطلب فيها ليلة القدر قطعًا لأشغاله وتفريغًا للياليه، وتخليًا لمناجاة ربه وذكره ودعائه، وكان يحتجر حصيرًا يتخلىٰ فيها عن الناس، فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم[3].

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان والحاكم وابن خزيمة عن أبي هريرة، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٩٤)، وفي رواية: «فَإِنْ قَامَا مِنْ لَيْلَتِهِمَـا هَذِهِ كُتِبَا مِنَ الذَّاكِرِينَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ».

(٢) رواه البخاري (٤/ ١٧٩) في الصوم باب التنكيل لمن أكثر الوصال، ومسلم (١١٠٣) (٥٨) في الصيام: باب النهي عن الوصال في الصوم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) لطائف المعارف (٢٠٧-٢١٣).

فيا أيها الحبيب المحب: فرغ نفسك في هذه الأيام، وخفف من الاشتغال بالدنيا واجتهد فيها بأنواع العبادات، وبادر إلىٰ اغتنام العمل فيما بقي من الشهر، فعسىٰ أن تستدرك به ما فات من العمر.

* * *

فضل الاعتكاف وأحكامه

الاعتكاف

يحلو الحديث حين يذكر الاعتكاف، وتهفو النفوس وتشنف الآذان وتشرئب الأعناق، وتنفتح القلوب المؤمنة الصادقة، فالاعتكاف بيت المشاعر، وعمق الإيمان وصدق التوجه وحلاوة الغربة، الاعتكاف ملازمة الباب، والوقوف في المحراب ولذةُ أولي الألباب، والاعتكاف لابد منه لكل صادق، فإنه مطلب رئيسي يحتاجه في حياته...

ففي القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال علىٰ الله، وفي القلب فاقة لا يسدها إلا الأنس به واستشعار معيته.

هم الحياة وكبدها، شتاتُ القلب وتفرقه، مأساةُ التعامل مع الناس ودنياهم، كل ذلك يجعل الإنسان يتوق إلىٰ خلوة حصينة يخلو فيها مع ربه، وإلهه وحبيبه، ومعبوده وسيده، ورجائه ومطلوبه، يجعل الإنسان يشتاق إلىٰ لحظات يتخلص فيها من كل شيء، ومن كل أحد...

ويجتمع هم قلبه وكل مشاعره وأحاسيسه، بل وكل حواسه علىٰ الله وحده[1].

فالمعنىٰ الحقيقي للاعتكاف: هو قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق، وكلما قويت المعرفة بالله، والمحبة له والأنس به أورثت صاحبها الانقطاع إلىٰ الله تعالىٰ بالكلية علىٰ كل حال، فالمعتكف قد حبس نفسه علىٰ طاعة الله وذكره، وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه، وعكف قلبه وقالبه علىٰ ربه وما يقربه منه، فما

---

(١) أسرار المحبين في رمضان صـ ٢٣١.

بقي له هم سوىٰ الله، وما يرضيه عنه كما كان داود الطائي يقول في ليلة:

«همك عطّل عليّ الهموم وخالف بيني وبين السهاد، وشوقي إلىٰ النظر إليك أوثق من اللذات وحال بيني وبين الشهوات».

كان بعضهم لا يزال منفردًا في بيته خاليًا بربه فقيل له:

أما تستوحش؟

قال: كيف أستوحش؟ وهو يقول: «أنا جليس من ذكرني»[(١)].

فالاعتكاف من أهم الطاعات، ولنا معه هذه الوقفات.

* * *

الوقفة الأولى: الاعتكاف لغة واصطلاحًا:

الاعتكاف لغة:

هو اللبث والحبس والملازمة.

قال ابن فارس: «العين والكاف والفاء أصل صحيح يدل علىٰ مقابلة وحبس»[(٢)].

وهو من عكف علىٰ الشيء يعكف عكفًا وعكوفًا أي: لزم المكان[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والتاء في الاعتكاف تفيد المعالجة والمزاولة؛ لأنه فيه كلفة كما يقال: (عمل واعتمل، وقطع وانقطع)»[(٤)].

ويسمىٰ الاعتكاف جوارًا لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: «كان رسول الله ﷺ

---

(١) نداء الريان صـ ١٦٧ باختصار.

(٢) مقاييس اللغة (٤/ ١٠٨ مادة عكف).

(٣) لسان العرب (٩/ ٥٥) مادة عكف.

(٤) شرح العمدة (٢/ ٧٠٧) الصيام.

يصغي إلي رأسه وهو مجاور في المسْجد فأرجله وأنا حائض»[(١)].

الاعتكاف شرعًا:

هو المقام في المسجد علىٰ سبيل القربة، من شخص مخصوص بصفة مخصوصة أو ملازمة طاعة مخصوصة في وقت مخصوص علىٰ شرط مخصوص في مكان مخصوص.

١- **وعند الحنفية:** «هو اللبث في المسجد مع الصوم ونية الاعتكاف»[(٢)].

٢- **وعند المالكية:** «هو لزوم مسلم مميز مسجدًا مباحًا بصوم كافًّا عن الجماع ومقدماته يومًا وليلة، فأكثر للعبادة بنية»[(٣)].

٣- **وعند الشافعية:** اللبث في المسجد من شخص مخصوص بنية[(٤)].

٤- **وعند الحنابلة:** هو لزوم مسلم لا غسل عليه عاقل ولو مميزًا مسجدًا ولو ساعة لطاعة علىٰ صفةٍ مخصوصة»[(٥)].

والاعتكاف من الشرائع القديمة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ﴾[(٦)].

* * *

الوقفة الثانية: الأدلة على مشروعية الاعتكاف:

من الكتاب:

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ﴾[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتكاف باب الحائض ترجل رأس المعتكف (٢٠٢٨، ٢٠٢٩).

(٢) الهداية مع فتح القدير (٢/ ٣٩٠).

(٣) الشرح الكبير للدردير مع حاشيته (١/ ٥٤١).

(٤) مغني المحتاج (١/ ٤٤٩).

(٥) منتهىٰ الإرادات (١/ ١٦٧).

(٦) البقرة: (١٢٥).

(٧) البقرة: (١٨٧).

قال العلامة السعدي: «دلت الآية علىٰ مشروعية الاعتكاف»[١].

ومن السنة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «كان رسول الله ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان»[٢].

وأما الإجماع:

قال ابن المنذر: وأجمعوا علىٰ أن الاعتكاف سنة لا يجب علىٰ الإنسان فرضًا إلا أن يوجبه المرء علىٰ نفسه نذرًا، فيجب عليه[٣] ونقله أيضًا ابن حزم[٤]، والنووي[٥] وابن قدامة[٦]، وابن تيمية[٧] والقرطبي[٨]، وابن هبيرة[٩] والزركشي[١٠]، وابن رشد[١١].

الوقفة الثالثة:

ثالثًا: الحكمة من مشروعيته:

قال ابن القيم: «لما كان صلاح القلب واستقامته علىٰ طريق سيره إلىٰ الله تعالىٰ

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (١/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه البخاري في الاعتكاف باب الاعتكاف في العشر الأواخر (١١٧١).

(٣) الإجماع صـ٥٣.

(٤) مراتب الإجماع صـ٤١.

(٥) المجموع (٦/ ٤٠٧).

(٦) المغني (٤/ ٤٥٦).

(٧) شرح العمدة (٢/ ٧١١ - الصيام).

(٨) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣٣٣).

(٩) الإفصاح (١/ ٥٥).

(١٠) شرح الزركشي (٣/ ٤).

(١١) بداية المجتهد (١/ ٤٢٧).

متوقفًا علىٰ جمعيته علىٰ الله، ولَمِّ شَعَثِهِ بإقباله بالكلية علىٰ الله تعالىٰ، فإن شعث القلب لا يلمه إلا الإقبال علىٰ الله تعالىٰ، وكان فضول الطعام والشراب، وفضول مخالطة الأنام، وفضول الكلام، وفضول المنام، مما يزيده شعثًا ويشتته في كل وادٍ، ويقطعه عن سيره إلىٰ الله - تعالىٰ - أو يضعفه أو يعوقه ويوقفه: اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوِّقة له عن سيره إلىٰ الله تعالىٰ وشرعه بقدر المصلحة، بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذي مقصوده وروحه عكوف القلب علىٰ الله تعالىٰ، وجمعيته عليه، والخلوة به، والانقطاع عن الاشتغال بالخلق والاشتغال به وحده سبحانه، بحيث يصير ذكره وحبه، والإقبال عليه في محل هموم القلب وخطراته، فيستولي عليه بدلها، ويصير الهم كله به، والخطرات كلها بذكره، والتفكر في تحصيل مراضيه وما يقرب منه، فيصير أنسه بالله بدلًا عن أنسه بالخلق، فيعده بذلك لأنسه به يوم الوحشة في القبور حين لا أنيس له، ولا ما يفرح به سواه، فهذا مقصود الاعتكاف الأعظم[(١)].

والحكمة من تخصيصه ﷺ العشر الأواخر من رمضان قد بيّنها عليه السلام، كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان، ثم اعتكف العشر الأوسط... ثم أطلع رأسه فكلم الناس فدنوا منه، فقال: «**إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ، فَقَالَ: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ**»،

(١) زاد المعاد (٢/ ٨٦-٨٧)، وانظر: شرح العمدة لشيخ الإسلام (٢/ ٧١١- الصيام)، والفتاوىٰ الهندية (١/ ٢١٢)، والشرح الصغير للدردير (١/ ٢٥٩)، وسبل السلام (٢/ ١٧٤).

فاعتكف الناس معه..»[١].

* * *

الوقفة الرابعة: حكمه:

«الاعتكاف سنة بالإجماع ولا يجب إلا بالنذر بالإجماع، ويستحب ويتأكد استحبابه في العشر الأواخر من شهر رمضان طلبًا لليلة القدر»[٢].

ففي الحديث المتفق عليه، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

إن رسول الله ﷺ اعتكف العشر الأول من رمضان ثم اعتكف العشر الأوسط في قبة تركية علىٰ سدتها حصير.

قال: فأخذ الحصير بيده، فنحاها في ناحية القبة، ثم أطلع رأسه فكلم الناس، فدنوا منها، فقال: «**إِنِّي اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الْأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ، فَقِيلَ: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ أَحَبَّ مِنْكُمْ أَنْ يَعْتَكِفَ فَلْيَعْتَكِفْ**».

فاعتكف الناس معه، قال: «**وَإِنِّي أُرِيتُهَا وِتْرًا وَإِنِّي أَسْجُدُ صَبِيحَتَهَا فِي طِينٍ وَمَاءٍ**» فأصبح رسول الله ﷺ فمطرت السماء، فوكف المسجد، فأبصرت الطين والماء، فخرج حين فرغ من صلاة الصبح وجبينه وروثة أنفه فيهما الطين والماء، وإذا هي ليلة إحدىٰ وعشرين من العشر الأواخر»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري في فضل ليلة القدر، باب تحري ليلة القدر (٢٠١٨)، ومسلم في الصيام، باب فضل ليلة القدر (١١٦٧) (٢١٥)، واللفظ له.

(٢) المجموع (٦/ ٥٠١).

(٣) متفق عليه: البخاري (٧٨٠)، ومسلم (١١٦٧).

قال الماوردي رحمه الله:

«فالاعتكاف سنة حسنة وقربة مأمور بها غير واجبة ولا لازمة»[(١)].

* * *

الوقفة الخامسة: ثواب الاعتكاف وفضله والغرض منه:

أما فضله:

فقد واظب عليه النبي ﷺ، فقد أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يعتكف في العشر الأواخر من رمضان حتىٰ توفاه الله ثم اعتكف أزواجه من بعده»[(٢)].

وقال الإمام الزهري:

«عجبًا للمسلمين: تركوا الاعتكاف مع أن النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدينة حتىٰ قبضه الله عز وجل»[(٣)].

وأما ثوابه:

فقد مدح الله تعالىٰ أهله بقوله تعالىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾[(٤)].

الغرض منه: مقاصده:

١- الاستعداد للفضل العظيم (ليلة القدر).

٢- المكث في المسجد أيام الاعتكاف يعين المسلم علىٰ الاجتهاد في الطاعات.

---

(١) الحاوي الكبير وهو شرح مختصر المزني الطبعة الأولىٰ سنة ١٤١٤هـ دار الكتب العلمية (جـ٣/ ٤٨١).

(٢) رواه البخاري.

(٣) فتح الباري (٤/ ٣٣٤).

(٤) البقرة: (١٢٥).

٣- الإكثار من الطاعات يزيد المسلم إيمانًا وتعلقًا بالآخرة وزهدًا في الدنيا، ويتم أنسه بالله تعالىٰ.

٤- حفظ الصيام من كل ما يؤثر عليه من حظوظ النفس وشهواتها.

٥- التقلل من المباح من الأمور الدنيوية والزهد في كثير منها مع القدرة علىٰ التعامل معها.

أركان الاعتكاف:

للاعتكاف ركنان:

الأول: المكث في المسجد.

الثاني: النية.

شروطه:

يشترط لصحة الاعتكاف سبعة شروط:

الأول والثاني: الإسلام والتمييز.

الثالث: النية.

الرابع: الطهارة من الحدث الأكبر.

الخامس: الكف عن شهوة الفرج؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ﴾.

السادس: أن يكون اعتكاف الرجل في مسجد تقام فيه جماعة، ولم يثبت أن النبي ﷺ اعتكف في غير المسجد[1].

ومن العلماء من أضاف شرطًا سابعًا وهو الصوم مطلقًا، واستدلوا بحديث

---

(١) الفقه الميسر صـ٢٠٣ باختصار.

عائشة رضي الله عنها وقد أجيب علىٰ ذلك بالآتي:

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ قال: «**لَا اعْتِكَافَ إِلَّا بِصَوْمٍ**».

مردود عليه بالآتي:

١-الحديث ضعيف، ضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦١٧٤).

٢-ما ثبت من حديث عمر السابق الذكر: «ولم يأمره النبي ﷺ بالصوم».

٣-لو كان الصوم شرطًا لما صح اعتكاف الليل لأنه لا صيام فيه.

٤- لأنه عبادة تصح في الليل فلم يشترط له الصيام كالصلاة، كما أنه عبادة تصح في الليل فأشبه سائر العبادات.

٥- لأن إيجاب الصوم حكم لا يثبت إلا بالشرع، ولم يصح فيه نص ولا إجماع، وأحاديثهم لا تصح، ولو صحت فالمراد بها الاستحباب، فإن الصوم فيه أفضل[1].

ما يباح للمعتكف:

يباح للمعتكف التنظف والغُسل وتسريح شعره، والوضوء في المسجد، وعقد النكاح، وعقد البيع والشراء بلا إحضار السلع، والأكل والشرب، والكلام للحاجة، وتوديع الزائر، وزيارة امرأته له، ودخول بيته لضرورة كالبول والغائط، وغسل الجنابة، وله أن يتخذ خيمة صغيرة في مؤخرة المسجد يعتكف فيها[2].

وقت دخول الاعتكاف والخروج منه:

ذهب الأئمة الأربعة إلىٰ أن دخول الاعتكاف قبيل غروب الشمس «يوم العشرين أي قبل ليلة الحادي والعشرين»؛ لأن العشر اسم لعدد الليالي، فيلزم أن

(١) نقلًا من مجلة التوحيد العدد (٦٨) التاريخ (١/ ١٠/ ٢٠٠٧م).

(٢) الفقه الميسر صـ ٢٠٣، ٢٠٤.

يبدأ قبل ابتداء الليلة.

وذهب الأوزاعي والليث والثوري إلىٰ أن المعتكف يدخل بعد صلاة الفجر أول هذه الأيام «الحادي والعشرين»، واستدلوا بحديث عائشة رضي الله عنها قالت:

«كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يعتكف صلىٰ الفجر، ثم دخل معتكفه، وأنه أمر بخباء فضرب لما أراد الاعتكاف في العشر الأواخر من رمضان».

الرد عليه:

رد الأئمة الأربعة وغيرهم علىٰ هذا الحديث بأنه ﷺ دخل في أول الليل إلىٰ المسجد، ولكن دخل إلىٰ المكان الذي أعده للاعتكاف بعد صلاة الصبح ليخلو بنفسه.

ويخرج من الاعتكاف بعد غروب الشمس ليلة العيد سواء تم الشهر أو نقص، والأفضل أن يمكث ليلة العيد في المسجد حتىٰ يصلي فيه صلاة العيد أو يخرج منه إلىٰ المصلىٰ[1].

* * *

(١) مجلة التوحيد العدد (٦٨) التاريخ (١/ ١٠/ ٢٠٠٧م).

فضل ليلة القدر وأحكامها

فضل ليلة القدر:

قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (١).

من حكمته تعالىٰ أن فضل بعض الكائنات علىٰ بعض بما أودعه فيها من أسرار وخصائص، وفضل بعض الأماكن علىٰ بعض، فالمساجد الثلاثة - البيت الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصىٰ - أفضل الأماكن.

وفضل بعض الناس علىٰ بعض، فالناس يتفاضلون بتفاضل العقول والأعمال قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ (٢).

والأنبياء والرسل أفضل البشر، قال تعالىٰ: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ (٣).

وفضل بعض الأزمنة بما تحويه من آيات وعبر، فمن الشهور رمضان أفضل الشهور، ومن الأيام يوم الجمعة، ويوم عرفة، وكذا العشر الأوائل من ذي الحجة، ومن الليالي: ليلة القدر أفضل الليالي وأشرفها.

قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ (٤).

---

(١) القصص: (٦٨).

(٢) الحجرات: (١٣).

(٣) البقرة: (٢٥٣).

(٤) القدر.

وقال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، للهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»[2].

فليلة القدر هي الليلة المباركة الزاهية البهية، ليلة العتق من النار والمباهاة والمناجاة، ليلة يقبل الله فيها التوبة من كل من تاب، وهي ليلة مباركة تشرف فيها الأرض بالملائكة..

ليلة القدر ليلة يفتح فيها الباب، ويقرب فيها الأحباب، ويسمع الخطاب، ويرد الجواب، ويعطىٰ للعاملين جزيل الأجر والثواب.

في ليلة ذات قدر، نزل فيها كتاب ذو قدر، علىٰ لسان ملك ذي قدر، علىٰ رسول ذي قدر، وعلىٰ أمة ذات قدر[3].

أخي الحبيب:

يهون العمر كله إلا هذه الليلة التي نزل فيها القرآن جملة إلىٰ السماء الدنيا، الليلة التي يقدر فيها أحكام تلك السنة، وتكتب فيها الملائكة الأقدار بإذن الكبير المتعال.

وقد خص الله تعالى هذه الليلة بخصائص:

١ - نزل فيها القرآن الكريم: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤

---

(١) الدخان: (٤، ٥).

(٢) حسن: رواه النسائي والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١/ ٤١٨)، حديث رقم (٩٨٩).

(٣) انظر: رهبان الليل د/ سيد العفاني (جـ ٢/ صـ ٤٦٤).

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ (١).

وقال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ (٢).

قال ابن عباس: أنزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلىٰ بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلًا بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة علىٰ رسول الله ﷺ (٣).

قال أبو بكر بن العربي:

«لو لم يكن من شرفها إلا إنزال القرآن فيها لكفىٰ».

٢- وصفها الله تعالىٰ بأنها خير من ألف شهر: قال تعالىٰ: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ ومعنىٰ ذلك: أنها تعادل في فضلها أكثر من ألف شهر، فالعمل الذي يقع فيها خير من العمل في ألف شهر، وهذا مما تتحير فيه الألباب، وتندهش له العقول حين مَنَّ ربنا تبارك وتعالىٰ علىٰ هذه الأمة الضعيفة القوة والقوىٰ بليلة يكون العمل فيها يقابل ويزيد علىٰ العمل في ألف شهر عمر رجل معمر عمرًا طويلًا نيف وثمانين سنة.

قال سفيان الثوري:

«بلغني عن مجاهد ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ قال: عملها وصيامها وقيامها خير من ألف شهر» (٤).

٣- وصفها بأنها ليلة مباركة: قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ (٥).

---

(١) سورة القدر.

(٢) البقرة: (١٨٥).

(٣) تفسير ابن كثير المجلد الثامن صـ ٤١١.

(٤) رواه ابن جرير انظر تفسير ابن كثير (جـ٨/ صـ٤١٣).

(٥) الدخان: (٣).

٤- تتنزل فيها الملائكة وجبريل عليه السلام: قال تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾.

أي: يكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة البركة، فتنزل من السماء إلىٰ الأرض بالخير والبركة.

٥- ووصفها الله تعالىٰ بأنها سلام: أي ليلة القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها[١].

فهي سالمة من كل آفة وشر وذلك لكثرة الخير فيها[٢].

وقال سعيد بن منصور: حدثنا هُشيم عن أبي إسحاق عن الشعبي في قوله تعالىٰ: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ قال: تسليم الملائكة ليلة القدر علىٰ أهل المساجد حتىٰ يطلع الفجر[٣].

وهي ليلة يكثر فيها السلامة من العقاب والعذاب بما يقوم العبد من طاعة الله عز وجل.

٦- ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٤].

٧- سميت ليلة القدر ومعناها ليلة الحكم، والمعنىٰ: ليلة التقدير.

سميت بذلك لأن الله تعالىٰ يقدر فيها ما يشاء من أمره إلىٰ مثلها من السنة القابلة من أمر الموت والأجل والرزق وغيره، ويسلمه إلىٰ مدبرات الأمور وهم أربعة:

«إسرافيل، وميكائيل، وملك الموت، وجبريل» عليهم السلام.

عن ابن عباس، قال: «يكتب من أم الكتاب ما يكون في السنة من رزق،

---

(١) روي عن نافع، انظر تفسير القرطبي المجلد العاشر صـ ٧٢٢٤.

(٢) انظر: تفسير السعدي صـ ٩٣١.

(٣) تفسير ابن كثير (جـ٨/ صـ٤١٤).

(٤) الدخان: (٤).

ومطر وحياة وموت...»[١]، وكل ذلك مما سبق في علم الله تعالىٰ.

٨- لعظيم قدرها ولعلو شرفها أنزل الله تعالىٰ في شأنها سورة تتلىٰ إلىٰ قيام الساعة، وذكر فيها شرف هذه الليلة وقدرها، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ...﴾ الآية.

٩- تغفر فيها الذنوب وتقال العثرات بإذن الله تعالىٰ لمن قامها إيمانًا واحتسابًا، قال ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٢].

١٠- اختصاص الاعتكاف فيها بزيادة الفضل والأجر، ومن السنة تحريها، قال ﷺ: «**تَحَرُّوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»[٣].

وكان ﷺ يعتكف ويكثر من التعبد في العشر الأواخر من رمضان رجاء ليلة القدر.

عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر الأواخر ما لا يجتهد في غيره»[٤].

ومن مبالغته ﷺ في الاجتهاد أنه كان يشد المئزر، وهذا يعني أنه يعتزل النساء انشغالًا بالعبادة وتفرغًا لها.

فاحرص أخي المسلم علىٰ الاقتداء بنبيك ﷺ وتفرغ للعبادة، ولا تفتك هذه الليلة المباركة، فإن فيها أجرًا عظيمًا، وأكثر من الدعاء والتضرع حتىٰ تتعرض لنفحات الرب الكريم الجواد[٥].

---

(١) انظر: تفسير القرطبي صـ ٧٢٢١ المجلد العاشر.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) رواه مسلم (١١٧٥).

(٥) دروس رمضان عبد الملك بن القاسم صـ ١٢٥ بتصرف يسير.

سبب تسميتها بليلة القدر:

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

أولًا: سميت ليلة القدر من القدر وهو الشرف، كما تقول: فلان ذو قدر عظيم، أي: ذو شرف عظيم.

ثانيًا: أنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة، فيكتب فيها ما سيجري في ذلك العام، وهذا من حكمة الله عز وجل وبيان إتقان صنعته وخلقه.

ثالثًا: وقيل: لأن للعبادة فيها قدر عظيم؛ لقول النبي ﷺ: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»(١).

علامات ليلة القدر:

العلامة الأولى:

تبين في «صحيح مسلم» من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه: «أن النبي ﷺ أخبر أن من علاماتها أن الشمس تطلع صبيحتها لا شعاع لها»(٢).

وروىٰ ابن خزيمة من حديث أبي: «**تَطْلُعُ الشَّمْسُ صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلَةِ لَيْسَ لَـهَا شُعَاعٌ، مِثْلَ الطَّسْتِ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ**».

العلامة الثانية:

تبين من حديث ابن عباس عند ابن خزيمة، ورواه الطيالسي في «مسنده»، وسنده صحيح، أن النبي ﷺ قال:

«**لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ طَلْقَةٌ، لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ تُصْبِحُ الشَّمْسُ يَوْمَهَا حَمْرَاءَ ضَعِيفَةً**»(٣).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مسلم (٧٦٢).

(٣) صحيح ابن خزيمة (٢/ ٢٩)، ومسند الطيالسي.

العلامة الثالثة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ سَمْحَةٌ طَلْقَةٌ لَا حَارَّةٌ وَلَا بَارِدَةٌ، تُصْبِحُ الشَّمْسُ صَبِيحَتَهَا ضَعِيفَةً حَمْرَاءَ**»(١).

الحث علىٰ طلب ليلة القدر وبيان محلها وأرجىٰ أوقات طلبها(٢):

حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

«إن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر. فقال رسول الله ﷺ: «**أَرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا فِي السَّبْعِ الْأَوَاخِرِ**»(٣).

حديث أبي سعيد، قال: «اعتكفنا مع النبي ﷺ العشر الأوسط من رمضان، فخرج صبيحة عشرين، فخطبنا وقال:

«**إِنِّي رَأَيْتُ لَيْلَةَ الْقَدْرِ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا - أو: نُسِّيتُهَا - فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ فِي الْوِتْرِ، وَإِنِّي رَأَيْتُ أَنِّي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ، فَمَنِ اعْتَكَفَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَلْيَرْجِعْ**» فرجعنا وما نرىٰ في السماء قزعة، فجاءت سحابة فمطرت حتىٰ سال سقف المسجد، وكان جريد النخل وأقيمت الصلاة، فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين حتىٰ رأيت أثر الطين في جبهته ﷺ»(٤).

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يُجاور في رمضان العشر التي وسط الشهر، فإذا كان حين يمسي من عشرين ليلة تمضي، ويستقبل إحدىٰ

---

(١) صحيح: رواه الطيالسي، والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس. وابن نصر وابن خزيمة والبزار وأبو نعيم وأبو القاسم والأصفهاني، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٣٥١).

(٢) انظر: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان الجزء الثاني صـ ٢٤، ٢٥.

(٣) أخرجه البخاري في ٣٢ - كتاب فضل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر.

(٤) أخرجه البخاري في ٣٢- كتاب فضل ليلة القدر ٢ باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر.

وعشرين رجع إلىٰ مسكنه، ورجع من كان يجاور معه، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع فيها فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله، ثم قال:

«**كُنْتُ أُجَاوِرُ هَذِهِ الْعَشْرَ، ثُمَّ قَدْ بَدَا لِي أَنْ أُجَاوِرَ هَذِهِ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ، فَمَنْ كَانَ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَثْبُتْ فِي مُعْتَكَفِهِ، وَقَدْ أُرِيتُ هَذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنْسِيتُهَا، فَابْتَغُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، وَابْتَغُوهَا فِي كُلِّ وِتْرٍ، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ**».

فاستهلت السماء في تلك الليلة فأمطرت، فوكف المسجد في مصلىٰ النبي ﷺ ليلة إحدىٰ وعشرين فبصرت عيني - نظرت إليه - انصرف من الصبح ووجهه ممتلئ طينًا وماء»[(١)].

حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر الأواخر من رمضان ويقول: «**تَحَرَّوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»[(٢)].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الْتَمِسُوا** - تحروا - **لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»[(٣)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**اطْلُبُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله ﷺ، فقال: «**أَيُّكُمْ يَذْكُرُ حِينَ طَلَعَ الْقَمَرُ وَهُوَ مِثْلُ شِقِّ جَفْنَةٍ**»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري في ٣٢ كتاب فضل ليلة القدر، ٣ - باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٢) أخرجه البخاري ٣٢ كتاب فضل ليلة القدر. ٣- باب تحري ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر.

(٣) مسلم كتاب الصوم فضل ليلة القدر والحث عليها.

(٤) صحيح: رواه الطبراني عن ابن عباس وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٤٠).

(٥) رواه مسلم في كتاب الصوم.

وقال القاضي:

«وفيه إشارة إلىٰ أنها تكون في أواخر الشهر؛ لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا في أواخر الشهر، والله أعلم»(١).

وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب.

والخلاصة: أن ليلة القدر في شهر رمضان في العشر الأواخر في الوتر منها.

وليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان، وهي في الأوتار أقرب من الأشفاع وهي في السبع الأواخر أقرب، وأقرب أوتار السبع الأواخر ليلة سبع وعشرين لحديث أبي بن كعب «ولا تختص ليلة القدر بليلة معينة في جميع الأعوام، بل تنتقل فتكون في عام ليلة سبع وعشرين مثلًا، وفي عام آخر ليلة خمس وعشرين، تبعًا لمشيئة الله وحكمته»(٢).

وهي باقية إلىٰ يوم القيامة، قال النووي رحمه الله في «شرح مسلم»:

«أجمع من يعتد به علىٰ وجودها ودوامها إلىٰ آخر الدهر للأحاديث الصحيحة المشهورة»(٣).

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: رهبان الليل د/ سيد العفاني صـ٤٦٦، ٤٦٧.

(٢) الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين، مجالس شهر رمضان صـ١٠٦، ١٠٧.

(٣) شرح مسلم (جـ٣/ صـ ٢٣١) نقلًا من رهبان الليل صـ ٤٨١.

الباب الثامن

أحكام زكاة الفطر

زكاة الفطر

أهل التقوىٰ الذين استقبلوا شهر الصيام بالتوبة والإخلاص والإذعان آن لهم أن يودعوه بالعطايا والإكرام، تأسيًا بالنبي عليه الصلاة والسلام، وذلك بإخراج زكاة فطرهم طاعة لربهم، واقتداء بنبيهم، وطهرة لصومهم، وزكاة لنفوسهم، وبذلك يتحقق فلاحهم مصداقًا لقول ربهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾[(١)].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين والفقراء»[(٢)].

* * *

أحكام زكاة الفطر في سؤال وجواب

س١: ما هي زكاة الفطر؟

ج: هي الصدقة التي تخرج عند الفطر من رمضان، ويقال لها: زكاة الفطر وصدقة الفطر وسُميت بذلك، لأن الفطر سببها - كما في بعض روايات البخاري: «زكاة الفطر من رمضان» -[(٣)].

س٢: ما حكمها؟

ج: واجبة عند جمهور أهل العلم [أبو حنيفة ومالك وأحمد والشافعي].

قال ابن المنذر: «أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن صدقة الفطر فرض».

---

(١) الأعلىٰ: (١٤).

(٢) رواه أبو داود في باب زكاة الفطر من كتاب الزكاة، سنن أبي داود (٢/ ١١).

(٣) تمام المنة (٢/ ٢٦٦).

وقال أبو إسحاق: «هو إجماع أهل العلم»[١].

س٣: ما هو الدليل علىٰ وجوبها؟

جـ: الدليل علىٰ وجوبها الكتاب والسنة والإجماع:

أ- من الكتاب: قال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾[٢].

قال سعيد بن المسيب، وعمر بن عبد العزيز: «نزلت في زكاة الفطر».

ب - من السنة: في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «فرض رسول الله زكاة الفطر صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير، علىٰ العبد والحر والذكر والأنثىٰ والصغير والكبير من المسلمين»[٣]، ومعنىٰ فرض: ألزم أو أوجب.

ج - الإجماع: قال النووي في «المجموع»: «أجمع العلماء علىٰ وجوب زكاة الفطر»[٤].

س٤: متىٰ فُرضت؟

ج: فرضت في شعبان من السنة الثانية من الهجرة.

س٥: ما الحكمة من مشروعيتها؟

ج: هناك حكم معلومة لنا وحكم لا يعلمها إلا الله تعالىٰ، فمن الحكم المعلومة لنا:

أ- ما يتعلق بالصائمين: فهي طهرة لهم من اللغو والرفث، فهي تجبر الصوم كما يجبر سجود السهو الزيادة والنقصان في الصلاة، فقد أخرج أبو داود بسند

---

(١) انظر: الإجماع لابن المنذر (صـ ٣٥/ ١٠٥) نقلًا من كتاب المغني لابن قدامة (٤/ ٣٣).

(٢) الأعلىٰ: (١٤).

(٣) البخاري (١٥٠٤)، ومسلم (٩٨٤).

(٤) المجموع (٦/ ٦٢).

حسن عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث...»[(١)].

«وهي أيضًا شكر لله تعالىٰ علىٰ ما منّ علىٰ عباده بتكميل صيام شهر رمضان، وشكر لله تعالىٰ أن متعهم بدوران الحول عليهم، فدار عليهم بصحة في أبدانهم وسلامة في أديانهم وأمن في أوطانهم...»[(٢)].

ب - ومنها ما يتعلق بتكافل المجتمع: وذلك بسد خلل المحتاجين وإطعام الجائعين في يوم العيد، وإشاعة السرور والفرح، وإدخال المحبة والمودة في قلوب بعضهم بعضًا ليكون المسلمون كلهم في مستوىٰ واحد من الغنىٰ والكفاف عن التعرض للسؤال، والحاجة إلىٰ مد اليد، فهي طعمة للمساكين.

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين»[(٣)].

قال صاحب «المغني»: «والحكمة من مشروعية زكاة الفطر الرفق بالفقراء بإغنائهم عن السؤال في يوم العيد، وإدخال السرور عليهم في يوم يسر المسلمون بقدوم العيد... إلخ».

س٦: علىٰ من تجب؟

ج: تجب علىٰ المسلم الحر المالك لما يزيد عن قوته وقوت عياله يومًا وليلة، وتجب عليه عن نفسه، وعمن تلزمه نفقته، كزوجته وأبنائه وخدمه إذا كانوا مسلمين[(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود بسند حسن.

(٢) توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٢/ ٤٧٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز.

عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «أمر رسول الله ﷺ بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونونه»[١].

قال الخطابي: «وهي واجبة علىٰ كل صائم غني ذي جدة يجدها عن قوته إذا كان وجوبها لعلة التطهير، وكل الصائمين محتاجون إليها، فإذا اشتركوا في العلة اشتركوا في الوجوب»[٢].

قال النووي: «مذهبنا أنه يشترط أن يملك فاضلًا عن قوته وقوت من تلزمه نفقته ليلة العيد ويومه...»[٣].

س٧: ما مقدار زكاة الفطر؟ وما هي الأصناف التي تخرج فيها؟

ج: مقدار زكاة الفطر: «صاع من غالب طعام الناس»، وذلك لما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه قال:

«كنا نعطيها في زمن النبي ﷺ صاعًا من طعام أو صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، أو صاعًا من أقط - والأقط: مثلث الهمزة، وهو يعمل من اللبن المخيض يطبخ حتىٰ يتبخر ماءه ثم يجفف، وأحسنه ما كان من لبن الغنم -، أو صاعًا من زبيب، فلما جاء معاوية، وجاءت السمراء - السمراء يريد بها الحنطة -، قال: أرىٰ مُدًّا من هذه يعدل المُدَّين»[٤].

في هذا الحديث: ذكر أبو سعيد الخدري هدي الحبيب النبي ﷺ وصحابته الكرام في إخراج زكاة الفطر، وبين لنا الأصناف التي كانوا يخرجون منها زكاة

(١) **صحيح:** الإرواء (٨٣٥)، والدارقطني (١٢/ ١٤١/ ٢)، والبيهقي (١٦١/ ٤).

(٢) **انظر:** معالم السنن (٣/ ٢١٤).

(٣) **انظر:** المجموع للنووي (٦/ ٦٧).

(٤) لما جاءت الحنطة السمراء من الشام وكثرت في الحجاز قال معاوية: «أرىٰ أن مدًّا من الحنطة الشامية يعدل مُدين من سائر الحبوب. وخالفه من خالفه للاتباع. انظر تيسير العلام صـ ٣٤٩.

الفطر علىٰ عهد رسول الله ﷺ، فهي كانت من الطعام السائد في عهدهم رضي الله عنهم، وبينه لنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه بقوله:

«كنا نخرجها علىٰ عهد رسول الله ﷺ صاعًا من طعام، وكان طعامنا من التمر والشعير والزبيب والأقط».

ونفهم من ذلك أنها تخرج من الطعام السائد بين الناس مثل الأرز والتمر، والبُر، والذرة، والزبيب، أي من غالب قوت البلد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «يخرج من قوت بلده مثل الأرز وغيره...»(١).

قال النووي:

«الواجب في الفطرة عن كل شخص: صاع من أي جنس أخرج، سواء البُر والتمر، والزبيب، والشعير، وغيرها من الأجناس المجزئة، ولا يُجزئ دون صاع عن شيء منها، وبهذا قال مالك والشافعي وأكثر العلماء.

وممن قال به أبو سعيد الخدري، وأبو العالية، وإسحاق وغيرهم(٢).

س٨: ما هي آراء الفقهاء في مقدار زكاة الفطر؟

ج: اتفق الفقهاء علىٰ أن الواجب إخراجه في زكاة الفطر صاع من أي صنف من الأصناف التي يجوز إخراج الفطرة منها، عدا القمح والزبيب، فقد اختلفوا في المقدار فيهما، فذهب المالكية والشافعية والحنابلة - الجمهور - إلىٰ أن الواجب إخراجه في القمح هو صاع منه(٣).

واستدلوا علىٰ وجوب صاع من القمح بحديث أبي سعيد الخدري السابق.

---

(١) فتاوىٰ شيخ الإسلام (١٠/ ٤١٠)، (٢٥/ ٦٩)، (٢٢/ ٣٢٦).

(٢) المجموع للنووي (٦/ ١١٠).

(٣) بداية المجتهد (١/ ٦٤) كشاف القناع (١/ ٤٧١)، وما بعدها، نقلًا من الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٣/ ٣٤٢).

وذهب أبو حنيفة إلىٰ أنه يجزئ من الحنطة نصف الصاع، ومال ابن القيم في «الهدي» إلىٰ تقوية أدلة هذا الرأي، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال: هو قياس أحمد في الكفارات.

وكذا رجحه واختاره الشيخ الألباني في «تمام المنة».

والأحوط هو مذهب الجمهور من إخراج الصاع مطلقًا[١].

وعلىٰ المسلم أن يخرجها من الجيد الطيب؛ لأن الله تعالىٰ طيب لا يقبل إلا طيبًا.

فالمسلم يختار أجود الأصناف إن كانت في استطاعته، إن كانت من مال حلال.

قال ﷺ: **«مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ - إِلَّا أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً فَتَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّىٰ تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الْـجَبَلِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»**[٢].

س٩: ما تقدير الصاع؟

ج: الصاع المعتبر هو صاع أهل المدينة، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«المِكْيَالُ مِكْيَالُ أَهْلِ المَدِينَةِ وَالمِيزَانُ مِيزَانُ أَهْلِ مَكَّةَ»**[٣]، والصاع أربعة أمداد.

ومقدار المُد النبوي: قدَّره جماعة من العلماء بأنه أربع حفن بحفنة الرجل الوسط أو بملء كفي الإنسان المعتدل، والصاع النبوي يبلغ وزنه أربعمائة وثمانين مثقالًا من البر الجيد، أي: «٤٠ جرام و٢ كيلو» إذا مد يديه بها، والصاع أيضًا سدس كيلة مصرية، أي قدح وثلث مصري وهو يساوي (٢١٧٦) جرام حسب وزن القمح.

---

(١) توضيح الأحكام من بلوغ المرام للشيخ عبد الله البسام (٢/ ٤٧٥).

(٢) رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٣٣٣٨)، والنسائي في سننه برقم (٢٥١٩، ٤٦٠٦) وصححه الألباني.

وقيل[١]: أن المد يساوي ٨ أرطال وثلث، والرطل يساوي $\frac{٤}{٧}$ ١٢٨ درهمًا، فنستطيع أن نحسب الصاع مقدرًا بالآتي:

٢,٩٧× $\frac{٤}{٧}$ ١٢٨=٥٠٨,٧٥ جرام.

ولما كان الصاع يساوي أربعة أمداد عُلم أن وزنه يتبين بالطريقة التالية:

٥٠٨,٧٥×٤=٢,٠٣٥ جرام من الحنطة.

وذهبت هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية إلىٰ أن المد = ٦٥٠ جرام.

فيكون وزن الصاع لديهم ٦٥٠× ٤= ٢٦٠٠ جرام.

وبه صدرت الفتوىٰ.

والوزن يختلف بتفاوت الأيدي تفاوتًا كبيرًا، وكذا بتفاوت المادة المكيلة، فوزن صاع القمح يختلف عن وزن صاع الذرة... إلخ.

* * *

جدول توضيحي للصاع من الأصناف المختلفة وما يقابله بالكيلو تقريبًا

مسلسل	الصنف	وزن الصاع بالكيلو جرام تقريبًا
١	صاع الأرز	٢,٦
٢	صاع اللوبيا	٣
٣	صاع الفاصوليا	٣
٤	صاع التمر المتوسط	٣,٥٠

(١) الشيخ عبد الله بن منصور العقيلي «الصاع بين المقاييس القديمة والحديثة» «نقلًا من موقع المسلم almoslim.net

٥	صاع العدس الأصفر	٣،٥٠
٦	صاع العدس بجبة	٣،٢٥
٧	صاع الفول	٣،٥٠
٨	صاع البُر	٢،٤٠

س١٠: لمن تدفع؟ أي ما هي جهة إخراج زكاة الفطر؟

ج: اختلف العلماء في مصرف زكاة الفطر على قولين:

القول الأول:

أنها تصرف للمحتاجين من الفقراء والمساكين فقط، وذلك للحديث الثابت الذي أخرجه أبو داود، وابن ماجه بسند حسن عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

«فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم عن اللغو والرفث، وطعمة للمساكين».

وهذا مذهب المالكية واختاره[1] شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن عثيمين وابن القيم رحمه الله:

حيث قال في «زاد المعاد»: «وكان من هديه ﷺ تخصيص المساكين بهذه الصدقة، ولم يكن يقسمها على الأصناف الثمانية قبضة قبضة، ولا أمر بذلك ولا فعله أحد من أصحابه، ولا مَن بعدهم، بل أحد القولين عندنا أنه لا يجوز إخراجها إلا على المساكين خاصة»[2].

وقال مالك وأحمد وابن المنذر: يجوز صرفها إلى مسكين واحد.

---

(١) انظر: فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٥/ ٧١-٧٨).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/ ٤٤).

القول الثاني:

ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أنها تصرف للأصناف الثمانية، وهذا الكلام ليس عليه دليل، وقد رده شيخ الإسلام في فتاويه.

فائدة:

«لا ينبغي أن تعطىٰ الزكاة لمن لا يستعين بها علىٰ طاعة الله، فإن الله فرضها معونة علىٰ طاعته لمن يحتاج من المؤمنين كالفقراء، فمن لم يصلِّ من أهل الحاجات لا يعطىٰ شيئًا حتىٰ يتوب ويلتزم بأداء الصلاة».

ومن السنة[1] أن يكون لها مكان تتجمع فيه، وأن يوكل بها من تجمع عنده، فقد وكل رسول الله ﷺ أبا هريرة رضي الله عنه، قال: «أمرني رسول الله أن أحفظ زكاة الفطر»[2].

س١١: هل تجزئ القيمة في زكاة الفطر؟

أي: هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقودًا بدل القوت؟

ج: هذا السؤال من أكثر وأهم الأسئلة التي تشغل بال الناس في شهر رمضان وخاصة في العشر الأواخر، فكثير من الناس يصبح في حيرة من أمره حينما يسمع أحد الدعاة يقول أن زكاة الفطر يجوز إخراجها قيمة، ثم يسمع شيخًا آخر يقول: لا يجوز إخراج زكاة الفطر إلا قوتًا، والقيمة لا تجزئ، وهذا الأمر يبث الخلاف والشقاق بين الناس بل بين بعض الدعاة إلا من رحم الله جل في علاه، وهذا من أعظم المزالق وأخطر المصائب التي تصيب المسلمين، ولذا لابد من سد هذه الثغرة ورتق هذا الفتق.

---

(١) الفتاوىٰ الكبرىٰ صـ٤٥٦ باختصار.

(٢) رواه البخاري.

فاسمحوا لي أن أجيب علىٰ هذا السؤال بشيء من التفصيل وذكر أقوال العلماء دون تعصب، أو تسفيه لرأي، أو لمذهب وأن نسير مع الدليل حيث سار، وأن يكون شعارنا إذا صح الحديث فهو مذهبنا، فالله تعالىٰ لم يجعل العصمة إلا للكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة، وليكن منهجنا: كل يؤخذ منه ويرد إلا رسول الله ﷺ.

حتىٰ يتضح الصواب فيكون عليه العمل - إن شاء الله تعالىٰ - فهو المستعان وعليه التكلان.

وقبل الشرح والتبيان هيا بنا لنقف وقفة موجزة مع أدب وفقه الخلاف، فنقول وبالله التوفيق:

كلمة موجزة عن أدب الخلاف[1]:

وقوع الخلاف أمر مسلم به في دنيا البشر، وهو سنة الله عز وجل في خلقه، فهم مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم، وقدراتهم وصفاتهم وعقولهم وأشكالهم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ...﴾ الآية[2].

ولكن علىٰ الرغم من وجود هذا التباين والقابلية للاختلاف إلا أن الله تعالىٰ وضع علىٰ الصراط المستقيم منابر للهداية، ولذا قال سبحانه في آية أخرىٰ: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ﴾[3].

---

(١) نقلت ذلك باختصار من كتيب أدب الخلاف للشيخ صالح بن عبد الله بن حميد ط مكتبة الضياء ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(٢) سورة هود (١١٧، ١١٨).

(٣) البقرة: (٢١٣).

أنواع الخلاف ثلاثة:

خلاف مذموم - خلاف ممدوح - خلاف سائغ.

أ - الخلاف المذموم:

كاختلاف البشر إلىٰ مؤمن وكافر، قال تعالىٰ: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾[(١)] وكخلاف أهل البدع.

ب - الخلاف الممدوح:

وهو يقصد به مخالفة المشركين وأهل الكتاب وأهل الفسوق والمجون في هيئاتهم وأحوالهم وأعيادهم... إلخ.

ج - الخلاف السائغ:

فهو اختلاف المجتهدين من فقهاء ومفتين في المسائل الاجتهادية.

قال ﷺ: «**إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ**»[(٢)].

هو دليل واضح علىٰ إمكان خطأ المجتهد، وحصول الخطأ يعني حصول الاختلاف سواء بينه وبين غيره، أو بين من يتبعه علىٰ رأيه وبين من يخالفه، وما زال العلماء والفقهاء من المسلمين يختلفون في المسائل منذ عهد الصحابة إلىٰ اليوم، وهناك أمثلة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها[(٣)].

---

(١) الحج: (١٩).

(٢) متفق عليه.

(٣) من ذلك اختلافهم رضي الله عنهم في وفاته ﷺ، وقد ظهر من عمر رضي الله عنه إنكار ذلك حتىٰ شهر سيفه مهددًا بالقتل من قال ذلك حتىٰ جاء أبو بكر رضي الله عنه وتلا آيات في ذلك ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾ الزمر آية (٣٠)، وقوله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ (١٤٤) آل عمران، فأذعن عمر رضي الله عنه وقال: كأني لم أكن قرأتها من قبل.

فقة الخلاف[١]:

المسائل الشرعية وتطبيقاتها في الحياة تنقسم من خلال النظر الشرعي إلىٰ قسمين:

١- مسائل الإجماع:

هي التي انعقد إجماع علماء الأمة المجتهدين عليها في أي عصر من العصور فارتفعت عن الخلاف، ولم يَعُدْ لمن جاء بعد أهل الإجماع إلا الموافقة والاتباع، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾[٢].

فالله تعالىٰ جعل اجتماع الأمة علىٰ أمر من الأمور عصمة كما جعلها في الوحي المنزل من الكتاب أو السنة فضلًا منه وكرمًا.

٢- مسائل الخلاف:

وهي كل مسألة لم ينعقد الإجماع عليها.

خطوات المنهج العلمي الذي يتعامل به مع المسائل الخلافية:

١- نقل أقوال المخالفين نقلًا دقيقًا أمينًا بلا زيادة ولا نقصان؛ لأنها شهادة بأنهم قالوا كذا وكذا، والشاهد لابد أن يكون متثبتًا فيما يقول، ولا ينسب للناس أمرًا لا يصدر منهم، وإلا كان شاهد زور أو مغفلًا لا تقبل شهادته.

٢- تحديد محل النزاع تحديدًا دقيقًا، فبعد نقل الأقوال ينظر فيها لتحديد موطن الخلاف.

٣- معرفة أدلة كل قول.

---

(١) نقلت ذلك من كتيب فقه الخلاف باختصار د/ عوض بن محمد القرني ط دار الأندلس الخضراء ١٤٢١هـ.

(٢) النساء آية (١١٥).

إذ الأصل في علماء الإسلام ودعاته ورجاله أنهم لا يختلفون رغبة في الخلاف، ولا حبًّا في النزاع، ولا يكون دافعهم الهوىٰ ولا الشهوة، وإنما بحثًا عن الحق ورغبة في رضوان الله تعالىٰ.

٤- البحث عن وجه الاستدلال من كل دليل قال به كل صاحب قول في المسألة موضع البحث؛ لأنه لو لم يكن في الدليل دلالة علىٰ هذا القول أو هذا المذهب في المسألة عند من قال به لما كان لإيراد الدليل معنىٰ.

٥- الاطلاع علىٰ اعتراض أصحاب كل قول أو مذهب علىٰ أدلة القول أو المذهب الآخر، أو الاعتراض علىٰ وجه الدلالة لأن الاعتراض إما أن يكون علىٰ الدليل، وإما أن يكون علىٰ وجه الدلالة.

٦- معرفة الإجابة علىٰ هذه الاعتراضات، إذ لا شك أنه لو كان أحد الفريقين يسلم باعتراضات الفريق الآخر لارتفع الخلاف.

٧- معرفة سبب الخلاف، فأحيانًا يكون سبب الخلاف سائغًا شرعًا وأحيانًا يكون سبب الخلاف مذمومًا.

٨- معرفة ثمرة الخلاف، فإن كان له أثر اعتني به، وإن لم يكن له أثر أُعرض عنه.

٩- الترجيح بين الأقوال لمعرفة الصواب من سواه، والمرجحات التي يرجح بها قول علىٰ آخر كثيرة بحثها العلماء في باب التعارض والترجيح في علم أصول الفقه.

كلام أغلى من الذهب:

لو قارنت شدة ورع السلف في قضايا العلم والفقه بشدة جراءة أهل هذا العصر لرأيت العجب العجاب.

فهذا ابن مسعود رضي الله عنه يُسئل عن قضية، فيفكر فيها حولًا ثم يقول: «التمست مسألتكم في كتاب الله وسنة رسوله، فما وجدتها، فأقول فيها برأيي، فإن أصبت

فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان»[١].

ويقول الشعبي - وهو أحد أئمة التابعين -: «إن المسألة لتعرض علىٰ أحدكم فيفتي فيها وهو متكئ علىٰ أريكته، ولو عرضت علىٰ عمر لجمع لها أهل بدر»[٢].

رحم الله الشعبي كيف لو أدرك زماننا.

وهذا إمام دار الهجرة مالك بن أنس يرسل إليه أهل المغرب يستفتونه في ثمان وثلاثين مسألة، فيجيب علىٰ ست، ويقول في اثنين وثلاثين: لا أدري[٣].

وكانوا يقولون: «لا أدري نصف العلم»[٤].

وهذا القاسم بن محمد بن أبي بكر - أحد العلماء التابعين - يُسأل، فيقول: «لا أحسنه».

فقال السائل: إني جئت إليك لا أعرف غيرك.

فقال القاسم: «لا تنظر إلىٰ طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله لا أحسنه».

فقال شيخ من قريش جالس إلىٰ جنبه: يا بن أخي الزمها، فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم.

فقال القاسم: «والله لأن يقطع لساني أحب إليّ من أن أتكلم بما لا أعلم»[٥].

وأنا لا أجد كلامًا أسطره بعد هذه الكلمات التي هي أغلىٰ من سبائك الذهب.

فاللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا... آمين.

والآن نجيب علىٰ السؤال: هل تجزئ القيمة في زكاة الفطر؟

---

(١) روىٰ ابن عبد البر نحوه في جامع بيان العلم (٢/ ٥٧) من قول ابن مسعود رضي الله عنه في خطبة خطبها.

(٢) انظر: صفة الفتوىٰ لابن حمدان صـ ٧.

(٣) المصدر السابق صـ ٦.

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢/ ٥٤) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٥) المصدر السابق (٢/ ٥٣).

ج: اختلف أهل العلم في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: وهو قول من أجاز إخراج القيمة في زكاة الفطر، حيث قال أصحابه: يجوز إخراج القيمة نقودًا وغيرها في زكاة الفطر.

قال ابن قدامة رحمه الله[1]:

«وقال الثوري وأبو حنيفة: «يجوز» وقد روي ذلك عن عمر بن عبد العزيز والحسن...» اهـ.

وروىٰ ابن أبي شيبة عن عون، قال: «سمعت كتاب عمر بن عبد العزيز يقرأ إلىٰ عدي بالبصرة: يؤخذ من أهل الديوان من أعطياتهم من كل إنسان نصف درهم»[2].

وعن الحسن قال: «لا بأس أن تعطىٰ الدراهم في صدقة الفطر»[3].

وعن أبي إسحاق قال: «أدركتهم وهم يؤدون في صدقة رمضان الدراهم بقيمة الطعام»[4].

وهناك علماء معاصرون أجازوا إخراج القيمة في زكاة الفطر.

القول الثاني:

وهو قول المانعين لإخراج القيمة، وهم جمهور أهل العلم.

ذكر ابن قدامة في «المغني» مسألة (٤٧٢)[5]:

قال أبو داود: قيل لأحمد وأنا أسمع:

(١) انظر: المغني لابن قدامة المقدسي (٤/ ٥٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٣٧).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٣٨).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٤/ ٣٨).

(٥) المغني لابن قدامة (٤/ ٥٤).

أعطي دراهم؟ - يعني في صدقة الفطر - قال: أخاف أن لا يجزئه خلاف سنة رسول الله ﷺ.

وقال أبو طالب: قال لي أحمد: لا يعطىٰ قيمة، قيل له: قوم يقولون: عمر بن عبد العزيز كان يأخذ بالقيمة. قال:

يدعون قول رسول الله ﷺ ويقولون: قال فلان! قال ابن عمر: فرض رسول الله ﷺ...، وقال تعالىٰ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[1]، وقال قوم يردون السنن: قال فلان... قال فلان.

وظاهر مذهبه أنه لا يجزئه إخراج القيمة في شيء من الزكوات، وبه قال مالك والشافعي[2].

الأدلة:

أولاً: أدلة الفريق الأول «المجيزون».

الدليل الأول: قالوا: إن النبي ﷺ قال: «**اغْنُوهُمْ - يَعْنِي الْـمَسَاكِينَ - فِي هَذَا الْيَوْمِ**»[3].

وإغناء الفقير عن السؤال يتحقق بالمال، أي: بأن نخرج له قيمة الصاع مالًا، فهذا أفضل له؛ لأننا لو أعطيناه صاع أرز مثلًا وهو في غير حاجة له سوف يبيعه للتاجر بأقل من ثمنه، وهو محتاج لشراء ملابس وخلافه.

الدليل الثاني: قالوا: إن الزمان تغير، فالأيسر لعصرنا إخراج القيمة، وخاصة في المدن الكبيرة كالقاهرة مثلًا.

---

(١) النساء: (٥٩).

(٢) المرجع السابق (٤/ ٥٣، ٥٤).

(٣) رواه سعيد بن منصور، وضعفه الألباني في الإرواء (٣/ ٣٣٢).

الدليل الثالث: قالوا: إن الرسول ﷺ فرضها قوتًا وطعامًا لندرة النقود آنذاك.

ومن الذين يقولون بهذا الرأي من العلماء المعاصرين فضيلة الدكتور: يوسف القرضاوي.

حيث سُئل فضيلته هذا السؤال[١]:

س: هل يجوز إخراج زكاة الفطر نقودًا بدلًا من شعير أو قمح حتىٰ ينتفع بها الفقير والمستحق أكثر؟

ج: أجاب فضيلته: ذهب الأئمة الثلاثة - أحمد ومالك والشافعي - إلىٰ عدم جواز إخراج قيمة زكاة الفطر، وأرىٰ أن هذا فيه قدر من التشدد[٢] حيث يحتاج الناس إلىٰ القيمة ومما يدل علىٰ ذلك - أي يجوز إخراج القيمة -: أن النبي ﷺ قال: «**اغْنُوهُمْ - يعني المساكين - فِي هَذَا الْيَوْمِ**».

والإغناء يتحقق بالقيمة كما يتحقق بالطعام، وربما كانت القيمة أفضل من كثرة الطعام، وعند الفقير تحوجه إلىٰ بيعها والقيمة تمكنه من شراء ما يلزمه من الأطعمة والملابس وسائر الحاجات، ومما يدل علىٰ جواز القيمة ما ذكره ابن المنذر: أن الصحابة أجازوا إخراج نصف الصاع من القمح لأنهم رأوه معادلًا في القيمة للصاع من التمر أو الشعير، ثم إن هذا هو الأيسر بالنظر لعصرنا، وخاصة في المناطق الصناعية التي لا يتعامل الناس فيها إلا بالنقود، كما أنه في أكثر البلدان وفي غالب الأحياء هو الأنفع للفقراء، والذي يلوح لي أن الرسول ﷺ إنما فرض زكاة الفطر من الأطعمة لسببين:

---

(١) وقد نقلت من موقعه علىٰ شبكة الإنترنت هذا السؤال والجواب عليه من فضيلته، موقع د/ يوسف القرضاوي.
feedback@q.aradawi.net

(٢) هذا الكلام لا يليق أبدًا في حق الفقهاء.

الأول: لندرة النقود عند العرب في ذلك الحين، فكان إعطاء الطعام أيسر علىٰ الناس.

والثاني: أن قيمة النقود تختلف وتتغير قوتها الشرائية من عصر إلىٰ عصر بخلاف الصاع من الطعام، فإنه يشبع حاجة بشرية محددة كما أن الطعام في ذلك العهد أيسر علىٰ المعطي وأنفع للآخذ، ومن هذا يتضح أن: الأفضلية تقاس بمدىٰ انتفاع الفقير بما يدفع له، فإذا كان انتفاعه بالطعام أكثر كان دفعه أفضل كما في حالة المجاعة والشدة، وإن كان انتفاعه بالنقود أكثر كان دفعها إليه أفضل اهـ.

ولقد أجاب الفريق الثاني على هذه الأدلة بالآتي:

١ - قولهم أن النبي ﷺ قال: «**اغْنُوهُمْ** - يعني المساكين - **فِي هَذَا الْيَوْمِ**».

الجواب١: هذا حديث ضعيف رواه الدارقطني[(١)] والبيهقي بإسناد ضعيف[(٢)]، وضعفه جمع من المحققين، منهم: النووي وابن حجر وابن حزم والصنعاني، وعلىٰ فرض ثبوت الحديث، فإن الإغناء الذي ورد في الحديث مطلقًا بلا كيفية معينة قد قيدته السنة النبوية ببيان كيفيته حين فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من طعام، فوجب حمل المطلق علىٰ المقيد والالتزام بالسنة المفسرة للحديث المجمل.

٢ - قوله: كثرة الطعام تحوجه إلىٰ بيعه... إلخ.

الجواب ٢: نحن ليس علينا من فعل الفقير شيء بل علينا أن نفعل ما أُمرنا به، وأن نقول: سمعنا وأطعنا وأن نبذل الطعام، ثم للفقير الذي ملكه الخيار فيما شاء، فإن شاء أكله وإن شاء ادخره، وإن شاء باعه، وإن شاء أهداه، وإن شاء دفعه صدقة عن نفسه.

فليس علينا من هذا شيء، فالشيء الذي أمرنا به صاع من طعام...[(٣)].

---

(١) (٢١١٤).

(٢) إسناده ضعيف أخرجه الدارقطني (٢١١٤) والبيهقي (١٧٥١٤) وفيه أبو معشر وهو نجيح السندي ضعيف.

(٣) فتاوىٰ ودروس في الحرم المكي صـ ٧٦٠.

ثم إن المقصود في هذا اليوم بهذه الزكاة هو الإطعام وسد الجوع في هذه الأيام كما كان المقصود هو إطعام اللحم في الأضحىٰ، فقد اتفق الفقهاء علىٰ عدم جواز إخراج شيء غير اللحم في الأضحىٰ، فكذلك ينبغي أن يكون في الفطر.

٣- أما حاجته إلىٰ الملابس وغير ذلك:

الجواب ٣: فتتكفل بها زكاة المال والزكوات الأخرىٰ علىٰ أن نقول: إنه إذا كان عاريًا يحتاج إلىٰ ستر عورته وعنده ما يكفيه من الطعام، وطلب بدل الطعام مالًا أو كسوة جاز إخراج الزكاة لصاحب هذه الحالة كسوة أو مالًا علىٰ النحو الذي يناسبه، فهذه وغيرها من حالات الأعيان التي لا تنقض الأصل المقرر.

٤- قال فضيلته: يدل علىٰ جواز القيمة ما قاله ابن المنذر من قبل: أن الصحابة أجازوا إخراج نصف الصاع من القمح... إلخ.

الجواب ٤: نقول إن ما عمل به الصحابة من إخراج نصف الصاع من القمح بدلًا من صاع ليس فيه أي دليل علىٰ إخراج النقود بدلًا من القوت، فهذا ليس قياسًا منضبطًا؛ لأنهم أخرجوها قوتًا حتىٰ ولو كان نصف صاع من القمح.

والرسول ﷺ أمرهم بإخراجها قوتًا فهم أخرجوها قوتًا هذا علىٰ فرض أنهم أخرجوا نصف صاع من القمح.

وهذا ليس عمل كل الصحابة رضوان الله عليهم، فهم كانوا يخرجون صاعًا من كل الأصناف التي حددها رسول الله ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال:

«كنا نخرج زكاة الفطر إذ كان فينا رسول الله ﷺ صاعًا من طعام أو صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير أو صاعًا من زبيب أو صاعًا من أقط، فلا أزال أخرجه

كما أخرجه ما عشت»[١].

إخراج نصف صاع من بر كان في عهد معاوية، لحديث أبي سعيد:

«كنا نخرج صاعًا من طعام أو صاعًا من شعير أو صاعًا من تمر أو صاعًا من زبيب أو صاعًا من أقط، فلم نزل نخرجه حتىٰ قدم معاوية المدينة، فتكلم فكان مما كلم الناس: إني لأرىٰ مُدين من سمراء الشام تعدل صاعًا من تمر، فأخذ الناس بذلك - قال أبو سعيد الخدري -: «فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه»[٢].

والراجح الذي عليه الجمهور أن الواجب في البُر وغيره الصاع لحديث أبي سعيد الخدري.

قال ابن قدامة في «المغني»:

«ولأنه جنس يخرج في صدقة الفطر فكان قدره صاعًا كبقية الأجناس، ولأن فيما ذكرناه احتياطًا للفرد ومعارضة للقياس»[٣].

٥- قول فضيلته: ثم إن هذا هو الأيسر بالنسبة لعصرنا... إلخ.

الجواب ٥: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾[٤].

لو كانت القيمة هي الأيسر لبينها ربنا تعالىٰ لنبيه ﷺ، فالإسلام صالح لكل زمان ومكان، وإن اتباع الأيسر ليس هو الأصل، وليس هو الواجب اتباعه إذا لم تؤيده الأدلة أو تصح به النصوص، والقاعدة الأصولية تقول:

---

(١) رواه البخاري في كتاب الزكاة باب: صاع من زبيب (١٥٠٨)، ومسلم كتاب الزكاة باب: زكاة الفطر علىٰ المسلمين من التمر والشعير (٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم، البخاري (٣/ ١٥٠٦) فتح الباري، ومسلم (٢/ ٦٧٩/ ٢١) الزكاة، وأبو داود (٢/ ١٦١٦)، الترمذي (٣١/ ٦٧٣)، والنسائي (٥/ ٢٥٠٢) بلفظ فرض.

(٣) المغني المجلد الرابع صـ ٢٨٧.

(٤) جزء من الآية (٦٤) سورة مريم.

«لا اجتهاد مع النص وأنه لا يجوز الخروج علىٰ الحكم الشرعي المقرر إلا لضرورة قوية».

ولا ضرورة هنا، فالطعام ميسر في الأسواق كما يشتري الإنسان لنفسه الطعام يشتريه للفقير كذلك.

ولم يكن كل الصحابة - رضوان الله عليهم - ممن يدخر الطعام ولا كانوا جميعًا أهل زرع، بل كانوا يشترون الطعام لإخراج الزكاة منه كذلك، ولم ير النبي ﷺ في ذلك مشقة تجيز لهم إخراج القيمة، فينبغي أن يسعنا ما وسعهم.

٦- قول فضيلته: إن النبي ﷺ فرض زكاة الفطر طعامًا لندرة النقود آنذاك...

الجواب ٦:

كلا بل الدراهم كانت موجودة والذهب موجود والفضة موجودة، قال النبي ﷺ فيما صح عنه من حديث عبادة بن الصامت:

«الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالتَّمر بِالتَّمْرِ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ وَالملْحُ بِالمِلْحِ»[1].

كل هذا موجود في عهد النبي ﷺ، ولم يختر النبي ﷺ أن يفرض زكاة الفطر علىٰ أمته إلا «صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير...»، فكيف يسوغ لنا بعد ذلك أن نقول: إن الأفضل الآن أن نخرجها دراهم؟! إن هذا قياس في مقابلة النص وهو مردود فاسد الاعتبار[2].

ونقول أيضًا: الطعام ليس الآن نادرًا ولا شاحًّا حتىٰ نعدل عنه لإخراج النقود، فالأولىٰ والأوجب لزوم السنة إذ لو كان إخراج القيمة لبينه النبي ﷺ

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع باب (٧٤، ٧٦) حديث (٢١٧٠، ٢١٧٤).

(٢) فتاوىٰ ودروس الحرم المكي صـ ٧٥٩.

والحاجة داعية إليه ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة[١].

* * *

أدلة الفريق الثاني «جمهور أهل العلم»: «وهم المانعون لإخراج القيمة»:

قالوا: زكاة الفطر قربة وعبادة مفروضة من جنس متعين، فلا يجزئ إخراجها من غير الجنس الذي بينه رسول الله ﷺ؛ لأنه ما دام بين أيدينا نص صحيح ثابت عن النبي ﷺ فإنه لا قول لأحد بعد قوله ﷺ، فقوله ﷺ أحسن الكلام وأوفاه بيانًا وأتمه نصحًا، فقد جمع الله في كلامه المنيف جمال البيان، وحسن الإفهام، وقلة ألفاظ الكلام، بل ما سمع قط كلام أحد من البشر أعم نفعًا، ولا أفصح معنىٰ ولا أصدق لفظًا، ولا أحسن موقعًا ولا أسهل مخرجًا ولا أوفىٰ نصحًا من كلامه الشريف ﷺ، وقد أتاه الله تعالىٰ جوامع الكلم وخصه ببدائع الحكم كما في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ**»[٢].

قال الزهري رحمه الله:

«(جوامع الكلم) فيما بلغنا أن الله يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين ونحو ذلك»[٣].

فلا قول بعد قوله ﷺ، ولا استحسان للعقول في إبطال الشرع والله عز وجل لا يسألنا يوم القيامة عن قول فلان ولا عن قول فلان، ولكن يسألنا عن قول رسول الله ﷺ، قال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[٤].

---

(١) من رسالة هل تجزئ القيمة في الزكاة لفضيلة الشيخ محمد إسماعيل.

(٢) صحيح البخاري رقم (٢٩٧٧)، صحيح مسلم رقم (٥٢٣).

(٣) انظر: خطب ومواعظ من حجة الوداع إعداد الشيخ / عبد الرزاق عبد المحسن البدر صـ ٩ بتصرف. الطبعة الأولىٰ ١٤٢٦هـ.

(٤) القصص: (٦٥).

قال إمام الحرمين أبو المعالي الجويني رَحِمَهُ اللهُ: «الشائع المعتمد في الدليل لأصحابنا أن الزكاة قربة لله تعالىٰ، وكل ما كان كذلك فسبيله أن يتبع فيه أمر الله تعالىٰ وأمر رسوله ﷺ، ولو قال إنسان لوكيله: اشتر ثوبًا. وعلم الوكيل أن غرضه التجارة، ووجد سلعة هي أنفع لموكله لم يكن له مخالفته وإن رآه أنفع، فما يجب لله تعالىٰ بأمره أولىٰ بالاتباع».

ومن ثم فكل منا يتصور نفسه واقفًا بين يدي الله يوم القيامة، وقد فرض عليك علىٰ لسان رسول الله ﷺ أن تؤدي زكاة الفطر من الطعام، فهل إذا سئلت يوم القيامة ماذا أجبت رسول الله ﷺ، فهل يمكنك أن تدفع عن نفسك وتقول: والله هذا مذهب فلان أو قول فلان.

الجواب: لا، ولو أنك قلت ذلك لم ينفعك.

واستدل أصحاب هذا الرأي بأدلة من القرآن والسنة وفعل الصحابة والسلف الصالح وأقوال الفقهاء:

أولاً: أدلة من القرآن الكريم:

قالوا: زكاة الفطر عبادة، فرضها رسول الله ﷺ بكيفية مخصوصة، وما فرضه رسول الله ﷺ له حكم ما فرضه الله تعالىٰ، فالسنة النبوية هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي «والسنة وحي من الله تعالىٰ، لكنها نسبت إلىٰ الرسول ﷺ من جهة كونه المنشئ لألفاظها، أما معانيها فمن الله تعالىٰ، إما أن ينزل بها جبريل كما ينزل بالقرآن، أو ينفث بها في روعه، أو يلهمه إياها منامًا أو أنه ﷺ يقول أو يفعل باجتهاد منه في حدود ما تعلمه من معرفته بمقاصد الشرع وقواعده الحكيمة»(١).

---

(١) مصادر الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد، للشيخ عثمان علي حسن صـ ٢٣، ٢٤ باختصار.

والله تعالىٰ بين لنا في آيات كثيرة أن السنة وحي من عند الله تعالىٰ:

قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[(١)].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾[(٢)] والحكمة هنا هي السنة.

وقد قال ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ».

وقوله ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ نَفَثَ فِي رَوْعِي»[(٣)].

وفي رواية: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي».

قال الشافعي:

«فكان مما ألقىٰ الله في روعه سنته، وهي الحكمة التي ذكر الله»[(٤)].

والله تعالىٰ فرض علينا طاعة الرسول ﷺ وأوجب علينا اتباعه ﷺ فيما يأمر وينهىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾.

بل جعل من لوازم الإيمان ألا يذهبوا حين يكونون مع رسول الله ﷺ دون أن يستأذنوا منه:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٦٢﴾[(٥)].

---

(١) النجم: (٣-٤).

(٢) البقرة: (٢٣١).

(٣) الحاكم في المستدرك (٢/ ٤)، والشافعي في الرسالة صـ٩٣.

(٤) الرسالة صـ١٠٣.

(٥) النور: (٦٢).

قال ابن القيم رحمه الله:

«فإذا جعل الله من لوازم الإيمان أنهم لا يذهبون مذهبًا إذا كانوا معه إلا باستئذانه، فأولىٰ أن يكون من لوازمه ألا يذهبوا إلىٰ قول ولا مذهب علمي إلا بعد استئذانه وإذنه، يعرف بدلالة ما جاء به علىٰ أنه أذن فيه».

وهذه الأدلة القرآنية فيها وجوب طاعته ﷺ، وكيف يمكن طاعته ورد ما تنازع فيه الناس إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إذا كانت سنته لا يحتج بها.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾(١).

فالهداية والرحمة في اتباعه ﷺ. وكيف يمكن ذلك مع عدم العمل بسنته ﷺ، أو القول بأن الزمان تغير ولا يصلح إخراجها قوتًا، قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾(٢).

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾(٣).

ثانيًا: الأدلة من السنة النبوية المطهرة:

١ - روىٰ البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نخرج زكاة الفطر صاعًا من طعام أو صاعًا من شعير أو صاعًا من تمر أو صاعًا من أقط أو صاعًا من زبيب».

في هذا الحديث الشريف أوضح الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري الأصناف

---

(١) النحل: (٤٤).

(٢) جزء من آية (٦٣) سورة النور.

(٣) آل عمران: (١٦٤).

التي كانوا يخرجون منها زكاة الفطر علىٰ عهد الرسول ﷺ، ولم يذكر رضي الله عنه أنهم كانوا يخرجون القيمة، أو المال بدلًا من هذه الأصناف المذكورة، وهذا لأن هذه عبادة، والعبادة كما هو معلوم توقيفية، فلا يجوز أن نتعبد لرب العزة جل في علاه إلا بنص من كتاب أو سنة.

٢- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير علىٰ العبد والحر، والذكر والأنثىٰ، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدىٰ قبل خروج الناس إلىٰ الصلاة»(١).

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «كنا نعطيها في زمن الرسول ﷺ صاعًا من طعام أو صاعًا من شعير أو صاعًا من زبيب - وفي رواية: أو صاعًا من أقط -»(٢).

هذه سنة الرسول ﷺ في زكاة الفطر. «صاع من تمر أو صاع من شعير أو... إلخ».

ولم يفرض القيمة مع أن الدنانير والدراهم كانت موجودة وقت هذا التشريع، وكان الدينار والدرهم هما العملة السائدة وخاصة في مجتمع المدينة المنورة، ولم يذكرهما ﷺ في زكاة الفطر ولم يثبت عنه ﷺ في حديث صحيح أو ضعيف أنه أجاز إخراج القيمة في زكاة الفطر، ولو أجاز شيئًا من ذلك لنقله أصحابه - رضوان الله عليهم - لنا؛ لأنهم أعلم الناس بسنته ﷺ وأحرص الناس علىٰ العمل بسنته ﷺ.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾(٣)، وقال عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ

(١) رواه البخاري في الزكاة باب فرض صدقة الفطر برقم (١٥٠٣).

(٢) رواه البخاري في الزكاة باب صدقة الفطر رقم (١٥٠٦)، ومسلم في الزكاة باب زكاة الفطر علىٰ المسلمين برقم (٩٨٥).

(٣) الأحزاب: (٢١).

جَنَّٰتٍ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٠٠﴾(١).

وهم رضي الله عنهم لم ينقلوا لنا حديثًا واحدًا فيه جواز إخراج القيمة في زكاة الفطر، فعلينا الالتزام والعمل بسنته ﷺ، قال ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

فخير الهدي هديه ﷺ، وقال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْـخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْـمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**»(٣).

٣- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين...»(٤).

الشاهد من الحديث: «وطعمة للمساكين»، فإن الدراهم لا تطعم، فالنقود أي الدراهم والدنانير وغيرها من أنواع النقود تُقضىٰ بها الحاجات من: مأكول ومشروب وملبوس وغيرها، فكيف تكون طعمة للمساكين إذا أخرجناها من غير الطعام والقوت.

٤- قول أبي هريرة رضي الله عنه: «وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام...» الحديث(٥).

وهذا يدل علىٰ أن زكاة الفطر كانت طعامًا وقوتًا، ولم تكن مالًا ونقودًا.

٥- ما ثبت عنه في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ

---

(١) التوبة: (١٠٠).

(٢) متفق عليه: البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) حديث حسن صحيح رواه الترمذي.

(٤) الحديث إسناده صحيح.

(٥) صحيح البخاري.

قال: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ».

٦-وفي «صحيح البخاري» عنه ﵁ أن النبي ﷺ قال: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ» قيل: يا رسول الله، ومن يأبىٰ؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ».

فلهذا ولغيره يتبين لنا أن زكاة الفطر لا يجوز إخراجها مالًا، ومن يدعي غير ذلك فعليه أن يأتي بدليل من الكتاب أو السنة.

٧- عن جابر بن عبد الله ﵄ قال: كان رسول الله ﷺ يخطب الناس فيحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: «مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَخَيْرُ الْـحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ﷿ وَخَيْرُ الْـهَدْيِ هَدْيُ مُـحَمَّدٍ ﷺ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ...» (١).

ثالثًا: أقوال الفقهاء:

ذهب الأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد - عليهم رحمة الله - إلىٰ أن زكاة الفطر إنما تخرج من الطعام الغالب عند أهل البلد استدلالًا بأحاديث الرسول ﷺ منها حديث ابن عمر ﵄ قال: «فرض رسول الله ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعًا...» (٢).

قال ابن قدامة المقدسي في كتاب «المغني»: «ومن أعطىٰ القيمة لم تجزئه» (٣).

قال أبو حنيفة ﵀:

«إذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلىٰ الرأس والعين» (٤).

(١)إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، وقد أخرجه في صحيحه (٣/ ١١) عن جابر... انظر كتاب السنة للحافظ أبي بكر الشيباني تحقيق العلامة محمد الألباني صـ ٣٣، ٣٤.

(٢)سبق تخريجه.

(٣)المغني (٤/ ٥٣).

(٤)مفتاح الجنة صـ ٣١ نقلًا من كتاب السنة ومكانتها صـ ٣٧٦.

وقال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ما منا إلا راد ومردود عليه إلا صاحب هذا القبر - وأشار إلىٰ قبر رسول الله ﷺ -».

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«متىٰ رويت عن رسول الله ﷺ حديثًا صحيحًا، فلم آخُذْ به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إذا قلت قولًا وجاء الحديث عن رسول الله ﷺ خلافه، فاضربوا بقولي عرض الحائط».

وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبعض أصحابه:

«لا تقلدني ولا تقلد مالكًا ولا الشافعي ولا أبا حنيفة وخذ من حيث أخذنا».

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته عن رسول الله ﷺ يذهبون إلىٰ رأي سفيان، والله سبحانه يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ أي: عن أمر الرسول ﷺ.

قال الشوكاني في «نيل الأوطار»: «تجب الزكاة من العين ولا يعدل عنها إلىٰ القيمة إلا عند عدمها وعدم الجنس».

وقال أيضًا: «إن الزكاة واجبة من العين لا يعدل عنها إلىٰ القيمة إلا لعذر».

قال ابن حزم: «لا تجزي القيمة أصلًا؛ لأن ذلك غير ما فرض الرسول ﷺ، والقيمة في حقوق الناس لا تجوز إلا بتراضٍ منهما، وليس للزكاة مالك معين فيجوز رضاه أو إبراؤه».

رأي الإمام النووي: قال الإمام النووي في «شرح مسلم» (جـ ٧/ صـ٦٠): «ذكر رسول الله ﷺ أشياء قيمها مختلفة، وأوجب من كل نوع منها صاعًا، فدل علىٰ أن المعتبر صاع ولا نظر إلىٰ القيمة».

أدلة أخرى:

١- إخراج القيمة في زكاة الفطر مخالف لعمل الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - حيث كانوا يخرجونها صاعًا من طعام، وهم خير هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا، قوم اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، قال ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْـخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي**».

وقال ﷺ: «**خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...**» الحديث[1].

والصحابة - رضوان الله عليهم - بلغ من أدبهم مع الرسول ﷺ أنهم كانوا يفعلون ما يفعل الرسول ﷺ، ويتركون ما ترك الرسول ﷺ دون أن يعلموا لذلك سببًا أو يسألوا عن علته أو حكمته.

روىٰ القاضي عياض في «الشفاء»، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه، فوضعها عن يساره، فلما رأىٰ القوم ذلك ألقوا نعالهم، فلما قضىٰ صلاته، قال: «**مَا حَمَلَكُمْ عَلَىٰ إِلْقَائِكُمْ نِعَالَكُمْ؟**» قالوا: رأيناك ألقيت نعليك. فقال ﷺ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّ فِيهِمَا قَذَرًا**».

وبلغ من امتثالهم أمر النبي ﷺ أن فعلوا ذلك حتىٰ في شئون الدنيا، فقد أخرج أبو داود وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه جاء يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب، فسمعه يقول: «**اجْلِسُوا**». فجلس عند باب

(١) جزء من حديث رواه البخاري ومسلم من حديث عمران بن حصين، البخاري (٣٦٥٠)، ومسلم (٢٥٣٥).

المسجد، أي: حيث سمع النبي ﷺ يقول ذلك، فرآه عليه الصلاة والسلام، فقال له: «**تَعَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ**»[١].

وقد روىٰ الإمام البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نعطيها في زمان النبي ﷺ صاعًا من طعام أو صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير أو صاعًا من زبيب».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»:

««كنا نعطيها»: أي زكاة الفطر «في زمان النبي ﷺ» هذا حكمه الرفع لإضافته إلىٰ زمنه ﷺ، ففيه إشعار باطلاعه ﷺ علىٰ ذلك وتقريره له، ولا سيما في هذه الصورة التي كانت توضع عنده وتجمع بأمره، وهو الآخر يقبضها ويفرقها»[٢].

قال الباجي في «المنتقى»:

«قوله: «كنا نخرج زكاة الفطر» يلحق عند أكثر أهل العلم بالمسند، وهو مذهب مالك والشافعي؛ لأن الصحابي إذا أخبر بفعل من الشرع وأضاف ذلك إلىٰ زمن النبي ﷺ، فالظاهر أنه أضافه إلىٰ زمن النبي ﷺ علىٰ أن هذا الحديث رواه داود بن قيس عن عياض بن عبد الله، فقال:

«وكنا نخرج إذ كان فينا رسول الله ﷺ زكاة الفطر».

فذكره فصرح برفعه، فإذا كان الأمر المضاف مما يظهر ويتبين ولا يخفىٰ مثله علىٰ النبي ﷺ ولم ينكره وأقر عليه، فإنه حجة؛ لأنه ﷺ لا يقر علىٰ المنكر، وإخراج زكاة الفطر يكثر المخرجون لها والآخذون، ويتكرر ذلك حتىٰ لا يمكن أن يخفىٰ أمرها عن النبي ﷺ وهو بين أظهرهم، فثبت أن الخبر حجة وأنه مسند»[٣].

---

(١) السنة ومكانتها صـ ٦٢.

(٢) الفتح: (٣/ ٣٧٣).

(٣) انظر: المنتقىٰ (٢/ ٨٧).

٢- من يقول: النقود أنفع للفقير من القوت.

نقول: ما دام الأمر منصوصًا عليه فإنه لا عدول لنا عما نص عليه الشرع، فالشرع أعلم منا، فقد يكون في هذا الزمن الدراهم خير من الطعام، لكن ربما تأتي أزمان يكون الطعام خيرًا من الدراهم، بل قد يكون الصاع من الطعام يعادل صاعًا من فضة.

والناس إذا قلنا لهم: أخرجوها من الدراهم واعتادوا إخراجها من الدراهم صعب عليهم الانتقال فيما بعد إلىٰ إخراجها من الطعام؛ ذلك لأن إخراجها من الدراهم أسهل وأيسر، ولأنه إذا غلا الطعام وارتفعت أسعاره، فإن الإنسان يصعب عليه أن يخرج الطعام لكونه غاليًا، ولكون سعره رفيعًا؛ فلهذا كانت الحكمة بلا شك هي ما قال به رسول الهدىٰ ﷺ[1].

٣- القاعدة العامة: أنه لا ينتقل إلىٰ البدل إلا عند فقد المبدل عنه، وأن الفرع إذا كان يعود علىٰ الأصل بالبطلان فهو باطل، ولو أن كل الناس أخذوا بإخراج القيمة لتعطل العمل بالأجناس المخصوصة، فكان الفرع الذي هو القيمة سيعود علىٰ الأصل الذي هو الإطعام بالإبطال فيبطل.

اعتراضات الفريق الأول ورد الفريق الثاني عليها:

١- يرىٰ البعض أن الفقراء محتاجون إلىٰ شراء الثياب في العيد، وإذا أعطيناهم قوتًا لم يتمكنوا من شراء ملابس العيد لهم ولأولادهم.

الرد:

إن كثيرًا من الصحابة - رضوان الله عليهم - كانوا من الفقراء وفي أمس الحاجة للثياب، ودليل ذلك ما رواه الترمذي أن النبي ﷺ قال للرجل الذي أراد أن يتزوج بالمرأة التي وهبت نفسها للنبي ﷺ: «**هَلْ عِنْدَكَ مِنْ شَيْءٍ تُصْدِقُهَا؟**».

(١) دروس وفتاوىٰ الحرم المكي صـ٧٥٩.

فقال: ما عندي إلا إزاري هذا، فقال رسول الله ﷺ: «إِنْ أَعْطَيْتَهَا إِزَارَكَ جَلَسْتَ وَلَا إِزَارَ لَكَ»(١).

وهناك نماذج كثيرة أخرىٰ لا يسع المقام لذكرها، ومع هذا الفقر المدقع والذي لا يوجد مثله الآن حيث إن الفقير الآن يمتلك أكثر من ثوبٍ، فإن النبي ﷺ لم يقل لأصحابه: أعطوهم نقودًا بدلًا من الطعام ليشتروا بها الثياب للعيد مع توفر النقود آنذاك، فدل ترك النبي ﷺ للفعل: «إخراجها نقدًا» مع «وجود المقتضىٰ» وجود الفقراء والمحتاجين للثياب، ووجود المال مع المزكين وانتفاء المانع فلم يكن هناك ما يمنع النبي ﷺ من إخراجها نقدًا علىٰ أن الترك سنة والسنة إخراجها عينًا.

٢- ونسأل أصحاب هذا القول: ماذا سيفعل الفقراء في عيد الأضحىٰ وكيف سيحصلون علىٰ ثياب العيد؟

ولو أنكم دفعتم ثمن الأضحية إليهم - وهو ما لا يجوز شرعًا - لاستطاعوا أن يشتروا ثياب العيد لهم ولأولادهم، ثم نقول لهم:

لماذا حجرتم واسعًا؟ فللمزكي أن يلتزم بالسنة ويخرج زكاة الفطر قوتًا وطعامًا، ثم إن وجد عنده سعة يتصدق علىٰ الفقير بالمال والثياب، ثم أين أنواع الزكاة الأخرىٰ مثل: زكاة المال، والذهب، والفضة، وعروض التجارة والزروع والثمار.

٣- القول بأن إعطاء الفقير زكاة الفطر نقودًا فيه مراعاة لمصلحة الفقير، هذا اجتهاد، والقاعدة تقول: لا اجتهاد مع النص، فلا قول لأحد بعد قول رسول الله ﷺ.

وكل قياس يخالف النص فهو مردود علىٰ صاحبه، ونحن متعبدون لله عز وجل بما جاء في شريعة نبينا محمد ﷺ، ولسنا متعبدين بما تهواه نفوسنا أو ما ترجحه عقولنا ما دام في المسألة نص، فإنه لا خيار لنا فيما نذهب إليه ولا اختيار، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ

---

(١) صححه الألباني.

وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾[(١)(٢)].

٤- إخراجها قيمة يخرجها عن كونها شعيرة ظاهرة إلىٰ كونها صدقة خفية.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري:

«الواجب أن نخرج زكاة الفطر من أنواع الطعام، ولا يعدل عنه إلىٰ النقود إلا لضرورة إذ لم يثبت أن النبي ﷺ أخرج بدلها نقودًا، بل لم ينقل عن الصحابة إخراجها نقودًا»[(٣)].

الخلاصة:

بعد هذا العرض لأدلة الفريقين لك أيها الحبيب الاختيار، ولكن أوصيك أن تتحرىٰ الدقة في العبادة، وتأخذ بالأحوط، وأحذر نفسي وإياك من مخالفة سنة الحبيب ﷺ وترك العمل بها، والأخذ بقول فلان وفلان.

وأذكرك بموقفنا أمام الله تعالىٰ إذا قال: قد بلغكم عن رسولي بواسطة السند الصحيح المنتهي إلىٰ عبد الله بن عمر، ثم إلىٰ رسولي ﷺ. فما حجتنا إذا قال الله تعالىٰ: إن نبيي فرض عليكم زكاة الفطر صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير.

فهل لنا حجة أن نقول: يا ربنا إننا رأينا أن الدراهم خير، أبدًا فإن الخير ما اختاره الله لنا، وما اختاره رسول الله ﷺ لنا[(٤)].

واقرأ معي جيدًا كلام ابن عباس رضي الله عنه؛ حيث قال:

«يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله ﷺ وتقولون:

(١) الأحزاب: (٣٦).

(٢) دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي صـ٧٥٨، ٧٥٩.

(٣) راجع منهاج المسلم صـ٢٥٩.

(٤) دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي صـ٧٦٠.

قال أبو بكر وعمر!»

يا الله! إذا كان من خالف السنة بقول أبي بكر وعمر يخشىٰ عليه ابن عباس من العقوبة، فكيف بحال من خالف السنة لقول من لا يساوي شعرة في لحيتيهما رضي الله عنهما أو بمجرد رأيه أو اجتهاده؟![1].

س١٢: متىٰ تخرج زكاة الفطر؟

جـ: يجب إخراج زكاة الفطر قبل صلاة العيد، وذلك لما أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال:

«أمر رسول الله ﷺ بزكاة الفطر أن تؤدىٰ قبل خروج الناس إلىٰ الصلاة».

وعن ابن عباس رضي الله عنه، قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات»[2].

س١٣: متىٰ يبدأ وقت الوجوب؟

ج: العلماء على قولين:

١- غروب شمس آخر يوم في رمضان (الشافعية، والحنابلة، وقول عند المالكية).

قال ابن قدامة في «المغني»: «تجب بغروب الشمس من ليلة الفطر، فمن أسلم بعد ذلك أو ملك عبدًا أو زوجة أو ولد له ولد لم تلزمه فطرته، وإن وجد ذلك قبل الغروب وجبت»[3].

٢- من طلوع الفجر يوم العيد (الحنفية وقول عند مالك).

---

(١) انظر: الموقع الرسمي للشيخ ابن باز علىٰ شبكة الإنترنت بتصرف يسير وزيادات يسيرة.

(٢) أخرجه أبو داود بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) المغني (٢/ ٦٧٦).

قال الحنفية: «ووقت وجوبها من طلوع فجر عيد الفطر ويصح آداؤها مقدمًا ومؤخرًا»[١].

فائدة الخلاف في بداية وقت الوجوب:

تظهر فيمن مات في آخر يوم في رمضان بعد الغروب، وكذلك من ولد في آخر يوم من أيام رمضان بعد الغروب.

فعلىٰ الرأي الأول: لا تخرج عنه زكاة فطر، وذلك لأنه لم يكن موجودًا وقت وجوبها.

وعلىٰ الرأي الثاني: تخرج عنه زكاة.

س١٤: ما هو أفضل وقت لإخراجها؟

ج: صباح العيد قبل الصلاة لما في «صحيح البخاري» من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم: «أمر بزكاة الفطر قبل خروج الناس إلىٰ الصلاة»[٢].

وقال ابن عيينة في «تفسيره» عن عمرو بن دينار، عن عكرمة قال: يقدم الرجل زكاته يوم الفطر بين يدي صلاته، فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾.

ولذلك فالأفضل تأخير صلاة العيد يوم الفطر ليتسع الوقت لإخراج الفطرة.

س١٥: هل يجوز إخراج زكاة الفطر قبل وقت وجوبها؟

ج: نعم وهو وقت الجواز قبل العيد بيوم أو يومين، ودليل ذلك ما جاء في «صحيح البخاري» عن نافع قال:

«كان ابن عمر يعطي عن الصغير والكبير حتىٰ إن كان يعطي عن بنيَّ وكان يعطيها الذين يقبلونها، وكانوا يُعطون قبل الفطر بيوم أو يومين».

(١) انظر: كتاب الفقه علىٰ المذاهب الأربعة تأليف عبد الرحمن الجزيري طباعة دار الحديث المجلد الأول صـ ٥٣٤.

(٢) رواه مسلم وغيره.

س١٦: ما حكم تأخيرها عن صلاة العيد؟

ج: إذا أخر دفع زكاة الفطر عن صلاة العيد، فإنها لا تقبل منه لأنها عبادة مؤقتة بزمن معين، فإذا أخرها لغير عذر لم تقبل منه كزكاة وتقبل كصدقة لحديث ابن عمر رضي الله عنهما: «وأمر - يعني النبي ﷺ - أن تؤدىٰ قبل خروج الناس إلىٰ الصلاة».

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «من أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات».

أما إذا أخرها لعذر كنسيان أو لعدم وجود فقراء في ليلة العيد، فإنه تقبل منه سواء أعادها إلىٰ ماله أو أبقاها حتىٰ يأتي الفقير[1].

س١٧: هل لزكاة الفطر نصاب؟

ج: ليس لزكاة الفطر نصاب، فكل من ملك ما زاد علىٰ قوت نفسه ومن يعول العيد ويوميه عند جمهور «المالكية والشافعية والحنابلة».

س١٨: إذا كان الرجل في سفر وأخرج زكاة الفطر في وقتها في البلد الذي هو فيه قبل أن يصل إلىٰ أولاده فما حكم ذلك؟

ج: أجاب فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «لا بأس بذلك، ولو كان بعيدًا عن أولاده؛ لأن زكاة الفطر تدفع في المكان الذي يأتيك الفطر وأنت فيه، ولو كان بعيدًا عن بلدك».

س١٩: هل تدفع زكاة الفطر عن الجنين؟

ج: زكاة الفطر لا تدفع عن الحمل في البطن علىٰ سبيل الوجوب، وإنما تدفع علىٰ سبيل الاستحباب.

والله ولي التوفيق

---

(١) الشيخ: محمد بن صالح العثيمين موقع سلسلة العلامتين ابن باز والألباني. www.allamteen.com

الباب التاسع

وداع رمضـــان

وداع رمضان
آن للقلب أن يخشع، وللعين أن تدمع

أيها الأحبة الكرام: ها هي الساعات تمر، والأيام تجري وراءها، وعزم شهر رمضان علىٰ الرحيل.

ربح فيه من ربح، وخسر فيه من خسر، وقُبل فيه من قُبل وطُرد فيه من طُرد، فيا ليت شعري... من المقبول منا فنهنئه؟ يا ليت شعري... من المطرود منا فنعزيه؟

فيا عين جودي بالدمع من أسفٍ ... علىٰ فراقِ ليال ذات أنوار
علىٰ ليالٍ لشهر الصوم ما جُعلت ... إلا لتمحيص آثام وأوزار
ما كان أحسننا والشملُ مجتمع ... منا المصلي ومنا القانت القاري
فابكوا ما مضىٰ من الشهر واغتنموا ... ما قد بقي إخوتي من فضل أعمار[١]

قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾[٢].

أي: الذين يعطون من أنفسهم مما أمروا به ما آتوا من كل ما يقدرون عليه من صلاة وصيام وحج وصدقة وغير ذلك.

﴿و﴾ مع هذا ﴿قلوبهم وجلة﴾: أي خائفة عند عرض أعمالهم عليه، والوقوف بين يديه أن تكون أعمالهم غير منجية من عذاب الله، لعلمهم بربهم وما يستحقه من أصناف العبادات[٣].

---

(١) خطب الشيخ محمد حسان الجزء الثالث صـ (١٢، ١٣) بتصرف يسير.

(٢) المؤمنون: (٦٠).

(٣) تفسير العلامة السعدي صـ (٥٢٦) بتصرف يسير.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله، ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾: هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر وهو يخاف الله عز وجل؟ قال: «**لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ يُصَلِّي، وَيَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَهُوَ يَخَافُ اللهَ عز وجل**»(١).

فالمسلم الصادق التقي يكون اهتمامه بقبول العمل أشد من اهتمامه بالعمل، فهو بعد العمل تجده خائفًا من عدم القبول، فالله تعالىٰ يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ فاللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

والسلف - رضوان الله عليهم - كانوا يجتهدون في إتمام العمل وإكماله وإتقانه، ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله وعدم رده.

روي عن علي رضي الله عنه قال: «كونوا لقبول العمل أشد اهتمامًا منكم بالعمل، ألم تسمعوا قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾».

قال بعض السلف: «كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم».

عباد الله!

إن شهر رمضان قد عزم علىٰ الرحيل، ولم يبق منه إلا القليل، فمن كان منكم أحسن فيه فعليه التمام، ومن كان فرط فليختمه بالحسنىٰ والعمل بالختام، فاستمتعوا منه فيما بقي من الليالي اليسيرة والأيام، واستودعوه عملًا صالحًا يشهدُ لكم به عند الملك العلام، وودعوه عند فراقه بأزكىٰ تحية وسلام:

سـلام مـن الـرحمن كـلَّ أوان علىٰ خير شهرٍ قد مضىٰ وزمانِ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/ صـ ١٥٩) وابن ماجه في كتاب الزهد (٢/ ص١٤٠٤) حديث رقم (٤١٩٨) عن عائشة وإسناده حسن.

سلامٌ علىٰ شهر الصيام فإنه أمانٌ من الرحمن أي أمانِ

عباد الله! قلوب المتقين إلىٰ شهر رمضان تحن، ومن ألم فراقه تئن.

كيف لا يجري للمؤمن علىٰ فراقه دموع، وهو لا يدري هل بقي له في عمره إليه رجوع.

إذا كان هذا جزعَ من ربح فيه، فكيف حالُ من خسر في أيامه ولياليه؟

ماذا ينفع المفرط فيه بكاؤه، وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه؟

وداعًا يا شهر رمضان، وداعًا يا شهر الصيام، وداعًا يا شهر القرآن، وداعًا يا شهر الإحسان، وداعًا يا شهر العتق من النيران، يا شهر رمضان ترفق دموع المحبين تدفق قلوبهم من ألم الفراق تشقق

عسىٰ وقفة للوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق
عسىٰ ساعة توبة وإقلاع ترفو من الصيام كل ما تخرق
عسىٰ منقطعٌ عن ركب المقبولين يلحق
عسىٰ أسير الأوزار يطلق
عسىٰ من استوجب النار يعتق

عسىٰ رحمة المولىٰ لها العاصي يوفق عسىٰ وعسىٰ من قبل وقت التفرق
إلىٰ كل ما ترجو من الخير ترتقي فيجبر مكسور ويقبل تائب
ويعتق خطاء ويسعد من شقي[(١)]

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من لطائف للإمام أحمد بن رجب الحنبلي صـ ٢٧٥ إلىٰ ٢٨٥ ط دار البيان العربي باختصار وتصرف وزيادات يسيرة.

وماذا بعد رمضان؟

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾: يقول تعالىٰ ذكره لنبيه ﷺ استمر في جميع الأوقات علىٰ التقرب إلىٰ الله تعالىٰ بأنواع العبادات، فامتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائبًا في العبادة حتىٰ أتاه اليقين من ربه، صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا، واليقين هو الموت(١).

فالمداومة علىٰ العمل الصالح في رمضان وبعد رمضان هو شعار المؤمنين الصادقين، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ...﴾.

* * *

وهذه بعض الوصايا المهمة للمسلمين بعد رمضان:

١- بداية وقبل كل شيء عليك أن تطلب العون والمدد من الله تعالىٰ علىٰ الثبات وعلىٰ الهداية والتوفيق، قال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾(٢).

٢- المسلم يعلم أن رب رمضان هو رب سائر العام، واستعداده للقاء الله يدعوه دائمًا لاغتنام كل لحظة وصرفها في طاعة الله، حتىٰ وهو يأكل ويشرب وينام ويعمل ويتكسب ويأتي سائر شئونه، فهو لا ينفك فيه عن طاعة ربه، وذلك لأنه يستن بسنة رسول الله ﷺ الذي خاطبه ربه بقوله: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ۝٩٩﴾.

وإذا كان المسلم ينتقل من عبادة إلىٰ أخرىٰ في رمضان لتأكد الطاعة فيه،

(١) تفسير الطبري (٨/ ٧٩) باختصار، ط المكتبة التوفيقية، وتفسير السعدي صـ ٤١٠.

(٢) آل عمران (٨).

فهناك مجال واسع للعبادة بعد رمضان، فما نكاد نرىٰ هلال شوال حتىٰ نخرج من اعتكافنا ونستعد لعيد فطرنا.

والأعياد منْ أعظم شعائر الدين، فعن أنس ﵁ قال: قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «**مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟**» قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال ﷺ: «**أَبْدَلَكُمُ اللهُ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَىٰ وَيَوْمَ الْفِطْرِ**»[(١)].

ثم يأتي صيام النوافل ومنها صيام ست من شوال، والإثنين والخميس من كل أسبوع، وصيام يوم الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من الشهور القمرية، وصيام يوم عاشوراء وصيام يوم عرفات وصيام يوم وإفطار يوم... إلخ.

وكذا سائر العبادات يستطيع أن يقوم بها المسلم علىٰ مدار العام ولله الحمد والمنة[(٢)].

٣- احذر أن تكون كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا، فلقد رأينا المساجد معطرة بأنفاس الصائمين في رمضان، ورأينا المساجد في رمضان مزدحمة بصفوف المصلين، بل وسمعنا للمساجد في رمضان دويًّا بالذكر وقرآن رب العالمين، بل وأسعد قلوبنا في رمضان تنافس أهل البر والخير من المحسنين.

لكن مع أول فجر من أيام شهر شوال يتألم القلب وتبكي العين ويتحسر الفؤاد وتتمزق النفس حسرات.

أين المؤمنون؟! أين المصلون في رمضان؟!!

أين القائمون لله في رمضان؟! أين الذاكرون الله كثيرًا والذاكرات؟

إننا بعد انقضاء رمضان نرىٰ المساجد خاوية إلا من رحم الله، مع أول فجر

(١) رواه أبو داود وهذا حديث صحيح.

(٢) دروس الزمان في شهر رمضان الشيخ / سعيد عبد العظيم صـ ٢١٤ بزيادات وتصرف.

من شوال تبكي المآذن وتشكو المساجد حالها إلىٰ الكبير المتعال[١].

قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا...﴾ الآية[٢].

فاحذر أيها المسلم من نقض العهد مع الله تعالىٰ، ولا تكن ﴿كَٱلَّتِى﴾ تغزل غزلًا قويًّا، فإذا استحكم وتم ما أريد منه نقضته فجعلته ﴿أَنكَـٰثًا﴾، فتعبت علىٰ الغزل ثم علىٰ النقض، ولم تستفد سوىٰ الخيبة والعناء وسفاهة العقل، ونقص الرأي، فكذلك من نقض ما عاهد عليه...[٣].

فاحذر نقض العهد مع الله تعالىٰ والفتور بعد رمضان، واعلم أن أحب الأعمال أدومه وإن قل، فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «... **وَإِنَّ أَحَبَّ الْعَمَلِ إِلَىٰ اللهِ أَدْوَمُهُ وَإِنْ قَلَّ...**»[٤].

٤- حافظ علىٰ الوقفات المهمة التي وقفناها سويًّا قبل أن تفتح أبواب الجنة، ومنها: التوبة، والإخلاص، وتطهير القلوب... إلخ.

٥- احذر الشياطين بعد رمضان، فإن الشياطين يُطلق سراحهم بعد رمضان وتفك قيودهم[٥].

٦- أكثر من مجالسة الصالحين ومجالس الذكر ودروس العلم.

٧- بنود جدول الأعمال في رمضان حافظ عليها إلىٰ أن تلقىٰ الملك العليم العلام.

٨- احرص علىٰ صيام النوافل عامة، وصيام ست من شوال خاصة، ففيها

---

(١) من خطب الشيخ محمد حسان صـ١٣ بتصرف.

(٢) النحل (٩٢).

(٣) انظر: تفسير العلامة السعدي صـ ٤٢٢ باختصار.

(٤) جزء من حديث رواه البخاري (١/ ١٠٩، ١١٠) في الإيمان باب أحب الدين إلىٰ الله أدومه.

(٥) راجع تحذير المسلمين من اتباع خطوات الشياطين.

فوائد كثيرة منها:

أ - تحصيل ثواب صيام الدهر كما جاء في «صحيح مسلم» من حديث أبي أيوب الأنصاري: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ**».

وذلك لأن الله تعالىٰ يجزي علىٰ الحسنة عشر أمثالها، فصيام رمضان كصيام عشرة أشهر ويكون صيام الستة أيام من شوال، كصيام شهرين، فيكون المسلم بذلك قد استكمل ثواب صيام الدهر بفضل الله تعالىٰ.

وينبغي أن ينتبه الإنسان إلىٰ أن هذه الفضيلة لا تتحقق إلا إذا انتهىٰ من صيام رمضان كله، ولهذا إذا كان علىٰ الإنسان قضاء من رمضان صامه أولًا ثم صام ستًّا من شوال.

وهذه الست ليس لها أيام محددة معينة من شوال، بل يختار المؤمن من جميع الشهر.

ب - صيام ست من شوال تجبر الخلل وتكمل النقص.

صيام شوال وشعبان كصلاة السنن والرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها.

ج - صيام ست من شوال من علامات القبول إن شاء الله تعالىٰ، فإن الله تعالىٰ إذا قبل عمل عبد وفقه لعمل صالح، بعده، فالطاعة تولد طاعة وثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بحسنة بعدها كان ذلك علامة علىٰ قبول الحسنة الأولىٰ.

د - فيها شكر نعمة التوفيق لصيام رمضان.

ولقد أمر الله تعالىٰ عباده بشكر نعمة صيام رمضان، قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا

﴿ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[1]، فمن جملة الشكر لربه علىٰ توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرًا عقيب ذلك.

هـ - أن صوم النفل يهيئ المسلم للترقي في درجات القرب من الله تعالىٰ.

وفي الحديث القدسي: «**وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ...**»[2].

و- ومنها أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلىٰ ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان، بل هي باقية بعد انقضائه ما دام العبد حيًّا[3].

إلىٰ غير ذلك من الفضائل التي لا يتسع المقام لبسطها.

نسأل الله الكريم أن يعيد علينا هذا الشهر سنين متوالية، ونحن في عافية في ديننا ودنيانا، وأن يأجرنا علىٰ مصابنا بفراقه خير الجزاء، إنه أكرم مسؤول وأعظم مأمول.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

* * *

(١) البقرة: (١٨٥).

(٢) رواه البخاري.

(٣) انظر: لطائف المعارف لابن رجب صـ ٢٨٩، ٢٩٠ باختصار وتصرف وزيادات.

استقبال العيد وفضل صيام ست من شوال

عيد الفطر

في ختام هذا الشهر شرع الله لعباده أن يكبروه، فقال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾.

تكبروا الله، أي: تعظموه بقلوبكم وألسنتكم، ويكون ذلك بلفظ التكبير فتقول: «الله أكبر، الله أكبر لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد».

أو تكبر ثلاثًا، فتقول: «الله أكبر».

وتتعلق بالعيد أحكام وآداب نذكر منها:

١- التعريف:

العيد: لغة: مشتق من العود وهو الرجوع والمعاودة؛ لأنه يتكرر ولا يخرج المعنىٰ الاصطلاحي عن المعنىٰ اللغوي[(١)].

٢- سبب التسمية:

سمي العيد بهذا الاسم؛ لأن لله تعالىٰ فيه عوائد الإحسان، أي: أنواع الإحسان العائدة علىٰ عباده في كل عام، منها: الفطر بعد المنع عن الطعام، وصدقة الفطر؛ ولأن العادة فيه الفرح والسرور والنشاط والحبور - غالبًا بسبب ذلك -[(٢)].

٣- متى شرعت صلاة العيد:

شرعت صلاة العيد في السنة الأولىٰ من الهجرة، بدليل ما روىٰ أنس: «قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: «**مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟**» قالوا:

---

(١) الموسوعة الفقهية (٣١/ ١١٤) ط وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت.

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته أ د/ وهبة الزحيلي (٢/ ١٣٨٦).

كنا نلعب فيهما في الجاهلية؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَبْدَلَكُمْ خَيْرًا مِنْهُمَا: يَوْمَ الْأَضْحَىٰ وَيَوْمَ الْفِطْرِ»[(١)].

الدليل على مشروعيتها:

أن ابن عباس رضي الله عنه قال: «شهدت صلاة الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فكلهم يصليها قبل الخطبة»[(٢)].

حكمها الفقهي:

يتردد حكم صلاة العيد بين آراء ثلاثة، كونها: فرض كفاية - أو واجبًا - أو سنة[(٣)].

والراجح من أقوال أهل العلم أنها فرض، وهو قول أبي حنيفة وأحد أقوال الشافعي، وأحد القولين في مذهب أحمد، ودليل ذلك أن النبي ﷺ «أمر النساء أن يخرجن لصلاة العيد حتىٰ أمر الحُيَّض وذوات الخدور أن يخرجن يشهدن الخير ودعوة المسلمين، وأمر الحيض أن يعتزلن المصلىٰ»[(٤)].

قال الشيخ الألباني رحمه الله:

«الحق وجوبها لا سنيتها فحسب، ومن الأدلة علىٰ ذلك أنها مسقطة للجمعة إذا اتفقتا في يوم واحد، وما ليس بواجب لا يسقط واجبًا»[(٥)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) متفق عليه.

(٣) الفقه الإسلامي وأدلته أ د/ وهبة الزحيلي صـ ٢/ ١٣٨٧.

(٤) البخاري (٩٨٠) ومسلم (٨٩٠)، وأما ما ذهب إليه البعض بأنها سنة مستدلًا بقوله ﷺ للأعرابي وقد سأله: هل عليَّ غيرها - يعني الصلوات الخمس -؟ قال: «لَا إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ» فالمقصود بذلك الصلوات اليومية بخلاف صلاة العيد فإنها لا تدخل في هذا التقييد، والله أعلم.

انظر تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة (٢/ ٣).

(٥) تمام المنة (٣٤٤).

وقت صلاة العيد:

اتفق الفقهاء علىٰ أن وقت صلاة العيد هو ما بعد طلوع الشمس قدر رمح أو رمحين، أي: بعد حوالي نصف ساعة من طلوع الشمس إلىٰ قبيل الزوال، أي: قبل دخول وقت الظهر، وهو وقت الضحىٰ[(١)].

ويسن تأخير صلاة الفطر عن أول وقتها قليلًا، وتعجيل صلاة الأضحىٰ في أول وقتها.

صلاة العيد ليس لها أذان ولا إقامة:

قال ابن القيم رحمه الله:

«كان ﷺ إذا انتهىٰ إلىٰ المصلىٰ أخذ في الصلاة من غير أذان ولا إقامة ولا قول: الصلاة جامعة. والسنة ألا يُفعل شيء من ذلك».

كيفية صلاة العيد:

صلاة العيد ركعتان، يسن فيهما أن يكبر المصلي قبل القراءة في الركعة الأولىٰ سبع تكبيرات بعد تكبيرة الإحرام، وفي الثانية خمس تكبيرات غير تكبيرة القيام.

القراءة في صلاة العيد:

عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، قال: «وكان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾»[(٢)].

وعن أبي واقد الليثي، وسأله عمر: «ما كان يقرأ به رسول الله ﷺ في الأضحىٰ والفطر؟ فقال: «كان يقرأ فيهما بـ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ﴾، و﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾»[(٣)].

---

(١) الفقه الإسلامي وأدلته أ د/ وهبة الزحيلي (٢/ ١٣٩١) باختصار.

(٢) رواه مسلم كتاب الجمعة (٢/ ٥٩٨/ ٦٢).

(٣) مسلم (٨٩١٠).

ما يتعلق بيوم العيد من آداب:

١- استحباب الغسل والتطيب ولبس أجمل الثياب:

قال ابن القيم رحمه الله: «وكان ﷺ يلبس لهما أجمل ثيابه، وكان له حُلة يلبسها للعيدين والجمعة».

٢- الأكل قبل الخروج في الفطر:

قال أنس: «كان النبي ﷺ لا يغدو يوم الفطر حتىٰ يأكل تمرات، ويأكلهن وترًا»(١).

٣- الخروج إلى المصلى ماشيًا والصلاة فيه:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحىٰ إلىٰ المصلىٰ».

٤- خروج النساء والصبيان:

يشرع خروج الصبيان والنساء في العيدين للمصلىٰ؛ لحديث أم عطية قالت: «أُمرنا أن نخرج العواتق(٢) والحيض في العيدين يشهدن الخير ودعوة المسلمين، ويعتزل الحُيض المصلىٰ»(٣).

٥- مخالفة الطريق:

ذهب أكثر أهل العلم إلىٰ استحباب الذهاب إلىٰ صلاة العيد في طريق والرجوع في طريق آخر سواء كان إمامًا أو مأمومًا.

---

(١) صحيح البخاري كتاب العيدين، باب الأكل يوم الفطر قبل الخروج (٢/ ٢١).

(٢) البنات الأبكار.

(٣) سبق تخريجه.

فعن جابر رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ إذا كان يوم عيد خالف الطريق»[(١)].

٦- التكبير في أيام العيد:

التكبير في أيام العيد سنة، قال تعالىٰ: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ ووقته في الفطر من حين يخرج إلىٰ المصلىٰ حتىٰ يصلي.

٧- التهنئة بالعيد:

قال أحمد رحمه الله: «ولا بأس أن يقول الرجل للرجل: تقبل الله منا ومنكم».

٨- التوسعة على الأهل:

وكثرة الصدقة النافلة بحسب الطاقة زيادة عن عادته ليغنيهم عن السؤال.

٩- إظهار البشاشة:

والفرح في وجه من يلقاه من المؤمنين، وزيارة الأحياء من الأرحام والأصحاب، إظهارًا للفرح والسرور وتوثيقًا لرابطة الأخوة والمحبة[(٢)].

تم الكلام وربنا المحمود ... وله المكارم والعلا والجود
وعلىٰ النبي محمد صلواته ... ما ناح قمري وأورق عود

* * *

(١) رواه البخاري كتاب العيدين، باب من خالف الطريق إذا رجع يوم العيد (٢/ ٢٩).

(٢) الفقه الإسلامي وأدلته (٢/ ١٤١٥).

الخاتمة
«نسأل الله حُسنها»

بعد هذه الرحلة المباركة التي تجولنا من خلالها في بساتين رمضان وارفة الظلال.

وبعدما حلقت أرواحنا في هذا الأفق الوضيء السامق مع الصيام، فقد وصلنا بحمد الله وفضله إلىٰ الوريقات الأخيرة، وفي الختام: هذا جهد قليل لا يخلو من النقص والتقصير.

فإن كان فيه توفيق فمن الله وحده، وإن كان فيه خطأ أو نقص أو نسيان فمني ومن الشيطان.

والله ورسوله منه براء.

ولا أنسىٰ أن أسجل شكري لكل من ساهم في إخراج هذا العمل للمسلمين.

وأسأل الله لي ولهم التوفيق والسداد والقبول والصدق والإخلاص ومتابعة نبيه ﷺ.

سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت نستغفرك ونتوب إليك.

كتبه الفقير إلى عفو مولاه

أحمد سيد أبو العمايم

جمهورية مصر العربية ، المطرية، دقهلية

شارع تنيس ومستجد (١٨)

يوم الثلاثاء الموافق ٦ جماد آخر ١٤٢٩هـ

١٠ يونيه ٢٠٠٨م بعد صلاة العصر

المراجع

المرجع الأول: «القرآن الكريم» كتاب رب العالمين.

أ- التفسير:

١- «تفسير الطبري» لابن جرير الطبري. ط: التوفيقية ٢٠٠٤.

٢- «تفسير الطبري» لابن جرير الطبري. ط: مصطفىٰ الحلبي.

٣- «تفسير القرطبي» للإمام القرطبي ط: دار الشعب والريان للتراث.

٤- «تفسير ابن كثير» للحافظ ابن كثير. ط: دار الحديث. تحقيق د: سيد محمد سيد وآخرين، سنة الطبع ١٤٢٦هـ.

٥- تفسير «النكت والعيون» للماوردي.

٦- «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم» لأبي السعود.

٧- «تفسير البحر المحيط» لأبي حيان.

٨- «زاد المسير» لابن الجوزي.

٩- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم» للعلامة الألوسي.

١٠- «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العظيم» لابن عطية.

١١- «الكشاف للزمخشري».

١٢- «مفاتيح الغيب» للرازي ط: دار الفكر ١٤١٥هـ.

١٣- «التفسير القيم» للإمام ابن القيم، جمعه محمد أويس الندوي مكتبة الصفا ١٤٢٩هـ.

١٤- «أضواء البيان» للشنقيطي.

١٥- «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان».

للعلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي. ط: مؤسسة الرسالة.
١٦ - «أيسر التفاسير» للشيخ أبي بكر الجزائري، ط: دار السلام.
١٧ - «المنتخب» في تفسير القرآن الكريم. المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية ١٤١٦هـ.
١٨ - «نداءات رب العالمين لعباد الله المؤمنين» للشيخ ابن عثيمين دار الإيمان.
١٩ - «تفسير سورة النور في سؤال وجواب» للشيخ مصطفىٰ العدوي.
ب - السُّنة:
٢٠ - «صحيح البخاري» ط: مكتبة الإيمان بالمنصورة ١٤٢٣هـ.
٢١ - «صحيح مسلم» ط: دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٥هـ.
٢٢ - «صحيح الأدب المفرد» للإمام البخاري.
٢٣ - «فتح الباري شرح صحيح البخاري». للحافظ ابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ.
٢٤ - «شرح مسلم للنووي» للإمام محيي الدين النووي.
٢٥ - «تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي» للمباركفوري.
٢٦ - «عون المعبود شرح سنن أبي داود» للطيب آبادي.
٢٧ - «سنن ابن ماجه».
٢٨ - «سنن الترمذي».
٢٩ - «سنن النسائي».
٣٠ - «مسند الإمام أحمد بن حنبل» تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وغيرهما - مؤسسة الرسالة، ١٤٢٩هـ، ٢٠٠٨م.
٣١ - «صحيح الترغيب والترهيب» للشيخ الألباني، مكتبة المعارف ١٤٢١هـ.
٣٢ - «صحيح الجامع الصغير» للشيخ الألباني.

٣٣- «السلسلة الصحيحة» للشيخ الألباني.
٣٤- «إرواء الغليل» للشيخ الألباني.
٣٥- «تمام المنة في تخريج أحاديث فقه السنة» الشيخ الألباني.
٣٦- «خطبة الحاجة» للشيخ الألباني.
٣٧- «تلخيص الحبير» لابن حجر.
٣٨- «لسان الميزان» لابن حجر.
٣٩- «تهذيب التهذيب» لابن حجر.
٤٠- «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي.
٤١- «كتاب السنة» للحافظ الشيباني تحقيق الشيخ الألباني - المكتب الإسلامي ١٤١٩هـ.
٤٢- «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» لمحمد فؤاد عبد الباقي - دار الحديث.
٤٣- «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» دار السلام.
٤٤- «رياض الصالحين» للإمام النووي - تحقيق العلامة الألباني - المكتب الإسلامي ١٣٩٩هـ.
٤٥- «شرح رياض الصالحين» للشيخ محمد بن صالح العثيمين مكتبة الإيمان بالمنصورة.
٤٦- «الهدية السعدية شرح الأربعين النووية» د: محمد السعد فرهود.
العقيدة:
٤٧- «فتاوىٰ العقيدة» للشيخ ابن عثيمين - مكتبة الإيمان.
٤٨- «شرح العقيدة الواسطية» لابن عثيمين. مكتبة الإيمان بالمنصورة.
٤٩- «الجامع الفريد» مجموعة علماء.
٥٠- «حقيقة التوحيد» للشيخ محمد حسان.

٥١- «مصادر الاستدلال علىٰ مسائل الاعتقاد» للشيخ عثمان علىٰ حسن، ط دار الوطن ١٤١٣هـ.
٥٢- «آية الكرسي وبراهين التوحيد» تأليف عبد المحسن البدر.

حـ - الفقه:

٥٣- «المجموع» للإمام النووي.
٥٤- «روضة الطالبين» للإمام النووي.
٥٥- «الأم» للإمام الشافعي.
٥٦- «مجموع فتاوىٰ ابن تيمية» لشيخ الإسلام ابن تيمية.
٥٧- «زاد المعاد» لابن القيم.
٥٨- «التمهيد» لابن عبد البر.
٥٩- «نيل الأوطار» للشوكاني.
٦٠- «سُبل السلام» للصنعاني.
٦١- «بداية المجتهد ونهاية المقتصد» للإمام ابن رشد.
٦٢- «حاشية الدسوقي».
٦٣- «فقه العبادات» لابن عثيمين.
٦٤- «دروس وفتاوىٰ في الحرم المكي». للشيخ ابن عثمين، دار ابن الجوزي.
٦٥- «تمام المنة في فقه الكتاب وصحيح السنة» للشيخ عادل العزازي.
٦٦- «الموسوعة الفقهية الكويتية» ١٤٢٥هـ.
٦٧- «الفقه الإسلامي وأدلته» أ.د: وهبة الزحيلي ط: دار الفكر.
٦٨- «فقه السنة» للشيخ سيد سابق.
٦٩- «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» للشيخ عبد الله البسام، ط: جنة الأفكار.
٧٠- «تيسير العلام شرح عمدة الأحكام» للشيخ عبد الله البسام، ط: دار العقيدة.

٧١- «الملخص الفقهي» للشيخ صالح آل فوزان، ط: دار الغد الجديد ١٤٢٨هـ.
٧٢- «٤٨ سؤالًا في الصيام» أجاب عليها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، دار الإيمان.
٧٣- «فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء» مكتبة العبيكان، ١٤٢١هـ.
٧٤- «الوجيز في فقه السنة والكتاب العزيز» للشيخ عبد العظيم بن بدوي.
٧٥- «الفقه الميسر وأدلته» للشيخ سعد يوسف أبو عزيز ط: المكتبة التوفيقية.
«تذكير الأمة المحمدية بعدم جواز إخراج زكاة الفطر نقدية».
٧٦- مقالة للمستشار أحمد السيد، مجلة التوحيد العدد (٥٧) بتاريخ (١/ ١١/ ٢٠٠٦م).
٧٧- «الصيام فضائله وأحكامه» للشيخ عبد الفتاح القاضي.
٧٨- «أسرار الصلاة» لابن قيم الجوزية.
٧٩- «فصول في الصيام والتراويح والزكاة» لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثمين.
٨٠- «رسالتان موجزتان في الزكاة والصيام» للشيخ: ابن باز.
٨١- «شرح العمدة».

كتب الرقائق:

٨٢- «مدارج السالكين» لابن القيم.
٨٣- «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم.
٨٤- «تلبيس إبليس» لابن القيم.
٨٥- «مفتاح دار السعادة» لابن القيم.
٨٦- «حادي الأرواح» لابن القيم.
٨٧- «النونية» لابن القيم.
٨٨- «الداء والدواء أو الجواب الكافي» لابن القيم.
٨٩- «الفوائد» لابن القيم.

٩٠- «بدائع الفوائد» لابن القيم.
٩١- «إغاثة اللهفان» لابن القيم.
٩٢- «مفتاح دار السعادة» لابن القيم.
٩٣- «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم.
٩٤- «صيد الخاطر» لابن الجوزي المكتبة التوفيقية.
٩٥- «حلية الأولياء» لأبي نعيم.
٩٦- «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي.
٩٧- «لطائف المعارف» لابن رجب.
٩٨- «تحفة الذاكرين».
٩٩- «التبيان في آداب حملة القرآن» للنووي.
١٠٠- «منهاج المسلم» للشيخ أبي بكر الجزائري.
١٠١- «مع الله» للشيخ محمد الغزالي.
١٠٢- «خواطر إيمانية» د: أحمد فريد ط: دار المؤيد.
١٠٣- «تحفة الواعظ في الخطب والمواعظ». د: أحمد فريد.
١٠٤- «الجزاء من جنس العمل» د: سيد عفاني.
١٠٥- «نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان» د: سيد عفاني.
١٠٦- «تعطير الأنفاس من حديث الإخلاص» د: سيد عفاني.
١٠٧- «رهبان الليل» د: سيد عفاني.
١٠٨- «أسرار المحبين في رمضان» الشيخ: محمد حسين يعقوب.
١٠٩- «الأخوة أيها الإخوة» الشيخ: محمد حسين يعقوب. المكتبة التوفيقية.
١١٠- «خطب الشيخ محمد حسان».
١١١- «الحقوق الإسلامية» للشيخ: محمد حسان ط: فياض.

١١٢ - «أربعون وسيلة لاستغلال شهر رمضان» د: إبراهيم الدويش.

١١٣ - «وصف الجنة في القرآن والسنة» للشيخ أبو زيد الشافعي.

١١٤ - «أكثر من ألف طريق إلىٰ الجنة» للشيخ أمين الأنصاري، الدار العالمية.

١١٥ - «ترغيب المؤمن التقي في الإكثار من الصلاة والسلام علىٰ النبي ﷺ» للشيخ أبي بكر الحنبلي.

١١٦ - «عودوا إلىٰ خير الهدىٰ» محمد أحمد إسماعيل المقدم - دار الإيمان الإسكندرية.

١١٧ - «ترطيب الأفواه فيمن يظلهم الله» د: سيد عفاني.

١١٨ - «مختصر الشمائل المحمدية» للإمام الترمذي. تحقيق العلامة الألباني، مكتبة المعارف.

١١٩ - «جامع العلوم والحكم» لابن رجب الحنبلي.

١٢٠ - «كيف تكونين امرأة رمضانية» لمريم السالم.

١٢١ - «فيض المعين علىٰ جمع الأربعين في فضل القرآن المبين» لُملا علي بن سلطان.

١٢٢ - «آداب النوم والاستيقاظ» محمد حسن يوسف ط: مكتبة التوحيد.

١٢٣ - «دلائل الأفهام في فضل الصلاة علىٰ محمد خير الأنام» لابن قيم الجوزية.

١٢٤ - «الأسباب المفيدة في اكتساب الأخلاق الحميدة» للشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد، ط: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بالمملكة.

١٢٥ - «المسك والعنبر في خطب المنبر» د: عائض القرني.

١٢٦ - «لا تحزن» د: عائض القرني - مكتبة العبيكان.

١٢٧ - «العظمة» د: عائض القرني - مكتبة العبيكان.

١٢٨ - «الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ» للقاضي عياض - المكتبة التوفيقية.

١٢٩ - «دروس العام» عبد الملك القاسم - دار القاسم.

١٣٠ - «دروس رمضان» عبد الملك القاسم - دار القاسم.

١٣١ - «خُلق المسلم» للشيخ: محمد الغزالي، نهضة مصر.

و - كتب اللغة والأدب:

١٣٢ - «لسان العرب» لابن منظور.

١٣٣ - «مفردات ألفاظ القرآن الكريم» للراغب الأصفهاني.

١٣٤ - «من وحي القلم» لمصطفىٰ صادق الرافعي.

١٣٥ - «النحو الشافي» د: محمود حسني مغالسة ، مؤسسة الرسالة.

١٣٦ - «المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم» لمحمد فؤاد عبد الباقي.

ي - كتب أخرى:

١٣٧ - «مباحث في علوم القرآن الكريم» للشيخ مناع القطان. ط: المعارف، الرياض.

١٣٨ - «عون الرحمن في حفظ القرآن» للشيخ أبي ذر القلموني، ط: دار العلوم الحديثة.

١٣٩ - «كيف نفهم القرآن» للشيخ محمد بن جميل زينو.

١٤٠ - «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير.

١٤١ - «كتاب العلم» للشيخ ابن عثيمين.

١٤٢ - «وقاية الإنسان من الجن والشيطان» للشيخ: وحيد عبد السلام بالي.

وهناك مراجع أخرىٰ أشرنا إليها في موضعها؛ والله المستعان.

* * *

المراجع الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية (الإنترنت)

١- موقع الشبكة الإسلامية.

ISLAMWEB.NET

٢- موقع الأكاديمية الإسلامية المفتوحة.

WWW.ISLAMACADEMY.NET

٣- موقع البلاغ.

INFO@BALAGH.COM

٤- موقع داعي.

http:// WWW.DAAY.ORG

٥- موقع شبكة مشكاة الإسلامية.

WWW.ALMESHKAT.NET

٦- موقع ملتقىٰ أهل الحديث.

http://WWW.AHLALHADEETH.COM

٧- موقع دين.

WWW.DEEN.COM

٨- موقع الدكتور يوسف القرضاوي.

FEEDBACK@QARADWI.NET

٩- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

CALLBINBAZ@YAHOO.COM

١٠- موقع طريق القرآن.

webmaster@quranway.net

١١- موقع طريق التوبة.

www.twbh.com

١٢- موقع المنبر.

Alminbar.net

١٣- موقع الدين النصيحة.

www.islamadvice.com

١٤- موقع صيد الفوائد.

saaid@saaid.ws

١٥- سلسلة العلامتين: ابن باز والألباني.

http://www.allalamteen.com

١٦- موقع طريق الإسلام.

www.islamway.com

١٧- موقع مجلة التوحيد علىٰ شبكة الإنترنت.

mgtawheed@notmail

١٨- الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان.

alfawzan@al.daawah.net

١٩- موقع العلامة بن صالح العثيمين رحمه الله.

info@binothaimeen.com

المحتويات

الباب الخامس: فقه الصيام

الباب السادس: جدول أعمال المسلم في رمضان

الباب السابع : فضل العشر الأواخر من رمضان

الباب الثامن : أحكام زكاة الفطر

الباب التاسع: وداع رمضان



للصف والمراجعة والتحقيق
القاهرة -ت: ٤٤٦٤٠٧٦٦ - جوال: ٠١٠٧٢١٩٥٤٣
البريد الإلكتروني: EBADALRHMAN_SFEF@YAHOO.COM